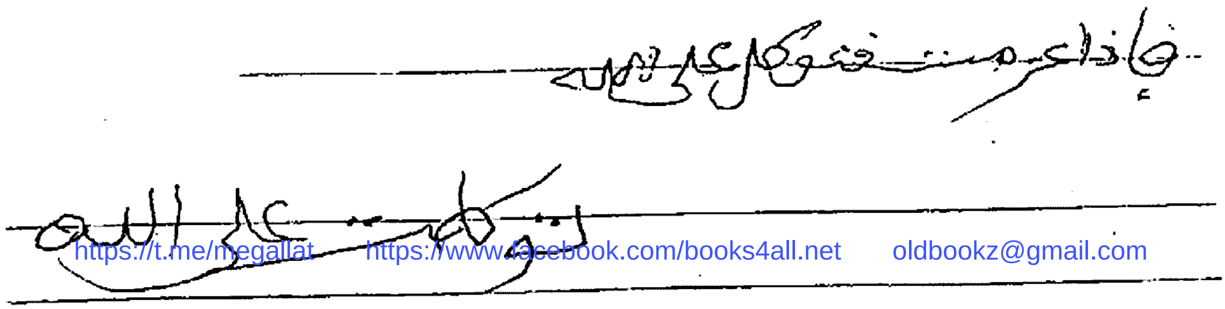
آخر ما سطره قلم الشيخ حمد

كان الشيخ حمد - رحمه الله - يعاني منذ فترة طويلة ضيقًا في فقرات العنق من جراء جلوسه لفترة طويلة منكبًا على قراءة المخطوطات والمؤلفات والكتابة، مما تسبب في الضغط على الحبل الشوكي (مصدر الإحساس) .

وفي شهر المحرم ١٤٢١هـ سقط علي ظهره مما أدى إلى مضاعفة ماكان يعانيه من آلام ، امتدت إلى ضعف في استخدام يديه وعدم القدرة على المشي.

ولقد أفاد الأطباء أن هذه الآلام ستزيد،وهذا الضعف سيزداد ، وقد يصل الأمر إلى التأثير على اعضاء أخرى في جسمه - طيب الله ثراه - وأن العلاج لذالك هو التدخل الجراحي لتخفيف الضغط على فقرات العنق.

وعندما عُرِضَ رأي الأطباء على الشيخ حمد ، كانت بجواره في المستشفى (خارج البلاد) ابنته الدكتورة (مي) ، فطلب منها ورقة وقلمًا وكتب عليها(فإذا عزمت فتوكل على الله ، توكلت على الله) . فكان هذا آخر ما سطرته يمين الشيخ حمد - رحمه الله - وتبدو في كتابته آثار رعشة يديه ، وهذه صورة لها:


فإذا عزمت فتوكل على الله
توكلت على الله

رسالة إلى قراء «العرب»

حكم المنية في البرية جاري
ما هذه الدنيا بدار قرار

شاءت إرادة الله أن يختار إلى جواره يوم الخميس ١٤٢١/٦/١٦هـ (١٤/٩/٢٠٠٠م) علامة الجزيرة الوالد الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – بعد أن صحح هذا الجزء من مجلة «العرب» (ج١ . ٢ س ٣٦ رجب وشعبان ١٤٢١هـ) وبعد أن انتهت طباعته ولم يبق إلا طباعة الغلاف.

وإنني إذ أقدم العزاء لقراء «العرب» وكتابها وأصدقاء الشيخ وتلاميذه ، أؤكد لهم أن مجلة «العرب» ستستمر في الصدور،على النهج الذي رسمه لها مؤسسها – طيب الله ثراه – وستكون بين أيديهم في مواعيدها إن شاء الله .

و«العرب» وهي تواصل الصدور ترجو من قرائها وكتابها مواصلتها بأبحاثهم ودراساتهم وآرائهم وتعليقاتهم ، كما كان العهد بهم إبان وجود مؤسسها ، وسيجدون من العناية بذالك ماكانوا يجدونه منه – رحمه الله – راجية للوالد الشيخ الفقيد الرحمة والغفران ومن قرائها وكتابها الدعاء له بأن يجزيه الله خير الجزاء على ماقدمه لأمته وبلاده إنا لله وإنا إليه راجعون،

معن بن حمد الجاسر

بسم الله الرحمن الرحيم
((وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة
قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون))
صدق الله العظيم

نعي

تنعي إدارة مجلة «العرب» إلى قرائها وكتابها صاحبها
ورئيس تحريرها علامة الجزيرة

الشيخ حمد بن محمد الجاسر

الذي وافته المنية يوم الخميس السادس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ الموافق الرابع عشر من شهر أيلول(سبتمبر)سنة ٢٠٠٠م ، سائلين المولى - جل وعلا - أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنانه ويجزيه خير الجزاء على ماقدمه في خدمته أمته وبلاده.

٤٢٢ ـ ٤٢١

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج ١، ٢ س ٣٦ رجب، شعبان سنة ١٤٢١هـ)
(أيلول، تشرين ١ (سبتمبر، أكتوبر) سنة ٢٠٠٠م)

عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعو

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالا

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
حي الورود -شارع حمد الجاسر-هاتف وفاكس ٤١٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض-المملكة العربية السعودية

ج ١، ٢ س ٣٦ - رجب، شعبان، سنة ١٤٢١هـ - أيلول، تشرين١، (سبتمبر، أكتوبر) سنة ٢٠٠٠م

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٤)

مِذْعَرٌ : (مِذْعَى)

قال ياقوت في «معجم البلدان» : (مِذْعَر : بالكَسْر وفَتْح العَيْن، وهو من الذعر وهو الفَزَع إلاَّ أن كَسْر ميْمه في المَكَان شَاذ لأَنَّه من شُرُوْط الآلات : وَهُو اسْم مَاء لِبَني جَعْفَر بن كِلاَب . انتهى . وقال في رسم (النسار) : (وقيل هي الأنسر براق بيض في وضح الحمى بين العناقة والأودية والجشجاثة ومذعار والكور، وهي مياه لغني وكلاب، والأكثر أنه جبل) انتهى .

لا أشك أن هذا الماء في الموضعين (مِذْعَى) الذي قال عنه ياقوت في «معجم البلدان» : (مِذْعَى بالكسر ثم السكون والقصر قالوا : والمِذْع السيلان من العيون التي في شعفات الجبال : وهو ماء لِغَنِي بَيْنَه وبَيْنَ مَاء يقال لهم زقا قدر ضحوة، قال : إلاَّ أن مِذْعَى لبني جَعْفَر اشتروها من بعض بني غَنِي) انتهى .

أما تحديد هذا الماء فقد قال عنه الأستاذ سعد بن جنيدل في (قسم عالية نجد) من «المعجم الجغرافي» : أنه هو المعروف الآن باسم القَاعِية، وكان الاسم يطلق على قاع تجتمع فيه السيول وفيه أَحْسَاء كثيرة يقع شمالاً من جبل نَضَاد غرب مدينة الدَّوَادمي على بعد مئة كيل، وقديماً كانت من مياه غَنِي، وقد تأسست فيه قرية حديثة بعدما كان يمر به طريق السيارات بين الرياض والحجاز، وسكانها معظمهم من قبيلة الروقة من عُتَيْبَة، فيها دكاكين للبيع

والشراء وفيها مدرسة ابتدائيـة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات، وهي تابعة لإمارة الدوادمي. انتهى.

ويبدو لي أن ماء القاعية هو الماء المعروف قديمًا باسم مِذْعَى، لأن تحديد مِذْعَى في كتب المؤرخين ينطبق عليها، قال الهَجَرِي: ذو غُثَث: وادٍ يَصُب في التسرير يَصُب فيه وادِي مِذْعَى، وقال أيضًا: وادِي مذْعَى يصب في ذي غُثَث، وذو غُثَث من أكرم مياه الحمَى.

وفي كتاب «بلاد العرب» قال الأصفهاني: قال الشاعر:

ولن تَرِدي مذعا ولن تَرِدي زَقًا ... ولا النَّقْر إلا أن تُجِدِّي الأَمَانيَا

ولن تسمعي صوت المُهيب عَشيَّةً ... بِذي غُثَث يدعو القِلاَص التَّواليَا

ومِذْعًا وزقًا: ماءان بينهما قدر ضَحْوَة، وهما لِغَني. انتهى.

قلت: هذه العبارات والشواهد تدل على قرب مذعى من ذي غُثَث، والواقع أن سيل القاعية يدفع من بَطْن ذي غُثَث، ويدعى في هذا العهد غثة، وهو قريب من القاعية.

ثم أورد قول ياقوت وغيره وخَلَص إلى أن قال: وبهذا يتضح لَنَا أن القاعية هي مِذْعَى، وذالك لوقوعها في بلاد غَنِي وقربها من الكَوْد وثَهْمَد ووادي ذي غُثَث، ووقوعها في وَضَح الحمَى.

(والقاعية هذه تقع بقرب خط الطول: ٣٠َ / ٤٣ْ وخط العرض: ١٨َ / ٢٤ْ).

المِضْيَاعة: (المِضْبَاعة)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (المضياعة: قال الأصمعي يذكر بلاد أبي بكر بن كلاب فقال: سواج جبل ثم المضياعة ما بين تلال حمر، قال: والمضياعة جبل يقال له المضياع، وهو لبني هوذة وهو من خير بلاد بني كلاب). أوردها في آخر الباب مما يدل على أنه يراها بالياء المثناة التحتية،

وكان المفروض أن يذكرها في أول الباب لأن مصدره هو كتاب «بلاد العرب» الذي ورد فيه الاسم في سياق طويل وهو مكرر بالباء الموحدة في جميع مخطوطات الكتاب، وأورده الزبيدي في مستدركه بالباء أيضًا رسم (ضبع) وكذا ورد في كتاب نصر بما نصه: والمضْبَاعة جبل يسمى مضْبَاعًا لبني هَوْذَة من بني البَكَّاء بن عامر، رهط العدَّاء بن خالد انتهى. ولعل المراد أن هذا الجبل كان مأوى للضباع، وهنا سُمِّيَ المِضْبَاعَة، وانظر لتحديد موضعه تعليقي على كتاب نصر، الذي ينتظر صدوره من مطبوعات (مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية).

مَكْرَان: (هَكْرَان)

قال ياقوت: مكران: بفتح أوله وسكون ثانيه وأخره نون، هكذا وجدته في شعر الجُميح منقذ بن طريف: وهو موضع في بلاد العرب، فقال:

كـأنَّ راعِيَنا يَحْدُو بِهَا حُمُرًا ... بين الأبارِقِ من مَكْرَان فاللُّوبِ

فإن تَقَرِّي بها عينًا وتختفضي ... فينا وتنتظري كَرِّي وتغريبي

يبدو أن الجميح يصف حُمُرًا وحشية تعدو في الصحراء الواسعة، هي (صحراء ركبة) الواقعة بين (هَكْرَان) وبين (اللوب) جمع لابة، وهي الحرار التي أدناها الطرف الشرقي الجنوبي من حرة بني سليم، وفي شرقها حَرَّة كُشُب، إذ (هكران) موضع لا يزال معروفًا وقد كان في أوله منهل عرف باسم (مُوَيه هَكْرَان) تصغير ماء، ثم أصبح منزلة من منازل طريق الحج، والاسم يطلق على جبل أسود (طرف حرة) (ويقع بقرب خط الطول: ٣٠َ / ٤١ْ وخط العرض: ٤٧َ / ٢٢ْ) وقد أورد ياقوت الاسم صحيحًا في حرف الهاء فقال: (هَكْرَان بالفتح ثم السكون، وراء، وأخره نون، والهَكْرُ الناعسُ: وهو جبل بحذاء مَرَّان: عن عَرَّام، وأنشد:

أعيان هَكْرَان الخُدَارِيَّات

وهو قليل النبات في أصله ماء يقال له الصِّنْوُ). انتهى و(أعيان) صوابها (أعيار) جمع عير، حمر الوحش.

وأصل هذا في «رسالة عرام» ونصه بعد أن ذكر (مَرَّانَ) قال: ومن خلفه قرية يقال لها (قُبَاء) وبحذائها جبل يقال له (هكران)، وجبل يقال له (عُنّ) قال الشاعر:

أعيان هَكْرَان الخُدَارِيَّات

وهو قليل النَّبات في أصله ماء يقال له (الصِّنو) وعُنٌّ هذا في جوفه مياه وأوشال، قال فيه الشاعر:

فقالوا هِلاَلِيُّون جِئْنَا من أَرْضنا | إلى حاجة جُبْنَا لَهَا اللَّيْلَ مِدْرَعا
وقالوا خَرَجْنا م الْقَفَا وجُنوبِه | وعُنٌّ فَهَمَّ القلبُ أن يَتَصَدَّعَا

ونقل البكري هذا في كلامه على الستار، ووقع في بعض الأسماء تصحيف عنده.

ملح: (ملج)

قال البكري في رسم (القاعة) من «معجم ما استعجم»: (قَالَ الأَسْوَدُ بن يَعْفُرَ، وكان جَاوَرَهُمْ، فَأَغَار عَلَى إبله نَاسٌ من بَكْرِ بن وَائِل:

وَمَا كَانَت الأَجْوَافُ مِنِّي مُحَبَّةً | وسَاكِنُهَا مِن غُدَّةٍ وأَفَاعِي
طَحُونٌ كَمُلْقَى مِبْرَدِ الْقَيْنِ فَعْمَةٌ | بِجَرْعَاء مِلْحٍ أو بِجَوٍّ نِطَاعِ

مِلْح ونطَاع: مَوْضِعَان هُنَاك) انتهى.

صواب الاسم (مَلج) بعد الميم لامٌ ساكنة ثم جيم - وهو يطلق الآن على قَرْيَةٍ ومَا حولها، وفي كتاب «بلاد العرب» -٣٤٦- في الكلام على وادي السِّتَار، وأن فيه أكثر من مئة قرية لأفناء سَعْد ولامْرِئ القيس فذَكَر من تلك القرى قرية ثاج، وبها سوق، وعينا مُتَالِع منها، وقَرْيَة يُقَال لَهَا مَلج، وقرية يقال

لها نَطَاع، قال العَجَّاجُ:

إنْ تَكُ دَهْنَا ظَعَنَتْ عَنْ دارِهَا عَامِدَةً لِمَلْجَ أَوْ سِتَارِهَا. انتهى

وقد أوردت في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» أقوال المتقدمين عن ملْج هذا، وأن ياقوتًا ضبطه بضم الميم، وقلت هناك ما خلاصته: (ومَلْجُ جِزْءٌ من أجزاع وادي الستار لا يزال معروفًا، ولكنَّ الاسم ينطقُ الآن بكسر الميم (مِلْج)، ومن الألحان اللعبونية المشهورة في شرق الجزيرة:

يَاذَا الحَمَامَ اللِّي عَلَى مِلْج ونْطَاعْ بالله عَلَيْك انْحَرْ يَمِيْنَ المصلِّي

تَلْقَى محَمَّدْ بأسْفَلَ السيْحْ زرَّاعْ قَـرْم إذا جَـوْهَ النِّشَامَـى يْهَلِّي

والشعر لمهلهل بن هذال، من شيوخ العَمَارَات من عنْزة يمدح محمد بن فُهَيْد، صاحب الأسْيَاح (النِّبَاج قديمًا) في شرق القَصيمْ. ويقع مِلْجُ في منطقة النُّعَيْرِيَّة، فيما بينها وبين نَطَاع جَنُوبًا منها، وهناك منخفض من الأرض، ممتدٌ من نَطَاع شمالاً إلى النُّعَيْرِيَّة نحو ثلاثين كيلاً، يظهر أنه امتداد لوادي المياه (الستار قديمًا) أو جزْءٌ منه، وهو أرضٌ سَبَخَةٌ، ماؤها قريب من ظهر الأرض، وتكثر القرى والمياه حوله، ففي جنوبه نَطاع، وشرق هذه القرية بميل نحو الشمال مُنَيْصِفَةُ، قريةٌ، وشمال نَطاع قرية مُلَيْجَة، وغربها سُدَيْرَةُ، ثم قَرْيَة مِلْج، بقرب مُلَيْجَة، جَنُوب جَبَل الفَوَّار، ثم قَرْيَةُ الكَهَفَة غرب مِلْج، شمال سُدَيْرةَ - بينهما برقاء غَرًا - وشماء غَرَاء الكَهَفَة قرية - ثم قرية النُّعَيْرِيَّة في الطرف الشمالي لذالك المنخفض، الواقع في مُسَمَّى وَادي المِيَاه (السِّتَار والقَاعَة - المعروفة حديثًا باسم النُّقْرَة، نُقرة بني خالد - يقع المنخفض المذكور (بقرب خط الطول: ٢٨َ / ٤٨ْ وبين خطي العرض: ١٥َ / ٢٧ و ٣٠َ / ٢٧ْ). انتهى.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

هوامش حول كتاب

«رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث»

- ١ -

توطئة: قال الجاحظ في فضل الكتاب: (الكتابُ إن نَظَرْتَ فيه أطالَ إمتاعك، وشحذَ طباعك، وبسطَ لسانكَ، وجوَّدَ بيانك، وفخَّمَ ألفاظك، وبَجَّحَ نفسك، وعمر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لم تعرفه من أفواه الرجال في دهر، مع السلامة من الغرم وكدٍّ التعب).

وكتاب «رحلات حمد الجاسر بحثًا عن التراث»، من الكتب التي يصحّ فيها ما قاله الجاحظ عن الكتاب، ولأنّ كتابه هذا قد امتعني أيّما إمتاع، ووقع في خاطري ونفسي موقعًا مُنْمازًا، وأثار في نفسي خواطر وذكريات فقد وجدتُ لمقولي فيها موضعًا، وفي ظني أنّ هذا الذي حَبَّرْتُ ستكون له فائدة في طبعة قابلة إن شاء الله.

(١)

افترع الشيخ الجليل كتابه بالحديث عن مخطوطات (المكتبة الوطنية في الجزائر) فذكر أنه وقف على فهرس صَنَعَهُ المستشرق الفرنسي I. Agnun باللغة الفرنسية ما عدا أسماء الكتب، منذ أكثر من سبعين عامًا، تضمن وصف ١٩٨٧ مخطوطًا فاكتفي به.

يقول هلال بن ناجي: صواب الاسم E. Fagnan (اميل فانيان) وهو أول فهرست للمخطوطات العربية والتركية والفارسية بمكتبة الجزائر، طبع بباريس سنة ١٨٩٣ وعدة صحائفه ٦٨٠ صحيفة.

وكان الأستاذ عبدالكريم الدجيلي - رحمه الله - قد نشر في مجلة «المورد» البغدادية مقالاً بعنوان «ملاحظات حول الخزائن المخطوطة في تونس والجزائر والمغرب»[١].

وفيما يخص الجزائر ورد في مقاله ما نصه: (وآخر اختلاس للمخطوطات الجزائرية هو نقلها جميعا - بما فيها مكتبة جامعة الجزائر - إلى فرنسا).

حتى قال: (وفي المكتبة الوطنية الآن في الجزائر بعض المخطوطات الثانوية، إلاّ أن فهرست هذه المكتبة ينطق عن كثرة المخطوطات التي كانت تحتويها. فالمستشرق (فانيان) كان قد أعدّ أول فهرست لها. وقد ذكر أسماء تلك المخطوطات وأرقامها.

وقال عنها بأنها ضاعت، غير أنه لم يذكر متى فقدت، ومن الذي ملكها، وذكر بين تلك المخطوطات أسماء مئتي كتاب من بينها سجلات لقرارات الدايات والعقود وبعض الرسائل).

وأقول: إن جميع المعلومات التي ذكرها الدجيلي غير صحيحة ولا دقيقة، فعقبت عليها بمقال عنوانه «مخطوطات الجزائر» نشر في العدد الثالث من المجلد الخامس من مجلة «المورد» - ١٩٧٦[٢].

ذكرت في المقال المذكور أن المكتبة الوطنية في الجزائر تضم نحو الثلاثة آلاف مخطوط وليس بعض المخطوطات الثانوية كما قال الدجيلي.

وأن بعض المخطوطات التي ذكرها (فانيان) هي مجاميع تضم عدداً من المخطوطات في المجلد الواحد. وكل ما فقد من هذه المخطوطات لا يتجاوز المئة عن طريق السلب والسرقة، وليس كما ذكر الدجيلي.

وخلال المدة بين طبع الفهرست المذكور وبين استقلال الجزائر عام ١٩٦٢، دخلت المكتبة الوطنية مخطوطات كثيرة، صنع لها السيد عبدالغني أحمد بيوض، (وهو محافظ في المكتبة الوطنية في عهد الاحتلال وبعد الاستقلال). فهرساً باللغة العربية بخط يده - محفوظ في المكتبة - عرّف فيه بـ(٣٤٣) مخطوطة، ضمنها ٦٥ مجموعاً، جعل فهرسه تكملة لفهرس فانيان من حيث الترقيم، فشمل الأرقام ١٩٨٨ - ٢٣٣٢.

ثم أتم عمله صديقنا محمود بوعيّاد - مدير المكتبة الوطنية سابقًا -، فصنع

فهرساً طبع على الحاسوب، شمل التعريف بـ(٣١٨) مخطوطة حملة الأرقام من ٢٣٣٣- ٢٦٥١، ضمنها مجاميع يحتوي الواحد منها عدة مخطوطات.

ثم وضع رابح بونار وجلول بدوي قائمة مرقونة باللغة العربية اشتملت التعريف بـ(٧٢٠) مخطوطة انتهت بالرقم (٣٣٢٩). وهذا السجل غير مطبوع أو متداول خارج المكتبة الوطنية.

وثمة سجل دونت فيه مخطوطات الأمير عبدالقادر الجزائري ومخطوطات حسن بن رحال الموجودة بالمكتبة الوطنية وعدتها ٥٩ مخطوطة أعد أيام الأستاذ محمود بوعياد.

يضاف إلى ما تقدم فهرس مخطوطات (ابن حمودة) الذي أعدّه باحث نيجيري اسمه حسن غوارزو سنة ١٩٩٣ ويشمل التعريف بـ(٢٢٠) مخطوطة. وابن حمودة هذا عالم جزائري جليل كان يُدَرِّس اللغة العربية في مدينة تنبكتو. وقد أوصى بأن تهدى مجموعته إلى المكتبة الوطنية في وطنه الجزائر.

كان وقوفي على فهرس فانيان ربيع عام ١٩٧٥، وحين اعلمني الأستاذ محمود بو عياد بأن هذا الفهرس نادر للغاية وتوجد منه في الجزائر نسخة واحدة تملكها الدار الوطنية، وقد حاولت الجامعة العربية إعادة طبع الفهرست بطريقة التصوير فاعتذر الجزائريون، رغبة منهم في أن يُطبع فهرست كامل لمخطوطات دارهم بالعربية وليس بالفرنسية، تعبيراً عن اعتزازهم بشخصيتهم القومية.

ولأنّ انجاز الفهرست العربي الكامل لمخطوطات الجزائر قد يستغرق وقتاً طويلاً، ولأنّ فهرس فانيان الذي يعرّف بأكثر من نصف مخطوطات الجزائر المحفوظة في المكتبة الوطنية، هو من النوادر كما ذكرت. فقد رأيت خدمة للباحثين العرب أن أنشر في ذيل مقالتي (الموردية) ثبت الفهرست المذكور المتضمن أسماء المخطوطات باللغة العربية مع أرقامها، ليتيسر للباحثين معرفة أغلب محتويات الدار من جهة، ومعرفة أرقامها من جهة أخرى، وليسهل عليهم تصوير ما يحتاجونه.

وهكذا أعدت نشر «ثبت فهرست فانيان» في مجلة «المورد» عام ١٩٧٦، فانتفع به كثيرون.

على أن ما يجب التنبيه عليه هو أن مخطوطات الجزائر - كما اتضح لي فيما بعد - متناثرة وكثيرة وتحتاج وقتًا طويلاً ووعيًا عميقًا للتوصل إليها وفهرستها علميًّا واخصّ بالذكر هنا مخطوطات مكتبات وادي ميزاب الواقع على مسافة (٦٠٠) كيل جنوب العاصمة الجزائرية.

إن وادي ميزاب هذا هو منطقة (الاباضيين) وهم الخوارج وعاصمته (غرداية). وقد نبغ منهم نوابغ كثيرون في شتى علوم الدين والأدب. وكان شاعر الثورة الجزائرية (مفدي بن زكريا) منهم. وكان تراثهم الفكري المخطوط خفيًّا وغير مسجل، حتى ظهرت جمعية التراث بالقرارة التي عُنيت بجمع هذا التراث المخطوط وتسجيله وتصويره بواسطة الوسائل العلمية الحديثة. وقد بدأ العمل عام ١٩٩٢ وتجاوزت بطاقاته عدة آلاف.

وأملنا وطيد في أن ينجز إخواننا الجزائريون - وبينهم الآن مفهرسون نوابغ - فهرسهم الشامل ثم يطبعونه، فيعرِف إخوانهم في المشرق والمغرب بما في الجزائر من كنوز مخطوطة.

(٢)

وذكر العلامة الجاسر أنه وقف في المكتبة الجزائرية على مخطوطة رسال للفيروزآبادي عنوانُها «تحبير الموشين في الفرق بين السين والشين» كا اطلع على مخطوطة منها في مكتبة الأزهر فاستظرف موضوعها غير أنه لـ يتمكن من نسخها أو تصويرها. فطلب صورة من المخطوطة الجزائرية. وم كان يعلم بأنها مطبوعة حتى مرّ بالقاهرة عائدًا فأطلعه العلامة محمود شاك على مطبوعتها البيروتية.

يقول الشيخ حمد الجاسر: فلم آسف، فقد ظهر لي أن في هذه الصورة م ليس في المطبوعة ولا في نسخة مكتبة الأزهر. من ذالك ما أورده، وأَوْرَدَ نصَّ

طويلاً يكشف ويشفّ عن جانب من صلة الفيروز آبادي بملوك عصره[٣].

يقول هلال بن ناجي: إن الطبعة البيروتية من كتاب الفيروز آبادي طبعة ناقصة وغير علمية، فالطبعة العلمية هي طبعة العالم الجزائري الجليل محمد ابن أبي شنب الصادرة في الجزائر سنة ١٣٢٧هـ. وقد اعتمد محققها على مخطوطتين إحداهما هي الملحقة بذيل كتابه «القاموس» المحفوظة في مكتبة الجزائر. وأخرى مغربية الخط لم يذكر ابن أبي شنب في نشرته مظنة وجودها.

المهم في الأمر ان طبعة ابن أبي شنب قد اعتمدت المخطوطة الجزائرية التي وقف عليها شيخنا الجاسر (بعد عقود)، وقد تضمنت نشرة الشيخ الجزائري القسم الذي افتقده الجاسر في الطبعة البيروتية غير العلمية وافتقده أيضًا في مخطوطة الأزهر.

لابُدّ من التنبيه على ان كتاب «تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين» قد نَهَدَ بتحقيقه محقق جليل آخر هو الدكتور محمد خير البقاعي ونشرته دار قتيبة بدمشق سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٣م).

وقد اعتمد البقاعي في تحقيقه هذا على مخطوطة من الكتاب ظفر بها في دار الكتب الظاهرية بدمشق وعلى طبعة الشيخ ابن أبي شنب الجزائري.

وكلا الطبعتين الجزائرية الصادرة سنة ١٣٢٧هـ والدمشقية الصادرة سنة ١٤٠٢هـ تضمان النص المطول الذي افتقده شيخنا الجاسر في المطبوعة البيروتية التجارية.

والمخطوطات الجزائرية بعامة بحاجة إلى قراءة نصوصها وفحصها من الداخل فكثيراً ما تكشف المجاميع عن نوادر. واذكر انني ربيع ١٩٧٥ كنت اتفحص مخطوطة ساقطة الأول والأخر ساقطة العنوان، قديمة الخط، مجهولة المؤلف، كتب عليها «منتخبات شعرية» فإذا بي اكتشف نسخة نادرة هي ثاني نسختين في العالم من كتاب السريّ الرفاء «المحب والمحبوب» لم يذكرها بروكلمان في كتابه ولا في ملاحقه، ولا عرف مفهرسوا الدار عنوانها واسم مصنفها.

أن رحلات حمد الجاسر تكشف عن الذاكرة العجيبة التي يتمتع بها هذا العالم الجليل فهو حين تحدث عن مخطوطة جزائرية من كتاب «الأنس الجليل» للعليمي التي كان يُعنى بها صديقه العلامة ناصر الدين الأسد. قال: هي مخطوطة سنة ١٠٧٠هـ وتمتاز على المطبوعة بزيادة في آخرها عن حوادث سنتي ٩٠٢ و٩٠٣هـ، بينما المطبوعة تقف عند ذكر بعض حوادث سنة ٩٠١هـ. حتى قال: وآخر نسختين مخطوطتين رأيتهما في المكتبة العامة في تونس برقم ٤٨١٠ و٤٨١١ وهما لا تزيدان على ما في المطبوعة(٤).

ان هذا الكلام يعبر عن طبيعته العلمية السخية في رفد بحوث العلماء من معارفه بأنباء كشوفه التي تتعلق ببحوثهم وتحقيقاتهم. ثم هو يكشف عن قوة ذاكرته حيث اختزنت أين وقفت المطبوعة وبِمَ تفردت المخطوطة.

(٣)

في الخزانة العامة بالرباط أشار العلامة الجاسر إلى وقوفه على مخطوطة من كتاب «المُقْتَضَب من جمهرة النسب»، والمُقْتَضِب هو ياقوت الحموي، وجمهرة النَسَب لابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب.

وأشار إلى أن مخطوطة «المقتضب» كانت سقيمة مملوءة تحريفًا وتصحيفًا كثيرة البياض.

يقول هلال بن ناجي: وكتاب «المقتضب من كتاب جمهرة النسب» نشر بتحقيق محقق عراقي هو الدكتور ناجي حسن سنة ١٩٨٧ عن الدار العربية للموسوعات - بيروت(٥) واعتمد محققه على مخطوطتي المغرب والقاهرة، ورأى أن إحدى المخطوطتين ربما نُسخت عن الأخرى، وربما أن كلاً منهما نسخت عن مخطوطة ثالثة لا نعرف عنها شيئًا، لاتفاق أماكن التصحيف والتحريف والسقط في كلتا المخطوطتين. فكان لابُدّ من اللجوء إلى أصل كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي الموجودة نسخته الخطية في المتحف البريطاني وتتضمن الجزء الأول من «الجمهرة».

ولأنّ مخطوطة المتحف البريطاني لم تكن وافية بالغرض، لأنّها لا تتضمن سوى الجزء الأول من «الجمْهرة»، فقد استعان الدكتور ناجي حسن بمخطوطة كتاب «نسب معد واليمن الكبير» لابن الكلبي، والذي يُظَنّ انه الجزء الثاني من كتاب «الجمهرة»(*).

(٤)

وفي الخزانة العامة في الرباط وقف الشيخ حمد الجاسر على مخطوطة نفيسة عنوانها «مجموع أشعار الحماسة» بخط مغربي مجود، مقطوعاته مرتبة على الحروف حسب ترتيب المغاربة وفيه كثير من الأشعار لشعراء مشهورين ومغمورين ممن لم تصل إلينا دواوينهم. وعَدَّه من نوادر المخطوطات من حيث موضوعه. ثم قدم عرضاً موجزاً لمحتوياته(٦). ولم يذكر في النسخة المغربية اسم مصنفها. وأضاف الشيخ في ذيل كلامه ما نصه: تبين لي بعد اطلاعي في تونس على «الحماسة» للأعلم الشنتمري، أن الكتاب الذي تقدم وصفه هو نسخة من تلك الحماسة.

وفصّل عند الحديث عن المخطوطة التونسية(٧) الكلام عنها فقال: انها أندلسية الخط، لا نظير لها في حسن الخط العجيب، وجمال الطوالع المذهبة مع كل لفظ بالحمرة في خلال الشطور، وبهوامشها طرر مفيدة جداً. حتى انتهى إلى القول: وعلى هذا تكون هذه النسخة هي التي قدمها مؤلفها الأعلم الشنتمري إلى المعتضد بن عباد ملك اشبيلية، إذْ له ألّف الأعلم أديب عصره ولغويّ زمانه: «شرح الأشعار الستة» و«شرح الحماسة».

ثم قال: ويظهر أن الأعلم شرح «حماسة أبي تمام» وأنه ألّف حماسة على نمطها. ثم انتهى علامة الجزيرة إلى القول: أما الحماسة التي ذكرتها فهي حماسة الأعلم.

يقول هلال بن ناجي: أمّا ان مخطوطتي المغرب وتونس هما نسختان من كتاب واحد فهذا أمر لا خلاف فيه. وأمّا قول شيخنا أن هذا المخطوط هو

حماسة الأعلم فهو غير صحيح في نظري. فالأعلم الشنتمري لم يُصنّف كتاب حماسة مطلقًا، لكنه شرح حماسة أبي تمام ورتّبها ترتيبًا مغايرًا فظنها القارئ غير المتلبث حماسة من صنعه وليست كذالك.

فابن عذارى المراكشي في «البيان المغرب» ذكر أن الأعلم (شرح الحماسة) ولم يقل أنه صنّف كتاب حماسة.

وعنوان هذا الشرح حسبما ورد في المصادر (تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلّي بالقلائد من جوهر الفوائد في شرح الحماسة). فهو شرح لحماسة أبي تمام ألّفه أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم النحوي الشنتمري.

وقد نشر هذا الشرح بتحقيق علي المفضل حمودان - عن دار الفكر المعاصر في بيروت سنة ١٩٩٢ في مجلدين (١٣٤٢ صفحة).

موطن التصويب هنا أن الأعلم الشنتمري لم يصنف كتاب حماسة. وأن المخطوطتين اللتين ذكرهما الشيخ الجاسر هما نسختان من شرحه لحماسة أبي تمام.

(٥)

وتحدث العلامة الجاسر عن جمال الدين محمد بن علي الشيبي وكتابه «الشرف الأعلى»، وأشار إلى أنه كان من مشاهير علماء مكة في زمنه، وقال: وله مؤلفات منها «تمثال الأمثال» لا يزال مخطوطًا.

يقول هلال بن ناجي: وقد طبع كتاب «تمثال الأمثال» في بيروت سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) بتحقيق د. أسعد ذبيان في مجلدين. واعتمد محققه في تحقيقه على مخطوطتي الأحقاف ونور عثمانية، ولم يستطع الوقوف على النسخة التي رجع إليها الميمني الراجكوتي وكانت ملكًا للمرحوم محب الدين الخطيب.

(٦)

وعند الحديث عن تعداد مخطوطات مكتبة السيد حسن حسني عبدالوهاب الصمادحي، ذكر الشيخ الجليل أن الأستاذ محمد العروسي المطوي وضع لها

فهرسًا نشر في مجلة «حوليات الجامعة التونسية»(٨).

يقول هلال بن ناجي: إن هذا الفهرس نشر بشكل مقتضب في «حوليات الجامعة التونسية» - العدد السابع الصادر سنة ١٩٧٠ واحتجن الصفحات ١٣٣- ٢٧٢ من العدد المذكور. معرفًا تعريفًا مركزًا موجزًا بـ(٩٥١) مخطوطة، أعد هذا الفهرس الأستاذ محمد العروسي المطوي بإشراف الصادق المقدم.

غير أن السيد عبدالحفيظ منصور - وهو شاب تونسي متخصص - عمد إلى فهرسة هذه المخطوطات، مُعَرِّفًا بالمصنفين وتواريخ وفياتهم وبأنواع الخطوط وذاكرًا أرقام كل مخطوطة بعد أن تمّ إيداعها في دار الكتب الوطنية في تونس مع فوائد أخرى كثيرة. وطبع كتابه هذا بعنوان «رصيد مكتبة حسن حسني عبدالوهاب» [قسم المخطوطات - دار الكتب الوطنية] في تونس سنة ١٩٧٥ (ونشر على نفقة المعهد القومي للآثار - تونس ١٩٧٥)(٩).

لقد شدتني إلى هذا المؤرخ الجليل صداقة في أواخر عمره، كانت سببًا من أسباب تحبيب تحقيق التراث ونشره إلى نفسي أيام اقامتي في تونس. وكنت ألاحظ ندرة زواره وإعراض المسؤولين عنه (بسبب رفضه تَوْرِخة حياة الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة).

وقد نشرت في «الأديب» اللبنانية طرفًا من هذه الصلة عام ١٩٦٦ إذ قلت: في صلامبو بقرطاجنة المدينة الموغلة عبر التاريخ، وفي دار تطلّ على بحيرتها الصغيرة الساجية، وتحيط بها حديقة غناء، تختلط فيها السقسقة بالزقزقة، يقيم علاّمة تونس وشيخ مؤرخيها السيد حسن حسني عبدالوهاب. وهو برغم كبر اعتوره، ومرض تعاور عليه، ما فتأ يقطع كل أوقات يقظته قارئًا كتبًا، مدققًا محققًا، مجيبًا على رسائل سائليه الكثار، ومحدّثًا زواره القلائل. منذ عام وأنا أقصده كلّ مساء أحد فألقى في بشاشة وجهه، وروحه العلمية السمحة، أبًا وأخًا وصديقًا، فإذا تشعب بنا الحديث عادت إلى ذهني وتجسّدت أمامي طيوف الخالدين من كتاب العرب في عصورهم الذهبية الزاهرة، فأزداد به إعجابًا، ويزداد بي تعلقًا.

ثم تقطع علينا (عُليّة هانم) رفيقة حياته الخالدة، حديثنا المسترسل بإبريق شايها المعطار، فتعيدنا بلطفها وكرمها إلى عالم المادة... وأغادر الدار وفي ذهني أصداء من حديثه الماتع وشذىً من خُلُقه الرائع[١٠].

لقد كان بودي لو انتفع العلامة الجاسر بنوادر هذه المكتبة، ففيها الكثير من كتب التاريخ والجغرافيا والرحلات.

وقد أفدت منها الكثير وحققت ونشرت عدداً من أعلاقها الغميسة - على حدّ تعبير إخواننا المغاربة. فمن ذالك:

١- اعتمادي مخطوطته المعنونة «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب» لعبدالرحمن ابن الصائغ، أمَّا حين نشرت هذا الكتاب في تونس عام ١٩٦٧.

٢- واعتمادي مخطوطته «جيش التوشيح» للسان الدين ابن الخطيب، أمَّا في تحقيقي ونشري هذا الكتاب في تونس سنة ١٩٦٧ بمشاركة صديقي الفاضل الشيخ محمد ماضور -رحمه الله-.

٣- واعتمادي مخطوطته «المختار من شعر شعراء الأندلس» لابن الصيرفي وهي فريدة في الدنيا في تحقيق هذا الكتاب الذي نشر في بغداد وفي الرباط سنة ١٩٧٦.

٤- واعتمادي مخطوطته النفيسة غير المعنونة، وهي ألفية في الخط لزين الدين شعبان بن محمد الآثاري القرشي، في تحقيق الألفية المذكورة مستعيناً بنسخة أخرى في دار الكتب بالعطارين وثالثة في برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد نشرت هذه الألفية الفريدة في الخط في بغداد سنة ١٩٧٩.

٥- ثم اعتمادي مخطوطته الفريدة «شرح بانت سعاد» لعبداللطيف البغدادي في تحقيق الكتاب ونشره في الكويت سنة ١٩٨٠.

٦- وأخيراً اعتمادي وأخي المفضال العالم الدكتور زهير زاهد مخطوطة

فريدة في العروض والقوافي مجهولة المصنف والعنوان. هي من ذخائر مكتبة السيد حسن حسني عبدالوهاب، وقد بذلنا جهداً ضخماً للتثبت من اسم مصنفها فإذا به عالم بغدادي جليل من ندماء الخليفة الراضي واسمه أحمد بن محمد العروضي المتوفى سنة ٣٤٢هـ.

وكنا سلمناه للناشر اللبناني سنة ١٩٩٠ فصدر عام ١٩٩٦.

أراني قد استطردت كثيراً في الحديث عن بعض نفائس مخطوطات السيد حسن حسني عبدالوهاب، وكنت آمل أن تطول إقامة علامة الجزيرة في تونس فيكشف من ذخائرها ما يكشف.

(٧)

وأشار الشيخ حمد إلى ما ذكره له السيد عبدالحفيظ منصور من أنه نُدب لوضع فهرس لكتب جُلبت للجامعة الليبية من الجغبوب من الزاوية السندسية تقارب الثلاثة آلاف مخطوطة. وانّ من نوادر تلك المخطوطات (١) نسخة من ديوان «ابن حزم» كاملة بخط مشرقي عتيق.

وقد حفزني هذا الكلام إلى مفاتحة صديقي الدكتور زهير زاهد الأستاذ المقيم في جامعة الفاتح بطرابلس الغرب لتصويرها، فلمّا وقف عليها قال: ان ما ذكره السيد عبدالحفيظ وهم محض. وفي المخطوط خمس قصائد لابن حزم مشهورة معروفة، والباقي لشعراء آخرين[١١].

(٨)

من منهج الشيخ الجاسر في رحلاته بحثًا عن المخطوطات، انّ حديثه كان ينصبّ في كثير من الأحيان على المؤلفات النادرة التي لها صلة بتاريخ جزيرة العرب أو أدبها أو جغرافيتها مما هو غير معروف.

غير ان رحلاته هذه كشفت عن خصلة نادرة من خصاله، وهي ايثاره العلماء الآخرين بما يظفر به مما يهمهم. فمن ذالك:

ان جزءاً من كتاب الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- عنوانه «العلل ومعرفة الرجال» صدر عن كلية الألهيات في جامعة انقرة. وكانت رداءة النسخة قد أوقعت محققيه في تحريفات كثيرة. فلما ظفر الشيخ حمد بقطعة من الكتاب في الظاهرية بعث بصورتها إلى الناشرين الفاضلين ليستعينا بها في تحقيق القسم الذي تحويه من الكتاب[١٢].

وسأعود إلى الحديث عن هذه الخصلة الباهرة في موضع آخر.

(٩)

لقد أصاب العلامة حمد الجاسر كبد الحقيقة حين قال: إن فهارس المخطوطات في تركية لا يصح الاعتماد عليها لعدم دقتها، وهناك خلط في تصنيف أسماء الكتب بوضع كتب علم من العلوم ضمن كتاب علم آخر، وكتابة أسماء الكتب بصورة غير صحيحة، ونسبة بعض الكتب إلى غير مؤلفيها، وعدم فحص المجاميع التي قد تضم كتابين أو أكثر، فيكتفى باسم الكتاب الأول.

وقد دلّل على كلامه هذا في مواضع كثيرة.

وقد رأيته يشير إلى بعض نفائس مكتبة أحمد الثالث (متحف طوب قبو) بالاستانة، فيذكر نسخة من «تاريخ مكة» للأزرقي، وهو مطبوع معروف، في ذيلها (رسالة الخسن بن أبي الحسن البصري إلى بعض إخوانه في مكة) في أربع ورقات[١٣].

ومعلوم أن الحسن البصري (المتوفى سنة ١١٠هـ) قد أحرق تراثه بنفسه وان كلّ ما وصلنا من تراثه لا يجاوز رسالة في (القدر) ألّفها ردًّا على الخليفة عبدالملك بن مروان وقد نشرها ريتر سنة ١٩٣٣.

ورسالة في «فرائض الدين» موجودة في بغداد والاسكندرية والمتحف

البريطاني مع اختلاف في عنوانها. أمّا رسالته إلى بعض إخوانه في مكة المكرمة، فهي رسالة ممتعة نافعة، نَهَدَ إلى نشرها صديقنا العالم الفاضل د. سامي مكي العاني بعنوان «فضائل مكة والسكن فيها» وقد طبعها في الكويت سنة ١٤٠٠هـ (١٩٨٠). واعتمد في تحقيقه لها ثلاث مخطوطات: مخطوطة المتحف العراقي ومخطوطة مكتبة رضا برامبور في الهند، ومكتبة البلدية في الاسكندرية.

فكانت نشرته لها النشرة العلمية الأولى - فيما أعلم -.

يقول هلال بن ناجي: فلعلّ النسخة التي أشار إليها الشيخ حمد هي من مخطوطات هذه الرسالة.

(للحديث صلة)

بغداد: هلال بن ناجي

الحواشي:

(١) مجلة «المورد» - العدد الرابع - المجلد الثالث - ١٩٧٤ ص٢٩٦- ٣٠٢. (٢) ص ٢٠٧ - ٢٣٠.

(٣) «رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث» ص ٢٣ - ٢٥. (٤) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٥) وقع الكتاب في ٤٣٢ صفحة.

(*) [«العرب»: إن لم تخن الذاكرة فإن في دار الكتب المصرية مخطوطة من «المقتضب» بخط ياقوت، لعلها نسخت سنة ٦١٦هـ، وقد نسخت منها نسخة سنة ١٣٥٨. استعارها الشيخ محب الدين الخطيب فنسخ عنها نسخة، ومع انها بخط المؤلف ففي بعض المواضع يشير إلى ما اقتضبه من «الجمهرة» في غير هذا الجزء، أما مطبوعة الدكتور ناجي فهي لا تخلو من الأخطاء].

(٦) «رحلات حمد الجاسر» ص ٧١ - ٧٤. (٧) المصدر السابق ص ١٠٣ - ١٠٥.

(٨) المصدر السابق ص ١١٤. (٩) وقع الكتاب في (٥٢٠) صحيفة.

(١٠) أعيد نشر دراستي هذه في كتابي «على الهامش»، بغداد ١٩٧٥، ص ٨٩ - ٩٧.

(١١) تلاحظ مقالتنا المعنونة «على هامش فهرس الأحمدية» وهو فهرس أعده السيد عبدالحفيظ، فتناولناه بالتقويم في مجلة «العرب» ثم أعدنا نشر المقالة في كتابنا «هوامش تراثية» - بغداد - ١٩٧٣. ففيها أوهام كثيرة وقع فيها.

(١٢) «رحلات حمد الجاسر» ص ١٤٩. (١٣) «رحلات حمد الجاسر» ص ١٣١.

لكلّ صارمٍ نبْوة ولكلّ جوادٍ كبوة

(١)

قلتُ: هذا ووسمتُ به موجزاً حفزني إليه شيء كتبه الأستاذ الدكتور محمود الطناحي المصري -رحمه الله- ونشره في مجلة «الهلال» في عدد شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٩٨م، لقد كان بحث الأستاذ الطناحي موسوماً بـ(تَتْرَى)، لقد كان أوّل كلامه بعيداً عن (تترى) لأنه صرفه إلى الشعرِ القديم الذي ألمح فيه الجاهليون إلى البعثة النبوية الشريفة، ثم تحوّل من هذا إلى حكاية (تَتْرَى)، وكان ينبغي أن يجد سبيلاً إلى هذا التخلّص.

وفي كلامه على (تَتْرَى) أشار الأستاذ الطناحي إليَّ وقال: حدَّثني إبراهيم السامرائي في (مؤتمر مجمع اللغة العربية)[١] عن لحن المشاهير من علمائنا فقال: كان من هذا ما عرض للدكتور طه حسين -رحمه الله- من لحن فقد جاء في مقالةٍ له: (إن الأيّام ستَتْرَى) وقد حسب الأستاذ عميد الأدب أن (تَتْرَى) فعلٌ، ولذالك ألقى عليه السين في صدره، والسين نظير (سَوف).

وقال الأستاذ الطناحي: قال السامرائي: ذكر هذا أحد المصريين الذي ما زلت أذكر شهرته (الشرباصي) في أسطر قليلة نشرها الأستاذ الزيّات -رحمه الله- في باب (البريد الأدبي) في «الرسالة» في عددٍ لا أذكر رقمه لعله في إحدى سنوات العقد الخامس من عام ١٩٤٥...

ثم عقّب الأستاذ الطناحي على قولي هذا بقوله: (وأنا أشكُّ في هذا)، وكأنه أراد أن يرضي مجلة «الهلال»، لأني أذكر أني قلتُ له: وإني متأكدّ ممّا أقوله.

قلتُ: لمّا كان من هذا الأمر، وما كان من الأستاذ الطناحي الذي شك في صدق روايتي، رأيت أن أحرّر هذا الموجز[٢] فآتي بشيءٍ من أغاليط الكبار وتصحيفاتهم فكان منه:

١- (الأيام ستَتْرَى) : قلت : جاء هذا في كلام الدكتور طه حسين صاحب البيان المشرق الذي عُنيت به وأنا حدَث، استوعبت فيه وجوه القول في بلاغة العرب، ولكن (لكل صارمٍ نبوة)، لقد ظن عميد الأدب أن (تَتْرَى) فعلٌ فألقى عليه سين التنفيس وفاته أن (تَتْرَى)، في قول أهل العربية هي (وَتْرَى)، وهي جمع لـ(وتَير) وهو مما أهمل في العربية[٣].

٢- وقد عرض لعميد الأدب في كتابه «الأيام» ص ٤٥ أن قال : (تَسَرَّب إليه) وهو يريد (تسَرَّبَ فيه).

أقول : ولعلنا نجد تعليلاً لما كان من هذا فنذهب إلى القول بـ(التضمين).

٣- وجاء في كتاب «الإمتاع والمؤانسة» ١ / ٥٦ من كلام أبي حيَّان التوحيدي يصف الصاحب بن عبّاد : (وهو [أي الصاحب] في كل ذالك يتشاكى...... ويتفاتل ويتمايل، ويحاكي المومسات، ويخرج في أصحاب السماجات....).

أقول : وقد مرّ المحقّقان للكتاب الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين بـ(أصحاب السماجات) ولم يتوقّفا في شيءٍ من خصوصية دلالتها، ولعلهما أدركا في (السماجات) ما هو (سَمْج) أي قبيح في لغة عصرنا، وتركا الأمر.

وقد نبّه الأستاذ مصطفى جواد على (أهل السماجات) فكتب للمحقّقَين وقال : (وأصحاب السماجة هم حُكاة [أي ممثّلون] هزليّون مضحكون، يعتمدون في فنّهم على برقشة ملابسهم وغرابتها وغرابة حركاتهم...... وقد عرفوا بهذا الاسم منذ أوائل القرن الثالث للهجرة).

لقد ورد ذكرهم في «تاريخ الطبري» (ط. الحسينية) في حوادث سنة ٢٢٦ في ١١ / ٤، وفي «مقاتل الطالبيين» ص ٨٥، وفي كتاب «الديارات» للشابشتي ص ٢٦، وفي «أشعار أولاد الخلفاء» ص ١٣٨، ٤٩، وقال ابن المعتز :

تميــــلُ فــي رقصهــمْ قدومُهُــمُ كما تَشَنَّت في الريح سَرْواتُ

ورُكِّــبَ القبــح فـوق حسنهــم وفـي (سمـاجاتهـم) ملاحـات

وقد شكر المحقّقان الأستاذ مصطفى جواد لتعقيبه ونشراه في ملحق للجزء الثاني من الكتاب. وقد أعاد مصطفى جواد نشر تعقيباته في كتابه «الجهود اللغوية في العراق».

وأقول: كان ينبغي أن يكون من عدّة المحقق لنص قديم أن يدركه فيعرف مما يلزمه لوازمه التاريخية.

٤ - قلتُ: وقد طُلب لنفر من الأساتيذ في بغداد أن يصنّفوا كتابًا في البلاغة، وكانوا ثلاثة كنت رابعهم، فاجتمعنا أنا والأساتذة مصطفى جواد وكمال إبراهيم وجميل سعيد، واتفقنا على بدء العمل. وكان الأستاذ مصطفى جواد قد طلب منا أن نعمل الكتاب ليتكفَّل بمراجعته وإبداء ما يراه، ولقد انتهى عملنا فقدَّمنا أصوله إلى أستاذنا، فقرأه ولم يكن يشغله من الأمر إلا ما ندعوه سلامة العربية، وأذكر أنّه ردَّه إليَّ بعد إثبات تعليقاته وتصحيحاته.

لقد كان من عادة الأستاذ أن يبكر في عمله، وكان لي أن رأيته في صبيحة يوم وكنّا معًا في المكتب وليس من ثالث لنا فقلتَ له فيما قلت: لقد رأيتك أستاذي تضرب خطًا تحت قولنا في فاتحة الكتاب: (فَلْيتدبَّر الطالب مادة الكتاب)، فهل يعني ذالك أن العبارة من الخطإِ؟

قال: نعم، لأن (التدبّر) يعني النظر في الأدبار، فقلت له: ولكننا نقرأ قوله تعالى ﴿أفلا يتَدَبَّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾ - ٢٤ سورة محمد -.

قلت: وأذكر أني لما تلوت له قوله تعالى أُسقط في يده، فرفع يَدَيْه وقال: احفظها عليَّ.

أقـول: إذا كـان هذا قـد عـرض لمـصطفى جـواد، وهو أعلم من عُـرف بين

المصحّحين لحفظه الكثير، فكيف نقول في سائر الآخرين الذين باشروا هذا الفن وهم ينقلون ما قاله الأوائل منذ عصر ابن قتيبة إلى الآخرين وقد ختموا بالحريري الذي عقّب عليه الخفاجي، ولم يكتفوا بهذا بل أفادوا مما ذكره الآلوسي واليازجي وغيرهما.

أليس لي أن أقول: لكلّ صارمٍ نبوة؟

لقد فارقني هذا الجمع الكريم - رحمهم الله برحمته الواسعة -.

٥- ومن هذا الذي وقفت عليه ما كان للمحقق لكتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد، والمحقق هو محمد أبو الفضل إبراهيم الذي قدَّم مما حقّق كتبًا نفيسة أحسن فيها كل الإحسان.

أقول: وفي «شرح النهج» مادة تتصل بالشيعة وما فيها من خصوصيات، وغير القريب من هذه الفوائد قد يعرض له الخطأ.

ومن هذا ما كان للشيعة من (نبز) لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه -، فكانوا يدعونه (أبا الفصيل)، و(الفصيل) بمعنى (البكر). فجاء الأستاذ الجليل المحقق فوقف على (أبي الفصيل)، ولم يفطن للنكتة فجعلها (أبا الفضيل) بالضاد المعجمة، وهكذا كان، وهي على الأصل الصحيح في هذا الكتاب في طبعته القديمة غير المحقّقة.

٦- وقرأت في كتاب العثمانية للجاحظ في صنعة الأستاذ عبدالسلام هارون -رحمه الله-، وكان مما عرض له الجاحظ شيء يتصل بما ينبغي أن يكون للإمام، وقد جاء أن من شرائط الإمامة (الفروسية).

وعجبت أن تشترط بعض طوائف المسلمين هذا الشرط، وأن الإمام لابد أن يكون فارسًا!! وأطلت نظري وقلت: لابدّ أن تكون (الفروسية) التي أثبتها المحقق هي (القُرَشية). وإني قد ذهبت إلى هذا لما أعلمه من أن بعض الفرق

قالت بالأثر المشهور: (الأئمة من قريش)، وهذا القول هو الذي تردّد في حديث (السقيفة).

أقول: لم يفطن المحقق، وهو الخبير الحاذق بصنعته، إلى أنّ ضمّة القاف في (القرشية) قد أسيء وضعها فصارت واواً بعد الراء، ثم إن الإعجام والإهمال بين السين والشين أمر وارد، فكان من هذا ما كان.

٧- وقرأت في موجز لطيف في «تاريخ اللغات السامية» للمستشرق (نولدكه)، كان الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتوّاب قد نقله إلى العربية كلمة (شنفره) [كذا] وصوابها (الشنفرى) الشاعر الجاهلي. وكأن المترجم نقل الاسم بصورته في الأحرف اللاتينية (sanfara) ولا أدري كيف كان هذا؟ وصاحبي الأستاذ من أهل العلم المبرّزين.

٨- وقرأت في كتاب «المفصل في تاريخ العرب القديم» للأستاذ جواد علي: (الأحابيش) هم الأحباش.

أقول: كان ينبغي أن يكون الأستاذ جواد علي من أهل الأدب القديم أيضًا ليكون في طوقه أن يبسط مادته التاريخية.

إن (الأحابيش) في كتب اللغة: أحياء من القارة انضمّوا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام... وقد سُمِّيت تلك الأحياء بالأحابيش من قِبَل تجمّعها، والتحبيش هو التجميع. ولي أن أضيف فائدة أخرى هي أن (حُبْشيّ) جبل بأسفل مكة منه سُمّي (أحابيش) قريش، وذالك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فخالفوا قريشًا......

أقول: كان ينبغي للأستاذ المؤرخ أن يلمّ بلوازمه وهو يتصدّر لكتابٍ «مفصّل» في تاريخ العرب.

خاتمة: أقول: كان لهذا الموجز أن أرسله إلى مجلة «الهلال» لأنّ بحث الأستاذ محمود الطناحي قد نشر في هذه المجلة كما أشرت، ولم أكن من أصحاب هذه المجلة، ولا الذي ينشر فيها من شجونٍ عامة قريب منّي.

وقلت: إنَّ أصحاب المجلات الجديدة أصحاب هوى، ولرئيس التحرير في أيّ منها مزاجه وهواه، ولما كنت لا أعرف رئيس تحرير «الهلال»، أرسلت هذا الموجز إلى صديقي الأستاذ وديع فلسطين ليصل بيني وبين صاحبي هذا. لقد ذهب صديقي الأستاذ وديع فلسطين ولم يفلح فيما أراد، بل ان رئيس التحرير قضى بسطوته أن ينشر في صفحة واحدة، وكان هذا الذي ظننت في الأساتيذ الجدد الذين شمخوا بـ(الدكترة).

وأعود فأقول: لقد أريد لنا أن نؤمن بهذا الجديد الذي جاش فيه القوم فكيف العمل!

(للبحث صلة)

د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) كان هذا في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي شُغل فيما شُغل به بمسألة الأساليب وسلامة اللغة.

(٢) قلتُ (هذا الموجز)، وأنا أجتزئ به عن كثير مما لديّ من هذا في أدب المشاهير فضلاً عن غيرهم من الذين سطع نجمهم وعلا ذكرهم من أصحاب (الحداثة والمعاصرة).

(٣) لقد أشار إلى هذا الذي نُسي من أبنية العربية الأستاذ مصطفى جواد وجعل منه كلمة (فَوْضَى) فقال: إنها (فَضَى) جمع لـ(فضيض) وقد أهمل هذا المفرد.

قلت: صدق الأستاذ مصطفى جواد - رحمه الله - ويدلّ على أن (فَوْضَى) جمع قول الأفوه الأودي:

لا يصلح الناس فَوْضَى لا سَراةَ لهم ... ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا

ثم تطوّرت دلالة (فَوْضَى) من معنى (المتفرّقين) إلى ما هو معروف لدينا منه من سوء النظام وعدمه.

مضمون الفيء في النهج الاقتصادي الإسلامي

(١)

التمهيد: قسم أغلب الفقهاء مكاسب الحرب على قسمين رئيسين هما: الفيء والغنيمة، فالفيء: ما نيل من أهل دار الحرب قبل لقائها، كأهل حصن زحف عليهم جيش المسلمين، وضيق عليهم الخناق، وشعروا أن لا قِبَلَ لهم بالمقاومة، فاتفقوا على إعطاء مبلغ من المال دون قتال، أو أهل قرية بلغهم خبر زحف جيش المسلمين إليهم، فبعثوا بمال لهم قبل أن يحل الجيش بساحتهم[١]، فهو والحالة هذه مال وصل من الكفار (العدو) من غير قتال، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب[٢]، وهو أيضًا كمال الصلح والجزية، وأعشار متاجر أهل دار الحرب، أو ما كان واصلاً بسبب من جتهم؛ كمال الخراج[٣].

أما مال الغنيمة: فهو ما نيل من أهل الشرك عنوة وحربًا، إبان قيام الحرب، وبعد أن تضع الحرب أوزارها ويهزم العدو[٤]، والغنيمة أصل تفرع عنه الفيء، فكان حكمها أعم[٥].

ويتلمس الدارس لتاريخ الاقتصاد الإسلامي، وجود عدة معانٍ لمصطلح مفردة (الفيء)، التي أخذت تشكل أحد الموارد المهمة لبيت المال، ولكن هذه (المفردة) لها معناها اللغوي المحدد، كما أصبح لها معناها الاصطلاحي المعلوم، الذي ظهر وتبلور خلال الحقب التاريخية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية.

وتفسر المعاجم اللغوية لفظة (فيء) بـ(الرجع)، ففي هذا الصدد قال ابن منظور: الفيء استرجاع الشيء... والفيء ما رد الله على أهل دينه[٦]. وقد واءم (قدامة)[٧] المفسرين وأصحاب المعاجم اللغوية فيما ذهبوا إليه بشأن معنى الفيء.

البدايات الأولى للفيء: تظهر البدايات الأولى لمضمون (الفيء) في الإجراء الذي اتخذه الرسول ﷺ حيال أموال بني النضير، الذين استسلموا

للرسول ﷺ بلا قتال، فتصرف النبي ﷺ بأموالهم بطريقة تختلف عن تصرفه في قسمة غنيمة الحرب، فالأموال التي تم الحصول عليها دون جهود قتالية، لا يمكن أن توزع على وفق ما هو متعارف على توزيعه من الغنائم، التي تم الحصول عليها بعد أن خاض الجيش الإسلامي معارك ساخنة ضد العدو، وربح أمواله[^8]، وأحسب أن الرسول ﷺ كان يرى أن الأموال التي يتم الحصول عليها بلا قتال؛ إنما هي حق الأمة، وهكذا فعل ﷺ حيال ما حصل عليه من أموال بني النضير، و(فدك) و(تيماء) و(وادي القرى)[^9] لأن الله خلق الناس لعبادته، فبكفر الكافرين استبيحت أموالهم لمن يعبد الله[^10].

صحيح أن أموال بني النضير آلت إلى الرسول ﷺ بلا مجهود قتالي إلا أنه خصص جزءاً منها للمسلمين، ذالك أن منازل بني النضير تقع على بعد فرسخين من المدينة المنورة[^11]، وقد توجه مقاتلة المسلمين إليها وحاصروها، إلا أن بني النضير استسلموا للرسول ﷺ قبل أن ينشب القتال[^12]، والمهم في الأمر؛ أن الأموال التي تم الحصول عليها من بني النضير لم تُعامل على وفق ما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾[^13]، كما أنها لم تُعامل في الوقت نفسه على وفق ما يجب أن تعامل به أموال الغنائم؛ حيث يوزع أربعة أخماسها على الجند الذين أسهموا في الحصول عليها من العدو، وإنما عوملت على أساس حالة توفيقية بين ما يجب أن تُعامل به أموال الفيء، التي يتم الحصول عليها بلا إيجاف خيل ولا ركاب، وما يجب أن تُعامل به أموال الغنيمة، ذالك أن الرسول ﷺ اكتفى بأن وزع جزءاً من الأموال على الجند الذين قدموا معه إلى منازل بني النضير، وأبقى الجزء الآخر لنفسه على أساس أنه (فيء)[^14]، وأحسب أن الرسول ﷺ أقدم على هذه الخطوة التوفيقية لأن محصلة مآل أموال بني النضير لم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب بشكل كامل، وإنما حصل (إيجاف الخيل والركاب) ولكن لم يحصل، ولم يتحقق المجهود القتالي الذي كان يعقب عمليات الإيجاف عادة.

ومن المرجح، لا بل المؤكد، أن الرسول ﷺ اتخذ إجراءه المذكور آنفًا، منطلقًا من هذه الرؤية لهذا الحدث، ولم يجعل الأموال التي حصل عليها من بني النضير على وفق المضمون اللغوي لمفردة (الفيء)، بل استثنى قسمًا منها[١٥]، وهكذا يمكننا أن نتلمس أن مفهوم مصطلح (الفيء) في حالة ضم منطقة ما إلى حظيرة الدولة الإسلامية بعقد وشروط، يأخذ له مَنْحًى متميزًا، كما أنه في الوقت نفسه يوضح أن للرسول ﷺ، أو الإمام من بعده، حرية التعامل بالأموال التي يتم الحصول عليها من العدو، وإن كان هذا التعامل لا يخرج عن إطار مصلحة الجماعة الإسلامية في كل الحالات، في حين نجد أن الرسول ﷺ يطبق مصطلح مفردة (الفيء) اللغوي في الأموال التي حصل عليها من (فدك) و(وادي القرى) و(تيماء) ذالك أن عمليات انضواء هذه المناطق الثلاث تحت لواء الدولة الإسلامية قد تمت بلا إيجاف خيل ولا ركاب، بصورة منطبقة على فحوى مضمون المصطلح اللغوي لمفردة (الفيء)[١٦] على وفق ما جاء بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ، فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ. وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِيْنِ وَابْنِ السَّبِيْلِ، كَيْ لاَ يَكُوْنَ دَوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾[١٧].

ومن هنا يتضح أن النهج الاقتصادي الإسلامي يُعَدّ الأموال – النقد والعينية – التي يتم الحصول عليها بلا تجييش الجيوش، وتجهيزها، فيئًا خالصًا، للإمام حق التصرف بها على وفق منطوق الآية الكريمة المشار إليها توًّا، وبذالك لم يقسم الرسول ﷺ أرض بني النضير و(فدك) و(تيماء) و(وادي القرى)، بل احتفظ بها كي تغطي نفقاته الخاصة، التي أوضحتها الآية الكريمة التي خاطب الله عز وجل رسوله الكريم ﷺ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾[١٨]، ومن هنا يتضح أن للنبي ﷺ الحق في أن يتصرف بأموال الفيء لأموره الخاصة، وفي الوقت نفسه

يجوز له أن يوجه جزءاً من ريع الفيء لسد نفقات عامة تتطلبها الجماعة الإسلامية، أو الدولة الناشئة(١٩).

التطورات التي حصلت على مضمون الفيء: والحق أن مفهوم الفيء كان قد حُدِّدَ شكله ومضمونه منذ عهد الرسول ﷺ، فبانت معالمه، وتأطرت أبعاده، ولكن في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصلت بعض المستجدات، وبخاصة بعد القرار الجريء الذي اتخذه الخليفة الراشد الثاني، بالإتفاق مع الصحابة، بعدم توزيع الأراضي المحررة على الجند الذين أسهموا في تحريرها، ورغب في ألا تكون جزءاً من الغنيمة(٢٠)، وبذالك ظلت تلك الأراضي الزراعية تستثمر من قبل عمالها السابقين، على أن يدفعوا عن إنتاجها الخراج الذي عده الفقهاء فيما بعد جزءاً من الفيء، وبذالك أصبحت تلك الأراضي ملكًا للأمة، وفيئًا للمسلمين ما تناسلوا(٢١)، على الرغم من أن هذه الأراضي في الأصل جزء من الغنيمة، أو من أموال الغنائم غير المنقولة التي تم الحصول عليها بجهد قتالي عصيب، من خلال إيجاف خيل وإعداد ركاب، وفي هذه الحال يجب أن تخمس؛ ولكن ذالك لم يحدث، لأنه أخذ باجتهاد الإمام، وعندئذ انسحب مضمون مفردة الفيء إلى أحد موارد بيت المال المستمرة، ولم يعد مقتصراً على التفسير الحرفي للآية الكريمة: ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾، وإنما أصبح يعني، فيما يعني، مورداً من موارد بيت المال الدائم الجريان والتدفق، وجاء في أعقاب معارك طاحنة، حقق من خلالها المسلمون انتصارات كبيرة وحاسمة على عدوهم.

وإذا دققنا النظر مليًّا؛ نجد أن جزءاً من الغنيمة التي آلت إلى المسلمين عنوة وحرباً، يصبح فيئًا في المفهوم الاصطلاحي للفيء، وهذا الجزء أعني به (خمس الغنيمة) الذي يصبح سبيله سبيل الفيء، الذي مآله إلى بيت المال، شأنه في ذالك شأن الفيء الذي سبق أن قلنا أن مآله - هو الآخر - إلى بيت المال، لينفق مع خمس الغنيمة، وبقية موارد بيت المال الأخرى، في مصالح المسلمين عامة(٢٢).

وحصل تطور آخر على مضمون الفيء في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ جعله وقفًا على المسلمين جميعًا، وقد استند في إجرائه هذا على مضمون قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ... مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ... لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا... وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا ﴾[٢٣].

إن استشهاد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالآية الكريمة ﴿ وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ ﴾، يعني أن الخليفة أراد أن لا تكون فائدة الفيء مقصورة على الحاضرين من المسلمين، بل ضَمَّنَ نصيبًا للأجيال القادمة[٢٤]، ويرى (أبو عبيد)[٢٥] أن الآية المشار إليها توًا نسخت آية الغنيمة التي جاءت في سورة الأنفال (آية ٤١)، لأن سورة الأنفال نزلت بشأن معركة بدر، بينما نزلت سورة الحشر (آية ٦) بشأن بني النضير[٢٦].

وبلا ريب؛ فإن آية الفيء المشار إليها توًا ترجح حق المهاجرين في الفيء وتؤكده، ومع ذالك فإن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقصره عليهم[٢٧]، كما أنه فطن لما أصابت قبيلة (بجيلة) من فيء سواد العراق، فحبسه عنها، بعد أن تمتعت (بجيلة) بهذا الحق ثلاث سنين[٢٨]، وأحسب أن هذا الإجراء تطور جديد، حصل على مضمون الفيء، ذالك أن المسؤولين في الدولة عدوا كل الأراضي المحررة أو المفتوحة فيئًا موقوفًا لجميع المسلمين[٢٩].

ويخال لي أن الفقيه أبا يوسف (ت ١٨٢هـ) عد الفيء نوعًا من الضريبة، أو أنه عده أحد الموارد العامة لبيت المال، فقرنه بخراج الأرض التي ضمت إلى أملاك الدولة عنوة وحربًا، أو قرنه بضريبة الخراج المفروضة على الأرض الخراجية، فقال: (الفيء هو الخراج)[٣٠]. وتبدو الصورة أكثر وضوحًا عندما قال (أبو يوسف): (هو الخراج والجزية)[٣١]، وعندئذٍ يؤكد (أبو يوسف) بما لا لبس فيه ولا إشكال، أن الفيء مورد من موارد بيت المال ليس إلا،

وبذالك ابتعد عن معناه ومضمونه في بدايات قيام الدولة الإسلامية من كونه مال (غنيمة) جاءت بلا قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب.

في حين ذهب قدامة (ت ٣٢٧هـ) إلى أبعد من ذالك حين تمسك بالتفسير اللفظي لكلمة (فيء) التي تعني الرجوع، فقال: إن الفيء اسم للرجوع، لأن عملية جمع الفيء وتحصيله واستيفائه تتطلب من المسؤولين عنه الرجوع، أو العودة، في كل سنة إلى المكان أو الجماعة، لأخذ الفيء منهم[٣٢]، وهنا يقترب معنى (الفيء) عند (قدامة) من المعنى العام الذي ذهب إليه (أبو يوسف)، والذي أشرنا إليه قبل قليل، فيمسه مسًّا لينًّا، من جانب كونه موردًا من موارد بيت المال، أو هو ضريبة متحققة تستوجب من القائمين عليها الرجوع والمعاودة إلى من تجب عليه في أوقات محددة.

ومن الواضح أنه حتى في الحقب المتأخرة التي توسع فيها مفهوم مصطلح الفيء، فإن المستثمرين للأرض المملوكة للدولة مارسوا عليها سلطة كبيرة، فاقت في بعض الأحيان سلطة الدولة عليها، وكانت هذه الأراضي في الأعم الأغلب قابلة للتوراث والرهن[٣٣].

ومنعًا لحصول نضوب في موارد الدولة، أو بيت المال، أفتى الفقهاء بكراهية شراء المسلم للأرض الخراجية[٣٤]، وفعلاً رفض الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، الإعتراف بشرعية ملكية مسلم (عتبة بن فرقد) اشترى أرضًا خراجية في سواد الكوفة[٣٥]، ولكن ليس لدينا ما يشير إلى أن عملية البيع هذه لم تستأنف فيما بعد.

(للبحث صلة)

جامعة بغداد - كلية الآداب: د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(١) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٢٣ و ٢٦٨. ابن زنجويه، «الأموال»، جـ٢، ص ٥٨٣ و٥٨٦. الصابوني «صفوة التفاسير» جـ٣، ص ٣٤٩.

(٢) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٢٦.

(٣) ابن زنجويه «الأموال» جـ٢، ص ٥٨٣.

(٤) أبو عبيد، «الأموال»، ص ٢٦٨ . ابن زنجويه، «الأموال»، جـ٢، ص ٥٨٣ ابن منظور «لسان العرب» (مادة غنم).

(٥) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٣١ .

(٦) ابن منظور «لسان العرب» (مادة فيأ) . ابن خلدون «المقدمة» ص ٤٥ .

(٧) قدامة «الخراج» ص ٢٠٤ .

(٨) الواقدي «المغازي» جـ١ ص ٣٧٧ . ابن آدم «الخراج» ص ٣٣ . البلاذري «فتوح البلدان» صص ٢٤- ٢٥ . ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ١١٩ .

(٩) الواقدي «المغازي» جـ١ ص ٣٧٩ . البلاذري «فتوح البلدان» صص ٢٥- ٢٦ و٣٦ و٤١- ٤٢ . ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ١١٩ و١٥٢ .

(١٠) ابن تيمية «السياسية الشرعية» ص ٤٠ .

(١١) ياقوت «البلدان» جـ١، ص ٤٥ .

(١٢) البلاذري «فتوح البلدان» ص٢٤-٢٥ . اليعقوبي، تاريخ، جـ٢ ،ص٤٠ . ابن الأثير «الكامل» جـ٢ ،ص١١٩ .

(١٣) (سورة الحشر) آية ٦ .

(١٤) ابن هشام «تهذيب سيرة ابن هشام» ص ٢٠٧ .

(١٥) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٥ .

(١٦) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٦ و٤١- ٤٢ . الطبري «تاريخ الرسل» جـ٣، صص ١٩- ٢٠ .

(١٧) (سورة الحشر) آية ٦- ٧ . ابن هشام «تهذيب سيرة ابن هشام» صص ٢٠٧- ٢٠٨ .

(١٨) (سورة الأحزاب) آية ٥٠ . (ينظر: الصابوني «صفوة التفاسير» جـ٢، ص ٥٣١).

(١٩) الواقدي «المغازي» جـ١، ص ٣٨٧ . الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٢٧ .

(٢٠) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٥ . ابن آدم «الخراج» صص ٢٧- ٢٨ . ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ١٩١ .

(٢١) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٥ . ابن آدم «الخراج»، ص ٢٨ . أبو عبيد «الأموال» ص ٦٥ . ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ١٩١ و١٩٤ و١٩٦ .

(٢٢) أبو عبيد «الأموال» ص ٢٣ .

(٢٣) سورة الحشر، آية ٦- ١٠ . (ينظر: أبو يوسف «الخراج» ص ٢٣ و٢٧ . أبو عبيد «الأموال» ص ٢٢).

(٢٤) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٣ و٢٧ . البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٣ و٣٦ و٤١ .

(٢٥) «الأموال» ص ٢٣٤ .

(٢٦) ينظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، «أسباب النزول» ص ٢٣٦ . الصابوني «صفوة التفاسير» جـ١، ص ٥٠٥ .

(٢٧) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٥ .

(٢٨) أبو يوسف «الخراج» ص ٣٢ . أبو عبيد «الأموال» ص ٦٧ . ابن زنجويه «الأموال» جـ١، صص ١٩٧- ١٩٨ . البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٧٦ .

(٢٩) أبو يوسف، الخراج، ص ٢٧ .

(٣٠) ن. م، ص ٢٣ .

(٣١) ن. م، ص ٢٥ .

(٣٢) قدامة «الخراج» ص ٢٠٤ .

(٣٣) أبو عبيد «الأموال» صص ٦٤- ٦٥ و٨٠ . ابن رجب الحنبلي «الإستخراج في أحكام الخراج» صص ١٢- ١٣ .

(٣٤) ابن آدم «الخراج» ص ٥٤ . أبو عبيد «الأموال» ص ٨٠ . ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ٢٣٦ . ابن عبدالحكم «سيرة عمر بن عبدالعزيز» ص ٥٧ و٦٠ و٩٥ و١٥٢ .

(٣٥) أبو عبيد «الأموال» ص ٨٠ . ابن زنجويه «الأموال» جـ١، ص ٢٣٤ .

تحقيق التراث ونشره

- الأهمية والغاية -

انتشرت أو نشرت فكرة بين جملة من المدرسين والدارسين ادّعت عدم جدوى تحقيق النصوص، وعدم الفائدة العلمية لمن يقوم به، وبعضهم كان يقول جهلاً: إنه مضيعةٌ للوقت وإنه عمل آلي يضيع الجهد فيه باعتباره تطفلاً على جهد عالم آخر، وليس جهد القائم به، فما للقائم به سوى إخراجه بعد نسخه، وتوضيح قضاياه، وتخريج شواهده، أستشهد مسبقًا بقول الشاعر البغدادي:

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

وبمقولة حكيمة شائعة: الناس أعداء لما جهلوا.

لو استعرضنا تاريخنا الحضاري وخصوصًا العلمي منه لوجدنا مثل هذه الفكرة شاعت أو أُشيعت عن علم النحو ودراسته، وكذا عن الشعر وجدواه، وعن علم العروض والفلسفة، ووجدنا من العلماء من نهد للدفاع عن كل ذالك، دفاعًا علميًّا لا ينكره إلاّ معاند، لا شأن له في الوصول إلى الحقيقة العلمية، لكني لم أقرأ لأحد دفاعًا عن تحقيق التراث وإثبات أهميته وضرورة الاهتمام به، والدعوة إلى التخطيط لتنظيم العمل لإنجاز ما ينبغي مما يستحق إنجازه إلا قليلاً وبصوت يشبه الصمت، حتى حينما قررت (جامعة الأزهر) إلغاء تحقيق النصوص موضوعًا للرسائل العلمية، بعد أن كان ذالك مجازًا بل مباحًا فيها، بدلاً من أن تدعو إلى تقنين العمل فيه وتنظيمه بوضع شروط علمية للباحثين.

لقد وقف عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) وقفته للدفاع عن رواية الشعر وعن النحو، وإثبات أهميتهما للدارسين في حفظ اللسان، وإدامة اللغة سليمة على ألسن الناطقين بها، واستخفّ بمن فهمهما فهمًا سطحيًّا، فخفيت عنه

أسرارهما.. («دلائل الإعجاز» ص ٢١، ٢٥، ٧٧) وكذا خصص ابن رشيق القيرواني بابًا في بداية كتابه «العمدة» في فضل الشعر، ودافع السيرافي (ت ٣٦٨هـ) عن النحو وأظهر أهميته في المناظرة المشهورة التي جرت في بغداد سنة ٣٢٠هـ بينه وبين المنطقي مَتَّى بن يونس، وقد ظهر فيها عليه شارحًا طبيعة النحو وأهمية قواعده وضوابطه، وحاجة اللسان إليه نظامًا يربط بين اللسان والفكر، وأكد حاجة المنطقي للنحو أكثر من حاجة النحوي للمنطق. (انظر «الإمتاع والمؤانسة» الليلة الثامنة) ثم نهد أبو الحسن العروضي (ت ٣٤٢هـ) مدافعًا عن علم العروض، مبينًا أهميته للعالم والأديب وقارئ الأدب والشعر منه خاصة، كما هي أهميته للغوي والناقد وكل من غايته قراءة النص الشعري قراءة سليمة، ووازن بين من يحسن هذا العلم وبين من يجهله، وقد خصص له بابًا سماه (باب الحض على تعلم علم العروض وما فيه من الفضل الذي يجهله كثير من الناس)، بدأه بقوله: (اعلم أن علم العروض ينفع منفعة ليست باليسيرة، وكثير من الناس يزعم أنه وسواس وهذيان، وأنه غير نافع ولا مفيد، بل هو علم مستغنىً عنه). ثم انطلق في دفاعه ببيان أهميته، ثم بيان مواقف الحرج لمن يجهلونه ومنهم من كان ذا علم وشهرة [انظر «الجامع في العروض والقوافي» ص ٣٥].

نحن إذ نتحدث هنا عن أهمية تحقيق التراث ونشر النصوص، ينبغي لنا أن نؤكد ضرورة الاهتمام بالتراث، ثم تحديد ما ينبغي الاهتمام به وتحديد زمنه، فالاهتمام بدقة الرواية ووسائل نقل العلم، ثم التدقيق في أخذه وفحص نصوصه المكتوبة فحصًا أدى إلى ضبطه وكشف الزائف الموضوع منه، كل ذالك جرى بجهود العلماء القدامى وبخاصة في مجال الحديث النبوي الشريف، حتى ظهر علم الجرح والتعديل للوصول إلى هذه الغاية [انظر تفصيل ذالك «في مناهج تحقيق التراث» للدكتور رمضان عبدالتواب ص ١٣ - ٥٣] لقد كان ذالك في

عصر المخطوطات، ولكن عند دخول العالم العربي والإسلامي في عصر الطباعة نجد انعدامًا للتوازن الحضاري بين عالمين: الغربي والإسلامي، فالغرب قد بدأ نهضته الحضارية بعد الثورة الصناعية وحقق آفاقًا واسعة في مجال العلم والأدب والاجتماع وصاحبت هذه النهضة حركة سبقتها وواكبتها لإحياء التراث اليوناني والإغريقي مع الإنكباب في العصر الوسيط على المنجزات العلمية للعلماء المسلمين في مجالات العلم المختلفة والفلسفة وجوانب من الأدب كما كان من آثار «ألف ليلة وليلة» وغيرها في آدابهم، وإلى جانب هذا الأخذ والإفادة ظهر تيار لاهوتي شديد التعصب على الإسلام حاول بما صنف من كتب وأعمال أن يزدري بالحضارة الإسلامية وينتقص منها ويصورها بأنها أصداء للحضارة الإغريقية بما ترجمه العرب قديمًا من آثار اليونان في الطب والفلسفة وغيرهما من العلوم واصفًا الفكر الإسلامي بالجمود.

فقد زعم بعضهم على سبيل المثال أن الفارابي قرأ كتاب «الطبيعة» لارسطو أربعين مرة وكتاب «البلاغة» مئتي مرة مما دفع بفيلسوف مشهور مثل هيجل إلى القول: (إنّ معدة الفارابي كانت شديدة الهضم) وكرر استخفافه في كتابه «محاضرات عن تاريخ الفلسفة» واصفًا التاريخ السياسي للعالم الإسلامي بقوله: (إنه مجرد معرض للتغيرات الدائمة) وقد كان يرى في الإسلام (ظاهرة لا شكل لها ولا صورة) [انظر «مناهج العلماء المسلمين» لروزنتال ص ١٤، ١٨].

وشاعت على لسان هاؤلاء المستشرقين في العرب والحضارة الإسلامية أحكام عامة يغلب عليها التعصب وعدم الموضوعية، وتعميم بعض الجزئيات والأحكام الفردية على القضايا العامة، كما حاول المستشرق (دوتي Doughty) تعليل تأخر البحث العلمي عند المسلمين في كتابه «أسفار في الصحراء العربية» معتمدًا على روايته قول شيخ من شيوخ العرب في (العلا): (وما حاجة هذا العلم

كله، فلا حاجة إلا لشيء واحد هو أن يعرف الإنسان أن لا إله إلا الله وما خلا هذا لا قيمة له ولا نفع..) [«مناهج العلماء المسلمين» ص١٦].

وقد وقع بعضهم في تناقض بأحكامه كما كان للمستشرق (فون كريمر) وهو أحد الرواد في تاريخ الحضارة الإسلامية كما يصفونه، فقد حاول أن يوفق بين ما يشاع من أحكام الجمود الحضاري في الشرق وبين ما اكتشف من معارف تدل على حركة فكرية ومعرفية، فبينما هو يثني على النشاط الفكري لدى العرب في مجال المعرفة التجريبية، ويعجب بملاحظاتهم واجتهاداتهم في مجالات العلوم والإبداع (بصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة وبصفتهم مفكرين مبدعين فانهم قد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك، وللسبب ذاته نجح العرب في التشريع وفي وضع قواعد اللغة من صرف ونحو في شكل شامل محكم) بينما هو ينساق بهذا الإعجاب إذا به يعود فيقول: (ولكن من جهة ثانية نجد أنهم في حقل المعرفة النظرية والتفكير التجريدي لم يستطيعوا أن يتعدوا حدود الفلسفة الارسطوطاليسية والأفلاطونية. وعندما كانوا يحاولون الخروج من إطار الفلسفة الإغريقية كان الخيال الشارد يؤدي بهم إلى خيالات وأوهام). [المرجع السابق].

إنّ هذا التناقض في الأحكام إلى جانب التعصب والتحيز في النظر إلى الحضارة الإسلامية يفسره (روزنتال) تفسيراً موضوعيًّا بقوله: (وكثيراً ما يشوّه آراء الغربيين في البحث العلمي عند المسلمين شعورهم بالتفوق والعلو شعوراً لا يرتكز على منطق، فمن العجيب حقًّا أن نسمع عالمًا أوربيًّا يقول عن ياقوت الذي يرفض تصديق قصة «الفارس الساحر» البغدادي: (يندر جداً أن يبدو ياقوت بهذا التعقل وهذه الرصانة) في الوقت الذي نعلم فيه أن هذا المؤلف الغربي بقطع النظر عن مؤهلاته العلمية يبدو قزمًا إذا ما قيس بياقوت) («مناهج العلماء المسلمين» ص ١٨، ١٩)، ثم ذكر المزالق التي يقع فيها الباحثون الغربيون عند تقديرهم البحث العلمي عند المسلمين قائلاً: (إنهم

يضعون مقاييس صارمة يحكمون بموجبها على ما أنتجه الفكر الإسلامي، مقاييس أشدّ صرامة من تلك التي نطبقها على ذواتنا نحن الغربيين... فإنّ اللاهوتي العصري عندما يكتب ويؤلف قصد استمالة اتباع يلتفون حول فكرته التي يبشر بها لا ننتظر منه أن يدعم كل قول من أقواله بمستندات وكل جملة من جمله باثباتات.. ومن جهة ثانية لماذا نبدي سخطنا على كاتب يجمع أسانيد تبعث على الضجر أسانيد لا حصر لها يتعلق بسيرة رجل أو برواية من رواة الحديث الذين عاشوا بدمشق أو مروا بها لماماً بينما نحن إذا قرأنا مثيل هذا في كتاب من كتب الغرب قلنا: إنه عمل علمي وان صاحبه قام بخدمات علمية جليلة) [المرجع السابق].

لقد سقت هذا كله بإيجاز لأصل إلى نتيجة هي أننا ينبغي أن نسعى إلى أمرين:

أولهما: التفرقة بين انجازات الغرب ذي التقدم التقني الواسع في هذا العصر وبين الوضع الحضاري وتأخره لدى العرب والمسلمين، فينبغي لنا أن لا نجعل الأحكام تختلط ثم تعمم.

الأمر الثاني: نحاول أن نظهر خير ما في تراثنا ونلقي الأضواء على جهود السلف في مجالات العلم والفلسفة والأدب بالدراسة الموضوعية لكي لا نغمط حقهم في جهودهم واجتهاداتهم، وللتعريف بها وترجمتها إلى لغاتهم، وهذا يقتضينا التخطيط في إحياء تراثنا لتقام عليه الدراسات العلمية ثم ليكون هذا التراث المعرفي والدراسات حول قاعدة معرفية علمية ترتكز عليها نهضتنا وأخذنا سبيل التطور في هذا العصر، ولكي لا يجرفنا تيار التغريب والعولمة فنضيع في مساربه وغمراته وظلماته.

لقد كان شيء من ذالك منذ حوالي القرن من الزمان ولكن بجهود فردية في الغالب. ظهر نشاط في تحقيق الكتب ونشر التراث إذ بدأت دور الكتب

والمطابع في مصر ولبنان وغيرهما تخرج الكتب القيمة في اللغة والتاريخ الحديث، وظهر محققون كانت لهم جهود كبيرة في التحقيق العلمي كالأستاذ أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر وعبدالسلام هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم والدكتور رمضان عبدالتواب في مصر، والدكتور مصطفى جواد والأستاذ هلال ناجي وإبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي وخليل العطية ومحمد جبار المعيبد وغيرهم في العراق، وأحمد راتب النفاخ وسامي الدهان والدكتور شاكر الفحام ومحمد أحمد الدالي والدكتور عزة حسن وغيرهم في سوريا، والشيخ حمد الجاسر والدكتور عياد الثبيتي وغيرَهما في السعودية، والأستاذ محمد بن شريفة والدكتور إحسان عباس وعبدالعزيز الميمني الراجكوتي وغيرهم كثير.

لقد تأسست (جامعة الدول العربية) بعد الحرب الكونية الثانية، وفي سنة ١٩٧٤ أقرت مشروع (ميثاق الوحدة الثقافية) وإعلانها قيام (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، وانبثقت عنها مؤسسات قومية منها: (معهد المخطوطات العربية) و(مكتب تنسيق التعريب) و(معهد البحوث والدراسات العربية) وغيرها ومن غاياتها الحفاظ على العربية وتنميتها، وأول مهمة (معهد المخطوطات) نشر التراث والحفاظ عليه (تفصيل ذلك في كتاب «العربية والأمن اللغوي» ص ٤٨ ...). وإلى جانب المنظمة العربية المذكورة نشأ قبلها ضربان من المؤسسات العلمية: هما المجامع العلمية والجامعات. وكان للمجامع العلمية في القاهرة وبغداد ودمشق دور في نشر التراث إلى جانب الجهود اللغوية، وكذا كان للجامعات دور علمي جانب منه تحقيق التراث بمجهود الأساتذة أو طلبة الدراسات العليا، كل ذلك جهد طيب في هذا المجال ولكن غياب التنسيق والتخطيط في عمل ما ذكرت من المؤسسات ومن ذكرت في العمل قد أضاع الكثير من الجهود كما أشاع الفوضى في هذا الجانب الحيوي من حضارة الأمة، كان المأمول أن يحصل التعاون والتنسيق

بين هذه المؤسسات تحت ظل (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) لكي لا تكون هذه الفوضى في إخراج التراث الذي وصل في بعض الأحيان حد العبث وعدم المسؤولية العلمية، إذ أخذ من لا يحسن التحقيق ويجهل أبسط قواعده يخوض فيه. فأصبح باباً لارتزاق كثر من الأفراد ودور النشر. فإذا كان ذالك كذالك فما بال الجامعات والأساتذة الذين ينبغي أن يحملوا مسؤولية العلم وأمانته ينزلقون في هذا التخبط؟ لقد ادّعى الإشراف على طلبة الدراسات العليا في هذا المجال أساتذة لا شأن لهم في علم التحقيق، ولا يحسنون العمل فيه، ولا يمكنهم توجيه من يشرفون عليهم، ولا يحسنون تقدير النص المحقق تقديراً صائبًا، وفي النهاية خرجت مجموعة من المخطوطات مشوهة بأيديهم لو بقيت مخطوطة غير محققة هذا التحقيق الرديء، لكان أفضل، وقد رأيت من بعض الأساتذة والأقسام العلمية في الجامعات استهانة في هذا العلم، رأيتهم يكابرون مدعين معرفة كل شيء وهم لا يحسنون شيئًا لكن المجال مفتوح لهم لافتقار جملة من الجامعات أو الكليات التي هم فيها للتقاليد الأكاديمية ولعدم احترام القيم والتخصصات العلمية، فقد اختلت الأشياء واختلط حابلهم بنابلهم دون وعي يوقفهم عن تماديهم في الطريق الخاطئ ولا تقاليد أكاديمية تسير عليها أقسامهم لتجعل الأمور في نصابها.

هذا نقص وتقصير ضار في عملية تحقيق التراث ونشره في عصرنا، لذالك استهان جملة من الأساتذة بعمل التحقيق خصوصاً من لم يقف على علله، أو هم من يجهلونه ويجهلون أو يتجاهلون أهميته، فشاع أن التحقيق عبارة عن عمل غير مجد، لأنه جهد ضائع، أو هو عمل سهل لا إبداع فيه، والحق ما كانت هذه النظرة تشيع لولا (كثرة الدخلاء على هذا الفن.. وما أدرى هاؤلاء أن المحقق الأمين قد يقضي ليلة كاملة في تصحيح كلمة، أو إقامة عبارة، أو تخريج بيت من الشعر، أو البحث عن علم من الأعلام في كتب التراجم والطبقات) [«مناهج تحقيق التراث» د. رمضان عبدالتواب ص ٤]. وما أدراهم كم من المعارف

ينبغي للمحقق أن يحسنها أو يتقنها إضافة إلى شروط الدقة في الضبط والأمانة العلمية والصبر في العمل.

نحن ندعو أقسام اللغة العربية أن تكون أمينة على تراث هذه الأمة وأن لا تفرط به كما لا تفرط بمستويات الطلبة العلمية، مراعاة لرغبات فردية لا تحترم التخصص العلمي من جهة، وتخوض في غير مائها من جهة أخرى، كما أرفع صوتي في وجوه الأساتذة العائدين من البلاد الأجنبية ممن لا تؤهلهم معرفتهم أو تخصصهم لوعي عملية تحقيق التراث فيقفون موقفًا سلبيًّا منه، بدلاً من أن يدعو إلى تنظيمه وإسناده إلى أساتذته الممارسين المتخصصين، فيصدرون أحكامًا غير قائمة على حقيقة علمية، هذا في مجال الجامعات، أما مؤسسات (الجامعة العربية) خصوصًا (المنظمة العربية للتربية) والمجامع العلمية، فأدعوها إلى أن لا تسيطر عليها الأهواء السياسية فتخضع لها؛ لتعيش في جو علمي هادئ وإن كانت السياسة في الأقطار العربية تدخلت في كل شيء فلم تبق عليه سليمًا في أغلب الأحيان.. كما أدعو أن تنبثق هيئة علمية عن الجامعة العربية تشرف وتخطط لتحقيق المضيء والمشرق من تراثنا العربي الإسلامي لنشره ودراسته دراسة علمية ليسلّط الأضواء على مراحل هذه الأمة الحضارية قديمًا، تلك المراحل التي شوهتها الأغراض والعصبية الغربية، وأقلام المرتزقة، وخدم التعصب والمصالح الاستعمارية، كما ذكرت في أول هذا المقال، وتتصل هذه الهيئة بالجامعات لتطلع على ما يجري في أقسامها، وتنشر أخبار التراث في نشرتها القائمة ولكن بصورة أوسع، ثم تطبع فهارس موحدة لما أنجزته وتنجزه الجامعات والمجامع من الأعمال التراثية المطبوع منه وما هو تحت الطبع والإنجاز، لتكون عملية إخراج تراثنا منظمة من جهة، ولنتخلص من هذه الفوضى والتداخل وضياع الجهود من جهة أخرى.

بغداد: د. زهير غازي زاهد

(قانون نامه) لواء القطيف لعام ٩٥٩هـ (١٥٥٦م)

[أفضل الصديق الشيخ إبراهيم الصقير بتصوير هذا المقال من المجلة «التاريخية العربية للدراسات العثمانية» ع١٥ و١٦ - أكتوبر ونوفمبر سنة ١٩٩٧م- ليتحف بها قراء مجلته «العرب» التي اتصلت بالدكتور فيصل الكندري، فوافق وبعث أصلاً للبحث لاعتماده في النشر].

دفاتر (طابو تحرير Tapu Tahrir Defterleri):

اهتم العثمانيون كثيراً بتنظيم أمور الممالك المفتوحة، فكانوا يعدون الدفاتر والسجلات لتسجيل الأراضي المضمومة حديثًا لأراضي الدولة العثمانية، وكانوا يحددون نظام ملكية هذه الأراضي الجديدة، وطريقة التصرف بها، ومقدار الضريبة المفروضة عليها، وعدد وأسماء الأشخاص الموجودين بها، وكان يطلق على هذه العملية اسم (تحرير) أو تعداد السكان في عرفنا اليوم، وتتم عملية تسجيل الأراضي أو التحرير باسم (الديوان الهمايوني) تحت إشراف (النيشانجي) أو التوقيعي، التي كانت تتكرر مرة كل ثلاثين عامًا، إلا أنها كانت تتم على فترات أطول أو أقصر على حسب ما تقتضيه المصلحة أو الحاجة، كظهور خلافات بين الأهالي، أو ظهور أوبئة، أو بسبب الهجرات المتكررة. وعند صدور الأوامر بتحرير منطقة مًا، كان يتم اختيار هيئة تتكون من رجلين من أصحاب القدرة والدراية والثقة، وممن يتمتعون بأخلاق عالية، للقيام بهذا الأمر، وكان القائم بهذه المهمة يحمل لقب: (أمين)، أو قد تظهر ألقاب أخرى مثل: (محرر الممالك) أو (محرر)، أو (آل يازجي il yazici)[1]، أو (محرر أو كاتب المنطقة)، أو (أمين الدفتر أو الولاية)[2]؛ ويطلق على مساعده لقب: (كاتب). وكان يساعدهم مجموعة من الكتبة، كما كان الإداريون في أية منطقة مكلفين بالتعاون مع هذا الفريق، وتقديم كافة الإمكانات لهم لتسهيل مهمتهم، لذا كان يرافقهم أثناء التعداد كل من (دفتر دار التيمار) ووكيله والقاضي.

وكان يتم انتقاء هؤلاء الأمناء والكتبة من بين كتبة (الديوان الهمايوني)

والقضاة وأبناء أمراء (السناجق) و(السلاحدارية والسباهية)، وكان الأمين وكاتبه يتقاضون (آقجة) واحدة عن كل (خانة) (وهي عائلة أو وحدة سكنية)، كما كانوا يتقاضون مبالغ لمصاريفهم الضرورية لتغطية تكاليف السفر وأجور الإنتقال من منطقة لأخرى.

وعند مباشرة العملية يتوجه الأمين والكاتب إلى المنطقة الحديثة العهد بالفتح، فيقسم الأمين التشكيلات الإدارية فيها، عن طريق تعديل النظام القديم، أو إبقاء الوضع القائم على ما هو عليه فبعد صدور الأوامر يقوم الأمين بتقسيم الأراضي إلى تقسيمات مختلفة مثل:

١- خواص السلطان ومفردها خاص: وهي الأراضي التي يتراوح دخلها السنوي من ١٠٠,٠٠٠ (آقجة) أو أكثر.

٢- الزعامات ومفردها (زعامت): وهي التي يتراوح دخلها السنوي ما بين ٢٠,٠٠٠- ٩٩,٩٩٩ (آقجة).

٣- (التيمارات) ومفردها (تيمار) هي التي يتراوح دخلها ما بين ١- ١٩,٩٩٩ (آقجة).

ثم يطوف الأمين واللجنة المرافقة بالقرى والقصبات واحدة بعد الأخرى، ويحدد أسماء المكلفين بدفع الضرائب ويحدد أنواعها، كما يبيّن المعفيين منها وأسباب الإعفاء، وكان على كل شخص أن يبرز السندات والأوراق الثبوتية التي تدل على ملكية كل فرد للأراضي والأملاك وغيرها، ويقوم الأمين بتفحص تلك السندات بعناية شديدة، ليتأكد من صحتها، ويسجلها في سجلاته ودفاتره. وفي القرى يحدد الأمين الغابات والمراعي والمزارع والبساتين، ويحدد المقدار السنوي للمحاصيل الزراعية مثل القمح والشعير والحمص والذرة والأرز... إلخ، وكان يحدد مقدار الضريبة التي دفعها صاحب المزارع خلال ثلاث سنوات، ويتأكد من محصول هذه الفترة، ويسجل محصول هذه

السنة والفارق سواء زيادة أو نقصانًا، ويقسم مجموع السنوات الثلاث الأخيرة على ثلاثة ويستخرج منها المتوسط. ويقوم الأمين بكتابة مسودة لكل المعلومات التي يحصل عليها أثناء عملية التحرير مثل نوعية الأراضي، وأرباب الحرف والصناعات، وتجمع هذه المسودات التي حررها الأمناء والكتاب، ويكتب منها نسخة تسويد في إحدى الدفاتر ثم يليها التبييض، ويطلق على هذا الدفتر (تحرير دفتري، دفتر التحرير)، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول ويعرف باسم: مدخل (المدخل): وهذا يكتب عند الانتهاء من عملية التحرير حيث يكتب اسم الإيالة (أو الولاية) موضوع التحرير، واسم السلطان الذي تم في عهده، واسم الأمين والكاتب، وتاريخ التحرير، وهذا التاريخ لا يدل بالضرورة على تاريخ القيام بعمل الإحصاء أو التحرير، ولكنه ربما يكتب في إحدى مراحل التحرير قد تكون التحرير أو التسويد أو التبييض.

القسم الثاني ويعرف باسم: دفتر مجمل أو دفتر إجمال (الدفتر المجمل أو الإجمال): وهو عبارة عن دفتر يذكر فيه (قانون نامه القانون الأساسي) الذي تنظم الأمور المختلفة داخل المنطقة أو الولاية، ويوضح ما تفرضه الدولة في هذه المنطقة من المعاملات المالية والإدارية والقضائية، ونسب تحصيل الضرائب على مختلف السلع والبضائع، وتحديد رسوم المخالفات والجرائم، ثم يذكر فيه التشكيلات الإدارية وأسماء القرى ومقدار الحاصلات السنوية بصورة مختصرة.

القسم الثالث ويعرف باسم: (دفتر مفصل، الدفتر المفصل) ويذكر فيه كل ما يتعلق بالمنطقة بصورة أكثر تفصيلاً عما ذكر في المجمل، وبالإضافة إلى ما ذكر يسجل فيه أسماء السكان المكلفين بدفع الضرائب، وأصحاب الحرف والصناعات، وأسماء القبائل والعشائر إن وجدت، والإيرادات التفصيلية لكل صنعة أو حرفة، والعلماء، وتعداد السكان، وتحديد فيما إذا كانوا مسلمين أو

غير مسلمين، متزوجين أم غير متزوجين، وكتابة كل خيرات المنطقة من مياه جارية، وغابات وبحيرات ومرتفعات وغيرها من الخيرات[٣]. وبعدها يقوم (النيشانجي) بمراجعة دفاتر المفصل والإجمال وتصحيحها -إذا دعت الضرورة-، ثم توضع (طغراء) السلطان على نسخة من دفاتر المفصل وترسل للمنطقة أو الولاية المعنية، وتُكتب نسختان منها وهي لا تحمل الطغراء، تحفظ الأولى بقصر السلطان (سراي)[٤]، وتحفظ الثانية في (دفاتر خانة) مع دفاتر الإجمال ليتم الرجوع إليها عند الضرورة. وإذا دعت الحاجة إلى إجراء أية تعديلات على دفاتر التحرير الموجودة في (الدفتر خانة) فلا يقوم بذالك إلا (النيشانجي) وبعض كبار رجالات الدولة[٥].

أما المسؤول عن حفظ دفاتر التحرير المفصلة التي وضعت عليها الطغراء وأرسلت للولاية فكان يعرف باسم (دفتر كتخداسي: أي سكرتير أو وكيل الدفتر) الذي يهتم بأمور الزعامات، و(تيمار دفتر داري) الذي يتولى أمر التيمارات. وإذا دعت الحاجة إلى تكرار عملية التحرير فعندها يتوجه أمين الدفتر إلى المنطقة المعنية ومعه دفتر التحرير القديم الخاص بها، ويعتمد عليه في عملية التحرير الجديدة، وبعد الانتهاء من التحرير، فإن الدفتر الجديد يطلق عليه: دفتر جديد، والقديم يسمى: دفتر عتيق، وإذا تكرر التحرير لمرة ثالثة فالجديد يسمى: جديد، والثاني: يتحول إلى عتيق، والثالث: وهو العتيق سابقًا يسمى في هذا الحالة (كُهنة Kohne)[٦].

وعند إعادة عملية التحرير هذه المرة يقوم (بكلر بك / أمير الأمراء) بالإطلاع على الصكوك والسندات التي بحوزة جميع أصحاب الإقطاعات من زعامات وتيمارات وغيرها، ومراجعة دفتر التحرير الأخير للتأكد من صحة تلك السندات، ثم يسلم كل واحد منهم وثيقة تسمى (يافتة) يحدد فيها ما حصل عليه كل صاحب إقطاع[٧]. وعند الشروع في التحرير، يذهب أصحاب

الإقطاعات إلى الأمين ومعهم هذه الوثيقة (يافتة) ويطلب منه تسجيل اسمه مع أراضيه ورعاياه في الدفتر الجديد. وعند الإنتهاء من التحرير فإن الأراضي الزائدة تذهب للخزينة، وإذا ظهرت أراضي دون قيد بعد ذالك فإنه يطلق عليها اسم (خارج أز دفتر، أي خارجة عن القيد أو غير مسجلة في الدفتر)[٨].

وهذه الدفاتر كانت هي القيد الأساسي لأراضي الدولة لذلك كانت في حكم (طابو) أي السند العقاري، ومع مرور الزمن عرفت هذه الدفاتر باسم (طابو تحرير دفترلري أي دفاتر تحرير الطابو أو دفاتر الطابو) كما كانوا يعدون أنواعًا أخرى من الدفاتر تشبه دفاتر الإجمال، إلا أنها خاصة ببعض الأمور التي تحدث في المنطقة كحصول أحدهم على إقطاع معين مهما كان نوعه: خاص (زعامت - تيمار) ويشار في هذه الدفاتر إلى أنها خاصة بالترقيات (ترفيع) أو منح الإقطاعات، أو ما يقوم به (بكلر بك - أمير الأمراء) داخل ولايته، ويطلق على هذا النوع من الدفاتر اسم: (در دست، وروز نامجة[٩])، ومع مرور الزمن تغير اسمها إلى اسم دفاتر التحويل[١٠].

وكان هدف الحكومة العثمانية من عملية التحرير هذه تحديد مقدار الإيرادات المتوقع أن تأتي للخزينة، وهذه المعلومات هامة جدًّا بالنسبة للدولة، كما كانت تمنحها الفرصة لمكافأة المخلصين من رجالها بمنحهم إقطاعات أو أراض زراعية، ففي هذه الدفاتر كانت تقوم الدولة بتوزيع أنواع الخاص و(الزعامت) على أربابها، و(التيمار) على (السباهية). أما عن دخل الخزينة فقد كان هناك نوعان من الضرائب في الدولة العثمانية، هما: الرسوم الشرعية: وهي عبارة عن الضرائب الواجبة على المسلمين وغير المسلمين مثل الخراج والعُشر والزكاة والجزية؛ والرسوم العرفية: وهي تتمثل في بقية الضرائب العرفية التي تفرضها الدولة، نظير خدمات معينة وهي تعرف باسم: العوارض والتكاليف، وهناك أنواع كثيرة منها وهي تختلف من منطقة لأخرى. وتزودنا

هذه الدفاتر معلومات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية أثناء العهد العثماني، ويحتوي (أرشيف) رئاسة الوزراء Basbakanlik Devlet Arsivleri (BDA) باستنبول على مجموعة كبيرة من هذه الدفاتر يبلغ عددها ١٠٩٤ دفتراً، كما يوجد في «المديرية العام للطابو والمساحة Tapu ve Kadastro Genel Müdürlügü بأنقرة ١٤٥٠ دفتراً. وقد تم إعداد فهرس باللغة التركية الحديثة لدفاتر التحرير، يوضح رقم الدفتر وتاريخه وبعض المعلومات الواردة بشأنه، كما تم إعداد فهرس يوضح توزيع الدفاتر حسب أسماء الأماكن، إلا أنه لا يخلو من الأخطاء والنواقص(١١).

دفتر طابو تحرير رقم ٢٨٢: يعد دفتر الطابو رقم ٢٨٢ من أهم الدفاتر التي تتناول تاريخ أجزاء من منطقة الخليج العربي، فهو دفتر يقع في ٣٤٠ صفحة، وهو مكتوب بخط (شكسته(١٢) ديواني)، (وهو خط الديواني مكتوب بصورة سريعة)، وبحبر أسود اللون، والأرقام لم تكتب بخط (السياقت) كما هو مألوف، وإنما بأرقام أقرب ما تكون للفارسية.

ويتناول الدفتر ولاية البصرة والمناطق التابعة لها حيث أنه يشتمل على معلومات على غاية من الأهمية لا يوجد مثيل لها في بقية دفاتر (الطابو) التي تناولت ولاية البصرة(١٣)، حيث أن بقية الدفاتر لا تزودنا بنفس الكمية من المعلومات التفصيلية، إلا أنه مع شديد الأسف لم يحظ إلى الآن بالدراسة الكافية.

ويتكون الدفتر من الأجزاء التالية:

١- قانون (نامه) ولاية البصرة: وهو يبدأ من صفحة رقم ١ - ١١.

٢- دفتر الإجمال لولاية البصرة: يبدأ من صفحة ١٢ - ٢٤، ومنطقة القطيف تغطيها الصفحات من ٢٥ - ٢٨، وفي هذا الدفتر ذكر اسم أمير لواء (مير لواء) القطيف وهو مراد بك(١٤).

٣- الافتتاحية: وفيها ديباجة الافتتاحية في صفحة ٣٧، وهي صفحة هامة

لأنه يحدد فيها تاريخ القيام بتحرير هذا الدفتر وهو في عهد السلطان سليمان ابن سليم في أوائل شهر رجب سنة تسع وخمسين وتسع مئة (أواخر يونيو ١٥٥٢م) ولم يرد فيها اسم المحرر أو من قام بتحرير الدفتر.

٤- دفتر المفصل لولاية البصرة، ويبدأ من صفة ٣٨ ويشرع في الحديث عن نفس البصرة ويستمر حتى صفحة رقم ٢٨٩.

٥- (قانون نامه) لواء القطيف: وهذا يبدأ من الصفحة رقم ٢٩٠ وحتى نهاية الدفتر في صفحة ٣٤٠.

الحواشي:

(١) Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri Sozlügü, cilt 3 (Istanbul, 1983) s. 376.

(٢) وأقدم من وصل إلينا من بين أولئك الكتبة هو تيمور تاش بك، الذي قام بتحرير قضاء أنقرة في عصر السلطان مراد الأول (١٣٦٢- ١٣٨٩) لمزيد من المعلومات انظر: نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ترجمة صالح سعداوي، عمان، ١٩٨٦، ص ٣٣٠.

(٣) Atilla Çetin, Basbakanlik Arsive Kilavuzu (Istanbul, 1979) s. 84.

(٤) Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri, c. 3, s. 376.

(٥) نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٦) Atilla Çetin, Basbakanlik Arsivi Kilavuzu, s. 84. كُهنه: كلمة فارسية الأصل بمعنى قديم أو انتهى عصره. انظر: شمس الدين سامي، قاموس تركي (استانبول، ١٣١٧)، ص ١٢٢٠.

(٧) Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri, c. 3, s. 599.

(٨) نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف العثماني، ص ٣٣٣.

(٩) دردست: كلمة فارسية الأصل بمعنى الموجود باليد، الإمساك. وروزنامجة: وهي مكونة من كلمتين هما روز: يوم أو نهار، ونامه: كتاب أو رسالة؛ أما روزنامجة: وهو دفتر مخصص للحوادث أو المصاريف اليومية. انظر شمس الدين سامي «قاموس تركي» ص ٦٧٣، ٦٧٤.

(١٠) نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، الأرشيف الثعماني، ص ٣٣٣. Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarih Deyimleri ve Terimleri, c. 3, s 376.

(١١) Atilla Çetin, Basbakanlik Arsivi Kilavuzu, s 84.

(١٢) شكستة: كلمة فارسية الأصل، وتعني مكسور.

(١٣) هذه أرقام الدفاتر التي تناولت ولاية البصرة: ٢٨٢، ٣١٣، ٥٣٤، ١٠٢٢.

(١٤) طابو تحرير دفتري ٢٨٢، ص ٢٥.

المُشكل من شعر المتنبي

- دوافعه وأنواعه -

أريد أن أضع بين يدي القارئ الكريم - تنبيهًا واحتراسًا - جملة من المقدمات قبل الدخول في صلب هذا البحث، وهي:

أولاً: أنني قديم العناية بالمتنبي وشعره، وتشرفت بنشر عدد من شروح ذالك الشعر، التي تدور في معظمها على مشكلات شعره وغوامضه، وقد دفعنا ذالك إلى دراسة ظاهرة الغموض في شعره، منذ نشرت كتابي الأول وهو «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي لابن جني»، وفي مقدمتي لذالك الكتاب ذكرتُ بشكل موجز، الفكرة الأساسية التي يدور حولها هذا البحث، وهو أن الشاعر يتعمد الغموض ويقصد إليها قصداً، ثم توسعت في ذالك البحث بعد نشري لكتابَيْ ابن فورجة وكتاب ابن القطاع الصقلي، أي أنني كلما نشرت كتابًا من هذه الكتب، التي تدور حول مشكلات شعر المتنبي، زادت فكرة البحث وضوحًا، وكثرت شواهده وأدلته، فدفعني ذالك إلى إعادة النظر فيه، والتوسع في عرض فكرته وشواهدها.

ثانيًا: إن هذا البحث في أصل وضعه، فصل من كتاب لي عن المتنبي، ما زال مخطوطًا، ولا أعلم متى يأذن الله بنشره، وكنت اعتزمت حذفه، قبل أن أناقش رسالة (للدكتوراه) عن (الغموض في الشعر العباسي) لباحث نابه ممتاز، ولكنني رأيت بعد المناقشة أن طريقه غير طريقي، وأن المشترك بيننا قليل، وهو مما سبقت إليه في مقدمات ما حققت من شروح المتنبي.

ثالثًا: إن الغموض في شعر المتنبي، مسألة مفروغ منها، لا تحتمل جدلاً ولا إنكارًا، وقد أشار إليها القدماء صراحة، وكثرت تآليفهم فيها، وأحسب أن العنوانات الآتية لا تترك مجالاً لمستريب، وهي واضحة الدلالة على ما نقول:

١ - «الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي» لابن جني.

٢- «شرح مشكلات ديوان المتنبي» لابن فورجة.

٣- «شرح المشكل من شعر المتنبي» لابن القطاع.

٤- «الواضح في مشكلات شعر المتنبي» للأصفهاني.

٥- «سرقات المتنبي ومشكل معانيه» لابن بسام.

هذه الكتب المطبوعة، أمّا المخطوطة فأضعاف ذالك.

والمُشكل من الشعر غامضة، على اختلاف بواعث هذا الغموض وصوره وأشكاله، وهو ما قد يقع فيه الاختلاف بين الباحثين.

وقد يظن أحدٌ أن القدماء لم يذكروا لفظة (الغموض)، أو لم يقصدوا هذا المعنى، بمصطلح المشكل والمشكلات، وهو ظن مستبعد، فقد قال ابن فورجة: (..أن اتتبع شعر أبي الطيب فاستخرج منه الأبيات الغامضة)[١]، وقال ابن القطاع: (وهذا مجموع من شعر المتنبي وغوامضه)[٢].

رابعًا: إن القول بالغموض في شعر المتنبي، لا يحط من منزلة الشاعر ولا يقدح في عظمته الشعرية، ولا ينكر شيئا من عبقريته ونبوغه، وليس كل من ألف في مشكلاته من خصومه ومبغضيه، بل إن معظمهم من تلامذته والمعجبين به، وممن لا يعدلون به شاعراً سواه، كابن جني وابن فورجة وابن القطاع وأبي المرشد المعري، بل قُل إن حبهم له وإعجابهم به، هو الذي دفعهم إلى دراسة مشكلات شعره، وكشفها وجلائها للناس.

وإذا كان الغموض عيبًا من عيوب الشعر، لقصور لغة الشاعر عن التعبير عما يريده من دقيق المعاني، وهو ما ينطبق على أوساط الشعراء وصغارهم، فإن ذالك لا ينطبق على الشعراء العظام، ممن يمتلكون اللغة امتلاكًا كاملاً، كالفرزدق وأبي تمام والمتنبي، ولولا ذالك لما حققوا هذه الشهرة المدوية، ولما أجمعت الأمة على الإعجاب بهم وبشعرهم أي أن هاؤلاء الشعراء العظام، لم يقع الغموض في أشعارهم، لقصور في لغتهم، ولضعف في صنعة الشعر عندهم، وإنما تعمدوه تعمداً، إشغالاً للناس، وطلبًا للشهرة، والحضور الدائم

في حلقات الدرس ومجالس الأدب، وهي لعبة لا يلعبها إلاّ الشعراء الكبار، بعد اطمئنانهم إلى استفاضة شهرتهم، وكثرة المعجبين بهم، ولو حاولها أحدهم أول قوله للشعر في صدر شبابه، وفي باكورة محاولاته الشعرية الأولى، لمات شعره، ولما التفت إليه أحد من الناس.

وأول من تنبه لهذه اللعبة، ولعبها مع علماء النحو واللغة، فشغلهم به وجذبهم إليه، وحقق لنفسه شهرة مضافة في مجالسهم، وحلقات درسهم، هو الفرزدق، وقد أشار ابن سلام إلى ذالك بقوله: (وكان الفرزدق يداخل الكلام، وكان ذالك يعجب أصحاب النحو)[٣]. ثم ذكر نماذج من شعره في هذا، وقال: إن الشعراء قلدوا الفرزدق في أبياته الغلقة الغامضة، ونسجوا على منواله فيها[٤]. ويبدو أن قسماً من الشعراء فهموا هدف هذه اللعبة، وعرفوا أسرارها، فمارسوها على تفاوت حظوظهم في هذا، ويدل على ذالك قول من سأل السيد الحميري: (مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تُسأل عنه كما يفعل الشعراء؟)[٥].

وإذا كان العلماء قد شغلوا بغوامض شعر الفرزدق لحاجتهم إلى الاستشهاد به في مباحث اللغة والنحو، وليس لسبب فني، أو لدراسة نقدية، وانّهم أعرضوا عن غوامض ما يقع في شعر هذا الشاعر أو ذاك من العباسيين، لعدم حاجتهم إلى الشواهد من أشعارهم، ولعدم شهرة أولئك الشعراء، فأنّى لهم أن يتجاهلوا ما يقع من ذالك في شعر نوابغ الشعراء الكبار، كأبي تمام والمتنبي.

وقد حظي أبو تمام بكتاب واحد، استقل بدراسة مشكلات شعره وغوامضه، وهو كتاب «شرح مشكل أبيات أبي تمام المفردة» لأبي علي المرزوقي[٦].

أما المتنبي، الذي بلغت تلك اللعبة أوجها على يديه، فقد حظي بما لم يحظ به شاعر قبله أو بعده، حتى بلغت شروحه مئة شرح أو تزيد، كما ذكر ذالك ابن خلكان وابن النديم وحاجي خليفة[٧]، ما بين مطولات ومختصرات ومطبوع ومخطوط (ولم يُفعل هذا بديوان غيره)[٨].

وإذا علمت أن الشروح الكبيرة للديوان بكامله لا تتجاوز العشرة، وأن القسم الأعظم منها كان شرحًا وتفسيرًا لأبيات المعاني الغامضة من شعره، وهي لا تتجاوز المئة بيت على الأكثر، أيقنت معي أن المتنبي حقق لنفسه من الشهرة العريضة بتلك الأبيات الغامضة أضعاف ما حققه بالمئات من أبياته الواضحة الحسان.

وليس تعمد المتنبي للغموض طلبًا للشهرة، ظنًّا نظنه كابن فورجة (وأظنه كان يتعمد ذالك)[9] وإنما هو حقيقة واقعة، صحت عليها الشواهد، وقامت عليها البينات.

وإذا كان بعض الشعراء قد أخفى غرضه من ذالك، فإن أبا الطيب صرح بذالك وكشفه، بما لا مزيد عليه من الغموض، في نص نادر يذكره ابن جني عن علي بن حمزة البصري، صديق المتنبي وراويته، ورفيق سفره إلى بلاد العجم، فقد ذكر أنه حضر المتنبي وهو ينشد قصيدته التي مطلعها:

مغاني الشعب طيبًا في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان

بين يدي عضد الدولة، حتى إذا أنشد بيته منها:

وكان ابنا عدوٍ كاثراه ... له ياءي حروف أنيسيان

ورأى وجوم الناس عند سماعه، وحيرتهم في فهمه، التفت لعلي بن حمزة قائلاً: (أتظن هذا الشعر لهاؤلاء الممدوحين، هاؤلاء يكفيهم اليسير، وإنما أعمله لك لتستحسنه، أي لك ولأمثالك)[10].

والذي ذكره أبو الطيب صحيح لا شك فيه، وهو يعلم أن الممدوح لا يهمه من قصيدة الشاعر إلا أبياتها في مديحه والإشادة به، وليس معنيًا بفهم ما ليس له علاقة به من مقدماتها وخواتمها، وما حوته من بديع الصور وكريم النسج، والغالب أن جمهرة المستمعين وعامة الناس، على هذا، يفهمون من القصيدة ما وضح من أبياتها، ويعرضون عمّا لا يفهمونه منها، سيما وأن سرعة إنشاد

الشاعر لا تتيح للسامعين الوقوف على دقائق معنى كل بيت من أبيات القصيدة.

ولكن تلك القصيدة ستكون في اليوم التالي دون ريب موضع دراسة متأنية لكل بيت من أبياتها، من قبل الأدباء والمتأدبين، والعلماء وتلامذتهم، فيظهر لهم ما فيها من جمال وروعة، وابتكار وتجديد، وغموض وإبهام، فيطول بذالك درسهم وجدالهم، ويسهرون ويختصمون، ويجدون لذة في اختبار مهاراتهم العقلية والعلمية، ويجد المتنبي أضعاف ذالك، من لذة التفوق والشهرة والمباهاة والغرور، وقد صرح بذالك ولم يكتمه:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جرّاها ويختصمُ

وهذا البيت لا يمثل أمنية للمتنبي، كان يرجو تحققها في مقتبل الأيام، وإنما هو تصوير لما كان يقع له فعلاً في حياته، وهو حي يرزق، من انشغال العلماء والأدباء ومجالس الدرس بشعره ومشكلاته، ومن أجل ذالك كان حريصًا أن يوفر لهم في كل قصيدة من قصائده مادة صالحة للدرس والخصومة والاختلاف، ولو نظرت إلى أصدقاء المتنبي وتلامذته لوجدتهم جميعًا من علماء اللغة والنحو، كابن جني وأبي بكر الخوارزمي وعلي بن حمزة البصري ولهاؤلاء وأمثالهم، كان المتنبي ينظم مثل هذه الأبيات الغامضة، كما كان الفرزدق يفعل من قبل مع علماء النحو واللغة، ويبدو أن ذالك كان يعجب أولئك العلماء ويسرهم، ويرضي غرورهم العلمي، ويتيح لهم إظهار قدراتهم العقلية والعلمية، وقد عاب الوحيد الأزدي على ابن جني إعجابه بمثل هذه الأبيات المشكلة الغامضة: (وإنما يروق صاحب الكتاب - أي ابن جني صاحب «الفسر» - أبيات محوجة إلى التفسير، عنده أنها من أعلى الشعر، وليس كذالك)(١١).

ولم تكن ثقافة المتنبي سببًا في غموض معانيه، إذ أننا لا نجد مثل هذا الغموض في شعر مَنْ هم أعلى منه ثقافة وأغزر علمًا كابن المعتز والشريف الرضي.

ولم يكن ذالك بسبب رغبته في الابتكار والتجديد، إذ أننا لا نجد مثل هذا الغموض في شعر شعراء شهروا بالاختراع والتجديد كابن الرومي مثلاً، فضلاً عن أن كثيراً من أبياته الغامضة، ليست من الجديد المبتكر، والبديع المخترع.

ولا نعتقد أيضاً أن ضيق مساحة البيت وقيد القافية الواحدة، دفعه إلى ذالك، وكيف يكون هذا وقد قال ما قاله من روائع الشعر وفرائده في ظل هذا النظام وقواعده.

بل كيف يكون ذالك، وهو سيد البيت المفرد في العربية، الذي لا يضارعه شاعر آخر في حكمه وأمثاله، وهي أبيات مفردات، أو أنصاف أبيات، تحمل تجربة مكثفة المعنى، وافرة الدلالة، قد يؤديها غيره من الشعراء بأبيات كثيرة، وهي نموذج رائع لتركيز خلاصة التجربة الثرة في بيت واحد أو بنصف بيت.

والابهام والإيهام والتعقيد مؤدية إلى الغموض، سواءٌ أكان ذالك عن طريق استعمال الألفاظ المهجورة الوحشية، أو المشتركة المعاني، أو عن طريق التعسف في تركيب الجمل بالحذف والاعتراض والتقديم والتأخير، والفصل البعيد بين ما يقبح الفصل فيه، وكثرة الضمائر وما تعود عليها، أو عن طريق التشبيهات الغريبة التي يخفي وجه الشبه بها على السامع أو عن طريق الاستعارات البعيدة المفتقرة إلى القرائن الواضحة الدلالة، فيما لم يألفه الناس من المعاني والصور.

ونحن ذاكرون لك إن شاء الله أقوال العلماء في هذا، والشواهد الدالة عليه: (قال علي بن عيسى الرماني: أسباب الإشكال ثلاثة: التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه، وسلوك الطريق الأبعد، وإيقاع المشترك... وإذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لا تخرج عن هذه الأسباب الثلاثة)(١٢).

وقال ابن سنان: (فأمّا الذي يُسأل عن معناه ويفكر في فهمه، كالأبيات التي من شعر أبي الطيب، وسمّاها الصاحب رُقيّ العقارب، والناس إلى اليوم مختلفون في معاني بعضها، وكلٌّ يذهب إلى فنٍ، ويسبق خاطره إلى غرض)(١٣).

وقال الثعالبي: (واستكراه اللفظ، وتعقيد المعنى، أحد مراكبه الخشنة التي يتسنمها ويأخذ عليها في الطرق الوعرة، فَيَضل ويُضل ويَتعب ويُتعب، ولا ينجح)[١٤]، وقال الوحيد الأزدي: (ولكن المتنبي أتى لأهل هذا الزمان بالغريب الوحشي، وكمّن المعاني وأغلقها)[١٥].

ولا شك أن اللفظة المفردة الوحشية المهجورة، قد تسبب غموض البيت كله، ومن ذالك قوله:

مَنْ وجدَ المذهب عن قدره لم يجد المذهبَ عن قنسهِ

والقنس: الأصل، قال الوحيد: (هذا البيت جيد المعنى صحيحه، إلا أن قافيته تحتاج إلى تفسير)[١٦].

وقوله:

غَلِتَ الذي حسب العشور بآيةٍ ترتيلك السورات من آياتها

قال الوحيد: (والغلت والغلط واحد، وهما لغتان، أبدل قوم التاءَ طاءً لقرب مخرجهما، والمتنبي كان يحب الإغراب ليعلم الناس أنه لغوي، ولزوم المشهور إذا كان حسنًا أفضل في النظم والنثر)[١٧].

ومنه قوله:

وما أرضى لمقلته بحلمٍ إذا انتبهت توهمه ابتشاكا

قال الثعالبي: (والابتشاك: الكذب، ولم أسمع فيه شعراً قديمًا ولا محدثًا، سوى هذا البيت)[١٨].

ومن وجوه التعقيد المعاظلة في مختلف صورها وأشكالها، كتكرار الكلمة الواحدة بحروفها في مثل قوله:

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس ولكن في الشمس كالاشراق.

قال أبو هلال: (على أن حقيقة معنى هذا البيت لا يوقف عليها)[١٩].

وقوله:

كيف ترثي التي ترى كل جفن   راءها غير جفنها غير راقي

قال ابن الأثير: (وهذا وأمثاله إنما يُعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الأيام)[٢٠].

ومن المعاظلة أيضًا أن ترد الألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضًا، كقوله:

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد   زدهش بش تفضل أدن سر صلِ

ومن وسائله التقديم والتأخير في تركيب الكلام، كقوله:

أنّى يكون أبا البرية آدم   وأبوك والثقلان أنت محمد

قال ابن فورجة: (في اللفظ تقديم وتأخير، وتقديره كيف يكون أبا البرية آدم، وأبوك محمد، وأنت الثقلان)[٢١].

وقوله:

بحب قاتلتي والشيب تغذيتي   هواي طفلاً وشيبي بالغ الحلم

والتقدير: بهواي طفلاً وبشيبي بالغ الحلم تغذيتي.

ومن وسائله: الفصل البعيد بين ما يقبح الفصل بينهما كالمبتدأ والخبر، والمضاف والمضاف إليه، والضمير وصاحبه. ومن ذالك قوله:

وإذا السحاب أخو غراب فراقهم   جعل الصياح ببيتهم أن يمطرا

فالسحاب مبتدأ، وجملة (جعل الصياح) خبر له، وفصل بينهما بالنعت (أخو غراب فراقهم).

ومن الفصل بين المضاف والمضاف إليه قوله:

حملتُ إليه من لساني حديقة   سقاها الحجى سقي الرياض السحائب

والتقدير: سقي السحائب الرياض.

ومن فصله الطويل بين الضمير وصاحبه، قوله:

قد بلّغوا بقناهم فوق طاقته   وليس يبلغ ما فيهم من الهمم

في الجاهليــــة إلاّ أن أنفســهـــم		من طيبهن به في الأشهر الحـرم

فالضمير في (به) في عجز البيت الثاني، يعود على (قناهم) في صدر البيت الأول.

ومن وسائله أيضاً الإلغاز، للتعمية والتضليل، ومن ذالك قوله:

لا ناقتي تقبـل الرديـف ولا		بالسوط يوم الرهان أجهدها

شراكهـا كورهـا ومشفرهـا		زمامهـا والشســوع مقودهـا

وقد ألغز بهذا عن نعله.

ومن التعمية قوله:

لســاني وعينـي والفــؤاد وهمتــي		أود اللواتي ذا اسمها منك والشطر

قال ابن فورجة: (فهذا من الجنس الذي عرفتك أول الكتاب، إن غرضه فيه التعمية فقط، وإلا فما الفائدة في هذا البيت مع ما فيه من الاضطراب وركوب المجاز)[٢٢].

وقد ذكر الوحيد الأزدي عيوب شعر المتنبي بقوله: (قليل التنقيح للكلام، يأتي كثيراً بأقفاء الإعراب ويترك وجوهه، ويستعمل الرذل من اللغة، ويدع الفصحى، ويدخل الغريب الوحشي في شعره، ويغمض المعاني بنقصان العبارة، إغماضاً يحوج إلى الشرح الطويل، وهو عيب فاحش)[٢٣].

ودلل على ذالك بقول المتنبي:

فتبيت تسئد مسئداً في نيّها		إسآدها في المهمهِ الإنضاءُ

وعلق عليه قائلاً: (هذا مما قدمته في ذكره من اغلاق المعنى وإظلام الكلام، والاحواج إلى الإفهام عنه)[٢٤].

وقال أبو هلال: (ولا أعرف أحداً كان يتتبع العيوب فيأتيها غير مكترث إلا المتنبي، فإنّه ضمن شعره جميع عيوب الكلام، ما أعدمه شيئاً منها، مثل:

ويسعدني في غمرة بعد غمرة سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ

فأتى من الاستكراه بما لا يطار غرابه)[٢٥].

ومن إكثاره من الضمائر في البيت الواحد، وخفاء عائديتها، قوله:

ذم الزمــانُ إليــه مِــن أحبتــه ماذمّ من بدره في حمد أحمده

قــال أبو الفــتح: الضــمــيــر في (إليــه) عــائد على العــاشق، وفي (بدره) (وأحمده) عائد على الزمان، والفاعل المضمر في ذم الثانية عائد على العاشق.

وفسـره الواحدي بقوله: إن الزمان ذمّ إلى المتنبي من أحبة المتنبي، لأنهم يجـفــونه، مــا ذمّ الزمــان في بدره، يعني القــمــر في حــمــد أحــمــده، يعني الممدوح[٢٦].

والحذف إحدى وسائله، المعقدة لمعانيه، المتعبة لقرائه، ومن أمثلة ذالك قوله:

وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر شغلته مهجته عن الإخوان

قال ابن القطاع: (هذا البيت من معانيه الغامضة، وذالك أنه في مدح سيف الدولة، وظاهره هجاء محض، لأنه يقول شغلت سيف الدولة مهجته عن اخوانه، وهذا غاية الهجو، لأن العرب تمدح الرئيس بقتاله عن أصحابه، وبذل مهجته دونهم، وقد قال: إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان، فحذف الجار)[٢٧].

ومن وسائله المعروفة أيضاً، استعماله للمشترك من الألفاظ، الذي يحمل أكثر من معنى واحد، ومن ذالك قوله:

بقائي شاء ليس هم ارتحالا وحسن الصبر زمّوا لا الجمالا

فكلمة (شاء) تأتي بمعنى السبق، أي بقائي سبق ارتحالهم، وتأتي بمعنى أراد من المشيئة، وهي الإرادة[٢٨].

ومن وسائل تعقيده لشعره، وتعميته، استعماله لغير المعروف المشهور من

الأسماء، والصفات وألفاظ العوام، وهي وإن كانت معروفة في بلد ما، فإنها مجهولة على الأغلب عند سامعي شعره في البلاد الأخرى، ومن ذالك قوله:

ومن عذب الرضاب إذا أنخنا   يُقبّل رحل (تُروكَ) والوراكا

وتُرْوَكُ هذه اسم ناقة كانت لعضد الدولة، فإذا كان أهل شيراز يعرفون هذا الاسم، ولا يجدون صعوبة في فهمه، فكيف يتاح مثل هذا لسامعي شعر المتنبي في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب؟ ومن ذالك قوله أيضاً:

خلوفيــة فــي خلو فيهــا   سويداء من عنب الثعلب

وعنب الثعلب من ألفاظ العوام، وهي إن دلت على مسمى واضح في بلد ما، فإنها قد لا تدل على المسمى نفسه في بلاد أخرى، بل قد تكون له أسماء عامية غيرها. ومثل ذالك قوله:

فكأنما حسب الأسنة حلوة   أو ظنّهــا البرنــي والآزاذا

والبرني والآزاذ اسمان عاميان لنوعين من التمور، قد لا تكون مفهومة تماماً في غير البلاد المشهورة بكثرة النخل وأنواع التمور.

ومن وسائله في التعقيد، استعماله لمصطلحات الكلام والفلسفة والتصوف والنحو وما يشبهها، وهي مصطلحات قد لا يفهمها غير المشتغلين بها من أهلها، وتخفى معانيها ومدلولاتها على عامة الناس.

ولكل نوع من هذه الأنواع التي ذكرناها، عشرات من الشواهد في شعره، ولم نذكر منها إلاّ نماذج قليلة، لإثبات ما نقول، على سبيل التمثل والاختصار، وليس على سبيل الإحاطة والاستقصاء.

وإلاّ، هل سمعت بشاعرٍ، قبل المتنبي أو بعده، وُضِعَ على شعره أكثر من مئة شرح، وهل سمعت بشاعرٍ غيره، قال بيتاً، احتار في تفسيره وبيانه خمسة من كبار أئمة العربية ومشاهيرهم، كمثل قوله:

وتقلدتُ شامةً في نداه جلدها منفساته وعتادُه

قال ابن جني: (أي تقلدت من هذا السيف، في جملة نداه، وما أعطانيه كالشامة، المخالفة لسائر الجلد، وجعل ما يلي هذا السيف من نداه، وحبائه، كالجلد، التي تلوح الشامة فيه، ومنفساته، جمع منفس، وهو الشيء النفيس، فلذالك استعار له لفظ الجلد، لمّا ذكر الشامة)[٢٩].

وقد نقل العكبري هذا الشرح عن أبي الفتح (٢ / ٥١) وكذالك فعل الواحدي (٧٤٥)، وقال بعد ذكره لآراء وتفسيرات أبي العلاء المعري، وأبي الفضل العروضي، وابن فورّجة: (هاؤلاء الذين حكينا كلامهم كانوا أئمة عصرهم، ولم يكشفوا عن معنى البيت، ولا بيّنوه بيانًا، يقف عليه المتأمل، ويقضي بالصواب)[٣٠].

جامعة بغداد - كلية الآداب: د. محسن غياض عجيل

الحواشي:

(١) مقدمة ابن فورجة لكتابه «شرح مشكلات المتنبي»، مجلة «المورد» ١٩٧٣.

(٢) «شرح ابن القطاع» مجلة «المورد» ١٩٧٧. (٣) «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام ١ / ٣٦٤.

(٤) «الموشح» للمرزباني ١٨٦. (٥) «الأغاني» ٧ / ٢٣٩.

(٦) حققه ونشره ببيروت سنة ١٩٨٧ د. خلف رشيد نعمان.

(٧) «وفيات الأعيان» ١ / ١٠٢ و«الفهرست» ٨٧ و«كشف الظنون» ٢ / ١٢٣٣.

(٨) «وفيات الأعيان» ١ / ١٠٢. (٩) «مقدمة كتاب ابن فورجة». (١٠) «الفتح الوهبي» ١٨٢.

(١١) «الفسر» ١ / ٢٣. (١٢) «العمدة» ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧. (١٣) «سر الفصاحة» ٢٦٨.

(١٤) «يتيمة الدهر» ١ / ١٦٩. (١٥) «الفسر» ٢ / ٨١. (١٦) «الفسر» (مخطوط ٥٩٨).

(١٧) «الفسر» ٢ / ١٨٤. (١٨) «يتيمة الدهر» ١ / ١٧٤. (١٩) «الصناعتين» ٣٦٧.

(٢٠) «المثل السائر» ١ / ٤٠٢. (٢١) «شرح المشكلات» لابن فورجة ٩٣. (٢٢) نفسه، ١١٢.

(٢٣) «الفسر» ١ / ٢٣. (٢٤) «الفسر» ١ / ٧٨. (٢٥) «الصناعتين» ١٦٠.

(٢٦) «شرح العكبري» ٢ / ٨٠. (٢٧) نفسه، ٤ / ١٨٣. (٢٨) نفسه، ٣ / ٢٢١.

(٢٩) «الفتح الوهبي» ٦٣. (٣٠) الواحدي، ٧٤٥.

«مَن اسمه عمرو من الشعراء»
بين نشرتين

(١)

يُعْدُّ كتاب «مَنْ اسمه عَمْرو من الشعراء» أشهر كتب محمد بن داود بن الجراح، بعد كتابه «الورقة»[١]، ويكمن ذالك في ترجمته لأكثر من مئتي شاعر، ممن سموا بـ(عمرو)، من مُضَر وربيعة ثم اليمن؛ من العصر الجاهلي، حتى سنة ٢٩٥هـ، أي قبل مقتله بنحو شهرين ومن المؤكد انّ هذا العدد الذي جمعه ابن الجراح لأولئك الشعراء، ليس نهائيًّا، ولكنه ما وصل إليه علمه[٢].

وللكتاب نسخة خطية فريدة في (مكتبة الفاتح باستانبول) رقم ٥٣٠٦،٢، ضمن مجموع في خمسة كتب، يأتي الكتاب ثانيًا، ويشغل الورقة ٢٤ إلى ٧٢، بخط يوسف بن لؤلؤ بن عبدالله.

ولأهمية الكتاب - على صغر حجمه - حاول عدد من المحققين، من العرب والمستشرقين، القيام بتحقيقه ونشره، فظهرت - لذالك - ست محاولات، وهي:

الأولى: محاولة المستشرق (بروي) نشره، فصدر عن منشورات الجمعية العلمية في فيينا ولايبزك، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، مع كتاب «المكاثرة عند المذاكرة» للطيالسي، الذي حققه المستشرق (رودلف جاير) إلا ان عمل بروي كان ناقصًا ومخلاً، ويدل على جهل فاضح بالعربية، فامتلأت نشرته بالتصحيف والتحريف والاجتهادات المضحكة.

الثانية: قام المستشرق الانجليزي (فريتس كرنكو - سالم الكرنكوي) بنسخ مخطوطة الكتاب، والتعليق عليها، مع بعض الملاحظات في الحواشي،

تمهيداً لتحقيق الكتاب ونشره، إلا أنه لم يفعل ذالك. وتوجد مخطوطته في دار الكتب المصرية، برقم ١٣٥٢٦ز.

الثالثة: كان المرحوم العلامة الشيخ محمود محمد شاكر قد نسخ مخطوطة الكتاب - أيضًا - أملاً بتحقيقه ونشره. ولم يحدث هذا الأمر(٣).

الرابعة: حقق الشيخ حمد الجاسر - حفظه الله - نحو نصف الكتاب، مُقَدّمًا له بدراسة علمية للكتاب والمؤلف، وذالك في مجلة «العرب»، مج ٤، رمضان - شوال ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م - ١٩٧٠م. وتوقف عن اكمال التحقيق والنشر، لأنَّه بلغه انَّ أحد المستشرقين نشره كاملاً.

الخامسة: تحقيق الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع - أعزه الله - وصدر عن مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، في ٢٩٤ صحيفة + ٣٦ صحيفة للمقدمة. وهو أول تحقيق علمي كامل رائد له.

السادسة: تحقيق المرحوم د. محسن غياض ود. مصطفى عبداللطيف جياووك، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٩م - [١٤٢٠هـ]، ط١، في ١٥٧ صحيفة.

قال عباس الجراخ: من القضايا المؤسفة التي تجابه الكتب المحققة، تكرار ظهور تحقيقات مختلفة لكتاب واحد، وفي سنوات متقاربة، ويزيد الأمر سوءاً أن التحقيق يقوم على المخطوطة - أو المخطوطات - نفسها، فلا يعلم هذا المحقق بما يقوم به آخر غيره، وذالك لضعف الاتصال - بل انعدامه - بين مؤسسات الوطن العربي، فضلاً عن بعثرة الجهود وتضييع المال، وتشتت أذهان القراء والدارسين في متابعتهم لهذه الكتب والاصدارات المتعددة.

ويبدو أن عملية تكرار تحقيق كتاب واحد لا تنتهي، فإذا كان المحققون والدارسون قد عرفوا تحقيق د. المانع، ورجعوا إليه في تخريجاتهم ودراساتهم،

كونه عملاً علميًّا متكاملاً، فانهم فوجؤوا، بالنشرة البغدادية، التي حققها إثنان من الأساتذة العراقيين، اللذين لهما خبرة في التحقيق والدراسة والنشر.

ونحن هنا لا نريد أن نغمط حقهما بعد أن خدما الكتاب، وبذلا جهودًا ملحوظة في تحقيقه، ولكن العتب على دار النشر التي أخَّرت نشره نحو ثماني سنوات، مما أحدث بونًا واسعًا مع سنة طبع النشرة القاهرية، ولاسيما أن النشرة البغدادية مذيلة في رمضان ١٤١١هـ - ١٩٩١م، في المقدمة!!

وأنا أجزم أنّ محققي هذه النشرة، لو كانا يعلمان بتحقيق د. المانع، لما جشّما نفسيهما تحقيق هذا الكتاب، بل لانصرفا إلى جهود أخرى غيره.

وأذكر أنَّ المرحوم د. محسن غياض كان قد حدثني - والألم يعتصره - عن تأخر صدور تحقيقه للكتاب، إذ لم يظهر إلا بعد وفاته بشهرين، وأنه عَلِم بنشرة د. المانع بعد تقديم الكتاب للطبع.

وتبقى نشرة د. المانع هي الأسبق، كونها - فضلاً عن سنة الطبع ١٩٩١ - قد ذُيلت مقدمتها بسنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

والآن، ما قيمة هاتين النشرتين، وما ميزة كل واحدة عن الأخرى؟

إنَّ الإجابة عن هذا تتضح في الفقِر الآتية:

أولاً: المقدمة:

في النشرة البغدادية عقد المحققان مقدمة، شملت الصفحات ٩- ٢٤ تحدثا فيها عن: المؤلف، مؤلفاته، شعره، ثم: الكتاب، اسمه، مخطوطاته، نشراته، موضوعه ومنهجه، مصادره ورواته، قيمته ومن نقل عنه، ثم: عملهما في الكتاب.

أما نشرة د. المانع فقد اقتصرت على ثلاث صفحات (٥- ٧)، أشار فيها

إلى جهود من سبقه في تحقيق الكتاب ونشره، وأتبع ذالك بنص (المقدمة) التي دبَّجها العلامة الشيخ حمد الجاسر، في تحقيقه - الناقص - للكتاب، المنشور في «العرب»، (ص ٩- ٢٢).

ويلاحظ ما يأتي:

١- أثبت المحققان العراقيان صورتي الصفحة الأولى من عنوان المخطوطة التركية، والأخيرة من نسخة كرنكو، أما د. المانع فأثبت أربع صفحات من النسخة التركية فقط، أولاها صفحة عنوان المجموع المخطوط.

مع العلم أن محققي النشرة البغدادية لم يحصلا على المخطوطة التركية مباشرة، بل على صورة منها، محفوظة في مجمع اللغة العربية بدمشق برقم (٥٣٠٣).

٢- ورد في النشرة البغدادية: (أنّ المستشرق الشهير الأستاذ رودلف جاير هو أول من نشر الكتاب في فيينا سنة ١٩٢٧م) ص ١٤.

والصحيح: أنه الأستاذ (بروي). وهو أمر لما يعلما به، كما لم يعلما بنسخة الشيخ محمود محمد شاكر.

٣- إذا كان د. المانع قد أثبت مقدمة الشيخ الجاسر برمتها، فان المحققين العراقيين استفادا منها كثيراً، وأكدا أنهما اعتمدا (على كثير مما ذكره أستاذنا الجاسر مع الإشارة إليه في مواضعه إن شاء الله) ص٩، فمقدمتهما أتكأت - إلى حد بعيد - على مقدمة الشيخ الجاسر ولكنهما زادا مبحثًا مهمًّا هو (قيمة الكتاب ومن نقل عنه) ص ٢٠- ٢٣.

٤- كانت أرقام النشرة البغدادية متصلة مع أرقام النص المحقق، أما نشرة د. المانع فقد أفردت بأرقام مخصوصة، وهو عمل علمي صحيح.

ثانيًا: النص المحقق:

اهتم محققو النشرتين القاهرية والبغدادية بإيراد النص كاملاً، مع إضاءته وتبيانه بالحواشي والتخريجات العلمية والتراجم. ويُلاحظ - في ضوء ذالك - ما يأتي:

١- ضَبَطَ د. المانع الكتاب جميعه - شعراً ونثراً - بالشكل التام، أما النشرة البغدادية فقد اكتفت بضبط مواضع قليلة - خاصة في الشعر - لأمنِ اللَّبْس.

٢- وَضَعَ د. المانع أرقام صفحات المخطوطة، مع النص في الجهة اليسرى، في حين أهملت النشرة البغدادية هذا الأمر العلمي المهم.

٣- قَارَنَ د. المانع النص مع نشرة (بروي)، وبيّن أوهامها، ولم يفعل المحققان العراقيان ذالك، لعدم علمهما بها، ورجوعهما إليها.

٤- فَسَّرَ محققا النشرة البغدادية كثيراً من الألفاظ المعجمية، التي توجب الشرح، أما د. المانع فلم يفعل هذا أصلاً، ولم يكن في منهجه.

٥- رَقَّمتِ النشرة البغدادية أسماء الشعراء بأرقامٍ مخصوصة، تنتهي بالرقم (٢٠٥)، أما د. المانع فَوَضَعَ نجمة (*) أمام كلِّ شاعر، وزاد في (ص ٢٧-٣٧)، قبل النص، بأن أثبت (أسماء الشعراء العمرين حسب ترتيبهم في الكتاب)، مع أرقامهم، انتهت بالرقم (٢٠٦)، وهذا الرقم الزائد سببه تكرار ترجمة: (عمرو بن مرة الجهني).

هذه هي الملاحظات العامة عن النص، والآن وقت الشروع بإبراز جهد المحققين في العمل هذا.

١- ثمة عبارات أوردها الناسخ في حواشي المخطوطة، اختلف محققو النشرتين في إيرادها.

فقد ورد في ص ٢١ / المانع، ثلاثة أبيات لعمرو بن ودعان العكليّ، وكان الثاني منها:

خذلتُ بها ابنَ مخزوم برمحي وأَوْلَـي لابـن فاطمـةَ الربيـعُ

فعلّق في الهامش: (في حاشية المخطوط: «الربيع بن زياد العبسي».). وما فعله صحيح.

أما في النشرة البغدادية، فقد وَهَمَ المحققان (ص ٣٦)، إذ ذكرا العبارة الواردة في حاشية المخطوط في متن النص، بعد البيت الثالث، وهو أمر مردود، وغير صحيح، إذ لا تعدو العبارة أن تكون توضيحًا من الناسخ لاسم (الربيع)، الوارد في قافية البيت الثاني.

ومن جانب آخر أدخل محققا النشرة البغدادية نصوصًا من حاشية الناسخ، دون أن يشيرا إلى ذالك، فعلى سبيل المثال، ص ٩٨؛ ترجمة: (عمرو بن الجموح)، وص ٨٤؛ ترجمة: (عمرو بن العاص)، السطر ١٤، أما د. المانع (ص ١٤٠، ١١١)، فقد أشار إلى الأمر في حواشيه.

وفي ص ٦٢ / المانع،: (فمرّ رجل من بني ذهل)، وعلّق في الهامش: (مكانها في أصل المخطوط: فجاء، والتصحيح في الحاشية، بإشارة من الناسخ).

أما في النشرة البغدادية (ص ٦٠)، فقد وردت العبارة: (فَمَرَّ فجاء رجل من بني ذهل) كذا، ولم يذكر المحققان تعليق الناسخ في حاشيته.

٢- ثمة اجتهادات من محققي النشرة البغدادية، لها وجه من الصحة لم نرها عند د. المانع.

من ذالك، ما ورد في النشرة البغدادية، ص ١٠٦: (الحسن بن عتبة) فقالا: (..... انّ ابن حزم ذكر في جمهرته ٧٢ من ولد أبي لهب بن عبدالمطلب:

الحسن وحمزة ابني عتبة بن ابراهيم..). إلخ أما عند د. المانع، ص ١٦٠، فقد ورد: (الحسن بن عُبيد).

وجاء في النشرة البغدادية، ص ١١٩: (له نجدة وبصيرة). وذكر أحد محققيها: (في الأصل وفي نسخة كرنكو: له خبرة.. وقد اجتهدتُ هذا التوجيه). وبعد أربعة أسطر وردت عبارةٌ. هي: [وهذا خطأ لأن مسلمة في ذالك الوقت كان ببلاد الروم، ولعله غيره]. وفي الهامش: (لعل هذا الاعتراض لابن الجراح نفسه على الخبر الذي رواه مسنداً إلى الأوزاعيّ.. أو لعله لغيره عن ناسخي كتابه).

أقول: ولم يرد شيء من التعليق عند د. المانع على هذا الخبر، أما العبارة التي سبقتها، فقد وردت عنده: (له خبرة وبصيرة)، كما ورد في الأصل وعند كرنكو.

٣- جاء في ص ١١٦ (ط. المانع):

وقد يدومُ ديق [؟] الطامع الأمل.

فعلّق على ذالك: (هكذا في الأصل، ولم أجده في مصدر آخر مما اطلعتُ عليه).

وفي النشرة البغدادية (ص ٨٨) ان روايته:

وقد يُدَوِّمُ ريقَ الطامعِ الأملُ

وورد في الحاشية انه: «لابن احمر في الحيوان ٣ / ٤٧ والمعاني الكبير ١٢٥٨.....».

٤- ورد عند د. المانع، ص ٦٢ قصة (عمرو، اسم زَوَّرَهُ أعرابيّ). وفي خاتمته ورد بيتان، فعلّق: (لم أعثر على هذه القصة أو الشعر فيما رجعت إليه من مصادر).

أما النشرة البغدادية (ص ٦٠)، فقد ظفر محققاها بالقصة والبيتين في: «المعاني الكبير» ١ / ٧٩. وهو أحد المصادر التي رجع إليها د. المانع!.

٥- أما بالنسبة لوزن الأبيات، فقد رأينا في ترجمة: (عمرو بن الأحوص) و(عمرو بن حرملة) و(عمرو بن حسان) و(عمرو بن الأسود) و(عمرو بن الصديّ الغنوي)، أنَّ صدر البيت الأول لكل منهم من الكامل، وعجزه من الطويل، فقام د. المانع (ص ٢٣، ٢٤، ٢٦، ١٠٠، ١٧١) بوضع حرف الواو، بين عضادتين، لتصبح الأبيات من الطويل. وهذا أمر لم يأخذ به المحققان العراقيان، ولا التفتا إليه (ص ٣٧، ٣٩، ١١٤)، وإن كانا قد وضعا حرف الواو عند: (عمرو بن الأسود) و(عمرو بن عبد ودّ) - ص ٧٩ - ولم يشيرا إلى ذالك، وبيت الأول من الطويل، والثاني من الوافر. وتُنظر طبعة د. المانع (ص ١٠٠، ١٠١).

وجاء عند د. المانع، ص ١٤٩:

لـم يغضبـوا لله إلاَّ للجمـلْ

كم قـائل منهم لآخـرَ لا شللْ

وإذْ أثبت محققا النشرة البغدادية النص هكذا (ص ١٠٣)، فقد ذكرا: (ولعل صحة البيت الأول من الرجز: لم يغضبوا لله لكن للجمل، وتُقرأ راء (الآخر) ساكنة، والأ كان البيت من الكامل...). وهذه مناقشة علمية صحيحة.

٦- وردت في النشرة البغدادية (٨٧) ثلاثة أبيات لأبي الأسود الدؤلي، لم يظهر قسم من كلماتها، وجاء البيت الثاني، هكذا.

.... على محمدٍ فقلتُ لم ....

اضافة إلى (لأن) في عجز الثالث، وذكر أنَّ الأبيات في: «جمع الجواهر» ٢٠٧، و«نور القبس» ١٠.

أما د. المانع (ص ١١٦)، فلم يستطع قراءة ما تبيّنَ من البيت الثاني، وأول عجز الثالث، أو يعرف المصدرين اللذين وردت الأبيات فيهما.

قلتُ: كنتُ أتمنى على المحققين العراقيين - وقد ذكرا مصدرَي الأبيات، وهو أمر يُحمد لهما - أن يُثبتا الكلمات التي لم تظهر في النص، بوضعها داخل عضادتين [ ]، لأن غاية التحقيق هو ذكر النص كما أراده مؤلفه، لا كما أراده الناسخ، أو الذي عبث بالنص!

كما أنهما لم يضعوا كلمة [حلمهم] داخل عضادتين في صدر البيت الأول ص ١١٦، وقالا: (بياض في الأصل) على الرغم من أنَّ: معجم المرزباني أثبتها، وقد ذكر د. المانع (ص ١٧٩) الكلمة في مكانها الصحيح.

٧- استطاع محققو النشرتين أن يعثروا على تراجم عدد من الشعراء، من مظانهم الموثوقة، وقد حدث تباين في إيراد تراجمهم، فهناك تراجم وُفّق د. المانع في العثور عليها، في الوقت الذي اعتذر محققا النشرة البغدادية عن ذالك، والعكس صحيح أيضًا.

فقد ترجم د. المانع لأربعة شعراء، وهم: (عمرو بن سلمة الكلابي) و(عمرو بن قريط العامري) و(عمرو بن البراء الكلابي) و(عمرو بن شبيل). - ص ٢٤، ٣١، أما في النشرة البغدادية ص ٣٨، ٩٦، فقد اعتذر محققاها عن ذالك!

والغريب أن د. المانع قد رجع، في تراجمهم إلى: «الإصابة» لابن حجر و«النوادر» لأبي زيد، وهما مصدران كان محققا النشرة البغدادية قد رجعا إليهما، وأثبتاهما في قائمة المصادر.

ووردت ترجمة للشاعرين: (عمرو بن خالد بن الشريد السلمي) و(عمرو ابن حنظلة العجلي)، فترجم لهما محققا النشرة البغدادية ص ٣٩، ١٣٤، في حين اعتذر د. المانع ص ٢٧، ٢١٩، عن العثور على مصادر ترجمتهما!

ويلاحظ أن د. المانع قد اعطى لكل شاعر رقمًا طبيعيًا عند الإحالة في هوامش الكتاب، أما محققا النشرة البغدادية - ولأنهما اثنان - فقد اضطربا في إيراد ذالك، إذ أثبتا أرقامًا مع تسلسل الهوامش في الكتاب حتى رقم ١٧: (عمرو بن موهبة) ص ٣٥، إذْ أعطيا له رقمًا هو رقمه التسلسلي الخاص، ثم اضطرب الأمر، حتى رقم ١٣٧ (عمرو الرحال)، إذْ تُرجم له برقمه الخاص، حتى نهاية الكتاب.

وفضلاً عن هذا، فإنَّ مُحققي النشرتين اتفقوا - نسبيًا - على عدم ترجمة الأعلام المشهورين - من غير العمْرين، وخاصة الذين وردوا في أسانيد الأخبار.

على أن النشرة البغدادية ترجمت لأبي بكر الهُذلي - ص ٦٥، والمروزي ص ٤٠، أما د. المانع فقد ترجم لأبي وجزة السعدي، ص ١٦٧، ويزيد بن أسيد السلمي، ص ٢١١، وكانت مصادره كثيرة وغنية.

ولإغناء المناقشة والفائدة، فقد عرّف المحققان العراقيان بيومَيْ: (مبايض) و(النشاش) ص ٦٩، ٩٧، أما د. المانع فقد أهمل التعريف بهما.

(للبحث صلة)

بابل/ الحلة: عباس هاني الچراخ

الحواشي:

(١) حقق كتاب (الورقة) عبدالوهاب عزام وعبدالستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م. ثم صدرت طبعة ثانية منه، دار المعارف، وثالثة عام ١٩٨٦م.

(٢) نشر الأستاذ عبدالرحمن بن عبدالله الشقير: (المستدرك على مَنْ اسمه عمرو من الشعراء)، في مجلة «العرب»، س ٢٩، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، وضم مئة شاعر، لم يذكرهم ابن الجراح.

(٣) والأمر نفسه مع كتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها»، للزبير بن بكار، الذي حققه، وصدر الجزء الأول منه في القاهرة، ١٣٨١هـ، ونَسَخَ الجزء الثاني أملاً بتحقيقه، إلا انه توفي رحمه الله، فقام الشيخ الجليل حمد الجاسر بإعادة نشر الجزء الأول، مع الجزء الثاني وراجعهما وصدرا عن مجلة العرب ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، وقمت بصنع فهارس تفصيلية للكتاب.

تباريـــح

أخـا النُّبل أنمـاط الحـيـاة كـثـيـرة — تناغي ذوي الألبـاب بالهـزل والجـد
متى اشـتـد منها جـانـب لان جـانـب — به تتـسـاوى جـفـوة الـسـهـو بالعـمـد
الا فـاربعي أيام صَـفْـوِيْ فـإنني — أتيـه اشـتـيـاقَ الزنـد يلتصُ بالـزند
أكـفكف من ذكـرى التـواصـل أدمـعي — ويهفـو - خَفِيٌّ الشكو - قلبي إلى الشـهد
إذا العُـصْمُ في شـم الجـبـال تـدرَّمت — مناسـمـهـا مِنْ حَسِّـهـا شُـعَبَ الصلد
وكزَّت(١) خُطاها كي تُرِيْشَ ظلوفَهَا — على رِسْلِهَا تختال في نَشْوَةِ الْمَلْدِ(٢)
مـتى رابهـا مـا تـتـقي إثر شَـمِّـه — رَنَتْ واسْبَطَرَّت فوق أربَعِهَا الجُرْدِ
تـتـابع أرتالَ القِـفَـازِ كـأنهـا — قطًا مُـفْـزَعٌ عن وِرْدِ مَـشْـرَبَـةِ الوِرْدِ
تناغم - أطًّا(٣) - خِشْفَهَا حين تنتهي — بها صَـرْحَةٌ(٤) في غاية النَّجْوِ والبُعْد
فـلا بلغ الآمـال مُـدْمِنُ خَـمْـرَةٍ — ولا مـتـوانٍ خـاملٌ مُـعْـدَمُ الْجِـدِّ

عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

الحواشي:

(١) قاربت.
(٢) النعومة والشباب.
(٣) بصوت أغنّ خفيض.
(٤) متن الأرض المرتفعة.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

حول (العواسج) من الدواسر

اطلعت على مجلة «العرب» س٣٥ ص٣٧٦ وما نشر فيها عن قبيلة العواسج بقلم الأخ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب ولي على ما كتب بعض الملاحظات والإضافات وهي في هذا المقال الذي آمل نشره.

آل عوسجة أو العواسجة هم أحد أفخاذ البدارين الرئيسة، وبلادهم منطقة ثادق والمحمل، مع أبناء عمومتهم من قبيلة البدارين، ثم نزح بعضهم إلى منطقة سدير، وسبب تسميتهم بهذا الاسم غير معروف.

الملاحظات:

١ - لم يذكر المقال أن العواسجة من قبيلة البدارين من الدواسر بل ذكروا من الدواسر مباشرة.

٢ - ذكر الأخ الأحيدب ما نصه: هذه أسر العواسج في ثادق. والصحيح أنهم ليسوا كلهم في ثادق وبلادهم بالتفصيل كالتالي:

آل عبيد في البير بالمحمل، آل حزاب في البويردة بالمحمل، آل سليمان المطاوعة في البير ورد ذكرهم في وصية الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي (ت ١١٨٥هـ) وآل عباد في البير والصفرات وحريملاء، آل إبراهيم في البير، آل حماد وآل فهيد في روضة سدير، آل صبيح في ثادق والبير وتمير وكذالك آل غرشي في حوطة سدير كان لهم فيد الغرشي في ثادق سابقًا، آل منيع في ثادق والخطامة بسدير منهم الشاعر محمد بن منيع من أهل البير وله قصيدة يمتدح فيها سعدون بن عريعر بن دجين سنة ١١٧٠هـ[1]، آل فايز من المنيع، كذالك آل سلامة في الصفرات بالمحمل.

٣ - لم يذكر آل الشيخ في ثادق، وهم ذرية محمد بن سلامة بن محمد بن

عبدالرحمن بن حمد بن عبدالرحمن بن علي بن محمد بن سلطان بن حمد بن عمران العوسجي[٢] والذي قتل في عهد الإمام محمد بن سعود عام ١١٦١هـ[٣]. ومن سلسلة النسب هذه يكون زمن عمران جد آل عمران العواسجة البدارين في القرن الثامن الهجري، ومعاصراً لعامر بن زياد البدراني والذي ينسب إليه بعض الأسر البدرانية.

ومن ذرية محمد بن سلامة القضاة المعروفين في زمن الدولة السعودية الأولى والثانية:

(١) الشيخ محمد بن سلطان بن محمد بن سلامة قاضي الأحساء (١١٧٩-١٢٢٣هـ) ومن ذرية سلطان آل سلطان في الدرعية وحايل.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن سلامة قاضي عمان سنة ١٢٤٤هـ.

(٣) الشيخ محمد بن مقرن بن محمد بن عبدالعزيز.

(٤) الشيخ حمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز العوسجي (١٢٤٥-١٣٣٠هـ).

(٥) الشيخ محمد بن حمد بن عبدالعزيز قاضي وإمام الحرم (١٣٤٤-١٣٤٦هـ) وقد ذكر الشيخ عبدالله البسام تراجم لهاؤلاء في كتابه «علماء نجد خلال ثمانية قرون»[٤].

٤ - جعل الأستاذ الأحيدب آل إبراهيم من آل سلامة وما أعلمه هو أن آل إبراهيم لا علاقة لهم بآل سلامة.

٥ - كذالك آل صبيح هم أبناء عمومة لآل عباد[٥] ومن آل صبيح الصبيح في الكويت[٦].

د. عيسى بن إبراهيم آل عيسى

حول العواسج أيضًا

إشارة إلى ما نشر بمجلتكم الغراء حول ما أرخ عنهم الأستاذ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب وما نقله من معلومات عن أنساب العواسج في ثادق من الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى.

أ) ذكر عن العواسج أهل ثادق الأسر التالية وهي: - آل حزاب في البويردة وحريملاء، العبيد في البير، والربيعة في ثادق وفي الكويت والرياض والمنطقة الشرقية، وآل سلطان في حريملاء والصالح.

ب) آل سليمان في البير - آل سلامة في الصفرة وآل إبراهيم في البير.

ج) آل منيع في البير والخطامة والصفرات وثادق.

د) آل عباد في الصفرات وحريملاء والبير.

هـ) آل صبيح في البير وثادق وتمير والكويت وغيرها.

و) آل حماد في روضة سدير.

وكان يجب على الإخوة ذكر العلماء الذين اشتهروا في هذه الأسر كالشيخ محمد بن ربيعة العوسجي البدراني، وعبدالرحمن بن ربيعة، والشيخ محمد بن منيع -رحمهم الله- والشيخ حمد بن عبدالعزيز، والشيخ محمد بن سلطان العوسجي وغيرهم.

آمل من الإخوة الإطلاع وعدم الخلط بين الأسر، وتحديد مواقع سكنهم الأصلية، لأن هناك أسر كثيرة من غير الدواسر أسمائهم نفس أسماء هذه الأسر في ثادق.

كما آمل الرجوع إلى المؤلفات القديمة مثل كتاب «سبائك الذهب» ص٢١ طبعة مكتبة المعارف، وكتاب «علماء نجد خلال ثمانية قرون» تأليف الشيخ عبدالله البسام الطبعة الثانية ج٥ ص ٥٣١ و«كنز الأنساب» تأليف الشيخ حمد الحقيل ط١٣ ص١٩٥ وكتاب محمد بن عثمان القاضي «روضة الناظرين عن

مآثر علماء نجد وحوادث السنين» القاهرة - مطبعة الحلبي.

والعواسج المتواجدون في ثادق فقط هم:

١- آل ربيعة ذرية الشيخ محمد بن ربيعة العوسجي الدوسري البدراني.

٢- آل الشيخ: ذرية الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسجي الدوسري البدراني.

٣- المنيع: ذرية محمد بن منيع العوسجي الدوسري البدراني.

٤- الصبيح: في ثادق.

٥- آل سويلم: (المشاري - الدباس - الفوزان..).

والدواسر قبيلة كبيرة، فيها بطون وأفخاذ عديدة لا تحصى، وهم يجتمعون في جدهم غانم بن ناصر بن ودعان بن سالم بن زايد بن زياد بن سالم بن وداعة ابن عمر بن عامر من قبائل الأزد المنتهي نسبها إلى كهلان، شعب كبير في قحطان، ومنازل الدواسر الأصلية وادي الدواسر والأفلاج في جنوب نجد، ولكنهم تفرقوا في مدن وقرى نجد ومن هاؤلاء آل عوسج عمرّوا ثادقا.

وبلدة ثادق تقع شمال الرياض، وهي عاصمة المحمل، وقد انشأت عام ١٠٧٩ والذي عمروها هم آل عوسج بطن كبير من قبيلة الدواسر، وظهر منهم علماء أجلاء، ولا يعرف عوسج الآن إلا بالعواسج.

الرياض: إبراهيم بن محمد الربيعة

الحواشي:

(١) «خيار ما يلتقط من الشعر النبط»، جامعه عبدالله بن خالد الحاتم. الكويت - منشورات ذات السلاسل، ط١، ١٩٨١م - ج١: ص ٢٢٩.

(٢) مشجر نسب ذرية محمد بن سلامة العوسجي - إعداد: إبراهيم بن حمد ابن الشيخ.

(٣) «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر. منشورات دارة الملك عبدالعزيز - ط٤ سنة ١٤٠٢هـ، ج١: ص ٥٩.

(٤) «علماء نجد» لابن بسام ط٢ سنة ١٤١٩هـ. (٥) «تاريخ ابن عباد» للعوسجي، ط ١٤١٩، ص ٣٣.

(٦) «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» تأليف حمد الجاسر، الرياض - منشورات دار اليمامة، ص٢، ١٤٠٩هـ: ص٤٣٤.

واطلع الأستاذ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب على الملاحظات التي أوضحها كل من الأخوين فأفضل بكتابة ما يلي :

اطلعت على ما كتبه الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى والأخ إبراهيم بن محمد الربيعة عن بعض الملاحظات حول ما نشرته عن بعض الأسر من قبيلة الدواسر في مجلة «العرب».

حول ملاحظات الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى:

١ - ذكر الأخ عيسى أني لم أفصل في البلدان التي فيها العواسجة حاليًّا، عليه أفيد اني نقلت من الورقة التي زودني بها عن العواسج، وهذه لم تفصل بها البلدان، وإنما ذكر أن العواسجة في ثادق والصفرات والبويردة والبير وغيرها من بلدان المحمل.

٢- حول ما ذكر أني لم أذكر آل الشيخ في ثادق. عليه أفيد أنه هو نفسه لم يذكرهم في ورقته، وإنما ذكر آل سلامة ومنهم الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسجي وآل سلامة ذكرتهم من ضمن العواسج، والمطلوب بيان الأسر وليس العلماء.

٣- حول ما ذكر أني جعلت آل إبراهيم من آل سلامة. عليه انقل نص ما ذكر في الورقة : (آل سلامة منهم الشيخ حمد بن عبدالعزيز العوسج وأيضًا آل إبراهيم).

٤- حول آل صبيح وآل عباد. عليه انقل نص ما كتب في الورقة : (آل عباد منهم المؤرخ ابن عباد) ثم ذكر حول صبيح : (آل صبيح آل غرشي ومنهم آل فهيد آل حماد). ثم اتصل بي وذكر انه ليس متأكدًا أن آل فهيد وآل حماد من آل صبيح، وإنما مؤكد أنهم عواسج، وعليه أفردتهم في المقال.

حول ملاحظات الأخ إبراهيم بن محمد الربيعة:

١- حول عدم تحديد مواقع سكن الأسر فهو محق في ذالك، لوجود تشابه في أسماء الأسر، أما ذكر العلماء من العواسج فإن كتاب «علماء نجد» ذكرهم بتفصيل ومجلة «العرب» طلبت إيضاحًا عن الأسر فقط.

٢- قوله: (الدوسري قبيلة كبيرة). عليه أفيد أن الدوسري يطلق على الفرد، وليس على القبيلة، والصحة أن يقول الدواسر، ثم انه كرر نفس الكتابة حول الدوسري، أما قوله أن الدوسري - يقصد الدواسر - يجتمعون في غانم بن ناصر بن ودعان فهذا ليس بصحيح. حيث أن ودعان جد غانم هو أحد أولاد سالم الأربعة، وللتوضيح أفيد أن المتواتر عند قبيلة الدواسر أن زايد القادم من مأرب في اليمن على أثر انهيار السد، له ولدان هما سالم وصهيب، وأن سالمًا أولاده: ١- بدران جد البدارين. ٢- ودعان جد الوداعين. ٣- رجب جد الرجبان. ٤- منيع جد المخاريم. وأن أولاد صهيب: ١- جري جد المساعرة وآل بريك. ٢- حسن جد الفرجان وآل عمار والشكرة. ٣- غياث جد الغياثات. ٤- عيسى جد الشرفاء. ٥- موسى جد الحراجين. ومن هذا يتضح أن الوداعين فرع من مجموع تسعة أفرع من الدواسر.

٣- طلب الأخ إبراهيم الربيعة الرجوع إلى الكتب القديمة مثل كتاب «سبائك الذهب» لمؤلفه محمد أمين السويدي المولود في بغداد عام ١٢٤٦ هجرية، وأرفق صورًا لنسب العواسج من نفس الكتاب، وعليه أفيد أن العواسج الوارد ذكرهم في كتاب السويدي منسوبين إلى حمير، وقد فصل الهمداني نسبهم ونسبهم إلى آل ذي مقار من حمير، وذكر أن من العوسج أحمد بن يزيد بن عمر بن نابت بن الريان، وهو الذي سكن جرش، وقامت حرب بينه وبين عنز بن وائل، وأن جرش مناصفة بين العواسج وبين الفاف عنز من الجزارين وكذالك ورد ذكر أهل جرش من العوسج في كتاب «سيرة الأميرين الجليلين» لأحمد الربعي الوادعي، من أهل القرن الخامس الهجري، ومن هذا يتضح أن عواسج جرش لا علاقة لهم بعواسج ثادق، عدا تشابه في الاسم حيث أن هناك اجماع عند عواسج ثادق انتسابهم للبدارين من الدواسر ومنهم إبراهيم الربيعة صاحب التعقيب، هذا ما لزم توضيحه.

عبدالعزيز إبراهيم الأحيدب

حول قبيلة النفيعات

سبق أن نشرت مجلة «العرب» - س٢٩ ص٥٣٥ مقالا عن قبيلة النفيعات، وقد لاحظ عليه الأخ مجدي بن أحمد النفيعي ملاحظات منها:

١ - أن قبيلة النفيعات محافظة على انتسابها إلى النفعة من عتيبة هوازن وقد اعلنت ذالك في الأردن ومصر وغيرهما بمختلف الوسائل.

٢ - أن ما نقله الأخ راشد عن نعوم شقير وغيره لا يصح الاعتماد عليه.

وقد نشر الأخ مجدي ملاحظاته مفصلة في بعض الصحف المصرية، ومجلة «العرب» لا تعيد نشر مقال سبق نشره في شيء من الصحف.

غلامت
الطريفي!!

أسرة الطريفي في القصيم من السعيد
من آل عاصم من قحطان

بعث إلى «العرب» الأخ حمود بن فهد الطريفي من بلدة (الربيعية) في منطقة القصيم الكلمة التالية: أطلعت على ما ورد في كتاب «جمهرة انساب الأسر المتحضرة في نجد» الطبعة الثانية ج٢ ص ٤٦٦ من أن (الطريفي) في عين ابن فهيد في الأسياح في القصيم من السعيد من آل عاصم من قحطان.

والصحيح أننا من الطلاحين من العجانات من الصمدة من قبيلة الظفير في كل من البلدان التالية: عين ابن فهيد والتنومة بالأسياح والربيعية وبريدة والخرج والرياض والكويت، وأول من استوطن وتحضر منهم محمد بن طريف بن حمدان في حدود القرن الحادي عشر الهجري، عند وجود قبيلة الظفير في بادية القصيم، استوطن في بلدة النبقية، ثم تفرق ابناؤه في العين والتنومة ثم الربيعية، ثم بعد ذالك في الرياض والخرج والكويت، والآن كثير منهم

موجودون في العين والتنومة والربيعية وبريدة والخرج والرياض والكويت.
ومنهم حمود بن محمد الطريفي امير الربيعية (١٣٥٠ - ١٣٦٠) والشاعرة نورة بنت حمود الطريفي الظفيرية التي ورد لها ذكر في كثير من كتب الأشعار الشعبية وتوفيت في الربيعية عام ١٣٤٥ واخوها محمد بن حمود الطريفي الذي قتل في معركة جراب عام ١٣٣٣.

هذا ما أردت التنبيه عنه.

الربيعية - القصيم: حمود بن فهد الطريفي

أسرة آل سلطان من البراعصة من مطير

من الأسر المعروفة من قبيلة مطير أسرة السلطان الموجودة بمحافظة القويعية والرويضة الواقعة على طريق الرياض الطائف السريع، يرجع نسب هذه الأسرة إلى فخذ البراعصة من عُلْوَا من قبيلة مطير.

وقد تقابلتُ مع كلٍ من عبدالعزيز بن عبدالله بن سلطان وابن أخيه عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سلطان البَالغينِ من العمر ٨٠ سنة تقريبًا للبحث عن نسب أسرة سلطان.

فأخبرا بما هو آت: نحن أبناء عبدالله بن سلطان بن عبدالله بن سلطان بن عبدالله بن محمد بن سلطان البرعصي المطيري. استوطن جدنا عبدالله الأول بن محمد بن سلطان في المناطق التالية: (خنيفساء - رويضة العرض - مأسل وعَرْوَا) في سنة ١١٣٦هـ. وتلك الديار جميعها مع صبحا وتبراك والمستجدة من أهم موارد قبيلة علوا من مطير، وقيلت فيها أبيات مويضي بنت حباب بن قحيصان البرازي، التي تستحمي فيها الدويش على قحطان، بعد وقعة الجناحية جنوب غرب الرس التي قتل فيها صلال المريخي شيخ قبيلة بريه:

ياراكب فتانة العين حايل	من الخفس ممساها على جال تبراك
تلفي لشغموم يداوي الغلايل	ياحامي الشردان صلال يفداك
نجد حميتوها من أولاد وائل	واليوم ينزلها سكن وادي الراك
إما حميتوها بحد السلايل	ولأ عطينا الشاه ذولا وذولاك

ولقد ثبت عن عبدالله بن محمد بن سلطان أنه كان ذا شجاعة وفروسية فائقة، واشترك في الكون الذي حصل على عروا سنة ١١٥٧هـ، وكان من الفرسان البارزين حيث انتخى في الكون بقوله: (خيال عُلوًا وأنا برعصي) فأنشد فيه أحد الشعراء بعد فرحة الانتصار قوله:

ياصباحٍ على عَروًا حضرناه	فيه ألاد المطيري تحتمي التالي
برعصي زبن ماسل ونجاه	ينتخي بالمطيري نعم رجالي

وقد خلف عبدالله بن محمد بن سلطان البرعصي المطيري آثارًا متعددة، تتمثل في عدد من الآبار القديمة في شعيب خنيفساء، الواقع شمال شرق رويضة العرض بحوالي ثمانية أكيال ثم خلّف عبدالله بن محمد بن سلطان ابنه سلطان الثالث الذي استمر في السكنى بتلك الديار، وزاد عليها آثارًا في رويضة العرض نفسها، منها القصر والدروازة المسماة بدروازة الشيخ وثلاثة أبراج لا تزال قائمة وهذه الأملاك تسمى بالعُلَيًّا.

وكان سلطان بن عبدالله بن محمد سلطان استمرارًا لمسيرة أبيه عبدالله، حيث عرف بالفروسية وقد قتل بالمستجدة ويدل على ذالك شطر البيت التالي:

سلطان خلي من ورى المستجدة	......

وقالت زوجته هذه القصيدة ترثيه بعد علمها بمقتله :

يا قصــر[1] يامال النجوم القويهْ عســاه من بــد القرايـا وطاهــا

قد حــط بشيخ القبايـل رزيــهْ[2] والدم من فوق المذيل[3] كساها

ثم خلف سلطان ابنه عبدالله الثاني الذي كتبت باسمه الوثيقة على ملك خنيفساء والعليا سنة ١٢٥٣هـ. وخلف عبدالله ابنه سلطان الرابع الذي قال فيه أحد الشعراء عندما جاء يخطب ابنته هذه الأبيات :

سلطان ياحامي الهزلان ثمــن منــاخ العمانيــهْ

عليك يا قايد الغــزلان هذيك نـورة المطيريـهْ

ثم خلف سلطان ابنه عبدالله الثالث الذي روى لنا الشيخ فواز بن عماش بن مطلق الجبعاء الدويش قصة عن أبيه عن جده مطلق يقول فيها أن عبدالله بن سلطان، - انظر الصورة المرفقة - وفد على الملك عبدالعزيز -رحمه الله- للمبايعة، ضمن مشايخ القبائل بعد فتح الرياض، وقد تعرف عليه جدي عندما عرف بنفسه بأنه عبدالله بن سلطان البرعصي ومسكنه منطقة رويضة العرض، وعبدالله هذا أنجب سلطان ومحمد وعبدالعزيز ومحمد أنجب عبدالله وعبدالرحمن وسعد، وعبدالعزيز أنجب عبدالله وسلطان ومحمد ومن هنا تكاثرت أسرة السلطان.

الرس: ماجد بن طاهر المطيري

الحواشي :

(١) القصر : قصر سلطان بن عبدالله العلا في رويضة العرض.

(٢) رزية : نصائب القبر. (٣) المذيل : الخيل.

سعد عبد الله عبد الرحمن

محمد

سلطان الخامس

عبد الله سلطان محمد

عبد العزيز

عبد الله السادس

وفد على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل للمبايعة بعد فتح الرياض أ—هـ

رواية عن فواز بن عماش بن مطلق الجبعاء الدويش عن أبيه عماش وجدة مطلق .

سلطان الرابع

ثبت فيه قصيدة قالها الخاطب لابنته وهي :

سلطان ياحامي الهزلان

ثمن مناع الصمانية

عليك بالقايد الغـــزلان

حنيك لورة المطيرية

عبدالله الثاني

له وثيقة على أملاكه في خنيفساء والعليا في رويضة العرض بتاريخ 1253هـ

سلطان الثالث

قتل في المستجدة ويدل عليه شطر البيت (سلطان خلي من ورى المستجدة) قيل في رثائه :

يا قصر ياماال النجوم القوية عساه من بد القرايا وطاهـا

قد حط بشيخ القبايل رزيـــة والدم من فوق المذيل كساها

عبدالله الأول

قدم إلى ماسل وعروى سنة 1136هـ ثبت فيه قصيدة سنة 1157هـ : يا صباح على عروى حضرناه

فيه ألاد المطيري تحتمي التالي

برعصي زين ماسل ونجـــــاه

ونتخي بالمطيري لعم رجالـــي

محمد

أمير البراعصة من علوى من مطير كان مشهوراً بالشجاعة الفائقة له القصيدة التي يقول فيها :

سلطان الثاني

أنصحك ياراعي الحصين تقدم

ولن سلمت الباك حاصل لك قعود

شفنا لنا بدو وحجرهم تلـــطم

متناظرين في مناحي الـــحدود

صلال

سلطان الأول خلف آثاراً منها قصره في الفريع وهو قصر أثري

حول (آل معتق) و(آل عواد)

كتب إلى «العرب» الأخ عبدالحكيم بن عبدالرحمن العواد كتابًا مفصلاً حول ما جاء عن آل معتق وآل عواد – س٣٥ ص١٨٦ بقلم الأستاذ عبدالعزيز بن محمد الغزي بما هذا نصه: لنا مع ما كتبه الأستاذ عبدالعزيز الغزي عدة وقفات تبين خطورة ما حسبه هينًا وهو عند أسرتنا عظيم فنجملها في التالي:

١- ذكر الأستاذ الغزي أن المستفيض على ألسنة رجالات أسرتنا انتقال قسم منهم من بلدة (الغاط) إلى (الدرعية) وإلى (سدير)، وبقاء قسم في الغاط وهم (آل ملحم) (وآل جاسر) وهذا صحيح، ومعروف لدى الجميع، إلا أن قوله: وانتقل فرع إلى (القصيم) وانتقل قسم إلى (الزلفي). فهذا كلام خاطئ، ولا ينبغي وصفه بالمستفيض على ألسنة رجالات الأسرة، لكونه متناقلاً لدى أسرة (آل معتق) فقط، وأصل هذا القول مبني على رسالة حديثة كتبت عام (١٣٨١هـ) بخط الشيخ محمد بن معتق -رحمه الله- إلى ولده عبدالعزيز (انظر إلى المرفق رقم ١) وهذه الرسالة فضلاً عن كونها حديثة العهد (٣٩ عامًا) تعبر عن الرأي الشخصي لكاتبها، وهي أيضًا لا تحمل الصفة الرسمية والشرعية لافتقادها للتوثيق والشهود، كما أنها ليست ذات قدم يسبق ظهور بدعة انتساب أسرة آل معتق إلى أسرتنا كي تعد دليل إثبات، ولنا عليها عدة ملحوظات هي:

أ) ذكر الشيخ محمد بن معتق في رسالته إلى ولده أن جدهم (إبراهيم بن عواد؟!) أصل مجيئه إلى الزلفي كان من بلدة (العيينة)، (البلدة المعروفة شمال الرياض) في الملك المسمى (أم صوى). قلت: ومعروف لدى الجميع من أسرتنا في الدرعية ولدى كبار أسر العيينة وعلى رأسهم أسرة (آل معمر) أن (آل عواد) الذين كانوا في العيينة أصحاب المُلْك المشهور المسمى (أم صوى)، انتقلوا منها إلى الدرعية ولم يذكر أحد في العيينة أن أحدًا من آل عواد

انتقل إلى غير الدرعية (انظر المرفق رقم ٢)، إضافة إلى أن هذا الملك قد تم بيعه منذ نحو خمس وعشرين سنة، ولم يدخل أحدٌ من (آل معتق) أو (آل جاسر) أو (آل ملحم) أو (آل عواد) سكنة بلدة (جلاجل)، أو (من زعم أنهم في القصيم) في الإرث بعد بيعه، لعلمهم أن الملك خاص بآل عواد (أهل الدرعية)، الذين هم وحدهم أهل العيينة، وما دام أن (آل معتق وغيرهم ممن ذكروا في الرسالة) أصحاب حق في الملك المذكور (حسب زعم الشيخ ابن معتق في رسالته) فلماذا لم يطالبوا بما معهم من (وثائق؟!) بنصيبهم منه، وإننا نطالب من ادعى غير ذالك بإثبات ما يقول.

ب) جميع الوثائق القديمة جدًّا والحديثة التي لدى (آل ملحم) و (آل جاسر) في الغاط و(آل عواد) أهل جلاجل لم تُشر إلى العيينة لا من قريب ولا من بعيد فكيف يأتي بعد ذالك من يزعم أن أصل الجميع بلدة (العيينة)، وهذا بلا شك يناقض كلام (الغزي) كما يناقض المستفيض لدى جميع فروع الأسرة وهو الإجماع على أن الغاط هي البلدةُ الأم للأسرة ومنها تفرقت فروعها.

ج- ذكر الشيخ ابن معتق في رسالته أن لجدهم (إبراهيم بن عواد؟!) أخًا اسمه (سليمان)، هو صاحب (شعيبة آل عواد) التي ذكر الأستاذ الغزي أن (آل معتق) استلموا تثمين ما انتزعه الطريق العام منها (بما معهم من وثائق؟!)، وهو نفس الملك المشتهر لدينا وفي وثائقنا باسم (فيد آل عواد)، وإني لأعجب كيف يكون لسليمان المذكور أخ رغم أن وثيقة حصر إرث سليمان بن عواد (انظر المرفق رقم ٣) لم تذكر له سوى ابن واحد - توفي صغيراً - وست بنات، ومعلوم لدى من له علم بالفرائض أن الأخ يعصب ابن أخيه إذا توفي وليس له ذرية، فلماذا غفل صاحب الشهادة في الوثيقة (محمد بن ملحم) عن بيان أن لسليمان بن عواد أخًا اسمه (إبراهيم؟!) رغم أهمية ذالك؟ وكيف آل الملك مؤخراً إلى أسرة (آل معتق)؟.

د) ذكر الشيخ ابن معتق - غفر الله له - أن ممن خرج من (أم صوى) ملحم ابن عواد وجاسر بن عواد اللذين استوطنا الغاط إلى الآن)، ويُفهم من كلامه أنهما شخصين معاصرين لبعضهما البعض، وأنهما أخوين أو ابني عم، وهذا يخالف ما هو معروف عند الجميع، وما هو مثبت بالوثائق، وما هو مثبت في شجرة الأسرة من أن أسرة (آل ملحم) متفرعة أصلاً من أسرة (آل جاسر) فجد (آل ملحم) هو ملحم بن إبراهيم بن جاسر بن عواد، وجد أسرة (آل جاسر) هو محمد بن جاسر بن عواد، أي أن جاسراً هو جد الجميع، وليس كما سرده الشيخ ابن معتق رحمه الله.

وإنني أستغرب من الشيخ محمد بن إبراهيم بن معتق - رحمه الله وغفر له - أن يكتب مثل هذا الكلام، رغم ما عُرف عنه من الدقة والعناية بالأنساب والتاريخ، فلقد وصفه الشيخ عبدالله بن بسام في كتابه «علماء نجد خلال ستة قرون» ج٢، ص ٣٥٥ - أنه: (المؤرخ النسابة الحافظ، أوسع مؤرخي نجد رواية، وأعلمهم بالتاريخ القديم والمعاصر والأنساب البعيدة والقريبة والحفظ والغريب من الأخبار والأشعار الشعبية والعربية، وهو ثقة ثبت في أخباره ومروياته) انتهى. ويلاحظ أن الشيخ ابن معتق لم ينسب نفسه إلى أسرة آل عواد عندما ترجم له ابن بسام في كتابه آنف الذكر رغم أنه عالم بالأنساب ويعرف أهمية بيان ذالك وخطورة إغفاله؟؟!!

وبناء على ما تقدم بيانه فلا يصح اعتبار رسالة الشيخ محمد بن معتق وثيقة أو دليلاً يُعتد به في إثبات تاريخ الأسرة.

٢ - ذكر الأستاذ الغزي نقلاً عن الأستاذ عبدالله بن ملحم (أبي أحمد): (أنه يومًا ما كان في الدرعية لدى آل عواد، (وكان المشهد كبيراً؟!) والبحث يدور حول الوثائق الخاصة عن هذه الأسرة، فقال له أحد رجالات آل عواد الدرعية وقد سألهم عبدالله هذا عن وثائقهم فقال له: إن وثائقهم لدى بني عمهم في الزلفي

ويقصد بهم آل معتق) . انتهى، ولي على ما نقله الغزي عن الأخ أبي أحمد ملحوظتان:

الأولى: أني سألت كبار أسرتنا عن هذا (المشهد الكبير؟!!) الذي ذكر ابن ملحم أنه حضره في الدرعية وأخبر فيه من قبل أحد رجالات أسرتنا بما ذكره آنفاً، فلم يؤيد قوله أحد منهم وأنكروا أنهم قالوا ما ذكره ابن ملحم، بل نفوا أنهم قد سبق لهم الاجتماع مع (أبي أحمد) في (مشهد كبير؟!!) في الدرعية.

الثانية: قول الغزي أن عبدالله بن ملحم قد أثبت صلة النسب بين أسرتنا وبين آل معتق (ثبوتًا قطعيًا؟!!)، وإني أسأل الأستاذ الغزي وهو الباحث والعارف بدقة ما يقول وما ينسبه عن غيره، ما هو الثبوت القطعي الذي أثبته له الأستاذ ابن ملحم؟ إذا ما علمنا أن الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن ملحم كان من ضمن كبار الأسرة الموقعين على وثيقة تأسيس مشجر نسب العائلة وفروعها عام ١٤١٧هـ (انظر المرفق رقم ٤)، والتي لم تتضمن سوى ثلاثة فروع ليس من بينها أسرة (آل معتق) وهي:

فرع (آل جاسر وآل ملحم) في الغاط وفرع (آل عواد) في جلاجل وفرع أسرتنا في الدرعية وإن كنت أتفهم وأقدر موقف الأستاذ عبدالله بن ملحم لوجود مصاهرة بينه وبين أسرة (آل معتق)، إلا أن تلك المصاهرة لا تبرر قوله هذا (إن صح عنه هذا القول).

٣ - استشهد الأستاذ الغزي بحصول (آل معتق) على تعويض ما اقتطعه الطريق العام من ملك آل عواد المسمى (شعيبة آل عواد) وأن ذالك مما يثبت انتساب أسرة (آل معتق) لأسرتنا، ورغم أن حصول (آل معتق) على التعويض المذكور كان في غفلة من الأسرة من جهة ولضياع الوثائق القديمة لأسرتنا عندما كانت في بلد الغاط من جهة أخرى (كان خروج جدنا حمد بن سليمان ابن عواد من بلد الغاط إلى العيينة منذ ٢٨٠ سنة تقريبًا)، إلا أن من ينظر في

صك الولاية الصادر من محكمة الزلفي برقم ٢٥٤ وتاريخ ٤ / ٨ / ١٣٩٦هـ (انظر المرفق رقم ٥) يتبين له أن (آل معتق) لم يقدموا وثائق تثبت صلتهم بسليمان بن عواد صاحب الأرض (كما نص عليه الأستاذ الغزي بقوله: بما معه من وثائق) وإنما أحضروا شهوداً يشهدون أنهم من الثقات وصالحين لتوكيلهم على ثلث سليمان بن عواد ولم يشهد لهم الشهود أنهم من آل عواد، فكيف اكتفى القاضي بتلك الحجة الضعيفة ليسلم (آل معتق) تعويض ما اقتطعه الطريق العام؟ ولعله اجتهاد من فضيلته غفر الله له.

٤ - لا أعتقد أن الأستاذ الغزي ولا أحداً من أسرة (آل معتق) يناهز عميد أسرتنا الشيخ عبدالله بن حمد العواد - رحمه الله - في العمر والذي توفي في رمضان عام ١٤١٩هـ عن ١١٤ عاماً، وهو العارف بتاريخ الأسرة ومن رجال الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الثقات الذين أسند لهم جباية زكوات الأحساء وسدير والقصيم، الذي أكد في لقاء أجرته معه صحيفة «الرياض» في عددها رقم (١١١٤٠) الصادر يوم الخميس ٦ رمضان ١٤١٩هـ أن أسرة آل عواد سكنت بلد الغاط وتفرقت منه إلى جلاجل والعيينة ثم الدرعية وبقي جزء منها في الغاط (آل جاسر وآل ملحم) ولم يذكر - رحمه الله - أن أسرة (آل معتق) من أسرة آل عواد، فهل من سألهم الأستاذ الغزي أسن وأعلم منه رحمه الله.

٥ - متى كانت الزيارات والصداقات بين شخص وآخر تدل على وجود صلة نسب بينهما؟ فإن ما نقله الغزي عن سليمان بن معتق من وجود زيارات بينه وبين فرد من أسرتنا فذالك أمر يخص من زاره فأسباب الزيارة متعددة، إما لوجود معرفة سابقة أو لمصالح متبادلة كأي شخص آخر!! وإن من العجيب إثبات الأنساب بهذه الطريقة الطريفة!! فهل تكراري لزيارة الأستاذ الغزي ستجعله ابن عم لي؟!!.

٦ - قال الغزي: (وقد أخبرني الثقة الشيخ معتق بن محمد... إلى أن قال:

بأن وثائق وصكوك أملاك جده موثقة تحت الاسم الرباعي لجده وهو : إبراهيم ابن معتق بن عثمان آل عواد) انتهى ، قلت : العجيب في الأمر أننا قد طالبنا مرارًا وتكرارًا (من خلال زيارات الشيخ صالح بن عبدالمحسن العواد الكثيرة لأسرة آل معتق) بإبراز تلك الوثائق والأوراق القديمة ! ! ليتسنى لنا فحصها بدقة ومن ثم إدراجها كوثائق تثبت انتساب (آل معتق) لأسرتنا ، ولكن لم يستطع أحد منهم تقديم وثيقة واحدة من تلك الوثائق المزعومة ، بل إن الشيخ معتقًا - على وجه الخصوص - قد أخبر الشيخ صالح العواد أن جميع وثائقهم لدى ابن عمهم عثمان المعتق وأنه رفض إخراجها ! ! ولم تفلح محاولات الشيخ صالح العواد في إخراج تلك الوثائق القديمة ! ! التي تنسب أسرة (آل معتق) إلى أسرتنا (حسب زعمهم) .

٧ - وقد ذكر الغزي أنه يكثر في أسرة (آل معتق) اسم (عواد) مدللاً بذالك على انتسابهم إلى آل عواد ، وأقول أنه لا يوجد في أسرة (آل معتق) قديمًا وحديثًا سوى شخصين اثنين فقط اسمهما عواد مع ملاحظة أن كليهما من الشباب المعاصر ، أي أنهما سميا بعد ظهور بدعة انتساب (آل معتق) لآل عواد وأما قبل ذالك فلم يتسم أحد منهم بـــ (عواد) .

٨ - ذكر الشيخ الجغرافي المؤرخ محمد بن عبدالله بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» ط٣ ج٥ ص ٦٣ ما نصه : (وبعد فتح مكة في سنة ١٣٤٣هـ قال لي عبدالله الجفالي - رحمه الله - أن الليلة التي سجنت فيها قال لي إبراهيم بن معتق - وهو من أخص رجال الحسين المطلعين على أسراره - في صبيحتها : هل علمت أن ابن بليهد حبس في المدينة وسيؤتى به إلى مكة ويشنق في الخريق - الموضع المعروف في مكة - فقلت : عافاني الله من شره . . . إلخ) . انتهى قلت : والشاهد فيما سبق أن ابن بليهد أسماه

(إبراهيم بن معتق) فهل ترى أن ابن بليهد نسبه إلى أبيه المباشر أم إلى أسرته التي اشتهر بها بين معاصريه (آل معتق)؟ الجواب واضح للعيان أن الرجل ينسب عند ذكره وتمييزه لأسرته التي اشتهر بها بين الناس، أي أن اسمه (إبراهيم بن معتق المعتق) وليس إبراهيم بن معتق العواد وإلا لنسبه ابن بليهد لهم، ومثال ذالك لو قلت (عبدالعزيز بن محمد) فلن يعرفه أحد وسينكر عليّ هذا الإبهام، أما إذا قلت (عبدالعزيز بن غزي) فواضح لكل ذي لب أن (غزي) اسم الأسرة وليس اسم الأب، وهذه هي الطريقة التي درج عليها أبناء نجد عند تسمية بعضهم البعض.

٩ - يعد (الوسم) عند العرب قديمًا وحديثًا دليلاً قويًا يثبت انتساب أسرة إلى أخرى أو إلى قبيلة ما، كما أنه علامة فارقة تميز ممتلكات قبيلة أو أسرة عن ممتلكات غيرها، ولأسرة آل عواد - كغيرها من الأسر والقبائل - وسم اختصت به عن غيرها ولا يشاركها فيه أحد وهو علي الشكل الآتي () ويسمى (الرويكب) وقد حافظت جميع فروع أسرة آل عواد على هذا الوسم، وأضافت بعض الفروع بعد كثرة أعدادها وتفرقها إضافات طفيفة لتميز ممتلكاتها عن باقي فروع الأسرة، فكان وسم أسرة آل عواد في العيينة ومن ثم الدرعية حسب الشكل الآتي () بزيادة مطرق آخر أفقي فوق المطرق الأول.

أما أسرة آل عواد في (جلاجل) فقد أبقت على الوسم الرئيس ولم تضف له شيئًا، وأما أسرة (آل ملحم) في الغاط فقد أضافت نقطة فوق المطرق حسب الشكل الآتي ()، فيما أضافت أسرة (آل جاسر) النقطة إلى يمين المغزل حسب الشكل الآتي ().

أما أسرة آل معتق فوسمها على الشكل الآتي () كهيئة حافر الحصان

وهو كما يتبين لكل ذي لب لا يشابه وسم الأسرة الرئيس لا من قريب ولا من بعيد.

رغم قرب سكنى أسرة آل معتق (الزلفي) من مقر الأسرة الرئيس (الغاط) مما يجعل الزعم بنسيانهم لوسم أسرتهم الرئيس مع تقادم الزمن أمراً مستحيلاً وإلا لكان نسيان أسرة آل عواد في الدرعية لوسم الأسرة أدعى.

ومما سبق شرحه وبيانه بالتفصيل يتضح أن أسرة (آل معتق) الكريمة عائذية قحطانية ولكنها لا تنتسب لأسرة آل عواد سكنة بلد الغاط، وإن كانت ثمة صلة بين الأسرتين قديمًا فهي صلة مصاهرة فقط من جهة إحدى بنات - أو بنات بنات - سليمان بن عواد صاحب (فيد آل عواد) في بلد الغاط حسب ما ظهر لي من خلال تتبعي لوثائق سليمان بن عواد رحمه الله.

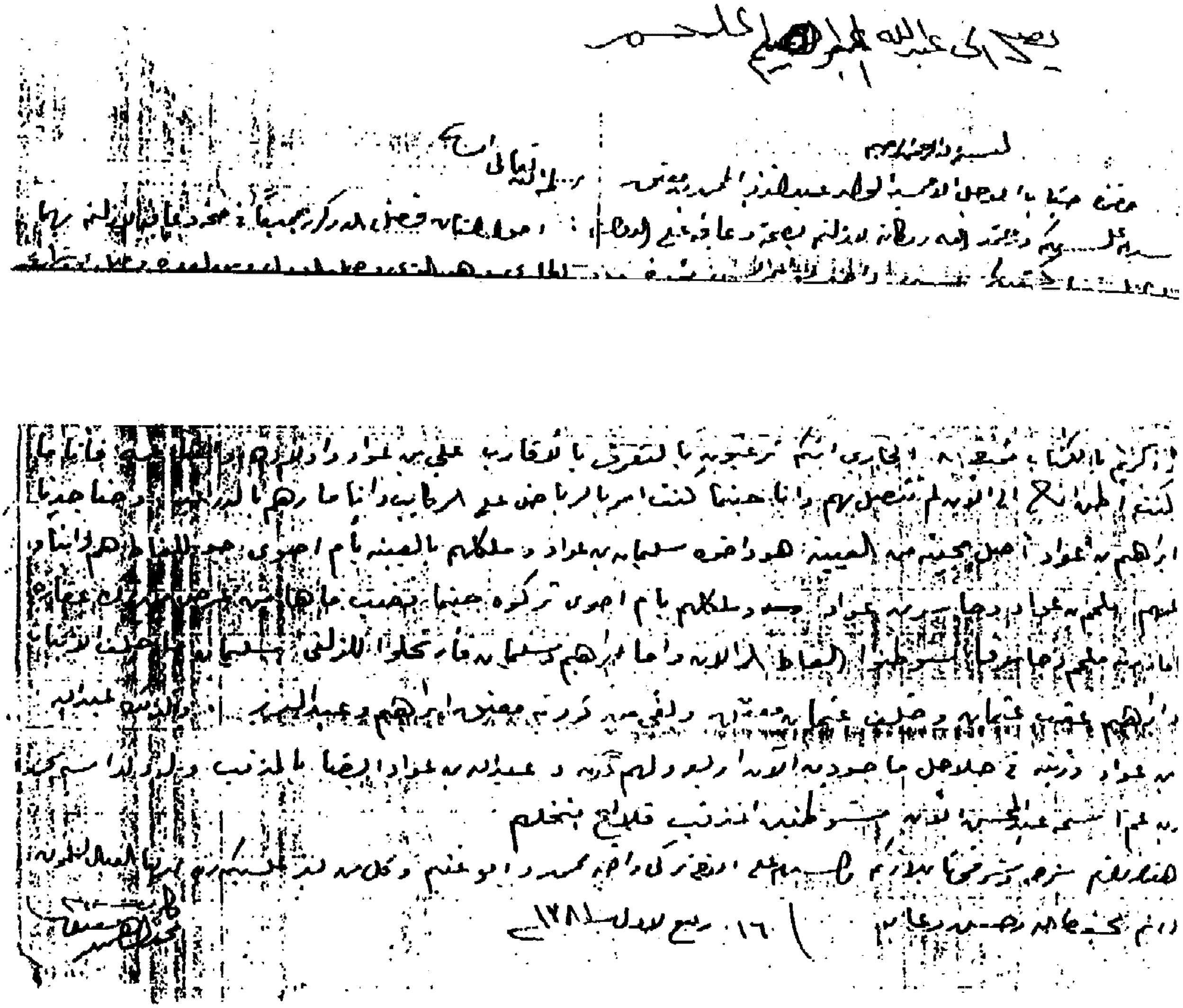
آمل أن يكون فيما ذكرت آنفًا ما يكفي لإثبات عدم صحة انتساب أسرة آل معتق إلى أسرتنا، وكما تعلمون أن (البينة على من ادعى) وأنه في حال الخلاف يرجع إلى الأصل وهو (أن أسرة آل معتق لا تنتمي إلى أسرة آل عواد) حسب ما بيناه مفصلاً أعلاه.

وإني أصالة عن نفسي وبالإنابة عن كبار أسرتي إذ أشكر لكم سلفًا على اهتمامكم بسماع وجهة نظرنا حيال موضوع يمسنا مباشرة، لأنتظر منكم قريبًا وعبر مجلتنا الغراء «العرب»، تصحيحًا لما سبق أن نشرتموه بقلم الأستاذ عبدالعزيز الغزي على ضوء ما بينته لكم، مكرراً مطالبتي للأستاذ عبدالعزيز الغزي إرسال رده سريعًا من خلال مجلتكم.

دمتم موفقين فيما تصبون إليه في دينكم ودنياكم، والله يحفظكم ويرعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الدرعية: عبدالحكيم بن عبدالرحمن العواد



الصورة رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

يشهد ناصر بن احمد بن سبيل فرعا عن شهادة ابيه ناصر بأن ام صبار
العناب في نعجة انها ملك لال عواد ولم يشهد والعواد فيها حطو
فيها رصاد

يشهد عبيد بن ارحمة بن ابراهيم سعيد فرعا عن شهادة عبد الرحمن بن سعد الله
بن محمد ان آخر من تشبه من العيشة العواد في ملكهم ام صفوان وام عابر

يشهد عبد الله بن سليمان الدليحي فرعا عن شهادة ابيه بأن آل العواد
بعد ما شبا او من ملكهم ام صفوان حصل عرفية رصاد وتنسد الحيلة
بأخذ منها عمر ورصاد العواد فيها

يشهد عبد العزيز بن مبارك بن سعد فرعا عن شهادة ابيه بأنا نرعا
ام صفوان ملك آل عواد ولم نرم حصل العيش فصلوا ديرانها العواد فنا

يشهد سعد بن فيصل بن سعود فرعا عن شهادة ناصر الحميدي بأن اتلا
من شجر العيشة آل العواد من ملكهم ام صفوان يتعلق فيها ويعمرون
كلهم وذلك في وقت الامام فيصل بن تركي كتبه شهادة محمد بن صدرهم
واقرارهم عبد الله بن عبد الرحمن بن نعيم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

١٠/٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المعلم من يراه أن شهود الفرع المذكورين أعلاه والكاتب كل منهم عدل
ثقة واما شهود الاصل المنقول عنهم وهم عبد الرحمن بن عبد الله بن حمد وابن
مبارك بن عبد الرحمن وناصر الحميدي فكل منهم عدل ثقة معلوم الشهادة
حتى لا يخفى ما ذكر حرره شيخنا عبد الرحمن بن سعد البيضا وصلى الله
على محمد وآله وصحبه وسلم

٢٦/٢/م

الحمد لله بسم الله الرحمن الرحيم مقتضى ما ذكره
الشيخ عبد الرحمن بن سعد بن عبد الله
الكاتب والشهود ثبوت
ملكية آل عواد لام صفوان والله
أعلم حرره الفقير الى الله محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف وقيده عن امره عبد اللطيف بن ابراهيم آل محمد

٥

٢٠٤م

الصورة رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان ما بين محمد بن ملحم باقرار عمته تركية بنت ا
براهيم ابن جاسر واقرار هيا بنت سليمان ابن
عواد بان سليمان ابن عواد توفي عن والده
محمد وست بنات ومحمد توفي عن امه تركية
المذكوره واخوات سبع شقيقين واخوات من ا
بيه ست كتب جلوي محمد بن ملحم محمد ابن سليمان
لنه مبيع ونصيب تركية وبناتها رقبية وموضع
باعوه على عثمان بن عيسى ميراثهم
سيد السواد في بلد الغاط وهو ميراثهم من ا
بيه سليمان ونقلته من كتب محمد ... ان بن [illegible]
بعد معرفته زيد بن عبد الله الناصر

الصورة رقم (٣)

بســــــــــــــــسم الله الرحمن الرحيـــــــــــــــــم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، وبعد :
فقد تم بحمد الله وتوفيقه الانتهاء من اعداد شجرة اسرة آل عواد العائذية القحطانية والاطلاع على المسودة النهائية لها ، والتي تتضمن ثلاثة فروع فقط وهي :
(أولاً) : فــرع أهــل الغـاط وهـم { آل ملحـم } من ذرية ابراهيم بن جاسر بن عواد ، و { آل جاسـر } من ذريـة محمـد بن جاسـر بن عـواد .
(ثانياً) : فـرع أهـل جلاجـل وهـم من ذريـة عبداللطيف بن ابـراهيم بن عـواد .
(ثالثاً) : فـرع أهـل الدرعيـة وهـم من ذريـة عبـدالله بن محمـد بن عـواد .
وبهذا تمت موافقتنا نحن الموقعون ادناه على طبع الشجرة بالفروع المذكوره اعلاه ، مع إضافة مايستجد من معلومات مستقبلاً باذن الله في الطبعات القادمة ، سائلين المولى سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يجعله معيناً على صلة الرحم والتعارف بين افراد الاسرة ، والله ولي التوفيق .....

* أسرة آل عواد { العائذية } عنهم :

صالح بن عبدالمحسن العواد



عبداللطيف بن ابراهيم العواد



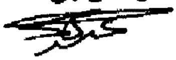
محمد بن أحمد العواد



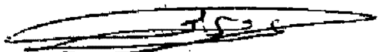
سليمان بن محمد الجاسر



عبدالرحمن بن محمد الجاسر



عبدالله بن ابراهيم الملحم



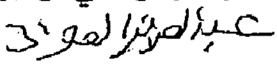
صالح بن عبدالله بن ابراهيم العواد



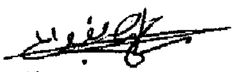
عبدالرحمن بن علي بن ابراهيم العواد



عبدالعزيز بن علي بن ابراهيم العواد



سليمان بن عبدالله بن حمد العواد



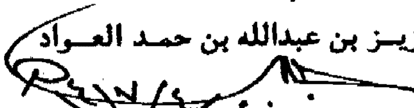
عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العواد



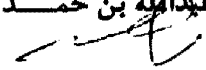
صالح بن عبدالعزيز بن محمد العواد



عبدالعزيز بن عبدالله بن حمد العواد



ابراهيم بن عبدالله بن حمد العواد



عبدالعزيز بن علي بن عبدالرحمن العواد



عبدالله بن علي بن عبدالرحمن العواد

خالد بن ابراهيم بن عبدالرحمن العواد



الصورة رقم (٤)

المملكة العربية السعودية
رئاسة القضاة

الصكوك الصادرة من المحاكم الشرعية

عدد ... ١٢ ... تاريخ
٥٤ في ٤/٣/١٣٩٦هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد ففي يوم الثلاثاء الموافق ١٣٩٦/٢/٢٤
لدي أنا عبد الله بن زاكي الصفيري بالكونه رئيساً لمحكمة الزلفي حالياً حضر محمد إبراهيم بن معتق
والذي ما ... لهي المدعو سليمان بن عثمان بن عواد قد توفي رحمه الله وله وصية مفقودة
وحيث انه له ثلث اطلب توكيل عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المعتوق على ثلث المذكور
ويأذن له بامضاء بيع ما استقطعت البلدية لصالح الشارع العام واستلام القيمة
وجعلها ... اطلب اثبات ذلك وعلى هذا وقع هكذا ادعى بأنه انتهى وبطلب بينه
احضر لدي كلا من صالح السالم العمر وعبد الله إبراهيم العقلا وطلب سماع شهادتهما
ولدى استشهادهما شهدا بأن الغائب ابن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المعتوق ثقة
وأمين وصالح للقيام على ثلث سليمان بن عثمان بن عواد هذا ما شهدا به وقد جرى
تزكية الشاهدين من قبل عبد الله الأحمد العمر وعبد الله السليمان الخميس فبناء على ما تقدم
من طلب المنهي وما ورد في شهادة الشاهدين وتزكيتهما انفذ وكلت عبد الله
الحمد العبد العزيز المعتوق على ثلث عم سليمان بن عثمان بن عواد كما اذنت له بامضاء
بيع ما استقطعته البلدية لصالح الشارع العام واستلام القيمة وجعلها في تعمير ما فيه جرى
تحريره في يوم الثلاثاء الموافق ١٣٩٦/٢/٢٤ ...

الصورة رقم (٥)

كتاب «المنتخل» للميكالي (ت ٤٣٦هـ)

قلَّ أن يمرني الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب (دار الغرب الإسلامي للنشر) إلاَّ ويتحفني -رعاه الله وحفظه- بكتاب من غرائب ونفائس ما تنشره (دارُهُ)! وكان آخر ذالك كتاب «المنتخل» تأليف أبي الفضل عبدالله بن أحمد بن علي الميكالي المتوفَّى سنة ٤٣٦هـ، وقد خرج هذا الكتاب في هذا العام ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) في جزأين بتحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري، الأستاذ في (جامعة آل البيت) في عمان بالأردن، والكتاب هو مختارات شعرية انتخلها المؤلف من عيون الشعر العربي؛ الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، منتهيًا بمختارات شعرية لمعاصريه، وقد اتخذ اسم الكتاب «المنتخل» من طبيعة اختياره فكأنه انتخل الشعر العربي واختار منه هذه المجموعة الضخمة التي بلغت ما يقرب من ستة آلاف بيت.

لقد عرف المتخصصون هذا الكتاب من خلال اطلاعهم على مختصره الذي عمله الثعالبي -رحمه الله- وسماه: «المنتحل من المنتخل» والمنشور في أوائل القرن الماضي في الإسكندرية ١٣١٩هـ (١٩٠١م) لكنَّ خروج الكتاب الأصل، بهذه النشرة الجديدة، سيهيئ للباحثين مصدرًا جديدًا ثرًّا لشعراء وشعرٍ لم يذكرا في «مختصر الثعالبي» المطبوع إذ لا يحتوي ذالك المختصر، كما ورد في مقدمة محقق الكتاب، إلاَّ على نصف الكتاب تقريبًا.

لقد اعتمد الدكتور الجبوري في نشرته هذه على مخطوطين للكتاب أحدهما في (استانبول) والآخر في (كيمبرج)، كما اعتمد على مخطوطٍ وافٍ لمختصر الثعالبي إضافة إلى النشرة المطبوعة، فجمع وأوْعَى، وبذل في التحقيق جهدًا موفقًا في تحرير النص وتدقيقه وضبطه، وتخريج أشعاره،

ومقارنة نُسَخه، فجزاه الله خيراً على صَنيعه هذا.

الكتاب: يقول المؤلف مقدِّمًا لكتابه: (... فإن هذا الكتاب أودعناه من جيد الشعر ومُحْكَمِهِ، وأمثاله وحِكَمِه، وقلائده وفرائده، وشوارده وفوارده... وأخرجناه في خمسة عشر بابًا...).

ثم يعدد الأبواب فيقول: (فالباب الأول: في وصف الخط والكتاب والبلاغة نظمًا ونثرًا.

والباب الثاني: في التهاني والتهادي وما يجري مجراهما.

والباب الثالث: في التعازي والمراثي وما يتصل بهما.

والباب الرابع: في مكارم الأخلاق والمدائح ونحوها.

والباب الخامس: في الاستماحة والشفاعة والبر والاستعانة.

والباب السادس: في الشكر والثناء وما يقاربهما.

والباب السابع: في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات.

والباب الثامن: في الهجاء والذم وذكر المقابح.

والباب التاسع: في شكوى الزمان والحال.

والباب العاشر: في الأمثال والحكم والآداب.

والباب الحادي عشر: في الإخوانيات وما يشاكلها.

والباب الثاني عشر: في السلطانيات وما يليق بها.

والباب الثالث عشر: في ذكر الحبس والإطلاق والنكبة وزوالها.

والباب الرابع عشر: في العيادة وما ينضاف إليها.

والباب الخامس عشر: في الأدعية وما يقترن بها).

ثم، بعد أن عَدَّد أبواب الكتاب، سَرَدَ أسماء كل الشعراء الذين وردت لهم اختيارات في كتابه - حسب عصورهم - فكانت أعدادهم كالآتي:

الجاهليون: اثنان وثلاثون شاعراً.

المخضرمون: عشرة شعراء.

المتقدمون من الإسلاميين: خمسة وعشرون شاعراً.

المحدثون: ثمانون شاعراً.

الوزراء والكُتَّاب: ثلاثة وعشرون شاعراً.

المولدون: أربعة وعشرون شاعراً.

العصريون: ثمانية وخمسون شاعراً.

إن هذا الكتاب كتاب نفيس، يماري فيه مؤلفه كتب «الحماسة» في انتقائه، إلاّ أنه قد يفضلها، لأنه يغطّي فترة متأخرة ومعاصرة له، إضافة إلى تجديده في اختيار بعض موضوعات أبواب كتابه.

وقد خدم المحقق الكريم هذا الكتاب فوضع ملحقًا ترجم فيه للأعلام والشعراء الذين وردت أسماؤهم في صلب الكتاب، كما عمل أثباتًا عامة، ضمت ثبتًا للشعر، وآخر للأعلام، وثالثًا للقبائل والشعوب والجماعات، ورابعًا للأماكنَ والمواضع والبلدان، وخامسًا للرسائل والكتب التي وردت في متن الكتاب، وختمها بثبت للموضوعات فبلغت صفحاته (١١٣٠) صفحة.

إنه عمل جليل تأليفًا وتحقيقًا.

٤٢٤-٤٢٣

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٣ و ٤ س ٣٦ رمضان وشوال سنة ١٤٢١هـ)

(كانون ١ و٢ (ديسمبر ويناير) سنة ٢٠٠٠و٢٠٠١م)

اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
أسسها : حمد الجاسر
رجب ١٣٨٦هـ / تشرين ١٩٦٦م

ج٣,٤س٣٦-رمضان وشوال سنة ١٤٢١هـ - كانون ١و٢ (ديسمبر ويناير) سنة ٢٠٠٠ و٢٠٠١م

شكر .. وعرفان ..

توفي والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه، وكان ذلك في منتصف ليل الخميس في ١٦ / ٦ / ١٤٢١هـ (١٤ / ٩ / ٢٠٠٠م)، ولقد كان ذالك شاقًا عليّ وعلى والدتي وأخواتي وبخاصة أن قدّر الله ذالك ونحن معه خارج الوطن بعيداً عن أهلينا وأحبابنا، فأصبح همي بعد أن أفقت من الصدمة العودة بالجثمان إلى أرض الوطن في أسرع وقت لتعجيل الدفن، فبعيد الوفاة اتصلت ببعض الأقارب والإخوة لإفادتهم بما قدر الله، وممن اتصلت بهم أخي الدكتور سليمان بن عبد الرحمن العنقري الذي اتصل بالدكتور عبد العزيز الخويطر والأستاذ عبد العزيز السالم والأستاذ عبد الله النعيم الذين أبلغوا ولاة الأمر بالخبر فوجه **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، حفظه الله** المسؤولين بالسفارة لتيسير إجراءات عودتنا واستئجار طائرة خاصة لتقلنا إلى الرياض، فما هي إلا ساعات حتى كانت كل المستندات المطلوبة من السفارة والجهات الرسمية المحلية قد تم استكمالها، ومن قبل في رحلة ذهابنا وجه صاحب السمو الملكي النائب الثاني الأمير **سلطان بن عبد العزيز** بنقل الوالد بطائرة إخلاء طبي خارج المملكة.

خلال تلك الساعات انهالت المهاتفات، التي لم تنقطع حتى ساعة صعود الطائرة وإقفال الجهاز، بعضها مكالمات من بعض أفراد الأسرة والأحباب، وبعضها من ولاة الأمر، والحق يقال : لقد كان لمكالمة كل من صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير **عبد الله بن عبد العزيز** وصاحب السمو الملكي أمير منطقة الرياض الأمير **سلمان بن عبد العزيز** وقع كبير في نفسي، إذ أن هذين الأميرين الجليلين كانا خارج البلاد يؤديان مهام تتعلق بالأمة الإسلامية كافة، فجزاهما الله خيراً عن ذلك، أما الأمير الجليل **فيصل بن بندر بن عبد العزيز** أمير منطقة القصيم، فقد كان يعود والدي في أيامه الأخيرة في المستشفى إذ كان موجوداً في البلدة نفسها وكان آخرها قبل

وفاته بثلاثة أيام، وقد ظل على اتصال هاتفي بعد عودته ليطمئن عليه، إلى أن أخبرته في آخر مهاتفة أنه انتقل إلى رحمة الله قبل ساعات، فجزى الله ولاة الأمر خيراً على هذه الرعاية الكريمة التي اعتدناها منهم، وجزى الله خيراً أولئك الإخوة الأفاضل الذين كان والدي -رحمه الله- يكن لهم الحب والتقدير، فلقد كان لهم فضل عظيم في التنسيق والمتابعة مع السفارة لسرعة إكمال تلك الإجراءات، ولقد كان للأخ الدكتور فهد الماضي مدير المكتب الصحي في واشنطن دور فاعل في الإشراف على تنفيذ التوجيهات السامية وفي المتابعة.

الموت مصيبة، وعندما يحدث في بلاد غريبة مع نسوة ثكالى، فهو أشد مرارة وأقسى، وفي تلك الساعات العصيبة قدر المولى أن يكون الشيخ أحمد زكي يماني وبعض أفراد أسرته في المدينة نفسها، وكان معاليه يتردد على والدي -رحمه الله- حتى آخر يوم في حياته، وحين علم أنه سيخضع للجراحة أوصى كبار الأطباء به ووجههم بنفسه، ولا أزال أذكر كلماته التي وجهها للجراح قائلاً (إن هذا الرجل (يعني أبي) رمز ثقافي وعلم عظيم في بلادنا، فعليك بذل قصارى جهدك لشفائه) ولكن تقطعت الأسباب وقضى الله أمراً كان مفعولاً، ولما علم بوفاته -رحمه الله- قدم مع أم فيصل وابنهما شرف لعزائنا ومواساتنا، وظلوا بجانبنا طوال ذالك اليوم العصيب واستفسر مني عن سير إجراءات العودة، ووجهني برأيه السديد، ومد لي يد العون والمساعدة في كل ما سهل علينا العودة دون تأخير، ولقد عرض عليّ طائرته الخاصة لتعود بنا، وحين علم أن ولاة الأمر قد أمروا بطائرة لذالك الغرض قال: ولاة الأمر -جزاهم الله خيراً- أولى، فهم أحق بتكريم حمد الجاسر من أي فرد.

أما أصحاب السمو **الملكي الأمراء وأصحاب السمو والعلماء والمثقفون** من كل أنحاء العالم الذين عبروا عن مشاعرهم حضورياً، أو هاتفياً أو كتابياً فلهم مني جزيل الشكر على تلك العواطف التي أشعرتني أن (حمد الجاسر) ليس فقيد أسرته بل فقيد كل بيت علم وفضل، فالحمد لله على قضاء الله والحمد لله الذي أكرم **(حمد الجاسر)** برجال عرفوا قدره في حياته وبعد مماته، اللهم عوضنا خيراً في والدي، وتغمده بواسع رحمتك إنك أنت السميع المجيب.

معن بن حمد الجاسر

فجيعتي فيك .. أبا محمد ..

[فجع قراء مجلة «العرب» وأبناء العرب بانتقال الشيخ حمد الجاسر إلى رحمة الله يوم الخميس ١٦ / ٦ / ١٤٢١هـ، فامتلأت الصحف والمجلات في العالم العربي بكثير من مقالات التأبين، وقصائد الرثاء، وقد اختارت «العرب» مقالين وقصيدة في هذا الجزء، أمثلة للحزن الذي عمّ المثقفين على علامة الجزيرة].

المكان : قرية (البرود) بإقليم السر، في براري نجد، الزمان : أحد أيام العام الهجري ١٣٢٨هـ، أبى تاريخ الفكر والثقافة العربية إلا أن يدونه بمداد من نور، المناسبة: بزوغ نجم من نجوم الفكر والأدب والثقافة في بلادنا.

المكان: إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الامريكية.

الزمان : صباح الخميس ١٦ / ٦ / ١٤٢١، أبى تاريخ الفكر والثقافة العربية إلا أن يدونه بمداد من دموع، المناسبة : أفول نجم من نجوم الفكر والأدب والثقافة في بلادنا.

وبين التاريخين رحلة طويلة ومضنية من البحث والتقصي والدرس والتحصيل، كان نتاجها داراً للفكر والثقافة، تصدر عنها صحيفة ومجلة ملء السمع والبصر، وذالك منذ العام ١٣٧٢هـ، ومجلة «العرب» رائدة الفكر والثقافة في بلادنا منذ العام ١٣٨٦هـ، ومؤلفات ومساهمات تربو على الألف في التاريخ والجغرافيا والأدب وغيرها من ضروب الفكر، ومساهمات أخرى هنا وهناك، يضيق عنها الورق وينفد المداد.

نيف وتسعون عاما من العطاء، قضاها أبو محمد وهو يبحث وينقب، ويقرأ ويكتب، ويجول أرض الجزيرة من أسفلها إلى أعلاها، ومن أدناه إلى أقصاها، كانت جزيرة العرب قفاراً وصحاري، حتى جاء (حمد الجاسر) يطلع جبلاً ويهبط سهلاً، ويقتفي واديا، فجعل من قفارها وجبالها وسهولها وأوديتها معالم للباحثين، وأهازيج للمترنمين، فهو حامل عبء التعريف بجزيرة العرب، وصاحب النفس الطويل في البحث والتنقيب، ومعلّم من جاء بعده في هذا المجال، جعل من نفسه رهنا له ومن وقته وقفا عليه، فألف فيه وحقق، ونقد ودقق، متمثلاً في ذالك قول الشاعر :

إذا أنت لم ترع العهود لمنزل   فلست براع حق أهل المنازل

وعلى الرغم من أنني منذ شدوت وأنا أعشق من جزيرة العرب مغانيها

وأتشوق لسهولها وأحن إلى مرابعها ومراتعها، أخصها برحلات متواترة وبزيارات متكاثرة، وأبحث وأستقصي وأسأل وأحفظ - إلا أنني أدين لأستاذي الراحل بالسبق، وأعترف له بالفضل، وما اضطلعت بمهمة وضع «معجم اليمامة» إلا لأسباب منها : تحقيق رغبة الراحل صاحب «معجم البلاد العربية السعودية» الذي رشحني لهذه المهمة.

فجيعتي فيك يا أبا محمد كبيرة، وطاقتي على ما اعتورها من ضعف ووهن لعاجزة عن احتمالها، أأبكيك أستاذًا ومعلمًا، تعلمنا منه الكثير، وأخذ بأيدينا أكثر، أم أبكيك أخًا وصديقًا تجده دومًا في ملمات عالم الأدب والصحافة، وما أكثرها؟ هل أبكيك أبا محمد رفيقًا في درب المهنة.. أحسست بفقده وكأن نصفًا مني قد شل، وباتت (الرياض) مدينة وصحيفة تبكي فيك علمًا ومؤسسًا، وأضحت (الجزيرة) موطنًا وصحيفة تبكي فيك فارسًا ورفيق درب؟!!

رحل الجاسر فارس الجزيرة المغوار، وسابر أغوارها ومعلم أجيالها، رحل وفي مخلاته دواة وقلم وصحيفة، ووراءه أكثر من ألف من الأعمال، جغرافية وتاريخًا وأدبًا وفكرًا، رحل أبو محمد و«الرياض» و«اليمامة» شوامخ ملء السمع والبصر، رحل أبو محمد ومقعداه في مجمعي اللغة في (القاهرة) و(دمشق) شاغران يبكيانه.. رحل علامة الجزيرة ونسابتها وجائزة الدولة التقديرية للأدب للعام ١٤٠٣هـ تنعي صاحبها قائلة عنه : (غني بجهوده العلمية عن كل تعريف، وتقصر أي كلمات عن أن توفيه حقه من الإشادة والتكريم، لقاء جهوده العلمية والأدبية، والتي يحق للمملكة العربية السعودية أن تعتز بها كل الاعتزاز) حسبما جاء في دليل حفل الجائزة لذالك العام، رحل الجاسر بعد كل هذا الإنجاز وهو يردد :

منى إن تكن حقًا تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمنًا رغدًا

رحل رفيق الدرب وفي النفس لوعة، وفي الفؤاد حزن كبير.. ولكننا لا نقول إلا ما يرضي الرب، فإنا عليك يا أبا محمد لمحزونون و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

عبد الله بن محمد بن خميس

وداعًا أيها الحبيب

كان حديثه إلينا يتسم دائمًا بالحب.. في الحفاوة واللقاء، وفي المخاطبة والمباحثة.

كان كثيراً ما يقدم لحديثه بكلمة (حبيبنا) أبو صالح يرى كذا .. حبيبنا أبو عمرو قال كذا .. أحبتنا في مصر يرون كذا .. أحبابنا في العراق لديهم كذا.. ولكن يا حبيبنا الموضوع كذا وكذا.. هكذا كان حمد الجاسر يدير الحديث بين تلاميذه ومريديه، والحبيب هو كل من اتصل بالعلم بسبب وعرفه حمد الجاسر، ومع أدبه الجم، وعلمه الغزير، لم يكن يفرض رأيًا على أحد، ولكنه لم يكن يتنازل عن رأيه إلا بالحجة والبرهان.

الجاسر في حياتنا أشبه ما يكون بالظاهرة الكونية التي لا تنتهي العلاقة بها بمجرد ظهورها، ولكنها تستحق الدراسة والتحليل، لقد عبر دنيانا الثقافية شهابًا مضيئًا وملأها نورًا، وأسهم بفكره وجهده في مجالاتها المختلفة لأكثر من سبعين سنة، والآن وقد خطفه الموت منا، آن لنا نحن الذين عشنا ظاهرة حمد الجاسر أن نقف أمامها متأملين، وأن نكب على تجربته دراسين ومستفيدين، آن لنا أيضًا أن نقول له : وداعًا أيها الحبيب، الذي غمرنا بالحب، وأهدى إلينا أغلى ما يملك من ثمار التجربة الزاخرة بالعطاء والنابضة بالوفاء.

ومن تمام التأمل بعد أن صمت صوتك ورحل جسدك أن نتذكر مواقفك وأن نستحضر صورة أعمالك الجليلة.

ولا شك أن كل واحد من محبيك- أو أحبابك كما كنت تفضل أن تدعوهم- قد عرفك أول ما عرفك عند نقطة معينة من حياته، ولعله بقدر الزمن الذي عرفك به تكون خسارته بفقدك، وحزنه عليك، وخاصة إذا كان من المنتمين إليك ثقافيًا وعلميًّا، بالنسبة لي فإن الخسارة كبيرة، والحزن فادح بهذا المقياس، فقد عرفتك منذ وقت مبكر، منذ كنت طفلاً في العاشرة من العمر، رأيتك مع والدي، صديقين تلتقيان في سكننا قرب (باب الزيادة) من أبواب الحرم المكي الشريف، أو في حصوات الحرم، أو في منزلك، أو (قهوة

عصمان) بظاهرة المعابدة، التي شهدت بعض جلساتها الثقافية، كنتم مجموعة من المشايخ والمثقفين تخرجون عصر كل خميس إلى ذالك المكان من العمران في ذالك الوقت، وتديرون أحاديث دينية وأدبية وثقافية، وأذكر في مثل هذه الندوات المصغرة من أصدقاء والدي - رحمه الله- الإمام التقي الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط، مدير (مدرسة الأمراء) في الرياض، وإمام الحرم المكي الشريف، وعضو هيئة كبار العلماء فيما بعد، والأستاذ أحمد علي أسد الله الكاظمي، الكاتب المؤرخ الأديب، وعميد كلية الشريعة فيما بعد، وأخاه الجليل الفاضل الأديب، عبد الحميد حامد أسد الله، وكان على قدر كبير من الثقافة والعلم مع روح ظريفة وأسلوب في الكتابة جميل، وإن لم يخلف آثاراً منشورة، والأستاذ عبد الله المزروع، وغيرهم- رحم الله الجميع، ورحمك معهم-.

لقد تحدثت عن هذه الجلسات في مقدمة كتابك «مع الشعراء» وذكرت أنكم قرأتم في بعض هذه الجلسات قدراً من كتاب «الأغاني». كنت معجباً بك من تلك الأيام، يغذي هذا الإعجاب والدي، الذي كان يتابع مقالاتك في «أم القرى»، ولست أنسى مشواري الأسبوعي صباح كل جمعة لشراء هذه الجريدة من مكتبة أظنها (مكتبة الثقافة) في مكة المكرمة.

وأذكرك يا سيدي -أيام طفولتي- وقد استقبلتنا خير استقبال في (الظهران) حين وصلناها بعد رحلة جوية، هي بمقياس هذه الأيام من أشق الرحلات، ولكنها كانت في تلك الأيام من أجملها وأكثرها سرعة وراحة، وأذكر أننا غادرنا جدة في الصباح ووصلنا الظهران في المغرب، بعد توقف في مطار الرياض المتواضع، لقد قضينا في الظهران أياماً سعيدة بوجودك، قبل أن نتابع الرحلة إلى البحرين، ثم بغداد، لإجراء عملية في العين للوالد، ثم بعد ذالك لست أنسى لقاءاتي بك المتقطعة في القاهرة، عندما كنت أدرس فيها، ومنها لقاء حميم جمعك بوالدي في منزلنا، وسجلته بالصور التذكارية، ولم تنقطع صلتي بك وإن تباعدت بيننا فرص اللقاء، وخصوصاً في فترة بيروت،

التي أصدرت منها مجلة «العرب» فقد كنت كثيراً ما أسعى إليك حبًّا في قربك والاستفادة منك، ولست أنسى أريحيتك حين طلبت منك تعريفي بصديقك العلامة الأستاذ خير الدين الزركلي، بعد أن أهدى مكتبته إلى (جامعة الملك سعود) فاهتممت بالموضوع، ورتبت موعد الزيارة، وذهبت بمعيتك إلى الأستاذ الزركلي، وتلك زيارة ثرية لا يمحوها النسيان، كانت تلك الزيارة قبل أحداث لبنان وكان الشيخ الزركلي في صحة حسنة، وقد أبديت له شكر الجامعة وتقديرها لإهدائه المكتبة، ثم حادثته في أمر مكتبته في بيروت، فأشار إلى أن هذه المكتبة مهداة أيضًا إلى (جامعة الملك سعود)، وإنه عندما يفرغ من بعض أعماله التي يشتغل بها فإنه سيطلب منا في الجامعة تسلمها، لكن الأستاذ -رحمه الله- عندما توفي لعبت في رؤوس بعض ورثته المطامع فأنكروا على الجامعة هذا الحق، وامتنعوا عن تسليم المكتبة إلا بثمن ضخم، لم يكن في طاقة الجامعة آنذاك أن تدفعه.

في تلك الزيارة التي كنت فيها بمعيتك أذكر أن الأستاذ الزركلي أخرج لنا من درج مكتبه أوراقًا مكتوبة بالقلم الرصاص، قال: إن كاتبها جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز، يصف فيها إحدى الحملات العسكرية التي قادها، وقد كتبها بخطه بناءاً على طلب من الزركلي، ثم كانت لنا لقاءات أخرى زاخرة بالفائدة والمتعة معك خارج المملكة في (باريس) وفي (استانبول) و(عمّان)، ولكن أجمل تلك اللقاءات وأمتعها بالنسبة لي كانت في زيارتك الأخيرة للقاهرة التي شهدت فيها (مؤتمر مجمع اللغة العربية)، في هذه الزيارة الأخيرة انفردت بك على مدى عشرة أيام، كنت أراك فيها يوميًّا تقريبًا، ولساعات طويلة، وكنت فيها كعادتك أبويًّا حانيًا تسأل عني أين كنت إن غبت عنك، فإذا قلت لك: إني كنت أزور المكتبات لأبحث عن الكتب سألتني عما اقتنيت منها، وأدرت حديثًا حولها أو حول مؤلفيها، وأحيانًا كنت -كالطفل الجميل- تسألني عن الموضوع الذي أفضل أن نتحدث حوله، معللاً بتواضعك المعروف -أن كبار السن قد يثرثرون، فلا بد من ضبطهم، وكنت أرد عليك

بأنني لم آت إلا لسماع ثرثرتك التي هي في صميم العلم، وكان قصدك الذي أعرفه إمتاع جليسك بما يحب من الحديث، لاجرّه إلى أحاديث تجلب السأم، ذالك حديث اللقاءات خارج المملكة، أما عندما استقررت في الرياض فقد أصبحت قريبًا في المكان كما كنت قريباً في القلب.

تلك هي المعرفة الشخصية التي جعلتك بمرتبة الوالد والمربي، وهنالك المعرفة العلمية التي تمتزج بها ولا تنفصل عنها، ولها شأنها من المشاعر والأحاسيس وفيها عرفتك عالمًا كبيرًا، وأستاذًا جليلاً، ورائدًا من رواد الثقافة والتراث في بلادنا.

كنت يا سيدي مغامرًا وجريئًا عندما أدخلت الطباعة والصحافة إلى المنطقة الوسطى من المملكة، فأصدرت «اليمامة» سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) وأشهد أن طريقك لم يكن مفروشًا بالورود، بل كنت تنحت في الصخر، ولا شك أن ندرة المواد الصحفية هي التي جعلتك تحرر كثيرًا من مواد العدد الأول، ولكن ما إن وصلتك المشاركات من الكُتَّاب حتى فسحت المجال لهم، وقلت في كلمة صدَّرت بها العدد الثاني من «اليمامة» مخاطبًا القارئ :«وسترى في هذا العدد أيضًا أننا حصرنا رئيس التحرير في دائرة ضيقة من الصحيفة بعد أن تحجر واسعًا في العدد الأول بكتاباته التي وإن أفادت الخاصة أو خاصة الخاصة من الباحثين إلا أننا إلى كتابات ذات صلة وثيقة بحياتنا المعاصرة أشد حاجة، وقد رأينا أن بعض المؤلفين أو الناشرين يحتاجون إلى الدفاع عن أنفسهم وإلى تبيين آرائهم التي قد تتعرض الصحيفة لنقدها ففتحنا باب (من حديث الكتب) وسننشر فيه كل نقد أو دفاع مهما بلغ من الشدة والعنف بشرط إفادته للقراء، وصلته بهذه الصحيفة التي من أهدافها (قل الحق وإن كان مُرًّا)» وأشهد أن هذا كان رأيك إلى آخر عمرك، وقد كررته في أحد أعداد السنة الأولى من مجلة «العرب» قائلاً : (وإن كلمة نقد قائم على أساس مهما بلغت من الشدة والقسوة، لهي أوقع في نفسي وأعمق أثرًا وأكبر تقديرًا من تلك الكلمات الطيبة الكريمة، إنها والحق يقال هي الأثر الباقي العميق في النفس،

والذي سيكون له المحل الملائم في صفحات مجلة لا يريد صاحبها إلا أن تكون على خير ما يريده قارئها إمتاعاً وفائدة وحسن أثر). وأشهد أنك لم تكن مجاملاً لأحد في مطبوعاتك، فقد نشرت في أحد أعداد «اليمامة» المبكرة نقداً عنيفًا كتبه قارئ مطلع لبحث نشره أحد أعضاء أسرة التحرير لديك، ولم تجد غضاضة في نشره، بل لم تجد غضاضة في نشر رسالة تهجَّم عليك فيها أحد القراء تهجمًا لا يليق، واتهمك فيها بخديعة الشعب، والعبث بكرامته، ومحاولة تضليله بأعمال مرتجلة، ثم قال: (أنا لا أنتظر نشر كتابي هذا ولا أريده، فمستوى التفكير لديك ولدى كثير من أمثالك أضيق وأخفض من أن يتسع لسماع مثل ما جاء فيه من كلمات صريحة)- (اليمامة العدد ١٠ السنة الأولى) ومع ما فيه من قسوة غير متوقعة في حقك فقد نشرتَ ما قاله، وعددته نوعاً من (الثناء) المحبب إلى القائمين على الصحيفة، وجعلت القارئ حكماً بينك وبينه.

وأمر آخر يلحظه المتابع لمسيرتك الغنية الطويلة، أنك مع اهتمامك بالتراث وانصرافك التام له إلا أنك لم تقع أسيراً له، مقيداً به، مشدوداً إليه وحسب، وإنما كنت دائماً متأملاً في الحاضر مستشرفًا للمستقبل، مفكراً في مصير أمتك، كنت نهضويًا تنويريًا تقدميًا، ولكن بمفهومك الخاص، المعتمد على ثوابت الإسلام الخالدة، ومرتكزات الثقافة العربية الإسلامية، ومع أنك عرفت كبار المنظرين العرب لشروط النهضة والتقدم إلا أنك كنت تختط لنهجك الخاص شروطًا، أهمها الخلاص من الاستعمار الظاهر والمستتر عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، لم تكن تنويريًا على طريقة المستغربين الذين يجرون وراء كل ما هو غربي، وإنما كنت تنويريًا بأسلوب الاعتماد على الذات، واستنفار القوى الكامنة في الشخصية العربية، واستثمار المخزون الذاتي الإيجابي للأمة العربية.

ومن الجدير بالذكر القول: إنك من أوائل من دعا إلى التوجه الوحدوي على صعيد الثقافة والفكر، لتكوين ثقافة عربية موحَّدة، -بفتح الحاء-موحِّدة-

بكسر الحاء- نجد ذالك واضحًا في مقال مؤثر مطول نشرته في «اليمامة» سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) بعنوان (شباب حائر) ومما قلته فيه: (حينما استيقظت هذا الأمة رأت نفسها في مؤخرة الركب، ورأت الأمم الأخرى قد قطعت المراحل الطوال في ميدان التقدم نحو حياة أفضل من حياتها، ورأت نفسها بعد أن كانت قوية مرهوبة الجانب، موفورة الكرامة، نافذة القول، مسموعة الكلمة في عهدها الماضي، قد أصبحت مثلاً للضعة والهوان، والذل والضعف، فماذا تفعل لاسترداد عزتها وكرامتها؟، ماذا تعمل لكي تلحق بالركب فتبلغ الغاية؟. أترجع القهقرى إلى غابر عهدها أم تقطع صلتها بذالك الماضي؟ أصبحت هذه الأمة مترددة حائرة وقد اختلف قادتها العلماء والرؤساء فمن داع إلى الرأي الأول، وآخر يرى الخير كله في تنكب هذا والأخذ بالرأي الثاني، وثالث يحاول التوفيق بين هذين بالتلفيق، ورابع يغط في نومه لا يشعر بما حوله من ضجيج، وخامس مذبذب لا يلتزم حالة ولا يلازم طريقة، بل يتلون بكل لون، ويسير وراء كل ناعق، وأصبح لكل واحد من هؤلاء أتباع وأشياع، فتشعبت الطرق بتشعب هذه الآراء المتناقضة، وانتشر في صفوف الأمة من الاختلاف والفوضى ما زاد في تفريقها وتمزيقها، في وقت هي في أشد الحاجة إلى التآلف والتئام الشمل فأصبح الشباب- وهم أمل الأمم في الملمات على الدوام- لا يدرون كيف يسيرون، ولا أين يقصدون، فالمدارس متعددة متغايرة الأهداف والمناهج بتغاير الأقطار العربية، بل بتغاير آراء أولئك الذين يسيطرون على توجه تلك الأقطار. إلخ).

لقد نعيت على القابضين على زمام التربية في البلاد العربية تشتتهم، وعدم اتفاقهم على زاد موحد يغذون به أبناءهم لمواجهة المستقبل، وكأنك كنت تفكر في ذالك الزمن المبكر في الاتفاق على حد أدنى من الاستراتيجية الثقافية الموحدة للبلاد العربية، الأمر الذي لم تنتبه إليه (الجامعة العربية) إلا بعد أكثر من ثلاثين عامًا من دعوتك، ومع ذالك فإن تلك الاستراتيجية الثقافية بعد أن توصلوا إليها منذ مدة لم تستطع دولة عربية واحدة أن تضعها موضع

التنفيذ!! وها أنت ترحل عنا هذه الأيام من عام ١٤٢١هـ وما زالت أسئلتك التي سألتها قبل ٤٧ عامًا لم يُجب عليها، وما زال كل حزب في أمة العرب (بما لديهم فرحون) ما زالت الرؤية غير واضحة، والتخبط يضرب أطنابه في كل مجال، والمستقبل غير مستشرف، في ظل أحداث جسام تستهدف الأمة حضارة ووجوداً، والأخطر من ذالك أن موجة التغريب لم تنشط في أي وقت نشاطها هذه الأيام، والتغلغل الأجنبي أصبح واقعًا معاشًا.

وكنت تنويرياً يا سيدي عندما أردت أن توقظ الناس وتبث فيهم روح مقاومة الغزو الأجنبي بكل صوره، فأعلنت عن مسابقة «اليمامة» سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) للكتابة في موضوع (أنجع الوسائل لتحرير الشرق من نير الاستعمار سياسيًّا كان أو اقتصاديًّا أو فكريًّا) وجعلت المسابقة مفتوحة لجميع أبناء الوطن العربي، وجعلت الجوائز بالريال السعودي والجنيه المصري أو ما يعادلهما.

تلك جوانب قد لا يعرفها أبناء الجيل الحاضر عنك، فقد ألفوك دارسًا ومحقِّقًا للتراث، مهتمًا بتاريخ أمتك وجغرافية بلادك، تعيش في الماضي وتعتني به، ولكن الواقع أنك مع ذالك كله كنت متعدد الجوانب، وهي جوانب مضيئة تكوّن في مجموعها شخصيتك الفذة.

فيا حبيبنا (الجاسر) ما أعظم خسارتنا بفقدك، وما أحوجنا إليك ولكن، وقد مضى أمر الله بما أراد، لم يبق لنا إلا أن ندعو لك، راجين الله أن يجزيك عما بذلته في سبيل أمتك وحضارتك ووطنك خير الجزاء، وأن يشملك بعفوه، ويمن عليك بغفرانه، وأن يسكنك فسيح جناته، إنه على ما يشاء قدير.

أ.د. أحمد بن محمد الضبيب

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٥)

مَنَابِضَ : (مُبَايِض)

قال ياقوت في «معجم البلدان» : (مَنَابِض : موضع بنواحي الحيرة، قال المسيب بن علس، وقيل المتلمس :

ألك السدير وبارقٌ ومبايضٌ ولك الخورنق) انتهى

وقال أيضًا في رسم مبايض : (بالضم وآخره معجم : موضع كان فيه يوم للعرب، قتل فيه طريف بن تميم فارس بني تميم، قتله حميضة بن جندل، وقتل فيه أبو جدعاء الطهوي، وكان من فرسان تميم، وقال عبدة بن الطبيب :

وقلت لها يومًا بوادي مُبَايض ألا كل عان غير عانيك يُعتَق

وقال البكري في «معجم ما استعجم» : (مُبَايِض بضم أوله وبالياء أخت الواو مكسورة، والضاد المعجمة، علم وراء الدهناء في منازل بني أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان، ويقال : أُبايض، بالهمز، ويقال : هو في ديار بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وقال علقمة بن عبدة :

وقلت لها يومًا بوادي مُبَايض أرى كل عان غير عانيك يعتق

وقال أيضًا : وبمبايض أغارت بنو ذُهل بن شيبان ورئيسهم هانيء بن مسعود، على بني عمرو بن تميم، ورئيسهم طريف بن تميم العنبري، فقتل حَمَصِيصة بن شوحبيل ويقال : حَمَصِيصة بن جندل بن قُنافة الشيباني طريفَ ابن تميم، وانهزمت تميم، وتخلت عما كان في أيديها، قال أبو عبيدة : سألت عبد الله بن زرعة الذهلي عن قول جرير يعير بني مالك بن حنظلة يوم مبايض :

خَيْلي التي ركبتْ غداة مُبَايض فرجعن سَبْيكُم وكل سَوام

ألحقننا ببني ربيعة بعدما دَمِيَ الشَّكيمُ وماج كلُّ حزامَ

فقال : كذب عليهم، لأنا غزوناهم ولم تكن معهم ظعائن ولا أموال) انتهى.

مُبَايض يطلق على موضعين : موضع في بلاد نجد في منطقة سدير ذكره صاحب كتاب «بلاد العرب» بعد أن عد من مياه الرباب ومواضعهم، أسماء كثيرة، ذكر من بينها حرمة والخيس، ثم بعد ذالك ذكر مُبايض تُمَيْر ومواضع أخرى، وحينما تحدث عن الرباب مرة أخرى قال : لهم بالوشم قرية يقال لها تُميـر، ولهم مُبَايض، ولهم القُصَيبة، وذكر مواضع أخرى، وعند حديثه عن طريق حَجر لمن يريد الكوفة، قال بعد أن ذكر العتك وهو لبني سعد : وكنتَ مصعداً فيه كأنك تريد الفقْء، فإن ما عن يمينك وعن يسارك لعدي والتيم وبني سحيم، وإن أردت تَمَر وتُمير وردتهما وهما ماءان لعدي والتيم عليهما نخيل ومياه، ويُرى أحدهما من الآخر، وإلا مضيت فوردت مبايض وهو ماء لضبة عن يمين الوشم، وبين مُبايض وحجر أربع ليال منطلقات، فمبايض هذا الوادي الوارد في نصوص صاحب كتاب «بلاد العرب» هوفي منطقة سدير وما حولها، وقد يعد بعض المتقدمين هذه المنطقة من الوشم، ويقع مبايض هذا في منبسط من الأرض يدعى البطين، ويقع جبل مجزل شرقيه وجبل العرمة غربيه، وسيول البطين تنحدر من مجزل مشرقاً، وقد أنشيء فوق ماء مبايض هجرة لأناس من قبيلة مطير سنة ١٣٣٤هـ، ويقع مُبايض (بقرب خط الطول : ٥٠َ / ٤٥° وخط العرض : ٥٠َ / ٢٥°) وله مصور جغرافي خاص باسمه في اللوحة رقم ١١-٤٥٢٥٦ من مصورات وزارة البترول والثروة المعدنية (إدارة المساحة الجوية).

أما الموضع الثاني الذي يعرف بمبايض والذي تحدث عنه صاحبا «معجم البلدان» و«معجم ما استعجم» فهذا يقع في شرق المملكة بالقرب من منازل بني شيبان بن ثعلبة من بكر بن وائل، الذين غزوا فيه بني تميم، فهزموهم على ما نقل ياقوت والبكري. وأراه هو الموضع المعدود من نواحي الحيرة، إذ الحيرة كانت منازل المناذرة، ونفوذهم يمتد إلى أطراف بلاد بني تميم.

وعلى هذا فأرى أن كلمة منابض في «معجم البلدان» هي مبايض الذي ورد ذكره فيه مرة أخرى، وأن الشاعر يمدح الملك الحِيري لسعة سيطرته، وأنها تشمل هذه المواضع كلها وهي متقاربة.

منزل : (مَبْرك)

ورد في «معجم البلدان» في رسم (قاعس) : وقاعس : من جبال القَبَليَّة، وقال ابن السكيت : قاعس والمناخ ومنزل أنقب يؤدِّين إلى ينبع إلى الساحل) انتهى، ولم يفرد اسم (منزل) بمادة، ولكنه تكرر في مطبوعات «المعجم»، والمقصود به (مَبْرِك) الذي تحدث عنه ياقوت فقال في حرف الميم : (مَبْرِكان : قال كثيِّر :

إليك ابن ليلى تمتطي العيسَ صحبتي
ترامـــى بنا من مَبْرِكَيْن المناقلُ

قال ابن حبيب في تفسيره : مبركان قريب من المدينة، وقال ابن السكيت : مبركان أراد مبركاً ومناخًا، وهما نقبان ينحدر أحدهما على ينبع بين مضيق يَلْيَل، وفيه طريق المدينة من هناك، ومُناخ على قفا الأَشْعَر، والمناقل : المنازل، أحدها منقل) . انتهى.

وقد ورد الاسم صحيحا في كتاب «بلاد العرب»- ص٤٠٨ - إذ قال : (نقب عباثر ينحدر من جبل جهينة، يسلك فيه من خرج من الحجاز[1] وهو يريد ينبع وهي عَباثِر وقاعِس والمناخ ومبرك، وهن أنقب يؤدين إلى ينبع، الساحل) انتهى.

وقال في كتاب الهجري : عباثر واد من الأشعر بين نَخْلي وبُواط به نقب يؤدي إلى ينبع، إلى آخر ما ذكر.

وقال في كلامه على الأشعر : ومن أودية الأشعر طَاشَا، وهو يصب على الصفراء وعباثر، وهي لبني عَثْم[2] من جهينة، ثم أورد شاهداً شعريًا وقال : وفي عباثر طريق يفيض إلى ينبع ومن أودية الأشعر الغَوْرية نخلي تصب على ينبع) . إلى آخر ما ذكر.

ومبرك رِيعٌ يسلك بين ينبع ووادي الصفراء، يبتدئ من وادي طاشا، وفيه شعْبان كل منهما يدعى مبركا، وطاشا وادٍ لا يزال معروفًا من أودية الفَقْرة (الأَشعر قديماً) (بقرب خط الطول ٥٤َ / ٣٨ْ وخط العرض : ٠٢َ / ٢٤ْ على ما ذكر الدكتور أسعد عبده، قال : إنه كتب في الخريطة باسم (تَسْحَة) وهذا تحريف.

مِيثَب : (تَيْأَب)

قال البكري في «معجم ما استعجم» : أنشد ابن إسحاق :

فإنك عهدي هل أُريتَ ظعائنًا

سلكْنَ على ركن الشَّظَاة فميثَبَا

وأقول : البيت للعباس بن مرداس السلمي، من قصيدة أوردها ابن هشام في «السيرة» وجاء فيها :

ولو أن أهل الدار لم يتصدعـوا رأيتَ خلال الـدار ملهًى ومَلْعبا

فإنك عَمْري هـل أُريك ظعائنًا سلكن على ركن الشظاة فتَيْأبا

عليهن عِينٌ مـن ظباء تَبالـة أوانـس يُصْبين الحليم المجرِّبا

إذا جاء باغي الخير قلن فجاءةً لـه بوجـوه كالدنانير : مرحبا

وأهلاً فلا ممنوع خير طلبـته ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنَّبا

ومن هنا يظهر خطأ البكري في رواية الشعر، وفي تحديد المكان، فالشظاة هنا وادي قناة الواقع في شرق المدينة، وليس في خيبر، ومِيثَب صوابه (تَيْأَب) وهو جبل مطل على الشظاة شرقها، لا يزال معروفًا ويشاهد من (سد العَاقُول) ولكنه يدعى الآن باسم (تيم) وقد اختلف المتقدمون في ضبط هذا الاسم بين (تَيَب) أو (تَيْأَب) أو (تيم)، وليس هذا محل التفصيل، وقد كُتب اسمه في إحدى المصورات الجغرافية : (تيام) خطأ.

فالاسم كما ترى اعتراه التحريف، فأصبح يسمى الآن (تيب) وقد تبدل الباء ميما (تيم) عند العامة، ويقع هذا الجبل على مقربة من المدينة المنورة شرقها، بمسافة قريبة بعد المطار (ويقع بقرب خط الطول: ٤٥َ / ٤٠° وخط العرض : ٣٠َ / ٢٤°) ولهذا الجبل ذكر في حدود الحرم.

وبهذا الاسم ذكره الحازمي (تيب) بفتح التاء بعدها ياء تحتها نقطتان تشدد وتخفف : جبل قريب من المدينة. انتهى

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي :

(١) لعل المراد سلسلة الجبال المتصلة بها، وعبارة ابن حبيب توضح المراد

(٢) قد يكون الاسم مصحفاً عن (عنمة) فرع من جُهينة معروف.

هوامش حول كتاب :
«رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث»
(١٠)

في المكتبة السليمانية بالآستانة وقف شيخنا عند فهرس (كتبخانة لاله لي) وشدّ نظره مخطوط عنوانه «كتاب المقالات الجوهرية على المقامات الحريرية» للشيخ أبي بكر بن عبد العزيز الزمزمي من أدباء مكة وعلمائها البارزين في آخر القرن العاشر الهجري ورقمه في الفهرس ١٨٥٠ . قال : وقد رأيت نسخة أخرى من هذا الكتاب في مدينة (قونية) وقد جاء في أولها : أن مؤلفها خير الدين بن تاج الدين إلياس المدني، اطلع على شرح المقامات للزمزمي، فوجده ناقصاً، فقام بإكماله، فأتمه في شهر رمضان سنة ١١٢٦هـ في مكة المكرمة. ثم ذكر اسم الناسخ ووصف النسخة، وقال : وقد أشار البغدادي في «إيضاح المكنون» إلى هذا الشرح ٢ / ٥٣٦[1].

يقول هلال بن ناجي : إن مخطوطات هذا الكتاب توزعت بين نسبتين، فمخطوطة (لاله لي) الملحقة بالسليمانية والتي وقف عليها شيخنا الجليل ورقمها فيها ١٨٥٠ نسبت لأبي بكر بن عبد العزيز الزمزمي وكذالك مخطوطة مكتبة (مكرم) في القاهرة المرقمة ٥٧، ومثلهما مخطوطة مكتبة (خان بهادر خدابخش) في باتنة بالهند وهي برقم (٢٥٨٩ - ٢٥٩٠) كلها نسبت لأبي بكر بن عبد العزيز الزمزمي، وكذالك مخطوطة الحرم المكي الشريف المرقمة (١٨٣) وإن وقع تحريف وسقط في الاسم فنسبت هكذا : أبو بكر عبد العزيز الزمني. والصواب : أبو بكر بن عبد العزيز الزمزمي، وفئة أخرى من مخطوطات هذا الكتاب بالعنوان نفسه نسبت لخير الدين بن تاج الدين إلياس المدني (ت ١١٣٠هـ) وهي :

مخطوطة كمبردج ببريطانيا ذات الرقم (١٠٨٥ - ١٠٨٧).

ومخطوطة دار الكتب المصرية بالقاهرة ٣ / ٣٦٧ .

ومخطوطة مكتبة بلدية الإسكندرية المرقمة (١٦٣) أدب.

ومخطوطة خان بهادر خدابخش في باتنة بالهند المرقمة ١٨٢٩ .

والصواب ما ذكره صاحب "إيضاح المكنون"(٢) من أن المدني أكمل شرح المقامات للزمزمي، وهو ما انتهى إليه العلامة الجاسر أيضًا، وما زال هذا الشرح مخطوطًا حتى اليوم رغم توافر مخطوطاته.

(١١)

غير أن كتب التراجم التي وقفنا عليها ووقف عليها شيخنا الجاسر قد خلت من ترجمة هذا الأديب العالم الجليل ولم تحفظ لنا تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته، بل ولم تذكر لنا حتى اسمه، فهل هو ممن غلبت كنيته على اسمه فنُسي اسمه ؟.

إن كتب التراجم ذكرت والده الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي وترجمت له فصاحب "النور السافر عن أخبار القرن العاشر" (الشيخ محيي الدين عبد القادر بن عبد الله العيدروسي) ذكره في وفيات سنة (٩٧٦هـ)(٣)، وأثبت وفاته بشطر من الشعر ضمن بيتين بحساب الجمّل وقال مولده سنة تسع مئة، وأنه كان من أعيان علماء مكة وفضلائها وأكابرها ورؤسائها، وله قصيدة في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) أجاد فيها كل الإجادة وسماها «الفتح التام في مدح خير الأنام» عارض فيها البردة، والأخرى عارض فيها أم القرى وسماها «الفتح المبين في مدح سيد المرسلين» وقال العيدروسي عنه : إنه كان أوحد الفضلاء، وبقية العلماء، حسن الشعر والإنشاء، وقد مدحه الشيخ الكبير جمال الدين محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي بأبيات أوردها، ثم أورد العيدروسي نماذج من شعر الشيخ عبد العزيز الزمزمي.

جديرٌ بالذكر هنا أن علامة الجزيرة وقف على نسخة فريدة من ديوان الشيخ عبد العزيز الزمزمي في المكتبة الوطنية بباريس برقم 3228، لكنه لم يتمكن من الاطلاع عليها لضيق الوقت.(٤).

يقول هلال بن ناجي : في خواتيم عام ١٩٧٣م وقفت في باريس على مخطوطة هذا الديوان، وهي فريدة حقًا وتقع في (١١٠) ورقات مقاس الورقة ٢٢ X ١٤سم ومعدل سطورها ١٩ سطرًا.

واسم شاعرها : عز الدين عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز الزمزمي

المكي، ولعل بعض شداة الأدب من أبناء المملكة ينهد لتحقيقها فيحيي بذالك أثرًا مهمًا خفي على الدارسين منذ قرون.

وقد ترجم له أيضًا الشيخ نجم الدين الغزي في «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة»[٥]، وزاد أنه كان شافعي المذهب وله كتاب «فيض الجود على حديث شيبتني هود» وقال: إنه دخل بلاد الشام مارًّا بها إلى بلاد الروم سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة، ثم قال: وكانت وفاته بعد الستين وتسع مئة، رغم أن الغزي ذكر سنة وفاته بدقة.

وأعاد أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي بعض ما ذكره الغزي في كواكبه وذكره في وفيات عام ٩٦٣هـ، وهو خطأ فيما أرى[٦].

لكن الغزي ذكر لنا ولدًا من أولاد الشيخ عبد العزيز اسمه محمد الزمزمي قال عنه: كان مفتي مكة أخذتُ عنه واستجزتُ منه لنفسي ولولديَّ البدري والسعودي في سنة سبع وألف، وأن محمدًا هذا توفي في سنة تسع وألف، أخذ عن والده عبد العزيز وعن العلامة شهاب الدين ابن حجر المكي، وكان شاعرًا وأورد له بيتين[٧].

أما صاحبنا شارح مقامات الحريري أبوبكر بن عبد العزيز الزمزمي المكي فلم نظفر بترجمته، رغم علمه وأدبه ولم يظفر بها شيخنا الجاسر.

وبين ذخائر مكتبتي مخطوطة عنوانها «تنبيه ذوي الهِمَم على مآخذ أبي الطيب من الشعر والحِكَم» تصنيف أبي بكر بن عز الدين عبد العزيز بن علي ابن عبد العزيز الزمزمي المكي الشافعي، تقع في ثلاث مئة وثلاثين صحيفة في آخرها ما نصه (قال مؤلفه رحمه الله: فرغت من جمعه في يوم السبت المبارك السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني أحد شهور سنة ثلاث وتسعين وتسع مئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

ورغم أن النسخة تفتقد اسم الناسخ إلا أنها نسخت بعد وفاته بدليل ترحمه على المصنف، ولأن الفراغ من نساخته كان يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين من شوال من سنة ٩٩٩هـ. فإنه يغدو من الثابت استنتاجًا أن

وفاته وقعت قبل هذا التاريخ، أي قبل نهاية القرن العاشر - والله العالم-.

وقد رأيت أن أذكر طرفًا من مقدمة المخطوطة : "... وبعد فإني كلفت بقراءة ديوان أبي الطيب المتنبي مع بعض الإخوان مدة من الزمان، وطالعت شيئًا من شروحه وحواشيه فرأيت شراحه .. تتبعوا مآخذه وآخذوه عليها مع أنه غير حقيق بالمؤاخذة، وذكروها في كتبهم متفرقة فأضحت النفس بجمع ما فرّقوه متعلقة، ولم أزل أحجم وأقدم وأؤخر وأقدّم لأني لست من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، وأقمت على ذالك برهة من الزمان، ثم استشرت أحد الأصدقاء بل أعز الإخوان الأشقاء، فأنشدني على الارتجال ما طابق الحال :

قد يدرك المجد الفتى ورداؤه خَلِقٌ وَجَيْبُ قميصه مرقوعُ

فاستخرت الله تعالى وشمرت عن ساعد الجد، وشرعت فيما كنت أحجمت عنه بجد، ورتبت الديوان على حروف المعجم ترتيبًا لم يسبقني إليه من تقدم، فإني قدمت في كل حرف ما قاله في صباه على غيره، واتبعته بقصائده السيفية والمصرية والفارسية، على إثره، وجمعت على جمودٍ من ينبوع القريحة وخمود من زناد الفكرة الجريحة هذا المجموع من حواش مفردة وشروح متعددة، ورقمت بالقرب من اسم كل شاعر سابق لأبي الطيب تعريفه إن كان من شعراء الجاهلية أو المخضرمين أو المتقدمين في صدر الاسلام أو المحدثين أو المولدين، والمعول في ذالك على الميكالي والمرجع إليه والعمدة في معرفتهم ومراتبهم عليه، ومن لم أقف على مرتبته رقمت بالقرب من اسمه من ذكره من الشراح أو ابن قتيبة إن كان ذكره في طبقته فإن كل من ذكره على أبي الطيب متقدم لأنه توفي في عام مئتين وستة وسبعين من الهجرة، وأبو الطيب مولده في عام ثلاث مئة وثلاثة من الهجرة، فبموجب ذالك كان التقدم لمن ذكره متحتم، ومن أطلعت على مولده أو وفاته أو أحدهما أو وصف من صفاته رقمته بالقرب من اسمه ليمتاز عن غيره بوسمه، واعتمادي في ذالك على تاريخ ابن خلكان، وكتاب الحلية والصفات وهما غاية في هذا الشأن، وسمّيته «**تنبيه ذوي الهمم على مآخذ أبي الطيب من الشعر والحكم**» وخدمت به خزانة سيدنا ومولانا .... (وبعد أوصاف للممدوح تقارب الصفحتين)

صرح باسم سيده ومولاه سيف الدين ثَقَبَة بن أبي نميّ بن بركات[٨]، لا زالت آي المجد بألسنة أقلامه متلوّة، وأبكار الأفكار بمديح معاليه مجلوة» ثم قدم ترجمة موجزة لطيفة لأبي الطيب، ثم شرع فيما هو بصدده مبتدئًا بحرْف الهمزة.

وهذه المخطوطة لم تطبع ومصنفها عالم أديب من أسرة علم وأدب زمزمي مكي، فعسى أن يشمر أحد أبناء المملكة ساعد الجد فيحققها، وينشرها خدمة لأدب بلده وتراث شعبه.

(١٢)

وذكر شيخنا حمد الجاسر نسختين من كتاب "شرح النجديات" -لعمر بن عثمان الجندي- في أيا صوفيا[٩]. ثم قال: والنجديات هي قسم من ديوان الأبيوردي الأموي الشاعر المعروف ضمنها غزلاً رقيقًا، ووصفًا لبلاد نجد، وقال: ولا أدري لماذا انصرف المحققون والناشرون عن ديوان الأبيوردي مع فحولة هذا الشاعر، وجودة شعره، وصلته بكثير من حوادث العالم الإسلامي في عهده.

يقول هلال بن ناجي: وكأن الله -جلت قدرته- قد سخّر من عباده مَنْ استجاب لرغبة شيخنا، فنهد عالم محقق جليل هو الدكتور عمر الأسعد فأصدر "ديوان الأبيوردي" في مجلدين ضمّا العراقيات والنجديات، صدرا في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول عام ١٩٧٤م والثاني عام ١٩٧٥م.

وقد اعتمد هذا المحقق الجليل في تحقيقه عدداً ضخماً من المخطوطات، واتخذ من نسخة دار الكتب المصرية أصلاً في نشره قسم العراقيات، ونسخة (كوبرلي) أصلاً في تحقيقه النجديات، واعتمد إلى جانبهما عدداً من النسخ المعتمدة، محفوظة أصولها الخطية في مكتبة عاشر أفندي ومتحف طوب قبو وباريس الوطنية والفاتح والأسكوريال والمتحف البريطاني وليدن وبودليان وتوبنجن، مضافًا إليها مطبوعة الديوان الصادرة عام ١٣١٧هـ في طبعة غير علمية، فسدَّ بعمله هذا ثغرة في ديوان الشعر العربي القديم.

أما شرح النجديات لعمر بن عثمان الجندي فلمّا يزل مخطوطاً - حسب علمنا-.

وذكـر شـيخنا الجليل مخطـوطـة للصـلاح الصفدي رآها في مكتبة أيا صوفيا[١٠] عنوانها «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف» وهي بخط المؤلف، عليها إجازة منه مؤرخة سنة ٧٥٩هـ - أي قبل وفاته بخمس سنوات، لكنه أثار الشجن إذ قال: إن هذه النسخة قد سطت عليها يدٌ أثيمة فنزعت أكثرها بحيث لم يبق من الكتاب إلا من حرف الألف إلى نهاية حرف الزاي، في تسعين ورقة.

إن هذا الذي أثار أسى الشيخ، ويثير شجن كل غيور على التراث العربي الإسلامي، قد أصاب عدداً غير قليل من نفائس مخطوطاتنا، وأذكر على سبيل التمثيل أن كتاب «قلائد الجمان» لابن الشعَّار الموصلي، وهو أوفى مرجع في تراجم شعراء القرن السابع الهجري، وعدته عشرة مجلدات، كانت إحدى المكتبات التركية تحتفظ بثمانية أجزاء سلمت منه، فصورها معهد المخطوطات بالقاهرة، ومرت سنون فراجع بعض الباحثين أصول تلك المخطوطات الثَّماني، فاكتشف أن اثنتين منها قد اختلستا، ودست كتب أخرى مكانها!! فتأمل أيها القارئ هذه المحنة في عصرنا هذا.

وأما كتاب الصفدي - المختلس أكثره - كما أشار علامة الجزيرة فقد كان من حسن التوفيق، أن وُجدت منه نسخ أخرى صَلُحت بمجموعها لتحقيق الكتاب ونشره في الأعوام الأخيرة، وكانت أكمل نسخة، نسخةَ دار الكتب المصرية (المكتبة الزكية) وهي في جزأين وقد وقعت في ٣٣٧ لوحة، وعيبها الوحيد طمس شمل الورقات الأخيرة منها وكانت نسخة أيا صوفيا - المختلس أغلبها - والمنتهية بحرف الزاي، قد صورت في جامعة الملك سعود بالرياض فاعتمدها المحقق.

ومن عجائب الصدف أن نسخة ثالثة ناقصة هي الأخرى - محفوظة في الأسكوريال تحمل عنواناً مغلوطاً هو (أغلاطي) ونسبت ضلَّة للصفي الحلي (كشف أمرها صديقنا العالم المحقق رمضان عبد التواب وأوضح أنها قطعة من كتاب الصفدي المعنون تصحيح التصحيف وتحرير التحريف) والغريب في

الأمر أنها تبتدئ بحرف السين (حيث انتهت مخطوطة الرياض المنقولة عن أيا صوفيا) وهكذا توافرت لمحقق الكتاب السيد دسوقي إبراهيم الشرقاوي مخطوطتان كاملتان: مخطوطة دار الكتب المصرية، ثم مخطوطة ملفقة تضم مخطوطتي الرياض والأسكوريال المكملتين لبعضهما.

وقد طبع هذا الكتاب النفيس وهو من أجود كتب لحن العامة في مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(١٤)

وذكر أستاذنا حمد الجاسر مخطوطة رسالة ألفها علي بن بالي الحسيني القسطنطيني هي من كتب التصحيح اللغوي لما تلحن فيه العامة، وقف عليها في مكتبة الفاتح - المكتبة السليمانية العامة - برقم ٣٧٥٧ وعنوانها «خير الكلام في التقصي عن أغلاط العوام» قال: إنه ألفها سنة ٩٧٨هـ وتقع في ٢٧ ورقة من القطع الصغير وبالخط الفارسي الدقيق، وتقع ضمن مجموع[١١].

يقول هلال بن ناجي: هذه الرسالة نشرها د. حاتم صالح الضامن سنة ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م ضمن كتابه المعنون «أربعة كتب في التصحيح اللغوي»، واعتمد في نشرته مخطوطة تحتفظ بها المكتبة الظاهرية بدمشق ضمن مجموع برقم ٦٣٨٦، وقال حاتم في مقدمة تحقيقه ما نصه: (وتعد هذه المخطوطة فريدة لا أخت لها، إذ لم يشر إليها أحد ممن بحث في لحن العامة وبهذا أكون أول من أشار إليها).

وأقولْ: إنَّ نسخة مكتبة الفاتح تنفي كونها فريدة، وإنَّ الشيخ الجاسر نشر رحلاته سنة ١٤٠٠هـ وذكر الكتاب، ونشرة الضامن صدرت سنة ١٤٠٧هـ، فهو ليس أول من ذكرها قطعًا، بل الجاسر هو المُجَلِّي وحاتم المُصلِّي.

(١٥)

وذكر علامة الجزيرة كتاب «التنبيه على غلط الجاهل والنبيه» لابن كمال باشا، قال: إنه يشغل الصحائف ٥٤ - ٧٤ من مخطوطة الفاتح المتقدم

ذكرها. ثم قال: إنها كتبت سنة ٩٧٠هـ ويظهر أنها ناقصة.

يقول هلال بن ناجي: طبع هذا الكتاب أولاً بتحقيق الشيخ عبد القادر المغربي ثم أتيح لصديقنا العالم المدقق د. رشيد عبد الرحمن العبيدي الوقوف على خمس نسخ مخطوطة جيدة من الكتاب المذكور في مكتبة الحرم المكي الشريف، فاستعان بها في تحقيق الكتاب وإخراجه إخراجةً علمية نفيسة، وقد نشر تحقيقه في العدد الرابع من المجلد التاسع من مجلة "المورد" الصادر سنة ١٤٠١هـ= ١٩٨١م[١٢].

(١٦)

وخصلة نادرة امتاز بها الشيخ حمد الجاسر تتلخص في قدرته على كشف التزييف الذي يصنعه بعض الوراقين فيُظهرون به مخطوطاتهم كاملة وهي ناقصة، واضرب لذالك مثلاً واحداً تجسَّد في مخطوطة ديوان شعر جران العود النميري، المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا برقم ٣٩٧٨.

وكانت المخطوطة التي اعتمدها العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي عند نشره هذا الديوان في القاهرة سنة ١٩٣١م بدار الكتب المصرية، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٧ أدب (ش) خطَّتها يراعة العلامة الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي نقلاً عن أصلها المحفوظ بتركيا.

العلامة الشيخ الميمني الراجكوتي لم ير نسخة الأصل في أيا صوفيا، واعتمد في تحقيقه نسخة الشنقيطي المنقولة عنها، فهو معذور إذ لم يكشف تزييف الوراق في خاتمة النسخة، وفي الثمانينات ظفر صديقي المحقق الجليل د. نوري القيسي بمخطوطة الديوان المحفوظة في مكتبة أيا صوفيا، فوصفها وصفًا جيدًا وحققها ثم عارضها بما أثبته محمد بن مبارك الشهير بابن ميمون في مخطوطته "منتهى الطلب من قصائد جران العود" وتعداد أبياتها مئتان وأربعة وعشرون بيتًا، وهي قصائد صرح ابن ميمون بأنها منقولة من ديوانه، فصلحت أصلاً ثانيًا، ثم صنع ذيلاً للديوان ضم ثلاثة وثلاثين بيتًا تلقطها من شتيت المصادر القديمة، وصدرت نشرته هذه في بغداد سنة ١٩٨٢م في ١١٢ صحيفة.

إن نوري القيسي -رحمه الله- على جلالة علمه وفضله- لم يتنبه للعبث الذي صنعه وراق في خاتمة الديوان، وهو أمر كشفه العلامة الجاسر بفطنته ودقته المتناهية وحسن انتباهه. قال الجاسر: (جاء في الصفحة الأخيرة من مخطوطة أيا صوفيا في شرح قول الشاعر:

إذا الفلاة تلقتها جواشنها وفي الأداوي عن الأخراب تشويلُ

(الفلاة: القفر التي بعد ماؤها، وإن كان فيها جبال كأنها فلقة، أي نحتة وجواشنها: صدورها. يقول: إذا صارت في أوساطها أسرعت. والأخراب واحدتها خربة وهي). وهنا تنتهي الصفحة ولكن العابث **أضاف كتابة حديثة** هي: (معروفة، والحمد لله وحده، وسلم تسليمًا كثيرًا أبدًا) وبهذه الفعلة بدت النسخة وكأنها كاملة، وهذه حيلة من حيل الوراقين) (انتهى كلام الجاسر).

وهذا الأنموذج الذي قدمناه، والذي فات أخانا القيسي، دليل فطنة الشيخ لتغير الخط وحداثة الإضافة، وبالتالي فإن مخطوطة الديوان التي وصلتنا ناقصة غير كاملة لسقط في آخرها.

وتعزيزًا لما ذهب إليه علامة الجزيرة يقول هلال بن ناجي: إنه قد ورد بعد هذا الشرح الذي أثبته المحقق في هامش الديوان، بيتان آخران من القصيدة نفسها هما:

ناست بأذرعها الغول الذي طلبت والماء في سُدُفات الليل منهولُ
فناشحون قليلاً من مُسوّمةٍ من آجن ركضت فيه العواميل

لكننا لا نجد في المخطوطة شرحًا لهما، وليس يعقل هذا من محمد بن حبيب شارح الديوان، فلابد أن سقطًا اعتور الديوان في آخره، فعمد الوراق إلى التزييف الذي كشفه شيخنا الجاسر.

(١٧)

وكتاب «التبيين في أنساب القرشيين» الذي صنفه أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة ٦٢٠هـ، وقف الشيخ الجليل في مكتبات تركيا على ثلاث نسخ منه، واحدة في مكتبة علي أميري كتبت سنة

١٠٤٠هـ وهي في مجموع واحد مع "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم[١٣].
والثانية في مكتبة الفاتح وهي قديمة الخط وتقع في ٣٨٠ صفحة[١٤].
والثالثة في مكتبة عاشر أفندي ورقمها فيها ٥٩٣[١٥].

يقول هلال بن ناجي : إن كتاب «التبيين في أنساب القرشيين» قد طبع في بغداد سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م في منشورات المجمع العلمي العراقي بتحقيق صديقنا المحقق الفاضل محمد نايف الدليمي الموصلي[١٦]، وقد اعتمد في تحقيقه المطبوع على مخطوطتين محفوظتين في مكتبة الأوقاف العامة في الموصل آلتا إليها من مكتبة الحاج زكر(؟) الموصلي.

وأقدم النسختين كتبت سنة ثمان مئة وسبعين للهجرة، والأخرى سنة ١١٥٦هـ منقولة عن الأولى على الراجح، وإن محقق الكتاب اكتفى بهاتين النسختين ولم يطلع على المخطوطات التي ذكرها الشيخ الجاسر في رحلاته، ولم يحاول الرجوع إلى تاريخ بروكلمان للوقوف على مخطوطات أخر للكتاب، ولكنه ذيّله بفهارس مفيدة.

(١٨)

وتحدث العلامة الجليل عن مخطوطة كتاب «المذكر والمؤنث» لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) المحفوظة نسختها الفريدة في الدنيا في مكتبة يوسف أغا في قونية بتركيا، وذكر أنها نسخة جيدة متقنة الخط، خطها قريب من القاعدة الكوفية، وأورد الشيخ نقولاً منها من أولها[١٧].

يقول هلال بن ناجي : والذي عرفته من مقدمة كتاب «المذكر والمؤنث» لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨هـ بتحقيق د. طارق الجنابي أن مخطوطة كتاب السجستاني تقع في أربع ومئتي صفحة، وأن صديقنا المحقق الفاضل الجنابي وقف على كتاب السجستاني محققًا ومقدمًا بدراسة ضافية، حققه الدكتور نهاد چتن رئيس قسم اللغة العربية بآداب جامعة إستانبول، وقد اطلع على تحقيقه حين زاره صيف عام ١٩٧٥م[١٨].

ولست أدري هل تم طبع هذا الكتاب أم لا؟

(١٩)

ووقف الأستاذ الجليل عند مخطوطة نفيسة لقدمها، مكتوبة بالخط الكوفي من كتاب «الفصيح» لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ). رقمها ٥٠٠٨ في مكتبة يوسف أغا في قونية، ولم يستبعد الشيخ أن تكون النسخة من مخطوطات القرن الرابع الهجري[١٩].

يقول هلال بن ناجي: وكتاب "الفصيح" طبع طبعة علمية بتحقيق ودراسة د. عاطف مدكور - القاهرة - ١٩٨٤م.

وقد اعتمد محققه في تحقيقه على خمس نسخ، منها مخطوطة في مكتبة الفاتح كتبت سنة ٥٢٠هـ وأخرى في مكتبة أحمد الثالث، كتبت سنة ٦٧٣هـ أما النسخ الثلاث الأخر فمحفوظة في دار الكتب المصرية وتواريخ نسخها تعود للقرنين الثاني عشر والثالث عشر، فالمخطوطة التي وقف عليها العلامة حمد الجاسر أقدم من هذه النسخ جميعاً ومحقق الكتاب لم يقف عليها، وهو أمر نأمل أن يتداركه في طبعة قابلة.

(٢٠)

ووقف شيخنا الجاسر عند نسخة كاملة من كتاب «الفسر» وهو شرح ابن جني لديوان المتنبي في مجلدات ثلاثة رقمها ٥٤٩٠ - ٥٤٩٢ بمكتبة يوسف أغا في قونية، وقال: وقد طبع الكتاب في العراق طباعة نقدها بعض الباحثين[٢٠].

يقول هلال بن ناجي: إن مخطوطة "الفسر" الوحيدة في قونية تقع في ١٤٤٤ صفحة من الحجم الكبير، وقد نشر د. صفاء خلوصي -رحمه الله- جزأين منه، صدر الأول في بغداد سنة ١٩٦٩م ووقع في أربع مئة صفحة ذُيلت بتعقيب للدكتور كمال إبراهيم انتهى بالصفحة ٤١٦، ثم صدر الجزء الثاني من الكتاب سنة ١٩٧٨م في منشورات وزارة الثقافة والفنون العراقية، ووقع في ٣٥١ صفحة.

وكان ما نشره صفاء خلوصي من (الفسر) قليلاً لضخامته، غير أن محقق الجزأين تعرض لحملة شعواء شنها زميل له هو الدكتور عبد الأمير الورد، ربما

كانت سبباً في إحجام (خلوصي) عن إتمام عمله.

وأذكر للتاريخ أنني حبرت مقالة عن الجزء الأول من «الفسر» ضمها كتابي المعنون "هوامش تراثية"[٢١]، حيَّيت فيه المحقق الفاضل لإقدامه على عمل رائد، ونبهت على عدد من هناته وأخطائه وأبرزها في نظري ظنه بأن هذا الذي نشره هو مختصر الجزولي لكتاب "الفسر" !! فإذا كان ما نشره خلوصي هو مختصر الجزولي للفسر فلماذا إذن نشر الشرح باسم "الفسر"، وحقه أن يسمى "مختصر الفسر"؟ ولماذا لم يذكر اسم الجزولي عليه؟؟ ثم من أين جاء للمحقق العلم بأن هذا المختصر هو مختصر الجزولي بالذات، وليس في المخطوطتين اللتين اعتمدهما ما يشير من قريب أو بعيد إلي ذالك ؟ وقد أخذت عليه فيما أخذت إقحامه هوامش كتبها شخص رمز لنفسه بحرف (ح) (وهو ناقد بغدادي عاصر المتنبي واسمه سعد بن محمد الأزدي المعروف بالوحيد)، أقحمها المحقق في متن كتاب "الفسر" الذي نشره، وهي هوامش ناقد حاقد مغرض حاول جاهداً الانتقاص من قدر المتنبي وابن جني معاً وليس يخلو هامش من هوامشه من سمّ هذا الحقد فهي في الأصل تعليقات مغرضة حاقدة كان يجب أن يصان عنها شرح مهم كالفسر.

وإذا كانت الأمانة العلمية تقتضي إثبات ما يوجد على هوامش مخطوط ما، فقد كانت الأمانة العلمية أيضًا توجب فرزها عن المتن وإثباتها في الهوامش - إن كان لذالك موجب - لأنها ليست من أصل الكتاب أبداً، ورغم ذالك فقد كان عمل الدكتور صفاء عملاً رائداً، كشف فيه دربًا، وعبّد طريقًا، ووطأ موطأ.

ومن المحزن حقًا أن يهتم عالم جليل هو الفقيد محسن غياض -رحمه الله- بهذه التعليقات الحاقدة فيصنف حولها كتاباً نشره في بغداد عام ١٩٩٨م بعنوان «المتنبي كأنك تراه» نصوص نادرة عن سيرته ونقد شعره، وقد اعتمد في كلامه عن المتنبي تخرصات (الوحيد) وأقواله الغائلة، وذهب إلى أنها وثيقة ممتازة لا يمكن لباحث أن يتجاهلها أو يغض من قيمتها[٢٢]، ومن المؤسف أن صديقنا الفقيد محسن أغفل في تقويمه لأقوال الأزدي كل المقاييس القانونية والشرعية في وزن الشهادة، وقديمًا قال بعض كبار الفقهاء

: (الشهادات توزن ولا تعد).

ولم يزل الأمل معقوداً على جيل المحققين العرب الطالع في نشر سفر «الفسر» كاملاً نشرة علمية تسدّ فراغًا في المكتبة العربية، فلقد طالما قال المتنبي :ابن جنّي أعرف بشعري مني»، وقال مرة حين سُئل عن بعض دقائق شعره : (سلوا صاحبنا أبا الفتح). -رحمهما الله.

(للبحث صلة)

هلال بن ناجي

الحواشي :

(١) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٣٩. (٢) "إيضاح المكنون" ٢ / ٥٣٦.

(٣) "النور السافر" ص ٢٧٦ / ٢٩١. وفي هامش "رحلات حمد الجاسر" وقع (تطبيع) في رقم الصفحة فغدا هكذا ص ٣٢٢٠ / ٣١، وهو وهم مطبعي. (٤) "رحلات الجاسر" ص ٣٢٢.

(٥) "الكواكب السائرة" بتحقيق جبرائيل سليمان جبور ٢ / ١٧٠. (٦) "شذرات الذهب" ٨ / ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٧) "الكواكب السائرة" ٢ / ١٧٠.

(٨) لم يذكره زامباور في ولاة مكة وأشرافها لكنه ذكر أباه (أبا نمي محمد (الثاني) بن بركات .وأنه شريف فخري من سنة ٩٧٤هـإلى ٩٩٢، ينظر زامباور ص ٣٣ (اعتزل أبو نمي الحكم سنة ٩٧٤ وولي مكانه ولده الحسن وتوفى أبو نمي سنة ٩٩٢هـ) وثقبة ذكره السنجاري في "منائح الكرم" ٢ / ٨٩ - ٩٠. [والعصامي : "سمط النجوم" ٤ / ٣٥٩ والشهاب الخفاجي: "ريحانة الألباء" ١ / ٣٩٣ وفيه مصادر أخرى. عائض الردادي] (٩) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٥٠.

(١٠) "رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث" ص ٢٤١. (١١) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٤٣.

(١٢) "شغل الصحائف" ٥٥١ - ٥٩٨. (١٣) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٤٥. (١٤) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٧٠.

(١٥) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٧٥. (١٦). وقع الكتاب في ٥٩٠ صفحة. (١٧) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٩٢ - ١٩٤.

(١٨) "المذكر والمؤنث" للأنباري - بيروت ١٤٠٦هـ= ١٩٨٦م بتحقيق د. طارق عبد عون الجنابي ص ٥٧.

(١٩) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٩٧ - ١٩٨. (٢٠) "رحلات حمد الجاسر" ص ١٩٨.

(٢١) "هوامش تراثية" - هلال ناجي - بغداد ١٩٧٣م ص ٧٠-٨١. (٢٢) "المتنبي كأنك تراه" ص ١١.

أشهر الرحالة من الأطباء العرب الذين زاروا شبه الجزيرة العربية من القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري

[عقدت في الرياض، في دارة الملك عبد العزيز ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ، الموافق ٢١-٢٤/٩/٢٠٠٠م، وكان من بحوثها هذا البحث الذي تنشره مجلة "العرب" لقرائها لما فيه من جِدة]

تعد منطقة الخليج العربي من أكثر المناطق التي شغلت اهتمام الجغرافيين والرحالين من العرب والمسلمين وغيرهم، وتطالعنا كتب أدب الرحلات بأسماء الكثيرين ممن رحلوا إلى منطقة الخليج العربي وذلك لأهداف مختلفة وغايات متعددة، وبالرغم من وجود الكثير من الكُتّاب المعاصرين ممن بحثوا وتحدثوا عن أدب الرحلات، إلا أنه من المعتقد أنه لا زال يوجد الكثير مما لا نعرفه مما سطره الأوائل في هذا المجال، وهو ما زال مخطوطًا قابعًا في خزائن المكتبات العامة أو الخاصة ينتظر أن يرى النور.

ولعل من الموضوعات التي لم تفرد بالبحث والتمحيص هي الرحلات التي قام بها بعض الأطباء من العرب والمسلمين إلى شبه الجزيرة العربية، وما كتبوه عن ذالك، أو ما كتبه غيرهم عن رحلاتهم تلك، وقد تعددت أهداف رحلاتهم؛ فمنهم من رحل بقصد الحج ثم بقي هناك لسنوات لعلاج الناس من سكان المنطقة، ومنهم من استدعي من قبل بعض حكام تلك المناطق لأغراض علاجية، ومنهم من كان الغرض من ترحاله حب الاطلاع على تلك المناطق الهامة من العالم الإسلامي، وأخيراً منهم من سافر بقصد إنجاز مهمة طبية محددة كان قد كلف بها.

الهدف من هذا البحث هو التعرض بالذكر لبعض الأطباء العرب أو ممن اشتهروا بالطب ورحلوا إلى منطقة شبه الجزيرة العربية خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري، مع ذكر نشاطات

وأخبار بعضهم هناك، وما هذا البحث إلا محاولة للفت الانتباه إلى ضرورة القيام مستقبلاً بمزيد من الأبحاث لإغناء هذا الجانب الهام من أدب الرحلات.

عبد الفتاح القزويني: طبيب ماهر، ولد سنة ٨٧٤هـ (١٤٧٠م) واشتغل بالمعقوليات والطب وغير ذلك، رحل إلى الهند وصار من أصحاب خداوند خان وزير السلطان مظفر الكجراتي، ثم رحل إلى مكة فحج وجاور بها، ويروى أنه كان ضنيناً بالمعالجة مع حسن تصرف فيها، استمر في المدينة المنورة إلى أن مات فيها سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م)(١).

زين العابدين الطرابلسي الطبيب: هو محمد بن يوسف بن علي الطرابلسي الطبيب، جاور بمكة أربع سنين، وحظي عند سلطان مكة وأهلها، كان حاذقاً بارعاً في الطب، وله معرفة تامة بمعرفة النبض ومعرفة العلاج، أخذ الطب عن مهرة بن مكي وابن الفريضي وغيرهما، عاد أواخر حياته إلى دمشق وتوفي فيها سنة ٩٩٣هـ (١٥٨٥م)(٢).

إسماعيل بن عبد الحق بن محمد: حمصي الأصل، دمشقي الإقامة، ويعرف أيضاً بالحجازي لمجاورة جده محمد بالحجاز، ولد سنة ٩٥٠هـ (١٥٤٣م). قرأ على العلامة فضل الله بن عيسى البوسنوي نزيل دمشق وعلى العلامة عبد الرحمن العماري المفتي، وأخذ فقه الشافعية عن الشرف الدمشقي والطب عن جده محمد نزيل الحجاز، وقد صار رئيساً للأطباء في عهده، وكان شاعراً رقيقاً حسن الأسلوب، توفي سنة ١٠٠١هـ (١٥٩٣م) ودفن بباب الصغير بجانب أبيه وجده(٣).

الشيخ داود الأنطاكي: هو داود بن عمر الأنطاكي، عالم بالطب والأدب، كان ضريراً، انتهت إليه رياسة الأطباء في زمانه، وهو صاحب الكتاب الطبي المشهور "تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب"، ولد في (الفوعة) وانتقل به والده إلى (أنطاكية) فنشأ بها، ثم منها إلى الشام ثم إلى مصر فقطن بها، وكانت له خلوة بالمدرسة الظاهرية تجاه البيمارستان، وفي سنة ١٠٠٨هـ (١٥٩٩م) رحل إلى مكة وأقام بها دون سنة وتوفي فيها بمرض الإسهال بعد

تناول عنب، كان قوي البديهة، يسأل عن الشيء من الفنون فيملي على السائل الكراسة والكراستين[٤].

ويروي الشيخ عبد الله العياشي في رحلته "ماء الموائد" أن الشيخ عبد العزيز الزمزمي رئيس المؤذنين بمكة أخبره أن الشيخ داود كانت له وجاهة عظيمة عند أمراء مكة، قال : وكان يحضر مجالس والدي في التدريس، وكان الوالد يجله وكنت أنا في نفسي أبغضه وأستثقله وأعاتب الوالد على إجلاله إياه وتعظيمه وأقول : كيف تجل رجلاً فيلسوفًا من شأنه كذا وكذا فيقول لي : إن الرجل من حكماء الإسلام وله مهارة في العلوم العقلية وعقيدته سليمة، وله وجاهة عند الدولة، قال : ثم عرض لي عارض مرض ذات يوم واشتد عليَّ ولم أحضر الدرس أيامًا، فحضر الشيخ داود وسأل الوالد عني فأخبره بحالي، فلما تفرق المجلس قال للوالد : اذهب بنا لعيادة ولدك، فدخلي عليَّ وأنا في أشد ما يكون المرض فجس يدي ثم قال لوالدي : ليس هذا وقت معالجة هذا الولد، ولكن خذ هذا الدواء لشيء استخرجه في جيبه (يسقى أو يدهن به) يخفف عنه ما هو فيه، وأنا راجع إليه غداً في الوقت الذي ذكر، واستحضر حجّامًا وقال : هيىء آلة الفصادة وأراه العرق الذي يفصده ومحل الفصد منه، وقال : إذا سمعتني قلت : الله رافعًا صوتي به فافصد المحل الذي ذكرت لك، وإذا قلته ثانيًا فحل رباط العضد وأمسك عن إخراج الدم، فهيأ الحجّام الآلة وربط المحل فبقي ينتظر إذن الشيخ والشيخ مطرق رأسه، وقال : أخرجت لك دمًا مخصوصًا في وقت مخصوص لأمر مخصوص، وذلك أن الأمر المخصوص قرب الثمانين سنة، فوجد الشيخ عبد العزيز الراحة من حينه ولم يعاوده المرض إلى قرب الثمانين كما ذكر رحمه الله[٥].

ويروي المحبّي في كتابه «خلاصة الأثر»[٦] أن شريف مكة الشريف حسن ابن أبي نمي كان يلهج بتذكاره ويستهدي من الحجاج تفاريق أخباره، وهزه الشوق إلى استقدامه إليه واستحضاره ليجعل السماع عيانًا والخبر برهانًا، ويُحكى أن الشريف حسن استدعاه لعلاج بعض نسائه، فلما دخل قادته جارية،

ولما خرجت به قال للشريف حسن : إن الجارية لما دخلت بي كانت بكراً، ولما خرجت بي صارت ثيبًا، فسألها الشريف حسن وأعطاها الأمان من المعاقبة فأخبرته أن فلانًا استفضها قسراً، فسأله فاعترف بذلك.

محمود بن يونس بن يوسف الأعرج الحنفي الطبيب : هو الشيخ شرف الدين رئيس الأطباء وخطيب الخطباء، قرأ في الفقه على عبد الوهاب وفي الطب على أبيه، وفي القراءات والتجويد على الشهاب أحمد الطيبي، وولي إمامة المقصورة بالجامع الأموي في دمشق، رحل سنة ٩٦٧هـ (١٥٦٠م) إلى الحجاز، وأخذ بمكة عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي وغيره، ودرس بالحاتونية والجقمقية وكان حسن الصوت والقراءة وله شعر وسط، مرض بالفالج نحو سنتين ثم مات سنة ١٠٠٨هـ (١٥٩٩م)، ودفن بمقبرة باب الصغير.

الملا صفي الدين بن محمد الكيلاني : أديب وطبيب رحل إلى مكة وتوفي فيها سنة ١٠١٠هـ (١٦٠١م) أتقن العلوم العربية والمنطق، ثم درس الطب وبرع فيه، أخذ بمكة عن عبد الرؤوف المكي وروى عنه كثيراً، وله مؤلفات عديدة في الطب وغيره، وقد انتفع جماعة من طبه.

ويحكى عنه في الطب غرائب منها أنه مرت عليه جنازة في مكة فدعا بها وأخذ من دكان بعض العطارين شيئًا نفخه في أنف الطريح فجلس وعاش مدة، فتعجب الناس من ذلك وسأله بعض أصحابه عن ذلك فقال : رأيت أقدامه واقفة فعلمت أنه حي، ومنها أن بعض التجار كان يطعن فيه ويتكلم عليه فلما بلغه أرسل بعض الفقراء بغصن من نبات له رائحة طيبة فلما شمه التاجر انتفخ بطنه وعجز الأطباء الموجودون عن علاجه فاضطر إلى صاحب الترجمة فأرسل إليه واستعطفه فأعطاه سفوفاً من ذلك النبات فعوفي مما به، وكان يأمر من مرض أن يخرج من مكة ولو إلى المنحنى لأن رائحة البالوعات تفسده، ولهذا بنى بيتا بالمُحَصّب يسكن فيه من به مرض (٧).

شمس الدين الحجازي الحمصي الدمشقي : هو محمد بن محمد بن

أحمد، يعرف في حمص بابن سمّاقة، ولد سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م)، وتوفي سنة ١٠٢٠هـ (١٦١١م). كان ضليعًا بالعلوم الفقهية والعربية وكان ينظم الشعر، أخذ الطب عن الشيخ يونس بن جمال الدين رئيس الأطباء في دمشق، واختص بصحبته زمانًا، وكان يحاضر بأخباره كثيرًا، وفي دمشق كان يعرف بالحجازي لمجاورته بمكة بضع عشرة سنة، وقد أخذ العلوم عن الشيخ الإيلاقي القاطن في المدينة المنورة.

عوض بن يوسف بن محي الدين المعروف بابن الطباخ الدمشقي : ولد عام ١٠١٤هـ (١٦٠٥م) ومات أبوه وأمه حامل به، بدأ حياته بدراسته للطب حتى ألم به إلمامًا تامًا حتى اشتُهر بمعرفته الطب ودرّسه، وكان يُراجع في المسائل الصعبة فيعرفها ويعالجها، تولى القضاء بمدينة فلبّة وبغداد والمدينة المنورة، ابتلي بالاستسقاء وعولج فلم يفد علاجه، وكان استحكم فاقترح هو دواء لنفسه بقوة الحدس فكان يستعمل في كل يوم قدرًا وافرًا من الخربز (البطيخ الأصفر) وينام في الشمس وداوم على ذلك أيامًا حتى حمّ فبريء، توفي بمدينة القسطنطينية في سنة ١٠٨٠هـ (١٦٦٩م)[٨].

أحمد بن صالح بن إبراهيم الدرعي : هو أديب، عالم بالطب، ولد سنة ١١٢١هـ (١٧٠٩م) في زاوية (أكتاوة) بدرعة في المغرب الأقصى، له نظم كثير في ديوان سماه "شفاء المريض في بساط القريض" وله كتاب "الهدية المقبولة"، وهو عبارة عن أرجوزة في الطب، قام برحلة إلى الديار الحجازية وكتب عنها كتابًا سماه "الرحلة الشافية"، وله مؤلفات أخرى أكثرها لا زال مخطوطًا، توفي في (درعة) سنة ١١٤٧هـ (١٧٣٤م)، ولابنه العباس بن أحمد، تصنيف في أخباره سماه "الدرر اللامعة في السيرة الحسنة الجامعة"[٩].

أحمد الأركلي بن إبراهيم الأركلي الطبيب : ولد سنة ١١١٠هـ (١٦٩٨م)، كان يطالع في كتب الطب كثيرًا، وله في ذالك كتابات كان يكتبها على هامش كتبه في الطب، وله أيضًا من التآليف شرح على الشمائل ومقامات ضاهى بها "مقامات الحريري"، جاور في المدينة المنورة وتوفي بها

سنة ١١٦٢هـ (١٧٤٩م) ودفن بالبقيع[١٠].

محمد صالح الرضوي : مُحَدِّث رحال وطبيب، ولد في سمرقند ونشأ في بخارى ورحل إلى الهند واليمن والحجاز وتونس والجزائر والمغرب ومصر، ثم استقر في المدينة المنورة وتوفي فيها سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م)، له "مسلسلات" لا زالت مخطوطة، وهي تروي أسفاره، ويقال إنها أول مسلسلات عرفت ورويت[١١].

علي بن عبد الله المسلمي : باحث، متطبب من فقهاء النجف، ولد فيها سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م)، نسبته إلى قبيلة بني مسلم في الفرات، صنف كتبا منها "قواعد الطب : كليات ومعالجات"، رحل إلى مكة وألف فيها كتاب "الشمسين في العلوم الطبيعية"، توفي في النجف سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م)[١٢].

حسن هاشم بك : هو ابن السيد هاشم بن السيد علي هاشم، ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م)، درس الصيدلة في قصر العيني، ثم أرسل إلى فرنسا سنة ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) فدرس الطب وتخصص في أمراض النساء، وعاد إلى مصر ليدرِّس في مدرسة الطب، وفي سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١م) انتدبه الخديوي إسماعيل باشا للسفر إلى الحجاز للنظر في أسباب تفشي الكوليرا بين الحجاج فقام بمهمته خير قيام، توفي سنة ١٢٩٧هـ (١٨٨٠م)[١٣].

الدكتور سالم باشا بن سالم الشرقاوي : ولد في بلدة (القنيات) غربي مدينة الزقازيق، وكان والده الشيخ سالم سافر إلى الشام واعظًا سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م)، وهي السنة التي ولد فيها ابنه سالم، تعلم القرآن وجوَّده في الأزهر الشريف، ثم دخل مدرسة الألسن بالأزبكية وذالك حتى سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤م)، بعدها التحق بمدرسة الطب واستمر فيها حتى سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م)، وكان إلى جانب دراسته للطب يدرس الفقه الشافعي بالأزهر، بعد ذلك توجه إلى فرنسا لاكتساب العلوم الطبية فيها، وبعد رجوعه إلى مصر، بُعِثَ إلى ميونيخ وظل فيها أربع سنوات يدرس الطب أيضًا، ثم في سنة

١٢٧١هـ (١٨٥٤م) عاد إلى مصر ثانية وعين طبيبًا للعساكر السعيدية بالقناطر الخيرية، وفي سنة ١٢٧٧هـ (١٨٦٠م) اختاره سعيد باشا طبيبًا خاصًّا له في سفره إلى الحجاز لأجل الزيارة، توفي سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤م)[١٤].

محمد عبد السميع بك : ولد في بلدة بني مزار في مصر سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م)، ودرس الطب في قصر العيني بالقاهرة، ثم أرسل إلى باريس للتخصص ثم عاد سنة ١٢٨٠هـ (١٨٦٣م) وعين أستاذًا للجراحة بمدرسة الطب، ورحل إلى الحجاز مع ركب الحج ولبث فيها ثلاث سنين انتفع فيها أهل الحجاز بطبه، ثم عاد إلى مصر، ألف كتابًا في الولادة من ثلاثة أجزاء، وكتابًا في علم الأربطة، توفي في مصر سنة ١٣١٨هـ (١٩٠٠م)[١٥].

الدكتور صلاح الدين القاسمي : ولد الدكتور صلاح الدين القاسمي في دمشق عام ١٣٠٥هـ (١٨٨٧م)، وكان والده الشيخ محمد سعيد القاسمي إمام الشافعية في جامع السنانية بدمشق، توفي أبوه وهو في الثانية عشرة من عمره، فكفله أخوه علامة الشام الإمام جمال الدين القاسمي، وكان قد عرف في الفتى نبوغه المبكر، فأحاطه بكثير من عنايته ورعايته، تعلم التركية والفارسية والفرنسية ومبادئ العلوم الكونية، إلى جانب ما تعلمه في بيته من علوم الدين والعربية، ولما أتم دراسته الثانوية دخل كلية الطب في دمشق (وكانت تسمى المعهد الطبي) وتخرج فيها طبيبًا عام ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) وأسس مع بعض من إخوانه جمعية النهضة العربية ولم يكن يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، ثم أصبح أمين سرها، وفي عام ١٣٣٤هـ (١٩١٦م) سافر إلى الحجاز، وبعث برسائله منها، وقد توفي في تلك السنة هناك ودفن في الطائف في المقبرة المجاورة لمسجد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

كتب الدكتور صلاح الدين القاسمي أربع رسائل كلها مرتبطة بزيارته إلى الحجاز، سماها برسائل الحجاز، وقد جمعها مع غيرها من أعماله ابن أخيه الدكتور مسلم القاسمي ونشرت في كتاب بعنوان "الدكتور صلاح الدين

القاسمي" قدم له وحققه محب الدين الخطيب.

الرسائل الحجازية :

الرسالة الأولى – من دمشق إلى تبوك : في هذه الرسالة يتحدث القاسمي عن خط رحلته بدءاً من دمشق وصولاً إلى تبوك، ففي البداية عبر عن شوقه لزيارة بلاد الحجاز، فقال : (كنت أود منذ أمد بعيد أن تكتب لي الرحلة إلى الديار الحجازية، لأرى بلاداً كانت مبعث الحياة والنور والعلم، ومن آفاقها الصافية الزرقاء انبثق فجر الحضارة العربية وطلعت شمس النهضة الإسلامية فأضاءت الخافقين)(١٦).

بعد ذلك تحدث عن بدء رحلته على القطار الحجازي من دمشق التي غادرها في السابع عشر من ذي الحجة(؟) سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٦م)، حيث كانت الوجهة الأولى تبوك التي تبعد حوالي ٦٩٣,٢ كيلاً من دمشق، وقطع القطار هذه المسافة في ثلاثين ساعة، بما فيها ساعات الوقوف، وأعلى نقطة يرتفع بها القطار عن سطح البحر هي عَقَبة الحجاز التي تقع بين بئر الشدية ووادي الرتم، وهي على بعد ٥١٤,٦ كيلاً من دمشق ويبلغ ارتفاعها ١١٥١م، ثم يبين القاسمي أن المحطات الأساسية هي ثلاث : القدم ثم درعا ثم معان، والمحطات مؤلفة من عدة أبنية تحتوي على مكان للطبيب وصيدليته، وهو عبارة عن غرفتين واحدة يفحص فيها الطبيب المرضى من مستخدمي الخط وغيرهم، وفيها منضدة للكتابة ومنضدة للعمليات وبعض الآلات، والغرفة الأخرى هي عبارة عن صيدلية يعد فيها ما يلزم من الأدوية والعقاقير، وقد توجد غرفة أخرى يبيت فيها الصيدلي، أما الطبيب فيبيت في دار أخرى على نفقة إدارته.

تجول الدكتور القاسمي في ذلك المكان فوجده كما يقول لا يليق بمكانة الطب وشرفه، ثم يصف بقية رحلته فيذكر أنَّ المسافر بعد أن يقطع في القطار زهاء ساعة تنقطع عنه آثار العمران، ولا يعود يرى نباتاً ولا ماء إلا شجيرات بادية في العراء، كما قد تشاهد بعض القلاع المبنية على الطراز الشامي تتراءى

فخمة إذا ما قورنت بتلك البيوت التي لا تزال على الطراز البدائي.

الرسالة الثانية - تبوك (نفوسها، سكانها، بنو عطية وشيخهم، هواؤها، ماؤها، الحالة الصحية، أوضاعها، قابلية أراضيها للزراعة، درجة الحرارة، المحجر الصحي، البعثة الطبية) :

هذه الرسالة هي الأهم من تلك الرسائل الأربع، لذلك أرى أن أسردها كاملة.

يقول الدكتور القاسمي : (وصلنا تبوك في اليوم الثاني من مبارحتنا دمشق الساعة الثامنة والنصف عربية [الثانية والنصف زوالية] وقد كان يدلنا عليها قبل أن نصل إليها ببرهة يسيرة منظر نخلها الأخضر الكثيف.

هذه الكورة لم تكن شيئًا مذكورًا قبل مسيرة القطار، فهو الذي أعاد لها ذكرها القديم، على أنها لا تزال متأخرة في العمران، وسكانها قلائل جداً، وهي ناحية من أعمال معان، وفيها ثلاثون بيتًا أو أربعون، ومجموع نفوسهم بأسرهم يتراوح بين المئة والخمسين إلى المئتين، أما سكانها الأصليون فلا يبلغون الأربعين نسمة.

ومن هنا يعلم أن سكانها قسمان : أصليون وطارئون، أما الأصليون فيدّعون أنهم من قبائل الحميدات، غزاهم بنو عطية منذ مدة فاستولوا عليهم ولم يبقوا منهم سوى ذلك النفر القليل، وأصبح لبني عطية الكلمة العليا، وهم على ما يظهر أغنى من أهل البلد الأصليين، ولشيخ هذه القبيلة -الشيخ حرب- حديقة مسماة باسمه ولأقربائه أمثالها أيضًا، وقد توفي شيخهم منذ عهد قريب وخلفه ابنه محمد، وقد اجتمعتُ به فرأيته لا يبلغ العاشرة من العمر، والوصي عليه ابن عمه ويدعى سليم، وهو شاب في مقتبل العمر وشرخ الصبا، وله وكيل يسمى الشيخ صالح المقبلي، أما الطارئون على تبوك فقد أتوا من جهات تيماء وحائل واستوطنوا هنا، وفيهم غرباء أيضًا يأتون من الأطراف في زمن الحج ويطلبون مرتزقًا لهم فيُستخدمون إما في المحجر الصحي أو في الخط الحجازي.

وأهلها يعتاشون بنخيلهم وزرعهم ومايناله المستخدمين منهم في المحجر، وبعضهم يشتغلون بالبيع والشراء، يبيعون من بني عطية بالدين ثم يستوفون ما لهؤلاء من المرتبات التي تنقدها لهم الحكومة، وراتب شيخهم - على ما ذكر لي وكيل الشيخ الصغير - ٧٥ ريالاً مجيديًا في الشهر.

وهواء هذه الكورة نقي جداً، لا يشعر بذلك إلا المقيمون في خارجها من أطباء المحجر، ومستخدمو الخط وموظفوه، لأن هواءها يفسد من مائها الراكد، وهذا الماء يترشح من الأرض فيجتمع في حوض كبير أقيم على أطرافه وأمامه حوض آخر، وبجانبهما حوض ثالث وقد كان الحوض الكبير يُسَدُّ فيمتلىء ويصب في الحوض المقابل والمجاور له، وقد بنيت بإزائه منذ القديم قلعة كان يقيم فيها جنود موكلون بحفظ هذا الماء ليستقي منه الحجاج، ومنذ سار القطار إلي المدينة زالت الحاجة إلى ذلك الماء ولم يعد يُعْنَى به، فأصبحت تلك الأحواض مستنقعاً وخيمًا تنمو فيه أنواع الجراثيم ولا سيما جراثيم الحمى المتقطعة (الملاريا) وتنبعث منه روائح خبيثة، وهو مملوء بالأوحال، ومع ذلك فلا يزال بعضهم يستقي منه مع وجود بئر الجامع الذي في البلدة، ووجود بئر الخط وهو على قيد غلوة(؟) منها، وذلك ما دعا إلى فساد هواء تبوك وانتشار الأمراض المنوعة بين أهلها، وضعف نسلهم وتقليل عددهم، وهذا يفسر لنا الرمز الذي يعتقدونه من أنهم لا يزيدون ولا ينقصون، بل كلما ولد لهم واحد مات آخر.

وفي الكورة جامع ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم جدده كاظم باشا لما كان ناظراً لإنشاءات السكة، ومدرسة شيدت على عهده أيضًا، وفيها نحو ٣٠ تلميذاً، نصفهم من أبناء العشائر والباقون من أبناء الموظفين، ويقوم بتثقيفهم معلم دمشقي عربي يتقاضى في الشهر من الحكومة خمس مئة قرش، وفيها دار للحكومة تتألف من غرفتين ودائرة للبرق، وهما مبنيان على الطراز الذي يبني به أهالي هذه الكورة بيوتهم، وهو لبن يصنع من رمل أرضها، ويرى منظره الترابي، وفي جدرانها كوى يبلغ طول الكوة زهاء ٩٠ سنتيمتراً وعرضها

٣٠ سنتيمتراً، وجدران الغرف واطئة وضعيفة، تسقف بسعف النخيل على الحالة البدائية.

وحكومة هذه الناحية رأت أن هذه الدار لا تليق بالحكومة، فاستفزتها الحمية وافتتحت قائمة إعانة اكتتب بها مشايخ بني عطية وأطباء المحجر والخط وموظفوه لتبني لها داراً خططتها منذ أسبوع، وستباشر البناء بعد مدة، ولكن هذه النفقات ستذهب فيما أحسب سدى، لأن الدار الجديدة لا تخرج عن حد الأولى من حيث البناء إلا أنها ستكون أوسع، ومن العار أن يكون لحكومة تبوك بناء على هذا الطراز، بينما تقوم أمامه صباح مساء أبنية الخط الحجرية المبنية على الطراز الحديث.

وفي هذه الكورة ثكنة عسكرية تقيم فيها كتيبة لمحافظة الخط، ومستشفى عسكري يسع أكثر من ستين سريراً يداوى فيه الجنود المرضى من أفراد الكتيبة وممن يشتغلون منهم بإصلاح الخط أيضاً، وله طبيب عربي غيور حلبي الأصل، ومعاون صيدلي، وقد زرت هذا المستشفى فرأيت فيه عدة مرضى مصابين بأنواع الأمراض، ولذالك الطبيب البارع عناية خاصة بهم، وللمستشفى حديقة جميلة في الجملة، عُني بها طبيب المستشفى المذكور، وقد زرع فيها أنواع النباتات، وتشاهد الآن الفول نامياً فيها مزهراً، وتنشق أريج زهره وأنت في أيام الخريف كأنك في فصل الربيع، ولولا جراد انتشر صيف هذا العام فالتهم بعض النباتات لرأيت الحديقة على غير ما هي عليه الآن.

وهنا لابد لي أن أقول : إن هذه الأراضي قابلة للزراعة جداً، إلا أنه يعوزها شيء من العناية بالأرض، يدلك على ذالك ما تراه في هذه الحديقة وفي غيرها من الحدائق كحديقة حرب وأقربائه، وهي مزروعة بالتين والعنب والتين الشوكي (الصبارة) والطماطم (البندورة)، وقد بدأ بعض الأهالي هنا يزرعون الشعير في بعض الأراضي وتراه الآن آخذاً في النمو.

وتبوك حارة جداً في أيام الصيف، حتى أن درجة الحرارة بلغت هذه السنة ٤١ مئوية في الظل على ما أخبرني أحد الأطباء بل ارتفعت إلى الـ٤٣، لذالك لا

عجب إذا كنا الآن ونحن في (تشرين الثاني) لا نشعر ببرد مطلقًا إلا عند الفجر، بل كأنما نحن في أواخر الربيع وأوائل أيام الخريف، فالهواء يهب طلقًا رخاء، والسماء مصحية لا تغيم إلا في النادر كما وقع هذا العام والعام الماضي مما لم يشاهد في السنين الغابرة، فقد أمطرت السماء منذ عشرة أيام رذاذًا وبدأت تتساقط على رمالها المحرقة قطرات دافئة كقطرات الدموع، وتهب في الأحايين ريح شديدة تحمل معها ذرات الرمل، ويصاب المتعرض لها بالرمد الحبيبي وغيره من أمراض العيون، والبرد لا يبلغ أشده هنا إلا في كانون الأول والثاني.

والذي يجدر بالذكر هنا المحجر الصحي، وهو يبعد عن المحطة زهاء عشر دقائق، وقد شيد منذ سار القطار إلى (المدينة) ويبنى بالتدريج، وهو مؤلف من أبنية خشبية منظمة مصبوغة بصباغ بنفسجي ومبثوثة هنا وهناك، اثنان منها لأطباء المحجر وكتبته، وآخر للمستشفى وفيه زهاء عشرين سريرًا ينقل إليه الحجاج المرضى من الموبوئين وغيرهم، وفيه صيدلية تحوي معظم ما يلزم من الأدوية والعقاقير، ودار للجراثيم وفيه مكبرتان (ميكروسكوبان) ومكان خاص فيه آلتان كبيرتان لتطهير ألبسة الحجاج وحوائجهم وغير ذالك، وإدارته منظمة، صرف عليها حتى الآن زهاء سبعة وعشرين ألف ليرة[١٧].

وتخرج إليه كل عام بعثة صحية تصل في العشر: الأول والثاني من ذي الحجة، وفي الأحايين قبل ذلك بحسب الحاجة، وذالك للإشراف على حالة الحجاج الصحية وضرب النطاق عليهم ومداواة المرضى منهم، ويعين أعضاء تلك البعثة من قبل إدارة الصحة في العاصمة، ويتقاضى الواحد منهم راتبًا قدره ٣٠ ليرة عثمانية كل شهر ويعطون نفقات طريق من الأربعين ليرة عثمانية - إلى الستين، وبعضهم يتناول أكثر من ذلك، وللمحجر مدير دائم، مركزه دمشق، ويأتي إلى هنا قبل البعثة لإعداد المعدات في هذا المحجر وإصلاح ما أفسده الزمان والإنسان.

والبعثة الصحية في هذا العام كانت مؤلفة من سبعة أطباء ثلاثة منهم

سوريون يأتون من العاصمة، وفيهم صيدلي ويرأسهم المدير، وللمحجر ثلاثة كتّاب وحراس يأتي جلهم كل سنة من العاصمة ووظيفتهم ومهمتهم حفظ المحجر ومراقبة الحجاج خشية أن يفروا، وله مستخدمون وطنيون أيضاً.

وللمحجر رسم يتقاضاه من كل حاج عن كل يوم سبعة قروش أميرية ونصف، ويعفى منه الفقراء، ومدة الحجر في حال الصحة ثلاثة أيام وفي حال المرض خمسة، ويتجدد إذا تعددت الإصابات والوفيات.

وقد بلغ عدد الحجاج الذين مروا بتبوك هذا العام زهاء ستة وعشرين ألفا، ومما يبعث على السرور أن صحة الحجاج العامة هذا العام على غاية ما يرام والحمد لله)[١٨].

الرسالة الثالثة - على ذكر الكلية الإسلامية في المدينة المنورة : في هذه الرسالة يشير الدكتور القاسمي إلى أنه أثناء مكوثه في تبوك التقى بأعضاء الجمعية الإسلامية العاملين[١٩]، وأخبروه بأنهم قد أوفدوا من قبل الحكومة العثمانية إلى المدينة المنورة لدراسة إنشاء كلية إسلامية أو ما سموه بدار الفنون الإسلامية فيها ووضع حجر الأساس لها، وهنا شكك الدكتور القاسمي في مقاصد الحكومة العثمانية من إنشاء تلك الكلية الإسلامية في المدينة المنورة، ورأى في ذلك منفعة سياسية أكثر منها علمية، حيث عبر عن ذالك بقوله : (وما كان الله ليبقي عمل قوم لا يكون الإخلاص رائدهم، ولا التدبير قائدهم)[٢٠].

الرسالة الرابعة - درس في التغرب : في هذه الرسالة الأخيرة من رسائل الحجاز يذكر الدكتور القاسمي أنَّه كان من بين أطباء البعثة الصحية في تبوك طبيب أرمني في الخمسين من العمر، كان قد فارق أهله وأسرته وأتى إلى تبوك مع من أتى من دمشق ليقوم بوظيفة عهدت إليه إلى أجل مسمى، لقاء راتب كاف واف، ثم يعود إليها وقد قضى واجبه وظفر بأمنيته (كما يعلق الدكتور

القاسمي) ، ومن خلال هذا الموقف يعرض الدكتور القاسمي أفكاره عن الحياة الوظيفية وكيف يجب أن ينبري لها الأشخاص الأكْفَاء وأن يتحملوا مشاق الغربة وصعابها ويضرب على ذلك مثل الأوربيين الذين يعملون في بلاد بعيدة حيث يقول : (وإلا فكيف يعيش الأوربيون من إنكليز وألمان وفرنسيين في بادية الأناضول وصحاري السودان ومجاهل إفريقية، وكيف يتناءون عن وطنهم فيوغلون في الأقطار العربية عراقيها ويمانيها وحجازيها، فيستخدم من يستخدم منهم في السكك الحديدية، ويقوم بعضهم بوظائف عهد بها إليهم، ويذهب بعضهم لاكتشاف الآثار والعاديات فيكتبون عنها المجلدات، وتناط بآخرين وظيفة التعليم في الإرساليات ويطوفون البلاد من أدناها إلى أقصاها دعاة ومبشرين)[٢١].

الدكتور أمين باشا بن فهد بن أسعد المعلوف : طبيب من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد ١٢٨٨هـ (١٩١٠م) في (الشويفات) بلبنان، وتخرج طبيباً في الجامعة الأمريكية في بيروت ولما شبت الثورة في الحجاز على العثمانيين رحل إلى جدة، فعين مديراً للصحة فيها، وعقب الحرب العالمية الأولى عاد إلى سوريا فعينته حكومتها العربية أستاذاً في المدرسة الطبية الدمشقية، ثم مديراً للإدارة بوزارة الخارجية، توفي في القاهرة بعد إصابته بشلل سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م)[٢٢].

سوريا - جامعة حلب : د. عبد الناصر بن إحسان كعدان

الحواشي :

(١) "معجم الأطباء" لأحمد عيسى بك، ط٢، دارالرائد العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص ٢٧١ "السنا الباهر" ص ٤١٩.

(٢) "الكواكب السائرة" للغزي المطبعة الأمريكية، بيروت عام ١٩٤٩م، ج٣، ص ١٢٢ "معجم الأطباء"، ٤٤٩.

(٣) "خلاصة الأثر" للمحبي، ج١، ص ٤٠٦. "معجم الأطباء"، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٤) "معجم الأطباء"، ص ١٨٥، "الأعلام"، للزركلي، ج٢، ص ٣٣٣.

(٥) "معجم الأطباء"، ص ١٩٤ - ١٩٥. (٦) "خلاصة الأثر"، ج٢، ١٤٧.

(٧) "خلاصة الأثر"، ج٢، ص ٢٤٤ - ٢٤٥. "معجم الأطباء"، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٨) خلاصة الأثر، ج٣، ص ٢٣٤، معجم الأطباء، ٣٢٤-٣٢٥.

(٩) "الأعلام"، ج١، ص ١٣٨. "دليل مؤرخ المغرب"، ج١، ص ١٩٥.

(١٠) "سلك الدرر" للمرادي، مصر، ١٣٠١هـ، ج١، ص٨٢. "معجم الأطباء"، ص ١٠٢.

(١١) "الأعلام"، ج٦، ص ١٦٤، "فهرس الفهارس"، ١ : ٣٢٢-٣٢٥.

(١٢) "الأعلام"، ج٤، ص ٣٠٨. "معارف الرجال"، ٢ : ٩٦.

(١٣) "معجم الأطباء"، ص ١٦٩-١٧٠. (١٤) "معجم الأطباء"، ص١٩٧. "الأعلام" ج٣، ص٧١

(١٥) "معجم الأطباء"، ص٤٦٧-٤٦٨. "البعثات العلمية" ص٥٥١.

(١٦) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي"، ص ١٩٨. [ولعل هناك خطأ في مغادرته الآتية، فتكون في ذي القعدة بدلاً من ذي الحجة. العرب].

(١٧) كانت الليرة العثمانية في ذلك الوقت هي الليرة الذهبية، وهي تنقص نحو العُشْر عن قيمة الجنيه الإنكليزي الذهب.

(١٨) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي" ص ٢٠١-٢٠٥.

(١٩) وهي كما يقول محقق الكتاب محب الدين الخطيب جمعية أنشأتها الحكومة التركية كان حزب الاتحاد والترقي وعلى رأسه أنور باشا قد أسسها لأغراض حزبية كان من مقاصدها مقاومة روح القومية العربية.

(٢٠) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي"، ص ٢٠٧، [ومبنى هذه الكلية هو مبنى مدرسة طيبة الثانوية الآن، المقابل لمبنى سكة حديد الحجاز من الشمال (عائض الردادي)]

(٢١) كتاب "الدكتور صلاح الدين القاسمي"، ص ٢١٢

(٢٢) "الأعلام"، ج٢، ص ١٩. "مجلة المجمع العلمي العربي"، ١٨ -٢٥٨.

«خصائص اللغة» لأبي منصور الثعالبي

[تحقيق خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ١٣٦ص]

المرضى باقتناء الكتب -مثلي- وحدهم يعرفون المشكلات التي أُعاني منها في سبيل الظفر ببغيتي من هذا القطر العربي أو ذاك البلد الأجنبي، فالمكتبات العربية القليلة الموجودة في بلاد الفرنجة -حيث أقيم- تقتني مطبوعاتها على مزاج أصحابها مما يعتقد أنه مطلوب أو مرغوب، ونادراً ما تلبي رغبات الباحثين أو القراء، وإذا فعلت ذلك فبأسعار ترهق الجيوب وتدمي القلوب.

وعندما بلغني مؤخراً صدور عدة كتب تراثية جديدة في القاهرة استطرت فرحًا، وجندت معارفي واتبعت أكثر من وسيلة حتى لُبي طلبي فسكن قلبي، وكان من ضمن ما طلبت :

- «خصائص اللغة» لأبي منصور (عبد الملك بن محمد) الثعالي المتوفى سنة ٤٢٩هـ تحقيق خالد فهمي، منشورات مكتبة الخانجي، القاهرة.

والثعالبي صاحب «يتيمة الدهر» أشهر من أن يعرَّف، فهو الأكثر تصنيفًا، وصف بأنه (جاحظ نيسابور)، رصيده العلمي يبلغ نحو ١٢٠ عنواناً وصل إلينا نحو نصفها.

أما (مكتبة الخانجي) فهي من معالم قاهرة المعز، لها أيادٍ بيض على تراث العرب والمسلمين، تتوارثها أسرة كريمة حريصة على نشر العلم وخدمة الثقافة والباحثين.

وخالد فهمي محقق مصري، اختار «فقه اللغة وسرّ العربية» للثعالبي موضوعًا لرسالته العلمية (الماجستير) ثم نشره (القاهرة - ١٩٩٨م)، للمحقق إذن عناية بالثعالبي، و"خصائص اللغة" التجربة الثانية له وهو دليل العناية، يقول الدكتور رمضان عبد التواب في تقديم كتاب تلميذه : إن الثعالبي كان يحلو له أن يختصر أحد كتبه اختصاراً غير مخل كما صنع في «خصائص

اللغة» فقد اختصر فيه كتابه «فقه اللغة» إلى حوالي الثمن، وتوخى الثعالبي في مختصره هذا حذف كل الشواهد من القرآن والحديث والشعر والنثر، كما حذف بعض الألفاظ الغريبة، وأضاف ألفاظًا أخرى قليلة، لا توجد في «فقه اللغة» ولم يذكر في المختصر سوى أربعة أسماء من الرواة، ثم يقول: ومحقق الكتاب الأخ (خالد فهمي) لم يترك شاردة ولا واردة في إضاءة النص إلا أفاد منها، كما قابل بين الأصل وهذا المختصر .. الخ، نستخلص من هذا الكتاب:

١ - إنه ينشر أول مرة.

٢ - إن أحداً ممن ترجم للثعالبي -على كثرتهم- لم يذكره.

٣ - إن مخطوطة الكتاب التي اعتمدها المحقق (الظاهرية بدمشق ١١٨ لغة) هي يتيمة (أي وحيدة لا أخت لها) مكتوبة في حدود سنة ١١٧٧هـ، وقبل أن أُناقش هذه الأمور، أود أن أُشيد بالجهد المشكور الذي بذله الأستاذ فهمي في تحقيق الكتاب وإضاءة نصوصه، ووضع فهارس فنية له، لكن كل هذا لا يمنع أن نضع بين أيدي المحققين والباحثين والقراء الحقائق الآتية:

١ - إن هذا الكتاب طبع مرتين في العراق، قبل الطبعة القاهرية وهاك التفصيل:

الأولى: نشر بعنوان «نسيم السحر» بتحقيق (الشيخ محمد حسن آل ياسين) ضمن العدد الأول من المجلد الأول للسنة الأولى من مجلة «الكتاب»، بغداد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م وأفرد في مستل.

الثانية: نشر بالعنوان المتقدم نفسه بتحقيق (الدكتورة إبتسام مرهون الصفار) ضمن العدد الأول - من المجلد الأول - السنة الأولى في مجلة «المورد» - بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

وللنشرتين إشارة في:

«المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع" للدكتور محمد صالحية (القاهرة ١٩٩٢م) ج١ ص ٣٠٩ وانظر «الذخائر الشرقية» لكوركيس عواد ج١ ص ٥٤١.

الجدير بالتنويه أن (السيدة الصفار) اعتمدت نسخة واحدة وجدتها ضمن

مجموع (برقم ٤٠٤) في معهد الدراسات الإسلامية العليا ببغداد، وانظر ملاحظات الدكتور محمود عبد الله الجادر حول هذا الكتاب في: «الثعالبي ناقدًا وأديبًا" (بغداد ١٩٧٦م ١٣٩٦هـ) ص ١٣٩-١٤٢.

"نسيم السحر":

وإذا كان لا وجود لذكر "خصائص اللغة" في قوائم مؤلفات الثعالبي كما يفيدنا المحقق في مقدمته، فإن الأمر مختلف بالنسبة لـ"نسيم السحر" فله ذكر صريح في «الوافي بالوفيات» للصفدي ضمن ترجمة الثعالبي (ج١٩ ص ١٩٧) وعنه في «طبقات النحاة واللغويين» لابن قاضي شُهبة (مخطوط) ج٢ ص ٢٨٨.

مخطوطة أخرى:

قال أفقر البرية (جليل بن إبراهيم العطية): وفي مكتبتي مصورة من المجموع المخطوط (٢٠٥٢ أيا صوفيا، مكتبة السليمانية) إستانبول قوامه ٢١٦ ورقة، يشتمل على نصوص صوفية وأدبية ولغوية باللغتين العربية والفارسية، يتضمن النص المنشور نفسه باسم رسالة «نسيم السحر» يشغل الورقات ما بين ١٨٧-١٩٩ جاء في ختامه: [تم .. خصائص اللغة من كتاب "نسيم السحر" بعون الله وحسن توفيقه على يدي الضعيف (مبارك بن أصيل ابن محمد بن النجيب الملقب نجم القرطاسي) .. في يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ٩٨٩ هجرية).

لهذه النسخة مزايا فإضافة إلى قدمها هي مشكولة ومكتوبة بخط فارسي متقن، تنفرد بإضافات وخلافات، وفي الهوامش فوائد لغوية مهمة، وفي النسخة ثلاثة فصول جديدة ونقدم أدناه نماذج من الزيادات التي تنفرد بها هذه النسخة:

المقدمة: جاء في المطبوع: فألفت واختصرت له هذا الكتاب الصغير الجرم، الكبير الغنم، الخفيف الحجم في (خصائص اللغة) ..

الزيادة من مخطوط (آيا صوفيا) :

– وأسرار مجاري كلام العرب المستشهد عليها بالقرآن ولطائف الكتاب وبدائع الشعراء.

وإني حين أتحفه بهذا، كمن يهدي الخضاب إلى الشباب، وكمن يهدي إلى القمر نورا، ويزيد في البحر نهراً، ولكن ما على الناصح إلا جهده، ولي أسوة فيمن قال : لأبي الحسن بن طباطبا العلوي :

لا تنكرنْ إهداءنا لك منطقًا ... منك استفدنا حسنة ونظامه
فالله عز وجل يشكر فِعلَ مَنْ ... يتلو عليه وحيه وكلامه

والآخر :

لا تنكرنّ إذا أهديتُ نحوك من ... علومك الغرّ أو آدابك النُّتفا
فقيّم الباغ قد نهدي لمالكه ... برسم خدمته من باغه التحفا

والله تعالى أسأل أن يقرّ عينه ويشرح صدره ويعلي أمره، ويلقيه من العيش أرغده، ويجعل خير يوميه غده، وهذا حين استفتاح الكتاب، وما توفيقي إلا بالله.

[قلت : إن البيتين الأخيرين هما لأبي الفتح البستي : "يتيمة الدهر" : ٤ / ٣٣٠]. [الباغ : البستان، فارسية معربة. "العرب"].

زيادات في فصول الكتاب :

١ – فصل في التنزيل والتمثيل : والأكاسرة لفارس كالقياصرة للروم والخواقين للترك.

[قلت ، الخواقين جمع خاقان]

٢ – فصل في أشياء تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها : ولا يقال قلم إلا إذا كان مبريًا، وإلا فهو قصب.

٥ – فصل في تقسيم اللِّين : امرأة لميس

٨ – فصل في تقسيم القلة : ثمد : شيء تافه وطفيف . نزر : مال قليل.

٩ – فصل في تقسيم السعة : درع فضفاض.

٩ – مكرر – فصل في تقسيم الضيق : مكان ضيق، صدر حرج، معيشة ضنك، طريق لزب.

[لا وجود لهذا الفصل في المطبوع]
١٧- فصل في تقسيم ما لا خير فيه من الأشياء والفضالات : خشاش الطير.
٢٠- فصل في تقسيم الخلو : أرض موت وموات ليس بها نبت، شجرة سليقة : ليس عليها ورق.
٢٤- فصل في تقسيم البياض على ما يوصف به : رجل أزهر.
٢٦- فصل في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان فيه : سحاب : أسحم.
٢٨- فصل في تقسيم الأشياء على اليد : ومن السمن وضرة ومن الدهن زنخة.
٢٩- فصل في تقسيم الأنوف على الحيوان : نخرة الفرس. مرمة السّبع.
٣٩- فصل في تقسيم ما يخرج من الحيوان : جيهبوق الفأرة عن الأزهري.
٤٨- فصل في تقسيم المشي على ضروب من الحيوان : الإنسان يمشي ويسعى.
٥١- فصل في تقسيم الوثب : قفز الصبي.
٥٨- فصل في تقسيم القطع على أشياء مختلفة : صُلم الأذن، جبّ بالمقراض الذكر، قلّم الظفر.
٥٨- مكرر : فصل في تقسيم القطع المضمومة والمجموعة : ضغث من الحشيش، باقة من بقل، حزمة من حطب، كارة من ثياب، إضبارة من كتب.
[الفصل لا وجود له في المطبوع].
٦٢- فصل في تقسيم الثقب : جُراز الفأس.
٦٣- فصل في تقسيم الكسر : دَقّ الحَبّ والنوى.
٦٦- فصل في تقسيم الخيوط : السِّمطُ للدُّرِ.
٧١- فصل في تقسيم جماعات شتى : جَوقَة من الغلمان، ثلّةٌ من النساء.
٧٤- -مكرر- فصل في ترتيب الأنهار : أصغرها الجدول ثم السَّريُّ ثم الجَعْفَر ثم الطِّبع ثم الخليج.
[لا وجود لهذا الفصل في المطبوع].
٧٥- فصل في تقسيم بيوت العرب وتفصيلها : طراف من أدم، قبة من لبن.
نسختان :
إضافة إلى نسخة (آيا صوفيا) توجد نسخ أخرى من النص المقصود في هذا

المقال بينها :

١ - نسخة آفيون بمدينة آفيون قرة حصار التركية رقمها ١٧٥٢٩ كتبت في القرن العاشر في ٦٣ ورقة، عنوانها : "خصائص اللغة وأسرار الكلام العربية".

أولها : أما بعد حمد الله على آلائه .. فإن من أحب الله تعالى، أحب رسوله...

["نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركية" للدكتور رمضان ششن (دار الكتاب الجديد)، بيروت، ١٩٧٥م) ج١ ص ٣٩٦-٣٩٧].

٢ - نسخة راغب باشا (بمدينة إستانبول) رقمها ١٤٨٦ كتبت في القرن الحادي عشر من ١٦٤ب إلى ١٧١أ عنوانها : "نسيم السحر".

أولها : أما بعد حمد الله الذي هو أول القرآن .. فإن لقاء الشيخ نسيم الصبا.

[نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركية ج١ ص ٣٩٩].

صفوة الكلام :

يمكن تلخيص ما تقدم بما يلي :

١ - طبعة كتاب الثعالبي بتحقيق الأستاذ خالد فهمي هي الثالثة.

٢ - توجد عدة نسخ من مخطوط الكتاب مبعثرة في خزائن العالم العامة والخاصة لابد من رصدها وتصويرها ودراستها قبل التفكير بتقديم طبعة جديدة جدية للكتاب.

٣ - يبدو من نسخة (آيا صوفيا) - المشار إليها قبل قليل - أن "خصائص اللغة» هو القسم اللغوي من كتاب كبير يدعي «نسيم السحر» - أشار إليه الصفدي وغيره ضمن قوائم مؤلفات الثعالبي، يشتمل على :

١ - لطائف الكتّاب.

٢ - بدائع الشعراء.

وهكذا يبدو أن «نسيم السحر» يشبه -من حيث المنهج- كتاب «لباب الآدب» للثعالبي المطبوع بتحقيق د. قحطان رشيد صالح - منشورات وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة خزانة التراث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧م.

والله أعلم ».

باريس : جليل بن إبراهيم العطية

من كتاب «المجموع اللفيف» للأفطسي

(تعليق من كتاب يعقوب بن إسحق الكندي في معرفة الجواهر)

تفضل عليَّ أستاذنا الشيخ حمد الجاسر فأتحفني بورقات مصورة عن مخطوطة كتاب "المجموع اللفيف" للشريف القاضي أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله الأفطسي (٤٦٢هـ-٥١٨هـ) وتتضمن تلك الورقات تعليقاً من كتاب يعقوب بن إسحق الكندي في معرفة الجواهر، وكان للصديق الدكتور جليل العطية فضل التعريف بمخطوطة كتاب «المجموع اللفيف» (مجلة "العرب" ٣٤/ ٢٠٠) فقد ذكر أن الكتاب محفوظ بالمكتبة الوطنية في باريس رقم AR3388 ويقع في أكثر من مئتي ورقة مكتوبة بخط المؤلف المتقن الدقيق، ويضم أخباراً وحكايات وأشعاراً وطرائف، انتقاها من مصادر ضاع أغلبها اليوم، ولا تحمل المخطوطة تاريخ النسخ لكنها مكتوبة في القرن الخامس الهجري.

ويحتل نص الكندي في معرفة الجواهر الورقات الأربع الأخيرة من الكتاب، وتنتهي بقوله «تمت النسخة المباركة من الجزأين من "المجموع اللفيف" ببقاء مالكها وصلى الله على النبي وآله».

وحينما اطلعت على الورقات المذكورة، وهي خاصة بالحديث عن اللؤلؤ، ظننت أنني لن أجد فيها جديداً بجانب ما ذكره ابن ماسويه أو البيروني أو التيفاشي أو غيرهم ممن عنوا بذكر الجواهر والأحجار.

إلا أن القراءة المتأنية وتحليل النصوص المتناظرة والموازنة بينها تظهر بجلاء أهمية تعليق الكندي الوارد في كتاب «المجموع اللفيف»، وتكشف خطأ الزعم القائل: إن الكندي قد استقى معظم معلوماته من كتاب ابن ماسوية (إما بحرفيها، أو بمعانيها، دون أن ينسبها إلى صاحبها الحقيقي)[1]. كما أن تعليق الكندي يقدم تصحيحاً لعدد من الفقرات المتعلقة باللؤلؤ في كتاب ابن ماسويه، ويؤكد ما التبس منها، ويستكمل نواقصها.

وسنحاول بين يدي هذا النص أن نستجلي باختصار تلك الأمور، ثم نترك

للتعليقات والحواشي المزيد من التوضيح والاستطراد.

أولاً -الكندي وابن ماسويه :

عاش كل من الكندي وابن ماسويه في بغداد في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، وقد توفي ابن ماسويه عام ٢٤٣هـ في حين أن الكندي قد توفي أواخر سنة ٢٥٢هـ(٢). ويعد كتاب «الجواهر وصفاتها» ليحيى بن ماسويه من أوائل الكتب التي وصلتنا في هذا الفن، ويتضمن الكتاب صفة اللؤلؤ وأصنافه وكيفية تكونه ومغاصاته وطريقة الغوص إلى جانب الحديث عن الأحجار والجواهر الأخرى، وذكر الدكتور عماد عبد السلام رؤوف في مقدمة تحقيقه للكتاب فضل ابن ماسويه على من تلاه من العلماء وقرر أن (الكندي الذي كتب كتابه «الجواهر والأشباه» بعده ببضع سنين اعتمد عليه اعتماداً كلياً حتى كاد أن ينقل بعض فقراته نقلاً حرفيًا)، ثم أورد نصوصاً مختارة من كتاب ابن ماسويه ومن كتاب الكندي نقلها البيروني في "الجماهر" للتدليل على نقل الكندي عن ابن ماسويه(٣).

أما الكندي فقد اكتسب كتابه في الجواهر شهرة كبيرة، وكان من المصنفات المعتمدة في هذا الفن، اعتمد عليه من جاء بعده، وقد نقل عنه البيروني والتيفاشي وابن الأكفاني وغيرهم ممن صنف في موضوع الجواهر والأحجار، وتكفي شهادة البيروني له بأنه لم يقع إليه من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي في الجواهر والأحجار والأشباه قد افترع فيها عذرته وأظهر ذروته، كاختراع البدائع في كل ما وصلت إليه يده من سائر الفنون فهو إمام المجتهدين وأسوة الباقين(٤) وقد سمي ابن النديم كتاب «أنواع الجواهر الثمينة» كما ذكر أن له رسالة في أنواع الحجارة(٥).

ولنا أن نتوقف بعد هذا التقديم للبحث في حقيقة الزعم القائل : إن الكندي قد استقى معلوماته من كتاب ابن ماسويه وإنه قد نقل بعض فقراته نقلاً حرفيًا كما يذكر الدكتور عماد عبد السلام، ولنا على هذا الرأي مجموعة من الملاحظات ندرجها فيما يلي :

١ - إن القول : إن الكندي هو الذي أخذ عن ابن ماسويه لا يسنده دليل بيّن على ذالك، فما دام الاثنان متعاصرين فلابد أن أحدهما أسبق من الآخر في التأليف، وليس من الضرورة الجزم بأن الكندي لكونه قد تأخرت وفاته نحو تسعة أعوام أو عشرة قد ألف كتابه في هذه الفترة، كما أن مكانة الكندي العلمية والاجتماعية تمنعه من السطو على كتاب لشخص معروف في الأوساط التي يرتادها الكندي نفسه، ولا نريد القول أيضًا : إن ابن ماسويه هو الذي سطا على كتاب الكندي، نقول هذا رغم التطابق الكبير في الجزء المتعلق باللؤلؤ والغوص عليه بين تعليق الكندي الوارد في كتاب "المجموع اللفيف"، وما جاء في كتاب «الجواهر وصفاتها» لابن ماسويه، لدرجة كون أحدهما نسخة أخرى للآخر تصححها وتدعو إلى الظن الذي ذهب إليه الدكتور عماد عبد السلام.

٢ - إن البيروني قد اطلع على كتاب الكندي الذي سماه «الجواهر والأشباه»، وقد مدحه بما ذكرناه، ونقل عنه في مواضع كثيرة من كتابه "الجماهر في الجواهر" أما ابن ماسويه فلم يشر إليه إلا مرة واحدة، وذلك حينما نقل عنه نصا في ذكر الأسرب(٦).

وبين أيدينا الآن نص كتاب ابن ماسويه محققًا ومنشوراً وفي مقابلة توجد عشرات النصوص التي نقلها البيروني في "الجماهر" عن الكندي، ونجد فيما ذكره الكندي معلومات كثيرة لم يشر إليها ابن ماسويه، واللافت للنظر أن النصوص المنقولة عن الكندي تدل على أنه كان يقوم بالفحص المعملي للجواهر للتأكد من خواصها ومنافعها، ومثال ذلك في حديثه عن الياقوت حيث ذكر أنه (اشترى كيسًا فيه حصيات مجلوبة من أرض الهند غير مصلحة بالنار، وأنه أحمى بعضها فجاد صبغ أحمرها، وكان فيها قطعتان إحداهما شديدة السواد تلوح من شفافها في النور حمرة خفيفة والأخرى تشف بصبغ أقل، وأنه نفخ عليهما في البوطقة مدة ينسبك فيها خمسون مثقالاً من الذهب وأخرجهما منها لما بردا وقد نقى أقلهما صبغًا وقد قارب الوردي قليلاً، وأما المظلم فإنه انسلخ اللون عنه حتى بقي كالبلور السرنديبي امتحنه فكان أرْخَى من الياقوت .. الخ).

ونجد في عدد من النصوص المنسوبة إلى الكندي إشارات إلى أنه قد رأى وعاين واختبر الأحجار التي يتحدث عنها، ومثل ذالك قوله عن البسذ وهو المرجان إنه كان معه شجيرة ارتفاعها شبر ونصف باع كل مثقال منها بأربعة دنانير .. ونقل عنه البيروني فقرات طويلة في هذا الموضوع[٧] ومثل ذلك النصوص التي نقلها البيروني عن الكندي في صفة الدهنج والتي ألحقها بقوله : (وذكر الكندي أنه شاهد من عتيقه صفيحة فيها تسعة أرطال)[٨]. وعن الفيروزج يقول الكندي : إن أعظم ما رأى منه أوقية ونصف مثقال[٩]. وهناك أمثلة كثيرة لا مكان لتفصيلها، ومعظمها لم ترد في كتاب ابن ماسويه، بل إننا نجد أن الكندي يقرن تجربته الشخصية عند الحديث عن تلك الموضوعات خلافًا لابن ماسويه الذي جاءت مادته في معظمها مبنية على النقل ويمكن القول بإطمئنان : إن المادة التي نقلها البيروني عن الكندي نصًّا قد تتجاوز في مجموعها حجم كتاب الجواهر وصفاتها لابن ماسويه.

ثانياً – النص المحقق :

يتضمن النص المحقق ثلاثة موضوعات هي :

١ – محار اللؤلؤ وحيوانه الذي في داخله وأواني الغوص وأصناف اللآلىء بحسب موقعها من المحارة عند النشأة وأثمانها.

ويقابل هذا الجزء الصفحات ٣٠-٣٢ من كتاب "الجواهر وصفاتها" لابن ماسويه، ولا نعني بالمقابلة التماثل فهناك زيادات عند الطرفين، فالفقرة الخاصة بأوقات الغوص من هذا الجزء لا نجدها عند ابن ماسويه وهناك نحو أربع فقرات وردت في نهاية هذا الجزء من كتاب ابن ماسويه لم ترد عند الكندي، ونورد فيما يلي نصًّا لابن ماسويه وما يقابله عند الكندي لنتبين نمط الاختلاف.

ونحيل القارئ إلى مثل آخر في الحاشية الثامنة من التحقيق.

(ابن ماسويه)	(الكندي)
(والصغار الذي قد صار فيه اللؤلؤ يسمى البلبل، وهو يسبح ويرعى فيه بالليل	وهذا الحيوان في بدء نشئه إلى أن يتم وهو حينئذ رخص لم تَجْسُ أصدافه فحينها يسمى البلبل

مجتمعاً لا يتفرق، وبعضه إلى جانب بعض وفوق بعض كجمع الجراد).

الرطب، فإذا استحكم ولم يعتق سمي البلبل التام وهو يسبح في الليل في قعر البحر يدب كالجراد بعضه يلي بعضًا، وبعضه فوق بعض.

٢ - السواحل التي يجهز إليها التجار والغواصون أو مغاصات اللؤلؤ، وذكر ستة سواحل هي ساحل بحر البصرة وساحل سيراف وساحل عُمان وساحل مكة وساحل سرنديب وساحل الصين، ويذكر في كل ساحل نوع اللؤلؤ الذي يخرج منه ووزنه المعتاد وثمنه، ويقابل هذا الجزء الصفحات ٣٣-٣٧ من كتاب ابن ماسوية، وفي هذا الجزء نجد أن نص الكندي في كثير من المواضع أوفى من نص ابن ماسويه ومثال ذلك :

- عند حديث ابن ماسويه (ص ٣٣) عن جهاز البحرين قال : (وهو من كاظمة إلي بحر فارس أربعة مواضع) وبينما لم يذكر ابن ماسويه إلا موضعًا واحدًا كانت العبارة تامة عند الكندي.
- وصف الكندي لمغاص خارك أوفي وأوضح من وصف ابن ماسويه.
- في النص المتعلق بمغاص سرنديب سقط سطر أو أكثر من كتاب ابن ماسويه دون أن يتنبه المحقق إلى ذلك، ونص الكندي تام غير ناقص (انظر حاشية رقم٣٢).

ونحيل القارئ أيضًا إلى حواشي التحقيق ففيها بيان بالفروق والفوائد التي قدمها نص الكندي لتصحيح ما جاء عند ابن ماسويه (انظر على سبيل المثال الحاشيتين ٢٣ و٢٧).

٣- أشكال حب اللؤلؤ الجيد منها والردئ وأوزانها وتقدير أسعارها، وفي هذا الجزء أيضًا اختلافات طفيفة بين المصدرين، إلا أن نص الكندي أكثر وضوحًا ودقة، فمن ذلك قول ابن ماسويه (ص ٢٧) عن أصناف اللؤلؤ : (ومنه الأصبهاني، وهو الذي يجلب من أصبهان، وهو أشد صفرة ..) ويقول الكندي : (ومنه الأصبهاني، وهو أشد صفرة من المغربي يعجب به أهل أصبهان ويجلب إليهم ..) ونص الكندي هنا أوضح وأصح، فاللؤلؤ يجلب إلى أصبهان ولا يجلب منها كما ذكر ابن ماسوية لكونها مدينة داخلية ليست على البحر.

وهذا الجزء من التعليق يقابله نص ابن ماسويه في الصفحات (٢٦-٢٩) وفي نص ابن ماسويه بعض الزيادات في أصناف اللؤلؤ.

وينقص النص المحقق كل ما جاء في صفة الغواصين والغاصة التي أوردها ابن ماسوية في الصفحات (٣٨-٤٠)، وهذا دليل على أن التعليق المنقول من كتاب الكندي الوارد في "المجموع اللفيف" لم يتضمن كل ما كتبه الكندي في موضوع اللؤلؤ، ويؤكد ذالك أن البيروني قد نقل عن الكندي نصوصًا في صفة الغوص وأحوال الغاصة مما يدل على أن ما جاء في كتاب الكندي عن اللؤلؤ كان كاملاً غير منقوص.

ثالثاً - نصوص أخرى للكندي عن اللؤلؤ :

تعطي نُقُولُ البيروني عن الكندي في موضوع اللؤلؤ صورة واضحة لما تضمنه كتاب "الجواهر والأشباه" من معلومات حول هذا الموضوع، وسنورد هنا نماذج مما ذكره البيروني ذكراً صريحًا، مع إغفال تلك النصوص التي توافق (التعليق) والتي أشرنا إليها في حواشي التحقيق.

١- (ونصر يتبع الرأي العامي في قوله إن اللؤلؤ يتولد من المطر، ثم يربيه الصدف، فإنه كان كالريق للإنسان يقبله في فمه ويجليه، ويستدل على ذالك بأن المطر كلما كان أكثر في سنة وأعجل من وقته كان أجود اللؤلؤ فيها أغزر وريعه أوفر.

والكندي يحكي هذا أيضًا عن أصحاب التجارب منهم) ص ٢٣٣-٢٣٤.

٢- قال الكندي : (إن موضع الحب من البلبل داخل الصدف مع حرفيها، وما كان مما يلي الأذن والفم الجيد، ولهذا قالوا في الكبير إنه يكون في حلقومه يديم دحرجته فتصح استدارته ويزداد بالتفاف القشور عليه حتى يعظم، والدليل على حدوث الطبقة فيه بعد الطبقة أن ما يكون في سطحه الأعلى إذا قشرت منه قشرة شابهت باطنها الصدف من غير رونق له، ثم يكون وجه المنقشر عنه على مثل وجه الأول، فيدل على أن وجه هذا الداخل كان وقتًا ما بارزًا منكشفًا كوجه الأول). (ص ٢٣٥) والفقرة الأولى أشرنا إليها في الحاشية (١٠) من التحقيق والنص طويل ولا نعرف على وجه التحديد موضع انتهاء النص ولهذا

اقتصرنا على فقرتين منه.

٣- قال نصر في كتابه : ذكر الجوهريون أن من أراد تعلم الغوص يقوم بحشو أذنه علي غاية الإحكام حتى تتعفن وتتدود وينفتح له إلى الحلق طريق يتنفس منه تنفسًا ضعيفًا داخل الماء، وأظن سقط منْ النسخة ما به الحشو وأظن العفونة والتدود يكون فيه أو منه.

وذكر الكندي ذلك على صفة أخرى، وهو أن يحبس نفسه في بدء التعلم فيرم لذلك أصل أذنه ويجتمع فيه الدم والمدّة (القيح) ثم يتفجر إلى حلقه ويخرق ما بينهما خرقين إذا اندملا خرج منها النفس خروجًا ضعيفًا يعين على الزيادة في اللبث وإمساك النفس في الأكثر[١٠] من ربع ساعة» (ص٢٤٥-٢٤٦) وقد ورد هذا الخبر باختصار عند ابن ماسويه (ص٣٩).

ومثل هذا القول تكرر عند عدد من الكتاب العرب، وقد انتقد ذالك البيروني بقوله : وأظن هذا الخبر من أساطير الحمقى وتسوّق الغواصين على تجارهم (ص٢٤٦).

٤ - نقل البيروني نصًا طويلاً عن نصر الجوهري عن كيفية الغوص ثم ختمه بالقول : إن نصراً لم يبعد عما في كتاب الكندي، ثم بين الخلاف بينهما، وما أضافه الكندي، ويتجلى ذالك في النص التالي : (وذكر الكندي [في جملة ما ذكر] أنه يقمش (يجمع) - إن لم يجد صدفا- الشبيه بالشعر الذي تعمل منه أسورة الأكراد يسمى شعر الحروبة، وهو نبات في القعر، ولم أُحط بالشبيه والمشبه به.

وأما المستأجرون، فيركبون الزورق مع أمين التاجر، ويكونون ستة أو اثني عشر، فإذا غاص الواحد حفظ الزوج -وهو الرفيق- رَسَنه. ويتوفر الأجر عليهم كل يوم جمعة).

ولم يبعد نصر عما في كتاب الكندي، والخلاف بين كلامهما أن الكندي ذكر بدل بقيرة الدَّوْم رُميثا من خشبات المُقْل مشدودة يجعل فيها كساه شراعاً. وذكر أنه يوقفه بإدلاء حجر يقوم مقام الأنجر للمركب، وصعوده يكون بالتحريك، وهذا لأن ماء البحر غليظ يسهل فيه الطفو، ألا ترى أن بحيرة زُغر

لما تناهت في المرارة لا يرسب في مائها من دخله.

وقال في سد الأنف: إنه بملزام من قرن أو من ذبل أو عاج كالمشقاص يلزم أنفه، ومن حدّث من الشاهدين يزعم أنه شعبتان من قرن يدخل الأنف بينهما فينضمان عليه ويعصران منخريه حتى لا يدخلهما ماء.

وقال في المستأجرين: إنهم يكونون في الزورق من ستة نفر إلى اثني عشر، وأظن هذا بسبب سعة الزورق لا غير.

وذكر في الحيوانات الضارة ما يبلع الغائص، وما يقطعه نصفين وهو القرش، وإن جرها الرمث يكون عند ابتلاع الحجر إذا لم يكن أسود، وربما قطع الحبل بأسنانه فلم يقلب الرمث.

وذكر في تصويب الغائص ونباحه وبما يكون في جوف الماء، وما أظن ذالك ممكناً في فم ليس له وجه غير الإطباق، والصوت لا يتم إلا بفتحه وخروج الهواء منه، ولن يخرج إلا بدخول بدله من الماء، ولو أمكنه فتح الفم لما صرخ عند بروزه بشوقه إلى استنشاق الهواء. وهذا من قوله أشد استحالة من التنفس بأصول الآذان.

وقال من كان أمين بعض التجار في الزوارق: إن الصدف المخرج يُجعل في خزانة حتى يموت حيوانه ويعفن فيسهل إخراج ما فيه، ثم يُحتال بعد ذالك في إزالة نتن التعفين عنه بما يضاده، وصغار اللآليء تكون في الأمعاء فلا تحوج إلى تعفين.

ومن عاف هذا، شق عن الصدف ساعة إخراجه بعد أن يموت، فإن الحي يضم الدفتيْن فيعسر فتحها. (٢٤٨-٢٥٠).

ويضاف إلى الأمثلة السابقة ما قاله الكندي عن اللؤلؤ الطبسي (ص ٢٥٦) وقصة طويلة عن جراب من الجوهر سلمه الرشيد إلى يحيى بن خالد (ص ٢٦٠-٢٦١) إضافة إلى النصوص التي لم نستدل على نسبتها الصريحة إلى الكندي.

وكل ما سبق يؤكد أن مادة الكندي في موضوع اللؤلؤ مادة شاملة تفوق في اتساعها ما قدمه ابن ماسويه، وأن من التجني على الكندي القول: إنه قد اعتمد

على كتاب ابن ماسويه اعتماداً كليًا.

أما عن تفسير التشابه في بعض النصوص فسببها يعود إلى أمرين :

أولهما أن الجواهر والأحجار من المواد العلمية التي لا تحتمل الاختلاف في بيان الشكل والخواص ومكان التعدين وطرقه، وإذا ما كانت هناك زيادات فهي متعلقة بالجهود الشخصية التي يبذلها المؤلف والتي تدخل في إطار الدراسة الميدانية والمخبرية، وهذا ما تبيناه بوضوح في نصوص الكندي وأفتقدناه في نصوص ابن ماسويه.

وثانيهما : أن الكندي وابن ماسويه عالمان متعاصران يستقيان مادتهما العلمية من مصادر واحدة، ومن أبرز تلك المصادر كتاب الأحجار لأرسطو، وكتاب بلينوس أوبليناس الملقب بسر الطبيعة في العلل والمعلولات، ورسالة جالينوس في المعادن، إضافة إلى طبقة الجوهريين المشهورين زمن الدولتين الأموية والعباسية مثل عون العبادي، وأيوب الأسود البصري، وبشر بن شاذان وغيرهم. وعلى ذلك، فليس من الغريب أن تتشابه بعض النصوص بين الاثنين، ولو اطلعنا على معظم كتب الجواهر والأحجار لوجدنا بينها شبهًا واضحًا في المعلومات الأساسية التي لا خلاف عليها.

(للبحث صلة)

الكويت : أ. د : عبد الله بن يوسف الغنيم

الحواشي

(١) مقدمة محقق كتاب "الجواهر وصفاتها" لابن ماسويه (الدكتور عماد عبد السلام رؤوف) : ص١٣.

(٢) حقق أستاذنا المرحوم الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة سنة وفاة الكندي وتوصل إلى هذا التاريخ، وقد أشار إلى الأقوال الأخرى وناقشها مثل قول لويس ماسينيون إن وفاته كانت عام ٢٤٦هـ وقول بروكلمان إنه مات بعد عام ٢٥٦هـ بقليل وقول نالينو إنه توفى عام ٢٥٠هـ وذكر أن القول الأخير لا يسنده دليل ولا شاهد. (انظر محمد عبد الهادي أبو ريدة : "رسائل الكندي الفلسفية"، القاهرة ١٩٥٠، ص ٥و٦).

(٣) المصدر السابق ص ١٣، ١٤.

(٤) البيروني : "الجماهر في الجواهر"، ص ١٠٣.

(٥) "الفهرست" : ص ٢٦٢.

(٦) "الجماهر في الجواهر" ص ٤١٩.

(٧) المصدر السابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦.

(٨) المصدر السابق : ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥.

(٩) المصدر السابق ٢٧٨.

(١٠) لعل القراءة الصحيحة تكون (في الماء أكثر).

مضمون الفيء في النهج الاقتصادي الإسلامي

(٢)

توزيع الفيء : يخال للباحث أن النهج الاقتصادي الإسلامي كان قد ميّز بين الأموال التي ترد إلى المسلمين دون مجهود قتالي ملموس، وبين أموال ترد بعد أن يخوض المقاتلون المسلمون غمار معارك قاسية، ويحققون من خلالها انتصارات بيِّنة وحاسمة على عدوهم، وبذالك يكون لهم القدح المُعلَّى من الأموال، أو الغنائم، التي يتم الحصول عليها، ففي هذه الحال يكون نصيب المقاتلين الذين خاضوا غمار الحرب أربعة أخماس الغنائم التي تم الحصول عليها من العدو، جراء بلائهم في القتال، ويذهب الخمس الباقي (فيئًا) إلى بيت المال.

في حين وزعت أموال الفيء في البدايات الأولى من قيام الدولة الإسلامية على وفق تفسير الآية الكريمة : ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[١]، التي استهدفت المحتاجين فعلاً إلى هذه الأموال، كما أنها استبعدت الأغنياء والموسرين، ولعل ذالك يوحي إلى محاولة التضييق من الفجوة الحاصلة بين الأغنياء والفقراء.

ويذهب المفسرون إلى أن هذه الآية نزلت بشأن الأموال التي يتم الحصول عليها من الكفار (العدو) بلا قتال، فحكمها إلى الله ورسوله ﷺ، وأن للرسول الحق في أن يضعها حيث يشاء أو أن يصرفها على شؤونه الخاصة، أو في مصالح المسلمين، وله أن يجعل منها نصيبًا لأقربائه من بني هاشم أو بني المطلب، وله أن يخصص قسمًا منها لليتامى والمساكين من ذوي الحاجة والفقر، وله أيضًا أن يخصص قسمًا منها للغريب المنقطع في سفره، والغرض من هذا التشريع ألا ينتفع بمال الفيء الأغنياء والموسرون ويستأثروا به دون الفقراء واليتامى والمساكين وذوي الحاجة الحقيقية له، إذ أن هاؤلاء أشد حاجة لمال الفيء من الأغنياء[٢].

ويوضح (الماوردي)[٣] حكم أوجه صرف خمس مال الفيء على رأي

أغلب الفقهاء على الوجه الآتي :

١ - سهم منه لرسول الله ﷺ، ينفق منه في مصالحه الخاصة ومصالح المسلمين، وقسم من الفقهاء قال : إن هذا السهم مصروف في ورثته، في حين قال آخرون : إن هذا السهم يكون ملكًا للإمام الذي يقوم بأمور المسلمين بعد الرسول ﷺ، لأن الأنبياء لا يورثون، وذهب فريق آخر إلى القول : إن سهم الرسول ﷺ بعد وفاته يكون مصروفًا في مصالح المسلمين عامة.

٢ - وسهم منه لذوي القربى، وهم بنو هاشم وبنو المطلب.

٣ - وسهم منه لليتامى من ذوي الحاجات.

٤ - وسهم منه للمساكين، وهم الذين لايجدون ما يكفيهم، من أهل الفيء.

٥ - والسهم الأخير لأبناء السبيل(٤).

أما بقية مال الفيء، ففيه للفقهاء قولان، أحدهما : أنه للجيش خاصة، لا يشاركهم فيه غيرهم، والثاني : أنه مصروف في المصالح التي منها أرزاق الجيش وما لا غنى للمسلمين عنه، قال الماوردي(٥) : «لا يجوز أن يصرف مال الفيء في أهل الصدقات، ولا تصرف أموال الصدقات في أهل الفيء، إذ من الضروري أن يصرف كل صنف من المالَيْن في أهله، ومعلوم أن أهل الفيء هم ذوو الهجرة الذَّابُّون عن البيضة، والمجاهدون للعدو، في حين يكون أهل الصدقات من لا هجرة له، وليس من المقاتلين، ولا من حماة البيضة»(٦)، ولدينا نص واحد جاء به الماوردي(٧) أشار إلى أن الرسول ﷺ، أعطى من مال فيء (حنين) عيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس التميمي، والعباس بن مرداس السلمي، ليوثق صلاتهم بمصالح المسلمين، على الرغم من أنهم ليسوا من أهل الفيء.

ويجوز للإمام أن يعطي ذكور أولاده البالغين من مال الفيء، في حين لا يجوز له أن يعطي إناث أولاده من مال الفيء، لأنهم من جملة ذريته الداخلين في عطائه، كما لا يجوز له أن يعطي عبيده وعبيد غيره، لأن هاؤلاء لا يعدون من المقاتلين(٨).

وتجمع أموال الفيء من قبل عامل يتصف عادة بالأمانة والصدق والشهامة،

وأن يكون حراً، مسلماً، مجتهداً في أحكام الشريعة، متضلعاً بالحساب والمساحة، ويكون عامَّ الولاية على جباية ما استقر من أموال الفيء كلها، أو قد يكون خاصَّ الولاية على نوع من أموال الفيء خاص[٩].

نضوب موارد الفيء: من الضروري الإشارة هنا إلى أن موارد الفيء لم تستمر بالتدفق على وفق الوتيرة نفسها، وإنما طرأ عليها انخفاض كبير، ولعل ذالك كان متأتياً من عدة مؤثرات؛ تأتي في مقدمتها حالة انتقال ملكية رقبة بعض الأراضي الخراجية من مستثمريها الذميين إلى المسلمين، رغم رفض الفقهاء لهذا الإجراء، ومع ذالك فقد انتقلت ملكيات كبيرة من الأراضي الخراجية إلى المسلمين، واكتفى المالك الجديد بدفع ضريبة العشر بدلاً من الخراج، وفي ذالك فرق كبير، وخسارة عظيمة لبيت المال، ذالك أن موارد الفيء تنخفض في هذه الحال إلى ما يقارب ثمانين في المئة عما كانت عليه في حالة كون الأرض الخراجية مستثمرة من قبل الذمي، ومستوفى من إنتاجها الخراج إلا العشر.

وتقل موارد الفيء أيضاً في حالة إقطاع بعض الأراضي الخراجية إلى رجل مسلم، ويكتفي هذا الرجل بدفع العشر بدل الخراج، إذ قد يَدَّعي المالك الجديد أن ملكيته تشمل الحيازة والانتفاع، وعندئذ تلغى ولاية الدولة على هذه الأرض، في حين كانت ملكية صاحبها السابق ملكية انتفاع فقط، وإن مقدار الفيء الذي يدفعه لبيت المال هو بمثابة أجرة للأرض التي يستثمرها[١٠].

وتنخفض موارد الفيء في حالة تعطيل بعض الأراضي الخراجية وعدم استثمارها، كما تقل موارد الفيء في حالة زراعة الأرض الخراجية بمحصول زراعي ضريبة الخراج فيه قليلة على الجريب[١١]، في حالة معاملة الأرض الخراجية على وفق خراج الوظيفة[١٢]، كما تقل موارد الفيء في حالة دخول عدد كبير من الذميين في الإسلام، وعند توقف حركة الفتوح، وفي حالة تراخي حركة النشاط التجاري، وبخاصة مع تجار دار الحرب الذين يلزمهم النهج الاقتصادي الإسلامي دفع عشرة في المئة من قيمة البضاعة التي يتاجرون بها في دار الإسلام[١٣]، وتقل موارد الفيء في حالة انفصال بعض الأقاليم عن جسم

الدولة، أو في حالة حصول ظاهرة إلجاء بعض الأراضي الزراعية إلى ذوي النفوذ السياسي، أو العسكري، أو الاجتماعي، الذين لا يلتزمون عادة بدفع كل مقدار الفيء المستحق على الأرض التي أُلجئت إليهم.

وأخيراً يمكننا أن نقول: إن الفيء كل مال وصل من العدو من غير قتال ولا بإيجاف خيل ولا ركاب، كما انسحب مضمون الفيء على ما يؤخذ من العدو بعد انتهاء الحرب، وبعد أن تتحول المنطقة المحررة، أو المفتوحة، إلى دار الإسلام، فيصبح الفيء والحال هذه جزءاً من موارد بيت المال، وحينئذ يشمل موارد الخراج والجزية، ووظيفة أرض الصلح التي منعها أهلها حتى صولحوا منها على خراج مسمى، ومنه أيضاً ما يأخذه العاشر من أهل دار الحرب إذا دخلوا بلاد الإسلام للتجارات، والفيء يعم المسلمين غنيهم وفقيرهم، سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة، لأنهم أهل دين قبلة، فيكون في أعطية المقاتلة، وأرزاق الذرية، وما ينوب الإمام من أمور الناس، بحس النظر للإسلام وأهله(١٤).

جامعة بغداد – كلية الآداب : د. حمدان بن عبد المجيد الكبيسي

الحواشي :

(١) سورة الحشر، آية ٧.

(٢) الصابوني : صفوة التفاسير جـ٣، ص ٣٥٠. (ينظر : ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ١١٩).

(٣) «الأحكام السلطانية» ص ١٢٦-١٢٧. (٤، ٥) الماوردي : «الأحكام السلطانية ص ١٢٧.

(٦) «الأحكام السلطانية» ١٢٧ وينظر ابن زنجويه «الأموال» ج٢ ص٤٧٧ و ٤٧٩.

(٧، ٨، ٩) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٢٨ و١٢٩ و ١٣٠ على التوالي.

(١٠) أبو عبيد : الأموال ص ٢٩٥ و ٢٩٦.

(١١) الجريب : مقياس للمساحة يساوي ١٥٩٢ متراً مربعاً. (ينظر : هنتز «المكاييل والأوزان الإسلامية»، ص ٩٦).

(١٢) أبو يوسف : الخراج ص ٣٦ و ٣٨. أبو عبيد : الأموال، ص ٧٤-٧٥. ابن خرداذبة «المسالك والممالك» ص ١٤. قدامة «الخراج» ص ٢٢١-٢٢٢.

(١٣) أبو يوسف : الخراج، ص ١٢٣-١٢٤ و١٣٣ و ١٣٥. أبو عبيد : الأموال، ص ٧٤.

(١٤) أبو عبيد : الأموال ص ٢٣، وابن زنجويه : الأموال ج٢ ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(قانون نامة) لواء القطيف لعام ٩٥٩هـ (١٥٥٦م)

(٢)

العثمانيون والقطيف :

إن تاريخ منطقة الخليج العربي لا يزال يكتنفه الغموض في كثير من فتراته، ولا سيما في أواخر القرن الخامس عشر وبدايات السادس عشر الميلادي، وذالك ناتج عن قلة الكتابات، وعدم وجود (أرشيفات) تستطيع أن تلقي بعض الضوء على الفترة المذكورة، وقد أوجد هذا بعض التناقض في أقوال من تعرض لتاريخ المنطقة، وقد خلصت معظم الدراسات التي تناولت الوجود العثماني في منطقة الخليج إلى القول : إن السلطان سليمان القانوني تلقى خضوع وولاء العديد من الحكام المحليين لمنطقة الخليج العربي -بما فيهم حاكم القطيف- أثناء وجوده في بغداد بعد أن استولى عليها وخلصها من سيطرة بلاد فارس وذالك في عام 941هـ / 1534م، إلا أنه لا يوجد دليل مادي يؤكد هذه المقولة. لا يمكن دراسة تاريخ المنطقة في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي دون التطرق للحوادث التي كانت تدور في المناطق المجاورة لها، وفي ذالك الوقت كانت هناك قوتان تتنافسان للسيطرة على المنطقة أولاهما البرتغال التي ثبتت أقدامها على سواحل منطقة الخليج العربي منذ بدايات القرن السادس عشر الميلادي وبالتحديد منذ عام 913هـ / 1507 م، عندما سيطرت على مدن الساحل العماني وجزيرة هرمز، التي جعلت منها قاعدة لعملياتها في منطقة الخليج، والثانية : الدولة العثماني التي سيطرت على بغداد عام 941هـ/ 1534م والبصرة عام 953هـ / 1546م، واستولت على عدن عام 945هـ / 1538م، وبهذا أخذوا يقتربون من الخليج العربي شيئًا فشيئًا.

وفي عام 957هـ / 1550م وصلت أنباء إلى البرتغاليين بأن عرب القطيف ينوون تسليم مدينتهم للعثمانيين[1]، وهذا ما أجبر البرتغاليين على القيام بعمل ما لوقف التغلغل العثماني في المنطقة ومحاولة إخراجهم منها، لذا قرر

نائب الهند العام (الفونسو دي نورنها ALFONSO DE NORONHA) تجهيز حملة قوامها سبع سفن و1200 جندي تحت قيادة آنتاو دي نورنها (ANTAO DE NORONHA) وطلب منه طرد العثمانيين من الخليج.

توجه (نورنها) إلى جزيرة هرمز وطلب من حاكمها توران شاه 3000 رجل للهجوم على القطيف، وأرسل (نورنها) أحد قواده على رأس اثنتي عشرة سفينة وطلب منه فرض حصار على القطيف لمنع وصول إمدادات عثمانية من البصرة، وأخذت السفن البرتغالية تقصف أسوار المدينة، وبعد شهرين خرج (نورنها) بنفسه على رأس حملة كبيرة مكونة من 1200 جندي برتغالي و3000 جندي من جزيرة هرمز ووصل إلى القطيف في أواخر يونيو 1550م، وفرض حصاراً أشد حول القطيف، وبدأت المناوشات بين الطرفين وبعد عدة أيام من القتال لم يجد المدافعون إلا الاستسلام للقوات البرتغالية، فقام (نورنها) بتدمير أسوار المدينة، وبعد هذا الانتصار خشي (نورنها) من قيام تحالف عربي عثماني ضد البرتغاليين في البصرة، فتوجه بقطع من أسطوله البالغ عددها ثماني سفن إلى شط العرب، ولما لم يجد أي قوات هناك، خشي من أن يقطع عليه الأتراك العثمانيون خط الرجعة في حالة قيام تحالف إسلامي ضده، فأبحر عائداً إلى هرمز(٢)، كما يضيف بعضهم (نذكر على سبيل المثال لا الحصر الدكتور محمد مهدي إلهان والدكتور جنكيز أوهنلو وولسون وغيرهم) أنَّ سكان القطيف ضاقوا ذرعاً بالبرتغاليين وتصرفاتهم، مما دفعهم إلى أن يقوموا بحركة عصيان وانتفاضة كبيرة ضدهم، تمكنوا خلالها من طرد البرتغاليين من المدينة، وسلموها بعد ذالك إلى العثمانيين في عام 957هـ / 1550م(٣). بناء على ما وقع تحت أيدينا من وثائق نعتقد أنَّ المقولة الأخيرة ليست صحيحة، ونرى أن منطقة القطيف قد فتحت عنوة أي بقوة السيف، ولم تدخل سلماً ولم تعلن ولاءها أو خضوعها للسلطان العثماني، وهناك عدة أدلة تؤيد ما توصلنا إليه وهي على النحو التالي :

١ - تشير الوثائق العثمانية - ولا سيما (دفتر الطابو تحرير) الذي بين أيدينا

- إلى عبارة (الفتح) وذالك في العبارة التالية : (... ديو فتحدن صكره بر بدعت احداث أولنوب...) (وبعد الفتح استحدثت ضرائب غير شرعية..)[٤]، وإن استخدام مثل هذا اللفظ ليدل على أن المنطقة قد خضعت بالقوة للحكم العثماني.

٢ - جرت العادة عند العثمانيين أنه إذا خضعت أية منطقة بقوة السلاح فإن السلطان يعين واليًا عثمانيًا على المنطقة المفتوحة، أما إذا دخلت سلمًا تحت النفوذ العثماني، فيقوم السلطان بمكافأة الحاكم المحلي وذالك بتعيينه حاكمًا أو أميرًا على منطقته، والأمثلة والشواهد على ذالك كثيرة ومتعددة مثال ذالك : ما حدث مع الشريف بركات شريف مكة الذي أرسل مفاتيح الحرمين الشريفين مع ابنه أبي نمي إلى السلطان سليم الأول بعد دخوله القاهرة عام 923هـ/ 1517م، فكافأه السلطان بتثبيته في شرافة مكة، وما حدث مع راشد بن مقامس حاكم البصرة الذي أرسل مفاتيح المدينة مع ابنه مانع، فعينه السلطان سليمان القانوني أميرًا على البصرة، ولكن بعدما قام بتمرده المشهور على الدولة أرسل السلطان قواته وتمكنت من السيطرة على البصرة فعين السلطان بلال محمد أول محافظ عليها، وهذا ما حدث مع كل من علي بن عليان حاكم منطقة الأهوار في شمال البصرة، وحاكم البادية محمد بن راشد[٥].

أما فيما يتعلق بالقطيف فإن أول والٍ عثماني عين عليها هو مراد بك وذالك بتاريخ ١٨ ذي القعدة 959هـ/ 6 نوفمبر 1552م[٦]، وتشير الدلائل إلى أنه كان عثمانيًا ولم يكن من السكان المحليين للقطيف، وكان يشغل منصب سنجاق بك (أمير) قبان من ضواحي ولاية البصرة، وأميرًا على القطيف، ثم أسندت إليه مهمة إرجاع بقية أسطول (بيري ريس) وهو الملاح العثماني المشهور إلى ميناء السويس[٧].

وبناء على ذالك يمكننا القول : إن القطيف خضعت قسرًا للحكم العثماني ولكن لا تتوافر لدينا معلومات كافية عن طريقة الفتح وتاريخه، ولكن من الجائز جدًا أن يكون العثمانيون قد تمكنوا من السيطرة على المدينة بعد

طرد البرتغاليين منها وذالك في عام 958هـ/ 1551م، وهو العام الذي قام العثمانيون فيه ببناء قلعة في القطيف[٨]، وبعد عام واحد قاموا بإجراء تعداد السكان، وتحديد موارد المدينة في (دفتر الطابو) الذي بين يدينا.

المعلومات الواردة في طابو تحرير دفتري (دفتر الطابو تحرير):

يشير الدفتر إلى أنه لم يكن هناك قانون أو دفاتر سابقة لهذا القانون، وبهذا يمكن القول: إنه ربما سارت الدولة على الأعراف السائدة قبل الفتح العثماني في تنظيم أمور منطقة القطيف، وبهذا فإن الدفتر يزودنا بمعلومات عن الفترة العثمانية وما قبلها، وهناك معلومات كثيرة يمكن للباحث أن يستخلصها من دفاتر (الطابو) منها: الحياة الاقتصادية ونظام الضرائب المتبعة في المنطقة، وتعداد السكان وأماكن وجود التجمعات السكانية، والأقليات سواء كانت دينية أم عرقية، وأسماء القبائل والعشائر وأماكن وجودها، وفيما يتعلق بالدفتر رقم 282 يمكننا أن نستخلص المعلومات التالية عن القطيف.

الحياة الاقتصادية: يشير الدفتر فيما يهم الحياة الاقتصادية في ميناء القطيف إلى أنه كان يزخر بمختلف النشاطات الصناعية والزراعية والرعوية والأنشطة البحرية وسنتناول مختلف هذه المجالات، فعلى صعيد الصناعات والحرف يوضح الدفتر دور مدينة القطيف مركزاً لعدة أنواع من الحرف منها الصباغة، وكانت تغزل عدة أنواع من المنسوجات مثل (كرياس[؟] والاجا [؟][٩] ودستار (مناشف) وبز (قماش)، ومن خلال ألقاب الأشخاص الواردة عند تعداد أسماء المواطنين يمكن الاستدلال على بعض الحرف مثل: النجار والقصاب والخياط والعطار وغيرها[١٠].

أما فيما يتعلق بالنشاطات الزراعية فيوضح الدفتر أهم الزراعات التي كانت موجودة في القطيف وقراها، وتنحصر المحاصيل الزراعية في التالي: الشعير (اربه)، والحنطة أو القمح (بغدادي) والأرز (جلتوك، برنج)، والذرة (زرت)، والتمر (خرما)، والقطن (بنبه)، واللوبيا (لوبياج)، ودخن (MIL-

(LET والفواكه (ميوه). ويلاحظ من الدفتر أن أعلى عائد من هذه المحاصيل يأتي من التمور، انظر شكل (١) لمعرفة مقدار النسبة المحصلة من هذه المحاصيل.

وعن النشاط التجاري يبرز الدفتر أهمية موقع القطيف على الخليج العربي وهذا دفع بعض سكانها للتوجه إلى البحر، سواء للتجارة أم للبحث عن لقمة العيش، ويوضح (قانون نامة) حجم التجارة الواردة للقطيف من موانيء مجاورة مثل البصرة وهرمز وبوشهر والبحرين، أو من موانيء خارجية مثل الهند، ولحسن الحظ فإن الدفتر يوضح قيمة الضرائب أو الجمارك التي تم تحصيلها من السلع التي وصلت إلى ميناء القطيف (بندر قطيف) وبلغت 35.000 (أقجة) أما عن السلع التي وردت بوابات القطيف أو ما نستطيع أن نطلق عليها السلع البرية فقد بلغت 70.440 (أقجة) إلا أن هذا المبلغ ليس دقيقًا لأنه يدخل معه إيرادات (قصاب خانة).

ويذكر الدفتر تجارة اللؤلؤ ومدى اعتماد أهلها على هذه التجارة بحكم الموقع الجغرافي للقطيف على الخليج العربي الذي يحتوي على مغاصات (وتعرف محليًا باسم : هير، والجمع هيرات، وهو مكان تواجد اللؤلؤ) معروفة لدى أهلها، وهناك نوعان من الضرائب المذكورة في الدفتر فهناك الضرائب المفروضة على عمليات البيع والشراء التي تتم في عُرض البحر، حيث يقومْ تاجر اللؤلؤ (وهو المعروف محليًا باسم : الطواش، والجمع طواويش) بزيارة المغاصات لشراء ما تم العثور عليه من اللؤلؤ من ربابنة السفن (وهو المعروف محلياً باسم: النوخذة، والجمع : نواخذة) أثناء موسم الغوص الذي يمتد أربعة شهور من شهر مايو وحتى سبتمبر[١١]، وبلغ عائد ذالك 2000 أقجة.

وهذه المبالغ تدل على أن القطيف كان مركزاً تجاريًا هامًا في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، وهذه التجارة وحجم العائدات ترد على من يدعي أن الخليج العربي فقد أهميته التجارية بعد اكتشاف البرتغاليين لطريق

رأس الرجاء الصالح عام 893هـ / 1488م.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم احتواء الدفتر على معلومات تجارية هامة جداً، إلا أنه تجاهل تماماً تجارة الخيول العربية، حيث كانت مدينة القطيف من أهم مراكز تزويد العالم بالخيول، كما لم يرد اسم (دارين) من ضمن مناطق القطيف علماً أنّ دارين لعبت دوراً كبيراً لكونها مركزاً تجارياً لصيد وتجارة اللؤلؤ في فترات لاحقة.

(للبحث صلة)

كلية الآداب – جامعة الكويت – د. فيصل بن عبد الله الكندري

شكل (١) إيرادات ميناء القطيف

نوع التجارة	مقدار الضريبة
البضائع	٦٪
الملابس والمنسوجات	٦٪
الحبوب والمحاصيل الزراعية	٦٪
نبات النيلة : حزمة	١٦ أقجة
الدهون والزيوت	-------
التمر : ٨ سلات	١٦ أقجة
القطن والنسيج	٢٪ أقجة
رسوم رسو السفن	٣ محمدي
حمل بعير (للتصدير)	٢,٥ عثماني + ٢ منقور
الأسماك الطازجة : منّ	١ منقور

الحواشي :

(١) مجموعة أبو ظبي ANTT,CC 1-85-105

(٢) لمزيد من المعلومات حول هذه الحملة راجع :

Salih Ozbaran, The Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf, Ph. D. Thesis, University of London, October, 1969, pp. 44-47.

(٣) M. Mehdi Ilhan, "The Katif District (Liva) During the First FEw Years of Ottoman Rule : A study of the 1551 Ottoman Cadastral Survey:, T.T.K. Belleten, cilt (Ankara, 1987, pp. 781-104), p. 783.

(٤) طابو تحرير دفتري، رقم ٢٨٢، ص ١٩٢ .

(٥) لمزيد من المعلومات حول خضوع هذه المناطق للنفوذ العثماني انظر :

Faisal Alkanderi, The Ottomans and the Gulf in the Mid-Sixteenth Century, Ph. D. Thesis, University of Manchester, 1992, pp. 97-102.

(٦) TSMA, Koguslar 888, p. 487b.

(٧) لمزيد من المعلومات حول هذه الشخصيات راجع :

Faisal Alknaderi, The Ottomans and the Gulf, pp. 105-112.

(٨) M. Mehid Ilhan, 'The Katif District (Liva)", p. 783.

(٩) كرياس والاجا (؟) : ربما تكون هذه أنواع من الأقمشة التي كانت تستخدم في صناعة العباءات الرجالية المشهورة محليا باسم : بشت، وهناك أنواع ثقيلة تستخدم للشتاء، وخفيفة للصيف.

(١٠) M. M. Ehdi Ilhan, "The Katif District)Liva)", p. 791.

(١١) من أجل الحصول على معلومات وافية عن الغوص على اللؤلؤ في منطقة الخليج العربي راجع كتاب سيف مرزوق الشملان «تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي» ج١ الكويت (١٩٧٥م) ج٢ الكويت (١٩٧٨م).

نظرات في تحقيق :

كتاب «التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد»

لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ٤٤٤هـ

(١)

يتألم الباحث وهو يتأمل حال تراثنا المسكين الذي عبثت به أيادي الغزاة تهجيراً وسرقة، وفرقت بينه وبين أوطانه وأهليه، وعبثت به عوامل الضياع وآفات الأرضة والرطوبة في دياره لتهاون أهله في حفظه وصيانته، وعبثت به النزوات الشخصية فسجنته في البيوت الخاصة حيث لا اطلاع ولا خبر، وتعبث به بعض الأيادي منشوراً ممزق الأوصال مضطرب المفاصل، إنها معضلة النص، ومأساة تراثنا الحضاري المكتوب.

إن المقبل على التحقيق من غير عدة يسيء إلى تراث أمته إساءة مزدوجة بتشويه تراثها وإهدار وقتها وضياع جهدها، وليس ما يوجب العجلة في التحقيق إلا ما قد يكون من النفع القريب الذي لا يحسب حق الحساب، وأولى بصاحبه أن يتاجر في غير تراث هذه الأمة وفي مجال غير مجالها العلمي والحضاري.

إن تراثنا الغزير الذي نرجو أن يحقق كاملاً يحتاج إلى عشرات السنين إن لم نقل المئات، مع ما يتطلبه ذالك من حرص على الإتقان والإجادة، وأيما عمل أخل بهذا، فإنه يسهم في تعطيل عملية الإخراج السليم وسيرورة الأمة الراشدة ولسنا في حاجة إلى التنبيه على المصادر التي حُقِّقت أكثر من خمس مرات، لا تجد في تحقيق واحد منها مبتغاك! وقد كان يكفي فيها التحقيق العلمي الواحد!.

ولذالك ما أحوجنا إلى حِسْبَة علمية في دور النشر اقتداء بالمحكَّم من المجلات العلمية الجادة، وإحياء لسنة الناشرين الكبار من أمثال محب الدين الخطيب والمشرفين على المطبعة الأميرية ببولاق .

هذه الشجون أثارها النظر في نصوص كثيرة محققة، ومنها النص الذي أريد أن أعلق عليه، وهو نص علمي مفيد في بابه ألفه أحد علماء القراءات الذين لا يشق لهم غبار، الذين اشتهروا بالضبط والإتقان وهو أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ)، حققه الدكتور أحمد عبد التواب الفيومي، وصدر عن مكتبة وهبة في طبعته الأولى سنة ١٩٩٣م، بعنوان «التحديد في الإتقان والتسديد في صناعة التجويد».

كما تقدمت الباحثة مريم الحضري بتحقيق العمل نفسه لنيل درجة الماجستير من جامعة محمد الأول - شعبة الدراسات الإسلامية بوجدة سنة ١٩٩٤-١٩٩٥م وقد كنت ضمن أعضاء لجنة المناقشة، وبعد فترة وقع بيدي عمل الدكتور أحمد عبد التواب ووجدت نفسي مضطراً إلى الموازنة بين العملين، وفوجئت حقًّا بأن عمل الباحثة مريم الحضري أدق وأنضج من عمل الدكتور، وإن لم يخل عملها بدوره من بعض الهنات التي نُبِّه عليها في أثناء المناقشة، فضلاً عن إغفالها لنسخة القاهرة المحفوظة بمكتبة جامعة القاهرة العامة تحت رقم ٢٦٠١٩ والتي تحمل عنوان «التحديد في علم التجويد».

لقد أخل الدكتور أحمد عبد التواب بقواعد التحقيق إخلالاً لافتًا للنظر فجاء نصه مشوهًا مصحّفًا محرّفًا في عدد لا يحصى من المواضع وسأجمل المخالفات فيما يلي:

١ - **عدم الاجتهاد في الحصول على النسخ المختلفة**: على الرغم من اعتماد المحقق على مجموعة من النسخ إلا أنه فاته اعتماد نسخة المغرب المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموع تحت رقم ٩٧٥ بعنوان «التحديد لحقيقة الإتقان والتجويد».

٢ - **عدم مقابلة النسخ بالدقة المطلوبة**: تجلى ذالك في إثبات الصواب في الهامش، والخطأ في المتن مما يدل على أن القراءة كانت سريعة تفتقر إلى التأني، فضلاً عن إهمال إثبات نهاية الصفحات المخطوطة بالعلامة المتعارف عليها حيث تنتهي الصفحة مع ذكر الرقم المناسب في السطر نفسه.

٣ - **إهمال تخريج الآيات القرآنية** في كثير من المواضع وإهمال ضبطها، بل لم تسلم الآيات القرآنية من التحريف والتصحيف (كما سيتضح).

٤ - **إهمال تخريج النصوص** التي اعتمدها الداني في كتابه كنصوص «العين» للخليل بن أحمد.

٥ - **إغفال ترجمة الأعلام إغفالاً كليًا** مما أدى إلى إثبات الأسماء مضطربة محرفة، فالحسن يصير حسينا والعكس وسعير يصير سعيداً، ومجاهد يصير مجامد، والقرشي يصير تجريشيًا، والعلم الواحد يصير علمين بإقحام واو العطف بين جزأيه والعكس!!.

٦ - **إهمال الفهارس الضرورية للعمل** : كغياب فهرس الأحاديث النبوية والآثار وما أكثرها، وغياب فهرس المصطلحات، وغياب فهرس الأعلام، وغياب فهرس الكتب الواردة في المتن، مع اضطراب في ترتيب الفهارس، حيث قدم فهرس المصادر والمراجع على فهرس الآيات القرآنية مثلاً.

٧ - **عدم مراجعة العمل بعد طبعه** لتصحيح ما يُتذرع به عادة من الأخطاء المطبعية، وهذا التفريط الواضح في إهمال أهم قواعد التحقيق جعل النص يخرج في صورة رديئة، إذ تكاد كثير من فقراته لا تُفهم بسبب سوء تنظيمها وما اعتراها من اضطراب وتحريف.

هذا وقد سجلتُ عدداً هائلاً من الملاحظات والأخطاء النحوية والإملائية والتركيبية وعدداً هائلاً من التحريفات، في الآيات والأحاديث والمصطلحات والأعلام، تجاوز المئة والستين حالة! وما أظن أن الداني رحمه الله كان سيرضى عما فُعل بنصه.

وسأجعل هذه الملاحظات تبعًا لتسلسل أرقام الصفحات طلبًا لتيسير عملية القراءة والتصحيح وتتبع مواطن الخطأ، متجاوزًا عن الأخطاء التي لا تؤثر في المعنى مما أعده من قبيل اللمم، كالتبادل الحاصل بين حروف المضارعة والأخطاء التي يمكن ردها إلى الطباعة، وإهمال ألف (ابن) في بداية السطر، وتكرار الكلمات .

وهذا مجمل ما تحصل لدي من الملاحظات :

ص ١٦٥ : وهي توافق أول صفحة في النص المحقق : سطر ٣ : ذي العز الغالب والدين **الواجب**. وصوابه : ذي العز الغالب والدين **الواصب**.

سطر ٩ : ما ندب الله تعالى وحث بنبيه. وصوابه : ما ندب الله تعالى **إليه** وحث بنبيه.

سطر ١١ : في رسم كتاب خفيف المَحَلّ. وصوابه : في رسم كتاب خفيف المَحْمَلِ.

سطر ١١ : في **وصف** علم الإتقان . وصوابه : في **وضع** علم الاتقان.

سطر ١٣ : عن الأئمة السلف. وصوابه عن الأئمة **من** السلف.

سطر ١٤ : وبالغت في إيضاحه **عنايتي**. وصوابه : وبالغت في إيضاحه **غايتي**.

ص ١٦٦ : سطر ١ : –وشاهدناه من الفقهاء عن **علمائه**. وصوابه : وشاهدناه من الفقهاء عن **الأئمة** .

سطر ٦ : وهو الغبي **الفهمة**. وصوابه وهو الغبي **السفيه**.

ص ١٦٧ : – فللدراية ضبطها **ونظمها** وللرواية نقلها وتعلمها . وصوابه : فللدراية ضبطها **وتفهمها**، وللرواية نقلها وتعلمها.

ص ١٧٠ : سطر ٢ : – والعرب تقول **نقراً رَتَلَ** إذا كان **متفرقًا**. وصوابه : والعرب تقول **ثغرٌ** رَتِلٌ إذا كان **مفرقًا**.

سطر ٣ : – لأن الترتيل يكون **بالهمزة**. وصوابه : لأن الترتيل يكون **بالهمز**.

ص ١٧٢ : سطر ٥ : – أي علَى **الترتيل**. أي على ترسُّل.

ص ١٧٣ : سطر ٤ : – واختلاس **حرف** متحرك. وصوابه : واختلاسُ **حركة** متحرك (لأن الحرف لا يختلس).

سطر ١٤ : – وذالك بعد معرفته بالهمز من غير **لكن**. وصوابه : وذالك بعد معرفته بالهمز من غير **لَكْزٍ**.

ص ١٧٥ : سطر ١ : – فهذا معنى التجويد وحقيقة **الرتيل**. وصوابه : فهذا معنى التجويد وحقيقة **الترتيل**.

سطر ٧ : – حدثنا ملك بن **سعيد**. وصوابه : وهو مالك بن **سُعَير**.

سطر ١١ : – حدثنا علي بن عبد **الملك**. وصوابه : حدثنا علي بن عبد **العزيز**.
سطر ١٧٦ : سطر ١ : حدثنا **علي** بن الحسين. وصوابه : حدثنا **محمد** بن الحسين.
سطر ٢ : – حدثنا **سفين** عن عبيد المكتب عن **مجامد**. وصوابه : حدثنا **سفيان** عن عبيد المكتب عن **مجاهد**.
سطر ٧ : عن أبيه عن أبي لهيعة عن **ابن أبي** الأسود **التجريشي**. وصوابه : عن ابن لهيعة عن **أبي** الأسود **القرشي**.
سطر ١٠ : حدثنا خلف **المكي** حدثنا **علي بن** مسرور. وصوابه حدثنا خلف **المالكي** حدثنا **عبد الله** مسرور.
سطر ١٠ : حدثنا أحمد بن **علي بن** أبي **سليمي** عن **ميمون**. وصوابه حدثنا أحمد بن أبي **سليمان** عن **سحنون**.
ص ١٧٧ : سطر ١ : حدثنا **علي بن أبي** عبيد ... وصوابه : حدثنا **أبو عبيد**...
سطر ٥ : حدثنا أحمد بن محمد **وعبيد** بن محمد. وصوابه : حدثنا أحمد بن محمد **وعبد الله** بن محمد.
سطر ٩ : – فقالوا : **إنها أخبرتنا** : فقرأت. وصوابه : فقالوا : **لها أخبرينا** : فقرأت.
سطر ١٠ : عن **أبي** القشيري. وصوابه : عن **ابن عفاف** القشيري.
ص ١٧٨ : سطر٣ : – فلم **أزيد**. وصوابه فلم **أزد**.
سطر ٦ : عن علقمة الأسود. وصوابه عن علقمة **بن** الأسود.
سطر ١٠ : حدثنا جرير بن مغيرة. حدثنا جريرة **عن** مغيرة.
ص ١٧٩ : سطر ٢ : حدثنا أحمد **بن يحيى**. وصوابه : حدثنا أحمد **بن يزيد**.
سطر ٣ : – عن عبد الله بن **عمر**. وصوابه : عبد الله بن **عمرو**.
سطر ٥ : فإن **منزلك** عند آخر آية. وصوابه : فإن **منزلتك** عند آخر آية.
سطر ١٣ : إذ فيها كفاية **ومنتفع**. وصوابه إذ فيها كفاية **ومقنع**.
ص ١٨١ : سطر ١ : حدثنا **الحسين** بن أبي **الحسين** العسكري. وصوابه : حدثنا **الحسن** بن أبي **الحسن** العسكري.

سطر ٢ : حدثنا أبو **محمد الحسين** بن عمير . وصوابه : حدثنا أبو **أحمد حدثنا الحسن** بن عمير .

سطر ٨ : وأخبره أنه قرأه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصوابه : وأخبرني أبي أنه قرأ على رسول الله .

سطر ١١ : وهذا الخبر الوارد ... لا توجد **رواية** إلا عند المكثرين. وصوابه : وهذا الخبر الوارد .. لا توجد **روايته** إلا عند المكثرين .

ص ١٨٢ : سطر ٩ : **وإيفائها** على صيغتها : وصوابه : **وإيتائها** على صيغتها .

سطر ١١ : على مقدار الصيغة وطبع **الخلف** . وصوابه : على مقدار الصيغة وطبع الخلقة .

سطر ١٣ : حدثني أحمد بن إسحاق **بن أحمد** بن إبراهيم المروزي. وصوابه : حدثني أحمد بن إسحاق بن إبراهيم المروزي .

سطر ١٥ : عن عمر بن عمران **العدوي** حدثنا **اباهيم**. وصوابه عن عمر بن عمران **العدري** حدثنا **إبراهيم** .

ص ١٨٣ : سطر ١ : معنى ذهب **أبوك** في قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . وصوابه : معنى ذهب **أبو بكر** .

سطر ٢ : – فقال : ليقرأ عليّ **فأخذوا** ألفاظه . وصوابه : ليقرأ عليّ **فآخذ** ألفاظه .

ص ١٨٤ : سطر ٣ : حدثنا قاسم بن **أصبِع**. وصوابه : حدثنا قاسم بن **أصبغ** .

سطر ٤ : حدثنا هشام . وصوابه : حدثنا هُشيم .

سطر ٦ : ليسجننه **حتى** حين . وصوابه : ليسجننه **عتى** حين .

سطر ٧ : بلفظ **عتي** حين . وصوابه بلفظ **عتّى** حين .

سطر ١٠ : فإذا جاءك كتابي هذا فاقرأ الناسَ .. وصوابه : فإذا جاءك كتابي هذا فاقرئ الناس .

سطر ١٣ : أن يأخذ من **يقرأه** . وصوابه : أن يأخذ من **يقرئه** .

سطر ١٤ : الحروف المتشابهة في المخرج . وصوابه : الحروف المتشابهة في اللفظ المتقاربة في المخرج .

ص ١٨٥ : سطر ١٣ : حدثنا أبو عبيد **نعيم** بن حماد. وصوابه : حدثنا أبو عبيد **حدثنا نعيم** بن حماد.

ص ١٨٦ : سطر ١ : سمعت **شيخنا** يُكْنَى أبا محمد. وصوابه : سمعت **شيخًا**

سطر ١٥ : - إن الرجل يقرأ القرآن فما يلحن حرفًا. وصوابه : إن الرجل ليقرأ..

ص ١٨٧ : سطر ١٠ : وأخبرت عن محمد بن الحسين أيضًا **حدثنا** علي..

وصوابه : وأخبرت عن محمد بن الحسين أيضًا **قال : حدثنا** علي..

سطر ١٤ : حدثنا الحسين **بن مهران** الجمال.. وصوابه : حدثنا الحسن **بن أبي مهران** الجمال.

ص ١٨٨ : سطر ٢ : ولم **توفي** الحروف حقها. وصوابه : ولم **توف** الحروف..

سطر ٤ : على **التوكيد على** التجويد. وصوابه : على **توكيد علم** التجويد.

ص ١٨٩ : سطر ١ : حدثنا بن مجاهد حدثنا **الحسين بن** أبي مهران.

وصوابه : حدثنا **ابن** مجاهد حدثنا **الحسن** بن أبي مهران.

سطر ٣ : - ويحقق القراءة ولا **يشد** ويقرب. وصوابه : ويحقق القراءة ولا **يشدد** ويقرب.

ص ١٩٠ : سطر ٢ : حدثنا محمد بن **هشام**. وصوابه : حدثنا محمد بن **بسام**.

سطر ٤ : حدثنا **أبو جعفر** بن محمد. وصوابه : حدثنا **جعفر** بن محمد.

ص ١٩١ : سطر ٢ : أخبرني إبراهيم **بن الأزرق**... وصوابه : أخبرني **إسحاق الأزرق**.

سطر ٥ : حدثنا عبد الله بن **الحسين** : وصوابه : حدثنا عبد الله بن **أحمد**.

ص ١٩٢ : سطر ٤ : كانوا يهمزون **ويثقلون**. وصوابه : كانوا يهمزون **وينقلون** (أي ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها).

ص ١٩٣ : سطر ٢ : - فأما ما يذهب إليه بعض أهل **العبارة**.. من الإفراط في التمطيط والتعسف.. وصوابه : فأما ما يذهب إليه بعض أهل **الغباوة**..

ص ١٩٤ : سطر ١٠ : حدثنا محمد بن يحيى **النشابوري**. وصوابه : حدثنا

محمد بن يحيى **النيسابوري**.

ص ١٩٥ : سطر ٢ : حدثنا **عمر بن علي**. وصوابه : حدثنا **محمد بن علي**.

سطر ٣ : حدثني علي بن **الحسين**. وصوابه : حدثني علي بن **الحسن**.

سطر ٩ : وكان حمزة يكره هذا **وينهي** عنه. وصوابه : وكان حمزة يكره هذا **وينهى** عنه.

ص ١٩٥ : سطر ٢ : حدثنا أبو **عَمْرو**. وصوابه : حدثنا أبو **عُمَر**.

سطر ١٠ - لترتاض به ألسنة المبتدئين وتتحكم **فيهم** طباع **المعلمين**.

وصوابه : لترتاض به ألسنة المبتدئين وتتحكم **فيه** طباع **المتعلمين**. (فيه) تناسب (به). والصواب في الهامش ص ١٩٦.

ص ١٩٧ : سطر ٥ : - وقف حمزة على الساكن قبل **الهمز**. وصوابه : وقف حمزة على الساكن قبل **الهمزة**.

ص ١٩٨ : سطر ١٠ : حدثنا أبو بكر **الآدمي**. وصوابه : حدثنا أبو بكر **الأدمي**.

ص ١٩٩ : سطر ١ : محمد بن **إشتة**. وصوابه : محمد بن **أشته**.

سطر ٢ : - عن إبراهيم **بن الحسين** النقاش. وصوابه : عن إبراهيم بن **الحسن**..

ص ٢٠٠ : سطر ١ : وهذا كلام ممن أيد **ووَقَفَ ونَصرَ** وفَهِمَ. وصوابه : وهذا كلام ممن أيَّد **ووَفَّقَ وبَصَّرَ** وفَهَّمَ.

سطر٨ : حدثنا أبو محمد سليمان **بن أبي الوليد** الإمام. وصوابه : حدثنا أبو محمد سليمان **بن الوليد** الإمام.

سطر ١٣ : والذي **أقرأه** وأقرئُ به. وصوابه : والذي **أقْرَؤُه** وأقْرِئُ به.

سطر ١٦ : كان أبو عمرو **يسهل** القراءة غير متكلف يؤثر التخفيف.

وصوابه: كان أبو عمرو **سَهْلَ**..

(للبحث صلة)

كلية الآداب (جامعة محمد الأول) وجدة : د. رشيد بلحبيب.

«من اسمه عمرو من الشعراء»

بين نشرتين

(٢)

ثالثاً : الفهارس : خدم د. عبد العزيز المانع الكتاب بصنعه ستة فهارس متنوعة، شملت الصفحات ٢٣٥-٢٩٤، وهي خاصة بالشعراء العمْرين حسب الترتيب الأبجدي (كذا)، والأعلام والأمم والقبائل والطوائف والأماكن والأيام، والبلدان والقوافي، والمصادر والمراجع.

ويلاحظ على فهرس الأعلام : ما جاء ص ٢٤٤ : (إبراهيم المهدي، انظر المهدي)، والصواب : (إبراهيم بن المهدي : ٢٣١). ويحذف : المهدي فالاثنان مختلفان. وسقط : (الخريمي ٢٣٢)، ووجوب حذف السطر ٢٢ الوارد ص ٢٥٦. أما المهدي، فقد ورد رقم الصحيفة : ١٠٧، والصواب ١٧٠، مع حذف الرقم ٢٣١. وبخصوص فهرس المصادر والمراجع، فيلاحظ أنه بُني على أساس اسم المؤلف، مع سنة وفاته ثم اسم الكتاب، وهنا رجع المحقق إلى ١٤٥ كتاباً..

ويلاحظ : ١ - سقط : (الأخفش الأصغر، علي بن سليمان (ت ٣٥١هـ). الذي يجب أن يُذكر قبل : كتاب «الاختيارين».

٢ - رجع إلى طبعة مختار الدين أحمد لكتاب «الحماسة البصرية»، والصحيح الرجوع إلى تحقيق د. عادل سليمان جمال، القاهرة، كما أنه رجع إلى طبعة محمد مرسي الخولي لكتاب «البرصان والعرجان» للجاحظ، والصحيح الرجوع إلى طبعة المرحوم عبد السلام هارون، بغداد، ١٩٨٢م.

٣ - وردت سنة وفاة ابن الجوزي، ص ٢٨١، ٥٩٨هـ، والصحيح : ٥٩٧هـ، ووردت ص ٢٩٣ سنة وفاة ابن النديم : ٤٣٨هـ. والراجح ٣٨٥هـ.

٤ - ورد ص ٢٨٢ و ٢٨٣ : محمد علي البجاوي، والصواب علي محمد البجاوي.

٥ - رجع إلى الطبعة الأولى من شعر ربيعة الرقّيّ، والمفضّل : الطبعة الثانية،

بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤م فضلاً عن رجوعه إلى ديوان عمرو بن قميئة، بتحقيق حسن كامل الصيرفي، والمفضّل أن يرجع إلى تحقيق المرحوم خليل العطية، بغداد، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م. ورجع إلى الطبعة الأولى من: «التذكرة السعدية» للعبيدي، والمفضّل: الطبعة الثانية، ليبيا، ١٩٨١م.

أما النشرة البغدادية، فكانت فقيرة، إذ اكتفت بقائمة المصادر، وقائمة الشعراء العَمْرين.

فأما (المصادر) فهي مرقمة، وتنتهي بالرقم ١٢١، ولكن هذا ليس رقماً نهائياً، إذ حدث سهو بعدم ترقيم: (رسائل الجاحظ)، إضافة إلى أنني وجدت (١٣) كتاباً في حواشي التحقيق، لم تثبت هنا، وهي: أسد الغابة، أشعار الخليع، تاج العروس، تأريخ الطبري، تهذيب التهذيب، الحماسة البصرية، الحيوان، شعر ربيعة الرقي، العمدة، الكامل لابن الأثير، المنمّق، الفاخر، معجم الأدباء، فيكون المجموع ١٣ كتابًا. وهو رقم يقل عن قائمة د. المانع. ورجع محققا النشرة إلى عدد من الطبعات غير العلمية، أو المفضولة مع وجود طبعات أفضل، منها: الأنوار للشمشاطي وخزانة الأدب للبغدادي والتعليقات والنوادر للهجري بتحقيق د. حمود عبد الأمير، وشرح التبريزي للحماسة، وطبقات فحول الشعراء، ط ليدن - مع أنها لا تحمل اسم (فحول)! وطبعة ١٩٥٢ بتحقيق الشيخ محمود محمد شاكر، الذي لم يعترف بها، ونص على ذالك، والصواب طبعة ١٩٧٤م، والنوادر في اللغة تحقيق الشرتوتي، على الرغم من وجود طبعة د. محمد عبد القادر أحمد، بيروت، ١٩٨١م!. وذكرا: نور القبس للمزرباني. والصحيح: نور القبس لليغموري! أما المرزباني فان اسم كتابه "المقتبس".

رابعاً: الأخطاء المطبعية: تفشت الأخطاء المطبعية (التطبيع) في النشرة العراقية بشكل ملحوظ ومؤلم، ومنها:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٠	بنشرهما	ينشرِهما
٢٨	(هامش ٣)	تمامة	تمامُه
٣٥	١٢	جرّول	جرْول
٥٢	١٠	الحنّ	الجِنْ
٨٢	١١	أيو	أبو
٨٥	(هامش ١٧)	المحتر	المحبَّر
٨٦	١	خجر	حجر
٩٢	١٣	فادفنَيَ	فآدفِّني
٩٥	٤	يقوا	يقول
٨٧	١٥	شهر	شهد
١٠٧	ما قبل الأخير	فطيفة	قطيفة
١١٣	ما قبل الأخير	النمام	النحام
١١٧	١	مسكيراً	سكّيراً
١٢٢	٣ (الهامش)	الجوارح	الخوارج
١٢٣	الهامش	للمرزوق	للمرزوقي
١٢٨	٥	مسعد	مسعدة
١٢٨	٧	محمد	محمده
١٣٠	١٥	مولي	مولى
١٣١	هامش	البرهان	البرصان
١٣٣	البيت الأخير	ما لام وقاق	حا ، لامٌ وقاف
١٣٨	هامش	خليقاً	خليعاً
١٤٣	١٤	هلى	على
١٥٩		فياض	غياض

أما طبعة د. المانع فقد ندرت من التطبيع ومنها : ص ٧١- السطر ٧ : حدتني، وصحيحه : حدثني، وأورد في هامش ١٢٢ : المستعز، وصوابه : المستوعِز، وسقوط الألف من : الأصبهاني، ص ٢٧٨.

خامساً : فائت التحقيق :

على الرغم من الجهد الكبير والواضح الذي بذله محققا النشرتين، فقد رأيت من المفيد أن ألقي دلوي في الدلاء، وأثبت - هنا بعض ما فاتهم :

١ - الترجمة الأولى : ورد فيها شعر لمطرود بن كعب الخزاعي، وكان من المفضل الإشارة - أو الرجوع - إلى شعره الذي جمعه محمد نايف الدليمي، بمجلة «البلاغ»، بغداد، العددان ١-٢، ١٩٧٧م، السنة السابعة، ص ١١-١٩.

٢- عمرو بن الحارث بن الشريد السلمي (رقم ٢٩). أقول : جمع شعره د. عبد [رب] الحسين حداد كنيهل، ضمن رسالته : (شعر سليم في عصر ما قبل الإسلام، وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها)، جامعة بغداد، ١٩٨٩م، ص ٢٠٣-٢٠٨.

٣ - بيتا عمرو بن خالد بن الشريد السلمي (رقم ٣٠)، ورد البيتان في «الأنوار ومحاسن الأشعار» (ط. بغداد ٦٣).

٤ - عمرو بن حرملة (المرقش الأصغر) (رقم ٣٧). جمع شعره د. نوري القيسي، مجلة كلية الآداب / بغداد، العدد ١٣، ١٩٧٠م، مع العلم أن البيت الأخير أخل به عمل د. القيسي.

٥ - عمرو بن لأي بن موألة (رقم ٤٥). أقول : جمع د. حميد آدم ثويني شعره، ضمن : (شعر بكر بن وائل قبل الإسلام، وجمع ما لم يجمع من شعر شعرائها)، جامعة بغداد، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ص ٥٢٦-٥٣٣.

٦ - عمرو بن كلثوم التغلبي (رقم ٥٢). أقول : ينظر ديوانه بتحقيق أيمن محمد ميدان، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٩١م.

٧ - عمرو بن حُنيّ التغلبي (رقم ٥٤). أقول : جمع شعره أيمن محمد ميدان، ضمن : (شعر تغلب في الجاهلية)، معهد المخطوطات العربية، القاهرة،

١٩٩٥م، ص ١٤٢-١٥٥ . ورواية صدر الأخير فيه : أنِفْتُ لهم من عقل قيس ابن مرثدٍ.

٨ - عمرو بن الإطنابة (رقم ٧٥) : أقول : جمع شعره حميد آدم ثويني، مجلة «المورد»، مج ١٤، العدد ٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ٨١-١٠٤.

٩ - عمرو بن براقة الهمداني (رقم ٨٨). أقول : جمع شعره د. حميد آدم ثويني، بغداد، ١٩٩٥م، مخطوط[1] مع العلم أن قصيدته الميمية نشرها د. يحيى الجبوري في مجلة «المورد»، مج٩، العدد الأول ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ص ١٥٨، ضمن : «قصائد جاهلية نادرة من كتاب منتهى الطلب» لابن ميمون، وأعاد نشر ذالك في بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ، ثم ١٩٨٨م.

١٠ - عمرو الرحال بن النعمان (رقم ١٣٧). البيتان الأخيران له نُسبا إلى المثنى بن حارثة بن سلمة في : «الإصابة» ٦ / ٤١.

١١ - عمرو بن شقيق (رقم ١٣٨) له ترجمة في : «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكّار ٩٨٥.

١٢ - عمرو بن أبي بكر العدوي (رقم ١٨٨ - المانع / ١٨٧ البغدادية)، أقول : ورد اسمه في «الأغاني» ١١ / ٣١٨ : محمد بن عبد الله الخلنجي، وفي «رحلة ابن معصوم المدني»، («المورد» ١ : ١٩٨٠م، ص ٢٥٢). عبد الله بن محمد ابن أخت علوية المغني، عن : «تمام المتون» للصفدي ٢٢٦، وينظر : «كفاية الطالب». ٤٨.

١٣ - عمرو بن عبد الملك الوراق (رقم ١٩٨ المانع، ١٩٧ البغدادية). أقول : جمع شعره ودرسه د. محسن غياض، ضمن : الكتاب التكريمي للأستاذ هلال ناجي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٤ - عمرو بن حويّ السكسكي (رقم ٢٠١ المانع - ٢٠٠ البغدادية). أقول : له شعر في : «الإبانة عن سرقات المتنبي» (دار المعارف، ١٩٦١م) ص ٣٤، ١٠٢، ١٦١.

١٥- ورد في ترجمة عمرو بن هوبر الكلبي (رقم ٢٠٥ المانع / ٢٠٤ البغدادية) قول المؤلف: (وهذان البيتان الأخيران من قصيدة إبراهيم بن المهدي التي يمدح بها المعتصم). أقول: كان من الواجب الرجوع إلى كتاب: إبراهيم بن المهدي، الخليفة المغني، تأليف بدري محمد فهد، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٧م، وينظر: «شعراء وأدباء العصر العباسي»: عبد الرزاق البدري، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٧٠-٨٢.

١٦- ورد في طبعة د. المانع، ص١١٩، في ترجمة: عمرو بن يثربي الضبي، تعليقه في الحاشية: (ولم ترد ترجمة عمرو بن يثربي في "معجم الشعراء"، وربما كانت في القسم الضائع منه).

أقول: لم يصل إلينا: «معجم الشعراء» للمرزباني كاملاً، وانتشرت منه نقولٌ في بعض المظانّ، كالإصابة. فقام د. إبراهيم السامرائي بجمعها في كتاب: «من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني»، وصدر ببيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، وترجمة الشاعر واردة في هذا الكتاب ص ١٠٥، وتصحف فيه إلى شزبي)، ولم ينتبه إلى ذالك د. السامرائي[٢]!

وتنظر أيضًا ص ١٣١ - الهامش (٢) و (٣) وص ١٣٥، .. من طبعة د. المانع، أما النشرة البغدادية فلم تُشر إلى هذا الأمر مطلقًا.

١٧- كان ابن الجراح قد نقل (١٤) نصًّا من كتاب «طبقات الشعراء» لدعبل الخزاعي، وهو أمر أشار إليه المحققان العراقيان في مقدمتهما (ص ١٩)، وذكر أن د. محمد جبار المعيبد قد نشر نصوصًا منه في مجلة «المورد» ١٩٧٧/٢.

أقول: لم يطلع المرحوم المعيبد على كتاب ابن الجراح هذا، فالأخبار الواردة في الصفحات ١١١، ١٣٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ٢٠٤ لم ترد في عمله ذاك، وتشمل الشعراء: عمرو بن العاص، عمرو الرحال، عمرو بن عامر الحارثي، عمرو بن قراد، عمرو بن يزيد بن هلال، عمرو بن دويرة البجلي، عمرو بن أبي بكر العدوي.

ولم يشر د. المانع إلى كتاب دعبل على الاطلاق في هوامشه، وإن كان الشيخ

الجاسر قد أشار إليه في مقدمته.

١٨- لم يُنبه محققا النشرتين القاهرية والبغدادية إلى أن ابن الجراح قد نقل من كتاب لأبي هفّان، عبد الله بن أحمد المهزمي، (ت ٢٥٧هـ)، اسمه: «الأربعة في أخبار الشعراء»، وهو مفقود، وقد جمع الأستاذ هلال ناجي نصوصاً منه، ونشره في مجلة «المورد» مج٨، العدد٣، ١٩٧٩م، ص ١٩١-٢٥٠. والنص الوارد في ص ٢٠٢ ترجمة عمرو بن نصر القصافي (ص ٢٠٢ المانع / ١٢٦ البغدادية) ورد في «المورد» ص ٢١٩-٢٢٠، أما النص الوارد في ترجمة عمرو ابن هوبر الكلبي (ص ٢٣١) فقد أخلّ به عمل الأستاذ هلال ناجي.

١٩- ورد ص ٧٠ المانع - ٦٤ البغدادية، قول معقّر بن حمار البارقي:

لها ناهضٌ في الوكر قد مَهّدتْ له كما مَهّدَتْ للبعل حسناءُ عاقرُ

وقد ورد خطأ في البغدادية: لنا. والبيت مع آخر قبله يُنسب إلى دريد بن الصمة الجشمي، في ديوانه ١٩٤ (تحقيق د. عمر عبد [رب] الرسول)، وص ١١٧ (تحقيق محمد خير البقاعي)، ونُسب في: «العقد الفريد» ٢ / ٣٥٨ إلى لوعلة الجرمي، والأول لسحيم عبد بني الحسحاس، في ديوانه ٣٩.

وبعد: فان للنشرتين القاهرية والبغدادية محاسن وهنات، على أن النشرة القاهرية بتحقيق د. عبد العزيز المانع تفوق النشرة البغدادية من حيث الهوامش العلمية والتخريجات، والطباعة والإخراج والفهارس العامة، والجهد المنفرد الذي قام به محققها، فهي النشرة العلمية للنص، ويبقى للمحققين العراقيين جهدهما الذي لا ينكر، وفضلهما الكبير.

والحمد لله رب العالمين،،

بابل - الحلة: عباس بن هاني الجراح

الحواشي:

(١) يُنظر: «نشر الشعر وتحقيقه في العراق»: د. علي جواد الطاهر وعباس هاني الجراح، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) نشر الشيخ حمد الجاسر ملاحظات على هذا الكتاب في مجلة «العرب»، ج١-٢، س٢٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ١١٣-١١٧. وتجمعت لدينا نظرات واستدراكات مطولة.

مجامع أهل الضاد تندب شيخها

حبيب شماريخ الجبال أمينها ... على سرها يبكيك سارٍ وساربُ
وتبكيك روضات (الخُزامى) حبيبَنا ... ويبكي عرار في العشيّات هاضب
وتبكي (بُرود السرّ) أهلاً وجيرة ... ويبكي نديٌّ للنُّهي وعصائبُ
مجامعُ أهل الضاد تندب شيخها ... وعرّاب ناديها، ويبكيك صاحب
أباهم، إلى أين الرحيل وجمعُهم ... على موعد للحب أنك آيب
وأن لهم فيك القلوب حفيّة ... وعينٌ ترى أن الهوى فيك غالب
سهرت على التاريخ أرضًا وأمة ... تمحّصُ أخبارًا ورأيك ثاقب
وفي كل شبر في الجزيرة تلتقي ... بك الذكريات البيض تُحدى النجائب
تعهدت من آياتها ورسومها ... مرابع للآثار فيها ملاعب
أبا هذه الآثار، أنت حبيبها ... نداماك: أسفار وراوٍ وكاتب
سقيت وأنهلت العقول ولم تزل ... مناهل، يستسقي نديك شارب
أقمت بنا عمراً حفرت سنينه ... بأحداقنا، واستبطنتك الترائب
حياتُك سِفرٌ، لا يغيض مَعينه ... ولا تنقضي في محتواه العجائب
وأخراك - لا تثريب - في الله ملقيًا ... رجاءً إلى من ليس يحفيه طالب
ألم تكن المأمون علمًا وحجة ... ترد ضلالات، فيخنس كاذب
وبرًّا، حفيًّا، ما تلبّستَ ريبة ... وما اختَلَفت في الصدق فيك المشارب
وما استَبْضعتْك المغريات حياتَكم ... ولا لانَ عزم طاولته المصاعب
أبا كلّ من قد جمّل العلمُ سعيه، ... بسعيك تُجنى في العلوم الأطايب
وداعُك قد ألقى على القلب وحشة ... وفزّع أحبابًا على البعد نادب
عليك استجاشت في النفوس مشاعرٌ ... وفاضت بدمع للهوى فيك غالب
عليك - حبيب الناس- قام مُسلِّمًا ... ومستعتبًا قلبٌ.. بحبك دائب
إليك التحيات التي أنت أهلها ... وترعاك في أخراك حور كواعب

أحمد الصالح (مسافر)

العمامرة في العمارية من الفضول من بني لأم

اطلعت على كتاب العلامة الشيخ **حمد الجاسر رحمه الله** في كتابه الموسوم بـ «**جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**» في القسم الثاني منه ص (٥٧٤) في كلام المصنف على (**أسرة العمامرة**) ورأيته رحمه الله قد نقل عن ثنيان بن فهد بن ثنيان على غير صواب، وقبل أن أخوض في التعقيب أقدم هذه التعرفة فأقول : **إن مبارك بن فهد بن سعود بن حمدان** الملقب بالعماري من أهالي العمارية إذ أنها بلدته ومنشؤه وهم من (**آل يحيى**) من (**آل أبو رماح**) من (**آل غزي**) من (**الفضول**) من (**بني لأم**) من (**طي**) ومن ذرية سعود المذكور تفرع **عبد الرحمن بن سعود بن حمدان** وهذا الفرع هو الملقب (**بآل دحيم**) فحسب دون ذرية (**مبارك بن فهد**) المذكور فإنهم يلقبون بالعماري فإذا تبين ذالك فأقول : إن المصنف قال : كان (**مبارك بن حمدان**) قد انتقل إلى ضرما وزرع هناك فلقب بالعماري نسبة للعمارية بلدته فهذا المذكور حق صحيح فهو زرع في ضرما وهو مقيم في بلدته العمارية ولكن الوهم عندما نقل المصنف رحمه الله عن ثنيان بن فهد بن ثنيان، فثنيان وَهِمَ في إدلائه حيث قال : إن أسرة (**آل حمدان**) تعرف الآن (**بآل دحيم**) وهذا عرف زيفه وأن لقب (**آل دحيم**) ينحصر في ذرية **عبد الرحمن بن سعود بن حمدان** وما نقله **ثنيان** من الوهم ينفيه ذرية من قدمنا من ذرية **فهد بن سعود بن حمدان** وذرية **عبد الرحمن بن سعود بن حمدان**.

الرياض : ناصر بن سعد بن ناصر العماري

آل عيسى في ثادق من البدارين من الدواسر

يسرني أن أكتب لكم بعض التصويبات والإضافات على ما نشر عن آل عيسى البدارين الدواسر أهل ثادق في المقال المنشور في مجلة «العرب» س ٣١ ص ٤١٨ آملاً منكم نشرها وهي كما يلي :

١-لم يرد ذكر آل حميدان من أهل الزلفي وهم من آل عيسى جدهم عثمان بن حميدان (١١٨٠هـ) الذي نزح من ثادق في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وهم أبناء عمومة لآل حميدان الموجودين في ثادق جدهم أحمد بن عيسى الملقب بحميدان، ومن آل حميدان أهل الزلفي الشيخ أحمد بن علي الحميدان كان قاضي ثادق والمحمل خلال الفترة (١٣٧٨ - ١٣٨٦هـ) ثم انتقل للقضاء في بلدة نفي.

٢- لم يرد ذكر آل عامر في الغاط وهم ذرية يحيى بن عامر أما أخوه محمد بن عامر فقد نزح إلى الزبير في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ولهما عقب يعرفون بالعامر في الغاط والزبير.

٣- لم يرد ذكر آل يحيى بن فارس في الغاط وهم من آل عيسى.

٤- لم يرد ذكر أسرة الصقر وهم ذرية عبد العزيز بن ناصر بن عبد الله بن ناصر، وناصر الأخير ذريته يعرفون بآل ناصر وهم الجرباء والصقر والناصر.

٥- لم يرد ذكر أسرة القريني في ثادق حيث لا يزال بعضهم يحمل هذا اللقب وهم من العلي من العيسى.

٦- ورد في ذكر عبد العزيز بن ناصر بن عبد العزيز بن ناصر أمير بيرق المحمل في فتح الحجاز الذي قتل أثناء حصار جدة بأنه من العبد العزيز والصحيح أنه من الناصر من العلي من العيسى.

٧- تم تحديد فترة إمارة علي بن عبد الله بن علي من عام ١٣٢٢ إلى عام ١٣٢٩هـ والصحيح أنه استمر في الإمارة إلى عام ١٣٣٠هـ حسب الوثيقة المرفقة رقم (١) المؤرخة في عام ١٣٢٤هـ والوثيقة المرفقة رقم (٢) المؤرخة في عام ١٣٢٨هـ، والوثيقة رقم (٣) المرفق صورتها المتضمنة إقرار الملك

عبد العزيز - رحمه الله- للجرباء على إمارته بعد اختياره من قبل أهالي ثادق وذالك في عام ١٣٣٠هـ.

٨- تم تحديد فترة إمارة حمد بن ناصر الجرباء من عام ١٣٢٩ إلى عام ١٣٦٣هـ والصواب أنه تولى الإمارة من عام ١٣٣٠ إلى عام ١٣٥٨هـ حسب الوثيقة رقم (٣)، والوثيقة رقم (٤) المرفق صورتها والتي تنص على أن عبد الرحمن بن دباس آل سويلم كان أميراً على ثادق في عام ١٣٥٨هـ.

كما أنني أطلعت على كتاب "رجال في الذاكرة" لمؤلفه عبد الله بن زايد الطويان الجزء الثاني، الصفحة رقم ٨٣-٨٤ (الطبعة الأولى)، سنة ١٤١٩هـ ولي عليه بعض الملاحظات التالية حول أمراء ثادق في زمن الملك عبد العزيز :

١- جعل فترة إمارة حمد الجرباء أربعين عامًا والصواب أنها ثمانية وعشرون عامًا كما أوضحت في الفقرة (٨) أعلاه.

٢- جعل حمد الجرباء أميراً على بيرق ثادق في فتح الحجاز سنة ١٣٤٤هـ والصحيح أنه عبد العزيز بن ناصر بن عيسى كما أوضحت في الفقرة (٦) أعلاه.

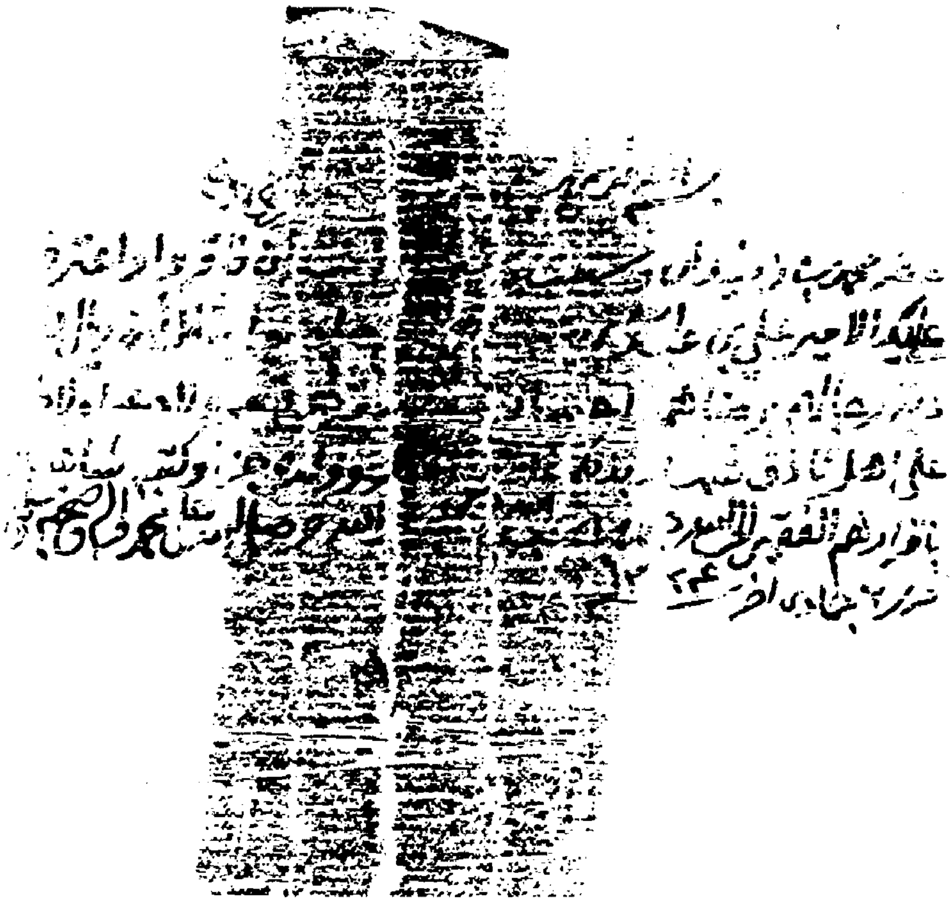
٣- جعل حمد الجرباء أميراً على ثادق بعد مقتل أخيه علي بن ناصر والصواب أنه علي بن عبد الله بن علي كما أوضحت في الفقرة (٧) أعلاه.

٤- جعل وفاة حمد الجرباء في عام ١٣٦٣هـ والصواب في آخر شهر رمضان من عام ١٣٦٨هـ.

كما لا يفوتني التنبيه على أن هذا الكتاب يفتقر لذكر المراجع التي اعتمد عليها المؤلف حيث لم أجد ما يشير إلى الأشخاص الذين نقل عنهم هذه الروايات الشفهية أو صور الوثائق التاريخية القديمة التي تم الاستناد عليها وهذا مما يقلل من مصداقية هذا الكتاب ويؤدي إلى الوقوع في الأخطاء التي تثير البلبلة.

الرياض : عيسى بن إبراهيم آل عيسى.

من وثائق علي بن عبدالله بن عيسى



الوثيقة رقم (١)

مون الوثيقة: بسم الله الرحمن الرحيم حضر محمد بن زنيدان وشبيب (....)
زنيدان الدعاجين فاقروا واعترفوا على يد الأمير علي بن عبد الله بن عيسى
م خلصوا بثلاثين ريال دية رجالهم برضاهم واحضار (..) تبعه ولا دعوا (...)
ى أهل ثادق شهد بذلك (...) وولده جزا وكتب شاهده باقرارهم الفقير إلى الله
د بن عبد الله بن جار الله وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم حرر ٣
ادى اخر سنة١٣٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وكل الامير علي بن عبد الله عبد العزيز الخليفي على بيع نصيب بنات
حماد بن منيع في القليب المسماة ام طريفية في اعلا الثاد
فوق من الغلبا المورد هو في نفقة على البنتين الصغار
اعطهم فباع عبد العزيز الخليفي المذكور نصيب البنتين الصغار
زوجة ناصر المزيني والتي حدر عنها وامها على عبد الله بن موسى
بن حماد بثمن معلوم قدره ذيالي بلغت في نفقة لهن و
النصيب المذكور هو نصيب حماد سدس القليب شهد
على الوكالة والبيع ناصر بن حمد بن جارالله وكتبه ١٣٢٨
حرر ص
ونقلته من خط ناصر بن حمد بن جارالله حرفا بحرف سليمان بن عبد
الله بن بعيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم حرر نقله ١٣٧٩

٢٩/١٢

[illegible]

[illegible] من كافة اهل الجبل [illegible] سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[illegible] الناعلينا وقررنا امارته على جميع قرايا الجبل وامضينا

[illegible] وهل [illegible] فيه [illegible] اذا ورد عليه الامر منا [illegible]

[illegible] والسلام [illegible] في ذلك [illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

لما أمرنا الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري أنا يا كاتب الأحرف محمد بن حمد بن جار الله
باختيار عبد الله بن عبد العزيز وناصر بن عبد الله ننظر النخل التي جنب الجبس
عبد الله الجبيجي
وبين الجبس بقية جدار ثم إننا نظرنا كما أمرنا فإذا فيه بقية جدار
الشمالي هل بينها وبين الجبس الجدار المذكور حتى اختفى كتب ذلك بحضور عبد الله الجبيجي محمد بن
ووجد قعار رأينا على الجدار والنخل المذكوره هي الدخينية كاتبه أفقر سنة ١٣٥٥
حمد بن جار الله ١٣٥٥
٢٣ ذالقعدة

وذلك بحضور الأمير عبد الله بن دباس وشهادته كتب ذلك محمد بن حمد بن جار الله
١٣٥٥
٢٣ ذالقعدة

الوثيقة رقم (٤)

«بلدة البرود» :

آخر كتاب أصدره علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- هو كتاب (بلدة البرود : موقعًا، وتاريخًا وسكانًا، مع تفصيل وافٍ عن منطقة السِّرِّ : القرى والسكان» وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م وهو من مطبوعات مجلة «العرب»، ويقع في (٤٧١) صفحة من الحجم المتوسط، وقامت بطباعته (مطابع مرامر) في الرياض.

وبلدة البرود تقع في منطقة السّر في عالية نجد، وتبعد عن الرياض بنحو (٢٨٠) كيلاً، وهي تُنطق بضم الباء والراء وسكون الواو، على أنه وردت في كتب اللغة بفتح الباء، (انظر ص ١٥٣ من الكتاب) وقد كان الشيخ حمد الجاسر وفيًّا مع هذه البلدة مسقط رأسه، حين أنشأ فيها قبل حوالي خمس سنوات مستوصفًا طبيًّا لخدمة سكانها، ثم ختم مؤلفاته المطبوعة بهذا الكتاب الذي فصَّل فيه تاريخها، فقد دخلت التاريخ من أوسع أبوابه بميلاد الشيخ حمد فيها ونشأته الأولى في أحضانها وبوفاء الشيخ حمد لها بهذا الكتاب.

لم يصدر الشيخ حمد الكتاب بمقدمة كما عُهد ذالك عن المؤلفين بل صدره بسؤال هو (وماذا في هذه الإضمامة؟) ثم أجاب عنه في الصفحات من ١١-١٩، ومما قال : (هي لمحات خطرت في ذهني، حاّولت التعبير بها عما أكنه من حب، وما أحس من تعلق، وأحمله من ذكريات أثيرة في نفسي لجزء من الوطن الغالي بطوله وعرضه، هو أول ما مس جلدي تراب أرضه، وأحسست بوجودي حيث عشت بين ربوعه، بين إخوة ولِدَات وأقرباء وأصدقاء، وبلوت خلال ذالك فيه المر والحلو من صنوف الحياة...).

ويشـيـر الشـيـخ حـمـد إلى أنه لم يكن أنانيًّـا بهـذا الكتـاب فـهـو الذي مـلأ المكتـبـة العـربية بمـئات الكتـب والبـحوث والمـقالات لـيس عن الجـزيرة العربـية وحدها بـل عن الوطن العربي كله وفوق ذالك أشرف على نشـر كثـير ممـن كتب غـيره من سـابقين ومعاصـرين، فقال ص١١ : (وما كنت -وأيم الحق- فيما عبـرت به بما خصـصـت هذه الصفحات لـلحديث عنه أثريًا (أنانيًّا) أقدمه بدافع ذالك الحب على غيـره، ولا أميزه بصـفة ليست فيه، مهمـا تمكن تعلقي، وقوي ارتباطي حتى غمر شغاف الفؤاد، فقد مكثت فترة أغالب رغبة الحديث عنه، في وقت أبذل الوسع المسـتطاع في القيـام بمـا يجب عليّ لبـلادي بصـفـة عـامـة بمـؤلفات تناولت في الحديث عنهـا جـميع جـوانب الحيـاة، وقـد لا أكون مبالغًا إذا قلت : بأنني منذ اتجهت للكتابة كـمـا أرتضي، صـرفت كل اتجاهي لذالك، محاولاً ما استطعت البحث عن الحقيقة والبعد ماأمكن عما يكون سببًا للتحيز أو التـمـيـيـز بحـيـث إنني كـدت أوصف بالتـقـصـيـر في حـق تلك البـلاد التي هي بالنسبة إليّ كما قال الشاعر :

بلاد بها نيطت عليّ تمائمي ... وأول أرض مسّ جلدي ترابُها

وقال الآخر :

وحبّب أوطانَ الرجال إليهم ... مآربُ قضاها الشباب هنالكا

إذن : فـمـا تحـويه هذه الإضـمـامة من الوريقات القليلة، مـمـا يتـضـاءل قـدره بالنسبة لما جمعته في المجلدات الكثيرة عن شرق المملكة وشمالها وجنوبها وغـربها، لايعد شيـئًا بالنسـبـة لما لـهذا الجـزء من بلادنا من الوفاء والاعـتـراف بالجميل).

وقد احتوى الكتـاب على **ثلاثة أقسام وخاتمة**، حيث خصص **القسم الأول**

لتمهيد عن منطقة السر، وهي المنطقة التي تقع فيها بلدة البرود، فتحدث عن تحديدها وكثرة مياهها، ووفرة مراعيها وأشهر عيونها، وأشهر قراها، وهجرها القديمة والحديثة، والترتيبات الإدارية فيها وقد شمل القسم الأول من الكتاب الصفحات من ٢١-١٤٢.

والقسم الثاني : بلدة البرود وما يتعلق بها، بدأه ببعض الأشعار القديمة في المنطقة من ص ١٤٥--١٥٠ ثم تلته المباحث الآتية من ١٥١-٣٧٢:

المبحث الأول : تعريفات موجزة عن البلدة، لمحة من تاريخها، أمراؤها، أئمة مسجدها، كيف نشأت البرود.

المبحث الثاني : تجمع السكان وانتشار القرى الزراعية في منطقة البرود.

المبحث الثالث : موطن السكان الأول، سبب انتقالهم، أسرهم، جيرانهم، الصلات بينهم.

المبحث الرابع : أسر السكان (حمايلهم) وتفرعهم.

والقسم الثالث : عن (أصول السكان وموطنهم الأول وسبب انتقالهم) وفيه عدة مباحث من ص ٣٧٣ - ٤٤٠ :

المبحث الأول : نظرة عامة إلى الأنساب.

المبحث الثاني : أصول السكان القدماء.

المبحث الثالث : فروع قبيلة حرب.

المبحث الرابع : استقرار قبيلة حرب في ضواحي المدينة وصلتهم بالحسينيين.

المبحث الخامس : بنو علي في المدينة المنورة.

المبحث السابع : الشبول وانتقالهم إلى نجد.

المبحث الثامن : مما يتناقله المعاصرون عن صلتهم بالشبول .

واحتوت الخاتمة من ص ٤٤١-٤٤٥ على تمنيات للمؤلف منها تمنيه أن يكون قد استطاع رسم صورة لما كان عليه أهل هذه البلدة في أول القرن الماضي في جميع أحوالهم من تآلف ومحبة وارتباط قوي دون تأثر بما قد يحدث لهم من الضيق أو الشدة في بعض الأوقات بعد أن أكتسح عصر الآلة الحديث بمخترعاته مظاهر الحياة القديمة المتوارثة فأصبحت مجهولة .

أما الأمنية الأخرى فهي أنه عمل مسودة لهذا البحث مؤرخة في المحرم سنة ١٤٢٠هـ ووزع منها نسخًا على بعض الإخوة ممن توسم فيهم المعرفة والإفادة ، وبعد ذالك اتضح له أن كثيراً من تلك المعلومات بحاجة إلى تغيير بتعديل أو زيادة أو حذف فقال ص ٤٤٣ : (ولهذا أوضح أنه لا ينبغي الاعتماد على ما ورد في تلك المسودة إلا على ما وقع الاتفاق عليه وأثبته في هذه النسخة التي بين يدي القارئ) .

وخصص الصفحات من ٤٤٨-٤٦٩ للوثائق والمشجرات ثم ألحق بالكتاب تعريفًا بجانب من نشاطه الثقافي في الصفحتين ٤٧٠ و ٤٧١ استجابة لرغبة الأستاذ سعد بن جنيدل .

ويعد كتاب «بلدة البرود» من أهم مصادر ترجمة الشيخ حمد الجاسر وسيرة حياته وبخاصة نشأته الأولى والجانب الاجتماعي في حياته ، وفي الأنساب المرتبطة به (ليكون من أسباب التواصل والتعارف والترابط الأسري مما يشد عرى الأخوة ، ويقوي أواصر المحبة والتعاون على البر والتقوى) كما قال ص ١٨ .

د . عائض الردادي

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٧ و٨ محرم وصفر ١٤٢٢هـ)

(نيسان / أيار) سنة ٢٠٠١م)

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

أسسها : حمد الجاسر (رحمه الله)

رجب ١٣٨٦هـ / تشرين الأول ١٩٦٦م

ج ٧ و٨ محرم وصفر سنة ١٤٢٢هـ/ ابريل ومايو (نيسان وأيار) سنة ٢٠٠١م

المشرف المسؤول :

معن حمد الجاسر

العنوان :

حي الورود، شارع حمد الجاسر، هاتف ولاقط ٤٦٠٤٦٦٤ (٠٠٩٦٦١)

ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الاشتراك السنوي :

١٠٠ ريال للأفراد، و٢٠٠ ريال لغيرهم

الإعلانات :

يتفق عليها مع الإدارة

الثمن: ١٧ ريالاً.

التَّصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٧)

نَفْرَى: (نَقْرَى)

قـــال البَكْرِي في "معجم ما استعجم": (نَفْرَى بفتح أوله وإسكان ثَانِيه بَعْـــدَه رَاء مُهْمَـــلَة، مَقْصُور على وزن فَعْلَى: مَوْضِع فِي بِلاَد غَطَفَان، قال السُّكُونِي: هي حَرَّة، قال مَالِك بن خَالد الخُنَاعيّ:

وَلَمَّا رَأَوْا نَفْرَى تَسِيلُ أَكَامُهَـــا ... بأَرْعَنَ جَرَّارٍ وحاميةٍ غُلْـــبِ

ورواه السُّكَّرِي نَقْرَى بالقَاف، قال أبو الفتح: أَرَاد نَفْرَى).

وقال البكري أيضًا: (نَقَرَى، بفتح أوّله وثانيه، مقصور على وزن فَعَلَى: موضع قد تقدّم ذكره في رسم نَفرى، بالفاء).

وقال ياقوت في "المعجم": (نقرى بالقصر كأنه يراد به الموضع المنقور، أي المحفـــور، وهـــو اســـم حَرَّة بالحجاز، في بلاد بني لِحْيَان بن هُذَيْل بن مدركة، قال عمير بن الجعد القهدي ثم الخزاعي في يوم حشاش:

لَمَّا رأيتهم كأنّ نبالهـــم ... بالجزع من نَقَرى نجاء خريـــف

أي كأنّ نبالهم مطر الخريف.

وعرفت أن من يثقفوه يتركوا ... للضـــبع أو يصطف بِشَرٍّ مصيف

أيقنت أن لا شيء يُنجي منهم ... إلا تغـــاوثُ حـــمٍّ كـــل وظيف

رفّعت ساقا لا أخاف عثارها ... ونجـــوت من كثب نجاء خذوف

وإذا أرى شخصًا أمامي خلته ... رجـــلاً فملت كميلة الخذروف

وقال مالك بن خالد الخنّاعي الهذلي يفتخر بيوم من أيامهم:

لمـــا رأوا نقـــرى تسيل أكامها بأرعن إجلال وحامية غُلْب

وقال أبو صخر الهذلي:

فـــلما تغشى نقريات سحيلُه ودافعـــه من شامه بالرواجب

وحلت عراه بين نقرى ومنشد وبُعِّج كلفُ الحنتم المتراكب

اســـم نَقْرى بالقاف الموضع هو الصواب، لا كما ذكر البكري بالفاء وكأنـــه مـــتردد بين الاسمين، والصحيح بالقاف كما ورد في كتاب نصر: نَقْرَى بالراء، وقيل بالقَصْرِ حَرَّة حِجَازِيَّة.

ولا يزال اسم نَقْرَى، وينطق الآن بإسكان القاف، يُطْلَق على حَرَّة تقع قـــرب عُسْفَان غربه فيها ريع يفصل بينه وبين غُرَّان، ووادي الغولا يسمى ريـــع نَقْرَى (وتقع هذه الحرة بقرب خط الطول: ٣٩/١٥ْ وخط العرض: ٢٢/٥٧ْ).

نَقْعَاءُ: (بَقْعَاءُ)

قَالَ يَاقُوتُ فِي "مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ": (ونَقْعَاءُ: قَرْيَةٌ لِبَنِي مَالِكِ بنِ عَمْرِو بنِ ثُمَامَـــةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جُنْدُبٍ، مِنْ ضَوَاحِي الرَّمْلِ، ونَقْعَاءُ: مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ طَيِّءٍ بِنَجْدٍ، عَنْ نَصْرٍ).

١ – نَـــبَّهْت في حَـــرْف الـــنون في (قسم شمال المملكة) من "المعجم الجغـــرافي" عَـــلَى مَا وَرَدَ هُنَا مِنْ تَصْحِيفٍ صوابه (بَقْعَاء) بالباء الموحَّدَةِ لاَ بِالنُّونِ.

٢ – وقَـــوْلاَ نَصْرٍ ويَاقُوتَ يَنْطَبِقَانِ على مَوْضِعٍ وَاحِد، فَبَقْعَاءُ في بِلاَدِ طَـــيِّءٍ وهي بِقُرْبِ الرَّمْلِ الَّذي هُوَ الجَانِبُ الغَرْبِيُّ مِنْ رَمْلِ عالِجٍ (النُّفُودِ الكَبِيرِ) المُتَّصِلِ بالدَّهْنَاء.

٣ – بَقْعَاء قرية لاَ تَزال مَعْرُوفَةً، وَلَكِنَّهَا لَيْسَت بِأَجَأ، بَل شَرْقَهُ يَفصِل بَيْنَهُمَا مَسَافَة تُقارِبُ ٩٥ كيلاً؛ والبَقْعَاءُ فِي اللُّغَة السَّنَةُ الْمُجْدِبَةُ، وَلِهَذَا كَانَ مِنْ دُعَاءِ أَهْل البَادِيَة عَلَى أَعْدَائِهم (جَاءَتْهُ بَقْعَا)، وَلِهَذَا يَنْفِرُ أَهْلُ هَذِهِ القَرْيَة مِنْ هَذَا الاسْمِ فَيُسَمِّيهَا بَعْضُهُم (طَيْبَة اسْم). وبِجِـــوَار بَقْعَاء قَرْيَة أُخْرَى تُدْعَى بَقْعَاءَ الشَّرْقِيَّةَ. ولِلتَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا، قِيـــل لها: بَقْعَاء اللُّوَيْمِي وتَقَع القَرْيَتَان مُتَجَاوِرَتَيْنِ، والغَرْبِيَّةُ مِنْهُما هِي بَقْعَاءُ اللُّوَيْمِي. وتقع القريتان متجاورتين، والغربية منهما هي بقعـــاء اللويمي، وسَيْل حَايِل يُفْضِي إِلَيْهِمَا. وتَبْعُدُ بَقْعَاءُ عَنْ مَدِينَة حَـــايِل شَـــرْقًا ٩٥ كِيلاً، وهي مِنْ قُرَى شَمَّر (تَقَعُ بَقْعَاء الشَّرْقِيَّةُ بِقُرْبِ خَطِّ الطُّولِ: ٤٢/٢٨ْ وخَطِّ العَرْضِ: ٢٧/٥٥ْ)، وتَبْعُدُ عَنْ حَايِل ١٠٥ أكيال، وبَقْعَاء اللُّوَيْمِي بِقُرْبِ (خَطِّ الطُّولِ: ٤٢/٢٥ْ وخَطِّ العَرْضِ: ٢٧/٥٨ْ تقريبًا).

نُبَال: (نُبَاك)

قـــال البكري في "معجم ما استعجم": (نُبَال، بضمّ أوله وتخفيف ثانيه: مَوْضع بالبَحْرَيْن. قال السُّلَيْكُ بن السُّلَكَة:

أَلَمَّ خيالٌ من نُشَيْبَةَ بالرَّكْـــبِ ۝ وهُنَّ عِجَالٌ عَنْ نُبَالٍ وعَنْ نَقْبِ

هكـــذا صَحَّت الرواية فيه عن القَالِي في شِعر السُّلَيْك. ووقع في شعر البَعِيثِ رواية يعقوب وشرحه:

تَرَوَّحْنَ عَصْرًا عن نُباكٍ وعن نَقْبِ

وقــد تقــدّم إنشاده آنفًا في رسم (نَقْب) وقبل في رسم (النُّباك)، وهو الصحيح، والله أعْلَم، لأنّي لَمْ أرَ نُبال إلاّ في بَيْت السُّلَيْك، عَلَى رِوَاية أَبِي عَلِيّ) انتهى.

وفي رســم النُّباك: (النَباك بِضمّ أوله: مَوْضِع بالبحرين مذكور في رسم أجا، قال البعيث:

ورُحْنَا بها عن مَاء نَحْر كَأَنَّمَا   تَرَوَّحْن عصرًا عن نُباك وعن نقب

نَحْــر: ماء في ديار باهلة، وهو بظهر تبالة، على محجة اليمن من مكة إليهــا يقــول: رحنا من تبالة وكأنما رحنا بها من البحرين، لسرعة السير. ونَقــب: مَوْضِــع بالبَحْرَيْن أيضًا. ونَحْر: قد تَقَدَّم تحديده في رسمه، وقال العلاء بن الحزن السعدي:

من العاقر الكبداء راحت فَأَصْبَحَتْ   بــبطن نُبَاك غدوة قد تدلت

لقد أدرك البكري –رحمه الله– أنّ اسم نُبَال خطأ، وصحيح أن صوابه (نُــبَاك) كما أوضحت هذا في قسم المنطقة الشرقيّة مِن "المعجم الجغرافي"، فقــلت، بعــد أن أوردت الكثير من أقوال المتقدمين وأشعارهم: (والنُّبَاك موضع لا يزال معروفًا بدون جَزْم بأنه الموضع القديم، ولكن غرابة اسمه تدل على قدمه، وهو اسم هِجْرَة من هُجَر آل عذبة، مِن آل بحيح، من قبيلة آل مُــرَّة، وهــذه الهجرة واقعة في أسفل شبه جزيرة قَطَر، على مسافة أربعة وأربعــين كيلاً، جنوب بلدة سلوا، وعلى مسافة نحو مئتي كيل من مدينة الأَحْسَاء، جنوبها، وفي الهجرة نخل، وبئر ارتوازية ماؤها عذب، حُفِرَت في عهد متأخر، إذ مياه تلك الجهة ليست عذبة، ثُمّ هي قَرِيبَة من ظهر الأرض،

وقريبة من ساحل البحر. وتقع النباك في منخفض من الأرض هو امتداد للمنخفضات الممتدّة مِن رأس سلوا جنوبًا، السكك ثُمّ حوب السّلامة وحوب أبوعرزيلة، وسبخة المشاخيل، وفي طرفها الجنوبي تقع قرية النّباك، يحف بها من الغرب آكام تدعى حال النّباك، وخشم القديرات؛ وتكثر الرمال غربها، وجنوبًا تمتد سبخة.

ومع أنّ في الهجرة معالم عمران حديثة منها مسجد كبير ومدرسة، إلاّ أنها تخلو من السُّكّان ككثير من هِجَر البادية، إلاّ وقت صرام النّخل، فقد مررت بها في صيف سنة ١٣٩٨هـ ومعي كتاب لأميرها من أمير منطقة الأحْسَاء، فلم أجد فيها أحَدًا إلاّ صاحب إبل يسقي إبله من حوض البئر الارتوازية) انتهى. (وتقع بقرب خطّ الطُّول: ٥٠/٥٠ْ، وخطّ العرض: ٢٩ /٢٤ْ) على وجه التّقريب، وهو واقع بمنطقة مِنْ مسمًّى (البَحْرَين قديمًا) المنطقة الشّرقية للمملكة.

وَخْدة: (وَجْدة)

قال نصر في باب (وَجْرَة وَوَجْرٍ وَوَخْدَةَ): وما بعد الواو خاء ودال وهاء: مِن قُرى خَيْبَر الحصينة بها نَخْلٌ. انتهى.

وفي "معجم البلدان": وَخْدَة بالفتح ثُمّ السكون ودال مهملة وهاء، والوخد سعة الخَطْوِ في المشي: قرية من قُرَى خَيْبر الحصينة. انتهى.

وأرى الاسم مصحّفا عن (وَجْدَة) وهي إحدى حصون خيبر به نخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سفح جبل عطوة، وهي من أشهر قُرى المنطقة، وقد ورد ذكرها في كتاب "المناسك" بما نصّه: (وسوق خَيْبَر اليوم المرطة، وكان عثمان بن عفان مصّرها والحصن فيه بقيّة النّاس وهو لعمر بن الخطاب، ثم حصن وجدة وبه نخل وأشجار وهو لرسول الله صلى الله عليه

وســـلم، ثم سليلم وعظمها للنبي صلى الله عليه، ثم الأهيل: جبل في أصله آطام اليهود، ومزارع وأموال تعرف بالوطيح، فيها طعم أزواج النبي صلى الله عـــليه، وبني المطّلب، وبني مخزوم، ثم الوادي المتّصل بالوطيح إلى طبران وإلى خـــاض كلّه للنّبيّ صلى الله عليه وسلم يُسمّى الكتيبة والحصن الأعظم القمـــوص، وهـــو الذي فتح على يد عليّ ابن أبي طالب، رضي الله عنه، وأســـفله مسجد النبيّ صلى الله عليه وسلم) انتهى. وكذا سمّاها البكري في "معجـــم مـــا استعجم" ولا تزال البلدة معروفة، وفيها من السُّكّان ما يزيد على ألف نسمة، وبلاد خيبر منطقة واسعة داخل الحرّة.

(وللبحث صلة).

حمد الجاسر

وترجّل الفارس

عبدالعزيز الخويطر

ومـــات أســـتاذنا الكبير الشيخ الجليل حمد بن محمد الجاسر، وما موته موت واحد، ولكنّه موت جيل كدّ وكدح وأنجز، وضحّى وأكثر.

موت حمد الجاسر شمس علم كسفت، وقمر بحث خسف، وعمد أدب هـــوى، ومصباح فضل انطفأ. بموته فقد الميدان فارسًا كان يصول بسيفه وصولجانه، لم يدانه أحد في حقول الفكر التي اختارها، ولم يجاره كاتب في السّباق الذي دخل حلبته، بدأ سيره في رياض العلم منذ سنين، قبل أن يولد بعض أحِبّته وجلسائه، وأخذ يطوي بساط العلْم والبحث والإنتاج، خطوة خطوة، حتى تجمّع له ما أراد ممّا يبني صرحًا عِلميًّا شامخًا، تكلّ الرقاب دون أن تصل بنظرها إلى قمته.

اســـتجاب حمد الجاسر لنداء ربه، استجاب بعد أن أضنى السّنين قراءة وبحـــثًا، وتنقيـــبًا، وســـفرًا، وتوثيقًا، وكفاحًا، وتأليفًا، ونقدًا، وتوجيهًا، وتعليقًا، ودرسًا، وتمحيصًا.

خـــدم أبـــو محمد العلوم التي كانت أقرب إلى قلبه، وأولى برعايته، فلم يترك فيها زاوية إلا أطلّ في خباياها، ولا ميدانًا إلا مسح جوانبه، ولا درجًا إلا ارتقـــاه، ولا غامضًا إلا جلاّه، ولا خفيًّا إلاّ كشف عنه غطاءه وأبانه، ولا مبهمًا إلاّ أنار ديجوره.

كـــان –رحمه الله– لا يرضى بالوقوف عند القشر، ولا يقنعه الظّاهر. كان –أسكنه الله فسيح جنّاته– يغوص إلى اللّبّ، ويتعمّق في المخبر.

كـــان يـــأخذ منه البحث والتّنقيب عن أمر صغير أشهرًا أوسنين، وقد يحـــتاج لتحقيقه إلى رحلات مضنيات، إلى بلدان بعيدة، لا يقف في وجهه

عـــائق، ولا يمنعه تعب، ولا تؤسه صعوبة، يناور ويحاور ويحتال، حتى يصل إلى الحقيقـــة، ولا يهـــدأ باله، وتطمئنُّ نفسه، حتى يكتمل ما بدأه، حينئذ فقـــط، يلقي عصا التّسيار؛ ولكن لوهلة، ثم يبدأ بحثًا جديدًا مضنيًا، يعطيه كل قوّته، وكأنّه البحث الفريد في حياته.

أصبحت خبرته لا حدود لها، عرف مظانَّ العلم، ورجاله، وعرف الجادَّ منهم في البحث والتّنقيب، فوصل سببه بسببه. أوّل اهتمامه كان بالجغرافيا والمواقـــع، فعـــرفه الجغرافيّون ورجال الآثار، وصار على رأسهم؛ وعرفه المؤرّخـــون، وصار أمامهم وإمامهم، وعرفه محقّقو الأنساب؛ إذ جاء حامل العـــلَم في سريّتهم، وعرفه الأدباء لأنه تقدّم سِربَهم في خوض بحر هذا العلم الواسع العميق، عرفه كُتّاب التّراجم، إذ وجدوه قُدوة في الميدان.

رأى نقصًـــا في بعـــض جوانـــب ثقافتنا، وحياتنا الفكريّة، فأكمل ما استطاع في هذا الجانب، ووضع اللّبِنة ليُقتدَى بخطّته ومنهاجه في هذا الحقل الواســـع، المترامي الأطراف؛ وما كتاباته عن الخيل "إلا نموذج لهذه الفطنة والالتفاتة"، وهذا جانب من حظّه، حظّ البحث أن كان الملتف إليه الشيخ حمـــد الجاســـر، بغزير علمه، وسعة اطّلاعه، وبُعد حماسه، وصحّة منهجه، وحسن معالجته؛ وما هذا هو العمل الوحيد للاقتداء، فكثير من حاملي أعلى الشهادات اليوم، في بلادنا، وخارجها، هم من تلاميذه، ويفاخرون بذلك، ويُعلنونه بصوت جهْوري على رؤوس الأشهاد، وأنا أوّلهم.

كانت الغيرة عند الشيخ حمد منطلقة أحيانًا لما يتصدَّى له وكأنه عود ندّ لمســـته جمـــرة، ففاح عطره، غيرته على وطنه العربي. وكانت له في حماية حقوقـــه صولات وجولات، في حد العلوم التي يرعى حقولها، وغيرته على اللغة العربية، وله في هذا كفاح لحمايتها، وغيرته على العلم واستقامته، وله

في هـــذا نقد وتصحيح وتحقيق، وغيرته على ما يعتقده، ويؤمن به؛ وله في هذا التفات جادٌّ ومُلحٌّ، ولا يتهاون ولا يتراخى حِياله.

ســـوف يفتقد هذا الرّجُلَ المبجّل أهلُه وأبناؤه وأقرباؤه. سوف يفتقده عارفوه وأصدقاؤه. سوف يفتقده من عمل معه أو عنده. سوف يبكيه ناديه والمترددون عليه فيه. سوف يبكيه القلم، والكتاب، والمخطوط، والمطبوع.

ســـوف لا تراه المجامع العلمية بعد اليوم. وقد كان فارسًا في ميادينها. سوف لا تراه النّوادي الأدبية والعلميّة، وكان من روّادها عندما كانت قوّة جسمه تساعده على ذلك. سوف تفتقده المجلاّت والصّحف؛ إذ سوف لا تطـــلّ مـــنها مقالاته، ومقابلاته، وقد كانت عامرة بما يكتب وما ينطق. وســـوف تفـــتقده آذاننا، وقد كان يشنفها بالمفيد الجديد المبهج. وسوف تفتقده عيوننا، وقد تعوّدت على بشاشة وجهه، وحسن استقباله.

أجـــل، سوف تفتقد رجلاً كان إذا همّ أنجز، وإذا التفت أكمل، وإذا تصـــدّى وفى، وإذا قـــال شنّف، وإذا كتب شفى، هِمّته في العلم قعساء، وسيره جد، ونظرته فاحصة، واستقصاؤه عميق، تحقيقه ملح، ودأبه حثيث، لا يستسلم لصعوبة، ولا ينحني رأسه لعائق، ولا يتساهل في حقّ، لا يستبعد بعيـــدًا، ولا يشـــحّ على البحث بمال أو جهد، في كل بحر اجتذبه، له فيه شبكة صيد، وفي كل شبكة، له صيد ثمين، تجتذبه -عليه رحمة الله- كلمة، ويشدّه خبر، وتوقفه ملاحظة، فلا يستريح حتى يتابع هذه، ويستقصي عن تـــلك، يســـأل ويـــنقب، ولا يمل حتى يبلغ الهدف. ملأت كتبه الرفوف، وحظيـــت بمقالاتـــه المجلات وأعمدة الصحف، واستقبله أو زاره فطاحل العلماء والكتّاب، فأفاد منهم، وأفادوا منه.

في مظـــان العـــلم، ترى الوجوه إليه متطلعة، ربما سوف ينطق متعلقة، أعطـــاه الله – ســـبحانه وتعالى– ذاكرة قوية واعية، ساعدته على التقصّي والمقارنة، وسهلت عليه البحث، وأنجدته عند المباحثة والنّقاش، وأن يخزن في ذهنه، دون تعمُّد، الصغيرة والكبيرة.

كـــان الشـــيخ –رحمه الله رحمة واسعة– حفيًّا باللغة العربية ومفرداتها، وأســـاليبها، وتراكيبها؛ وقف ديدبانا دون دخول أي غريب على حِماها، وأي متسلّل إلى روضها الشريف. فالكلمة الأجنبية تندسّ في الجملة، يراها عقربًا، قد شالت شوكتها، وحيّة أبرزت نابها. يرفع هراوته، فيقضي عليها، ويحل ابنة عرب مكانها، يستقيها من ملكته في اللغة أو في المعاجم. وتواضعه لا يجعلـــه يستنكف أن يستشير من أجلها؛ فتجده لا يفتأ يسأل عن مرامي الكـــلمة الغريبة، حتى يلبس الكلمة العربية ثوبًا صافيًا يليق بها، ممثلة للفكر العربي.

وحفاوتـــه لا تقـــف هـــنا، بـــل تتعدّاه إلى دقّة تحرير المواقع، وتدقيق الأنســـاب؛ وكأنّ هذه كلها قد وضعت في حماه، وأصبح وصيًّا عليها، فلا يهدأ باله حتى يصل إلى كُنْهِ الحقيقة ويعلنه.

أمّـــا كيف بدأ الطريق ليقف على المنبر، فكانت أوّل خطوة على هذا الطّريق، أن بدأ ملاحظاته على الكُتّاب، وكان في الوقت نفسه يقرأ ويخزن عـــلمه، ولم يتخلل انقطاعه للعمل إلا شعوره أحيانًا أن سكوته على خطأ أديـــب، أو نقص كاتب، قد يعمق الخطأ؛ ولهذا يخرج سمن صومعته، ويدلي برأيه، وفوجئ الذين يقولون عنه، حينئذ، أنه يهدم، وليس له بناء، ودهشوا عـــندما أزاح الستار عن المخزون، وتتالت كتب تَتْرَى، فبهرت وأدهشت، وامتشق القلم للتأليف، فجاء سيله فيضًا كأنه كان وراء سدّ فتحت أبوابه،

وجـــاء ماؤه مُزبدًا هادرًا، فأحيا حقلاً هنا، وحقلاً هناك، واستوى النبت، وتفتّح الزهر، وتبيّن عنه أنّ وراء الأكمة ما وراءها.

نعم، ثم نعم، نتلفّت حولنا مذهولين، لا نصدّق أننا فقدنا بهجة النادي، وغرّيد الدّوح، وفارس الميدان، ومصباح الإضاءة، ولسان الحق، وصولجان الحميّة. سوف نذهل عن أن نصدّق أن أستاذنا الجليل حمد بن محمد الجاسر مات. سوف نذهل إلى أن يعود إلينا رشدنا، فنذكر، وحق لنا ألا ننسى أن كـــل شيءٍ فانٍ، ولا يبقى إلاّ وجه ربّنا، ذي الجلال والإكرام، وأننا كلنا ميّـــتون، وللطّريق الذي سلكه الشيخ حمد، ومَنْ سبقه، سالكون، و"إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـــا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ". رحم الله الفقيد الغالي، وأسكنه فسيح جنّاته، وأنزل عـــليه شـــآبيب رحمته، ووابل غفرانه، وجعل ما قدّم في موازين حسناته، وشاهدًا له على حسن العمل، وسلامة النيّة، وصواب القصد، وقَبِل منه ما بـــذل من جهد، وجعل ما أمدّ من عمره دليل رضى منه عليه، وألهم أهله وفاقديه السلوّ والاحتساب، إنه نعم الجواد المجيب، وصلى الله على محمد.

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

هوامش حول كتاب
"رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث"

هلال ناجي

(٤)

(٢٨)

عام ١٩٦٠م الموافق ١٣٨٠هـ، زار علاّمة الجزيرة مدينة ليدن التي تُعدُّ بحق من أهمّ مراكز الاستشراق الأوربية، وفيها مطبعة (بريل)، وهي أقدم مطبعة عربية وشرقية، طبعت فيها كتب عربية كثيرة.

وكان وقته، فيما يبدو، قصيرًا، فزار مكتبة سنوك هور غرونيه، ومكتبة جامعة ليدن، وفيها نحو الثلاثة آلاف مخطوطة؛ فلم يتسع وقته القصير لغير الاطلاع على مخطوطتين لكتابين مطبوعين، كما اطلع على فهرس الكتب المخطوطة النفيسة التي باعها أمين بن حسن الحلواني إلى مكتبة (بريل). ويقع الفهرس في ١٨٣ صفحة، وضعه المستشرق (كارلو لندبرخ) سنة ١٨٨٣م باللغة الفرنسية، وأسماء الكتب بالعربية. ويتضمن وصف ٦٦٤ مخطوطة ورسالة.

إنّ ما صنعه الحلواني يمثل واحدة من أنكر المخازي التي ارتكبها عربي مسلم بتهريب مخطوطات وطنه إلى خارجه.

إنّ الإنسان ليشعر بالأسف والحزن، لأنّ ظروف علاّمة الجزيرة لم تسمح له بالمكوث طويلاً عند نوادر المخطوطات العربية في (ليدن) وفي (بريل).

يقول هلال بن ناجي: ورغم أن أغلب مخطوطات مكتبة بريل (مجموعة جارت) قد بيعت قبل عقود إلى جامعة (برنستون) الأمريكية، فإنّ مخطوطات (ليدن) ما تزال محفوظة فيها.

ولأنّ الأحاديث يمسك بعضها بتلابيب بعض، فإنني مازلت أذكر زياراتي لهذه المكتبة، وتفحصي بعض مجاميعها ونوادرها، فكان مما ظفرت به:

١ – نسخة نفيسة من كتاب السريّ الرفاء الموصلي، عنوانها "المحب والمحبوب والمشموم والمشروب"، كان يظن أنها فريدة في الدنيا، حتى وُفّقت إلى الظّفر بمخطوطة ثانية مجهولة العنوان والمؤلف، ساقطة الأول والآخر، لكنها قديمة الخط، وفيها زيادات من الكتاب نفسه، في دار الكتب الوطنية بالجزائر، وهي نسخة لم يعرفها بروكلمان، ولا (أميل فانيان) صانع فهرست مخطوطات الجزائر؛ فاعتمدتهما معًا في تحقيق الكتاب على مخطوطتين، وطبع الكتاب في بيروت بتحقيقنا عام ١٩٨٥م.

٢ – بقايا كتاب "الأدعية المائة المختارة": صنّفها ضياء الدين نصر الله ابن محمد بن عبدالكريم الجزري، الشهير بابن الأثير. وقد ذكر ابن الأثير كتابه هذا في "المثل السائر"، فقال: (وكنت ألّفت كتابًا في ذكر أدعية مخصوصة، ضمنته مئة دعاء، مما توضع في الكتب السلطانيات والإخوانيات، وضمنت على نفسي أن أودع كل دعاء منها معنى آية من القرآن، أو خبرًا من الأخبار النبوية، أو معنى بيت سائر).

ثم ذكره في موضع آخر من المثل السائر، لكن أحدًا من المعاصرين لم يوفق إلى الكشف عن مظنة وجود مخطوطته،حتى أسعدني الحظّ بالوقوف على قطعة منه استخرجتها من أوراق مطموسة ضمن مجموع رقمه ٤٤٣ شرقي، ووجدتها مصدرة بقوله: قال الوزير العلاّمة ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير: سألني من تدرب في صناعة الكتابة من أصحابي أن أؤلّف لهم أدعية تستعمل في

صدور الكتب، لينسجوا على منوالها، وينفقوا عند الإملاق من كنوز أموالها، فأمليت مئة دعاءٍ، لا يخلو كل دعاءٍ منها من معنى آية، أو خبر نبوي، أو بيت شعر سائر، أو مثل عربي، وربّما اجتمع في أحد الأدعية الثلاث؛ فمن ذلك ... وأورد الأدعية المختارة التي حبّرها، إلا أنني، رغم المعاناة المرهقة، لم أستطع أن أستخلص من هذه الأوراق المطموسة غير ثلثها، وآثرت نشرها ذيلاً لكتاب "المفتاح المنشا لحديقة المنشا"، وهو لابن الأثير أيضًا. وقد نشر الكتاب وبقايا الأدعية المئة المختارة في الموصل سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م بمطابع جامعة الموصل.

٣ – وكان مما ظفرت به في مكتبة ليدن مخطوطة "جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام" لأبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري، ورقمها ٢٨٧ شرقي، وهي نسخة خزائنية وفريدة في الدنيا، ضمت من محاسن فنون الأدب الكثير. وقد حصرها في ستة عشر كتابًا، في كل كتاب عشرة أبواب، خمسة نظم وخمسة نثر. "فالجميع مائة وستون بابًا، نصفها نظم ونصفها نثر، من حديث نبوي وخطبة، ورسالة، وحكاية من كل نوع، وكلهم إسلاميون مجيدون محققون؛ وختمت كل كتاب من قولي وقول ابني أحمد بما يليق بكل كتاب منها... حتى قال: وقد سميته جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام.

وقد كانت فرحتي برؤية هذه المخطوطة عميقة، وكان علاّمة الشام خليل مردم قد نشر قصيدة لعبدالملك الحارثي انفردت بها المخطوطة، فسعيت سعيًا راتبًا للحصول على مصورتها؛ وتابع الأمر أخ شهم مفضال عالم حتى ظفرت بها. وعند تصفحي المخطوطة، وجدت فيها رسالة لابن قتيبة في ذكر الخط والقلم. فنسختها، وحققتها، وقدمتها

إلى مجـــلة "المورد"، فرأى أحدهم أن يكون خبيرًا لها. ومرّت شهور عشـــرة، فإذا بالنص المحقق ينشره الخبير باسمه في مجلة مجمعية، بعد أن أجرى تحويرًا في مقدمته، وانجرّ الأمر إلى القضاء العراقي، فأحال الأمر إلى ثلاثـــة خبراء من أساتذة الجامعة الفضلاء، هم: د. سامي العاني، عميـــد آداب الجامعة المستنصرية، ود. صبحي ناصر، الأستاذ بجامعة درنة حاليًا، ود. هاد نهر، الأستاذ بجامعة عدن حاليًا، فأدانوه، وقالوا في تقريـــرهم: لا يســـوغ للخبير –الذي استوفى أجرة– وأحيل عليه العمـــل الأدبي سرًّا وأمانة، أن ينشر النص المحقق باسمه بأيّ حال من الأحـــوال. وأصـــدر القضاء العراقي حكمه في هذا الموضوع وفق ما قرّره الخبراء[1]. ص٣١٣

وقـــد نشر هذا النص في مجلة المورد العراقية، في العدد الأول من المجلد التاســـع عشر، ربيع عام ١٩٩٠م، بعنوان "رسالة ابن قتيبة في الخط والقـــلم"، بتحقيق هلال ناجي. وأعود إلى مخطوطة "جمهرة الإسلام ذات النـــثر والـــنظام" لأقول: إنّ الفراغ من نسخها كان سنة سبع وتســـعين وســـتمائة للهجرة النبوية الطاهرة، وإنّها جديرة بأن تحقّق وتنشر.

(٢٩)

من صفات العلماء عند حمد الجاسر

رفـــد البحوث العلمية وتمكين المحققين من نوادر المخطوطات المصوّرة، وتـــزويدهم بهـــا صفة نادرة خصّ الله بها نفرًا مختارًا من عباده. ولقد انماز أستاذنا الجاسر بهذه الصفة النادرة. فمن ذلك:

١ – إنّ الفقيـــد العالم المحقق اللغوي د. خليل العطية وقف على خبر اطلاع الشـــيخ على مخطوطة فريدة في الدنيا، عنوانها "التقفية" لأبي بشر اليمان ابـــن أبي اليمان البندنيجي[٢]، المتوفى سنة ٢٨٤هـــ. ففاتحه حولها، فإذا بالعلاّمـــة حمـــد الجاسر يتكرم فيزوّده بنسخة مصورة مكبرة من كتاب "الـــتقفية"، هدية منه، ويجيز له تحقيقه. يقول الفقيد العطية عنه: فضرب أمثولة طيبة لروح العالم المخلص المحب لتراث أمته.

٢ – ويحتاج الأستاذ العراقي د. قاسم السامرائي إلى نسخة مكتبة الفاتح في تركية من كتاب "الإنباء في تاريخ الخلفاء" لمحمد بن علي، المعروف بابن العمـــراني (ت في حدود سنة ٥٨٠هـــ)، فيتخلى الجاسر عن نشرها، ويرســـل للباحث العراقي مصوّرة الفاتح، فيخرجها هذا الأخير في ليدن سنة ١٩٧٣م.

٣ – كتاب "كنز الأسماء" لقطب الدين النهروالي المكي، وعليه شرح مختصر صـــوّره من الاسكوريال، وقدمه هدية للأستاذ أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، الذي سأله عنه.

٤ – وإهـــداؤه قطعة نادرة من كتاب "العلل" للإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– إلى محققـــي الكـــتاب، للإفـــادة منها في نشرة قابلة أمر مشهور معروف.

٥– وقد احتاج محبّر هذه السطور إلى مصوّرة مخطوطة للسيوطي، موجودة في المملكة العربية السعودية، فكتب برغبته تلك إلى أخيه الجاسر، فبعث إليه مصوّرتين لا مصوّرة واحدة.

وهـــذا الذي ذكرته غيض من فيض من مكارم هذا العالم الجليل الدالة على روحه العلمية المثالية الطيبة.

(٣٠)

وفي مكتبة الاسكوريال بأسبانيا، وقف العلاّمة الجليل على مخطوطة من كتاب "تنبيه الأديب، على ما في شعر أبي الطيّب من الحسن والمعيب"، مؤلفه عبدالرحمن بن عبدالله باكثير المكي الشافعي، من رجال القرن العاشر الهجري. ألّفه سنة ٩٣١، وقدمه إلى شريف مكة، في عصره، محمد أبي نمي.

وأشار أستاذنا الجاسر إلى وجود مخطوطات أخر لهذا الكتاب، في الحرم المكي الشريف، ودار الكتب المصرية ولنينغراد.

يقول هلال بن ناجي: لقد صدر هذا الكتاب في بغداد سنة ١٩٧٧، ووقع في ٤٠٩ صحائف. وقد قدّر المحقق سنة وفاة مؤلفه حوالي عام ٩٧٥ هـ. وقد اعتمد في تحقيق النص على مخطوطات مكة المكرمة، ودار الكتب المصرية والاسكوريال، ولم يستطع الظفر بمخطوطة لنينغراد (بطرسبورغ). واتخذ نسخة مكة أصلاً، وقابل بها نسخة الدار المصرية، ثم نسخة الاسكوريال.

لقد كان لأدباء مكة، في ذلك العهد، عناية بشعر المتنبي، أوضح جانبًا منها المستشرق بلاشير، في كتابه "ديوان المتنبي في العالم العربي وعند المستشرقين"[٣]. ص٣١٣

وكانت نشرة الدكتور العبيدي نشرة علمية متقنة.

(٣١)

"الاحتفال باستيفاء تصنيف ما للخيل من الأحوال"

في رجب من عام ١٣٩٣هـ الموافق آب ١٩٧٣م، وقف أستاذنا في الاسكوريال على جزء من كتاب عن الخيل، أُعجب به ورآه أوفى كتاب اطلع عليه، يتعلق بالخيل. والجزء الذي وقف عليه هو السفر الثاني من كتاب

"الاحـــتفال في اســـتيفاء تصنيف ما للخيل من الأحوال"، ورقمه في المكتبة ٩٠٢، وهـــو في مجلد ضخم، عدد صفحاته ٤٠٤ صفحة، ومؤلفه هو محمد بـــن رضـــوان بن أرقم النميري، ألّفه لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الأنصـــاري الخزرجي (أمير المسلمين الغالب بالله).وكان من إعجاب شيخنا بهذه المخطوطة أن نقل مباحثه كاملة، مع ذكر أرقام ورقاتها، فاستغرق ذلك الصـــفحات ٣٣٦-٣٤٣ مـــن كـــتاب رحلاته. ثم قال: والكتاب محشوّ بالنصوص المنقولة عن كتب اللغة، بالشواهد الشعرية، بحيث يعتبر مصدرًا من المصادر المهمّة.

يقول هلال ناجي: لقد أتيح لهذا الكتاب الموسوعي في الخيل عالم جليل كـــلّفه أمـــيره باختصار كتاب "الاحتفال"، فامتثل لأمر أميره، واختار منه مختصـــرًا سمّاه "مطلع اليُمن والإقبال في انتقاء كتاب الاحتفال، واستدراك ما فاتـــه من المقال". هذا العالم هو عبدالله بن محمد بن جُزَي الكلبي الغرناطي، من رجال القرن الثامن الهجري.

قال ابن جُزَي، يصف كتاب الاحتفال: (وهذا الكتاب احتفل فيه مؤلفه فيما احتشده، وأكثر فيه مما أورده من الألفاظ الغريبة المستغنى عنها، واللغات الحوشية، التي لا يحتاج إليها، فرأى -أيّده الله- برأيه السديد، ونظره الرشيد، أن انـــتقي إليـــه مـــن الكـــتاب ما يخفّ في المطالعة، ويحسُنُ عند المذاكرة والمـــراجعة، فامتثلت أمره الكريم في ذلك، وسلكتُ فيه ما يرضيه -إن شاء الله- من المسالك، ولم اعتمد في ذلك على نَسَق الكتاب، ولا اقتديت به في ترتيب الأبواب، بل رتّبْتُه بحَسَب ما اقتضاه النظر من الترتيب، وهذّبته على مـــا يناسبه المقصد من التهذيب، وضمّنته كثيرًا من الفوائد العلمية، والمحاسن الأدبيـــة، ممّا اشتمل على حفظه صدري، أو استنبطه فكري، أو أخذته عن

علماء عصري، أو استفدته من غرائب التصانيف، ونوادر التواليف، وأسقطت منه أبوابًا عدّة، اشتمل عليها التأليف المذكور، ممّا يمجّه السمع، وينفر عنه الطبع من لغات حوشية مستثقلة، وألفاظ غير متداولة ولا مستعملة، لا يتعاطاها الأدباء، ولا يتداولها البلغاء، ولا يعتني بها العلماء؛ فهي لذلك لا حاجة تدعو إليها، ولا ضرورة في التأليف تحمل عليها، وسمّيته (مطلع اليمن والإقبال في انتقاء الاحتفال واستدراك ما فاته من المقال). وأرجو بفضل الله أن يوافقَ الاسمُ مسمّاه، وأن يطابق اللفظُ معناه...).

وفي الأعوام الأخيرة، أُتيح لمحقق مغربي جليل هو الشيخ محمد العربي الخطّابي، أن يحقق المختصر المذكور، واعتمد في تحقيقه نسختين فريدتين محفوظتين بخزانة الكتب الحسنية في القصر الملك بالرباط، الأولى بخط مغربي، مشكولة، فرغ ناسخها منها عام ١١٤٩هـ، والثانية مغربية الخط أيضًا نسخت سنة ١١٣٦هـ. وطبع الكتاب في بيروت سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م وعدد صفحاته ٣١٧ صفحة، وقد ذُيّل بفهارس فنية. لكن تحقيق الكتاب يفتقد كثيرًا من شرائط التحقيق العلمي، مثل تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وترجمة الأعلام، وتخريج الأشعار، وغير ذلك. وعلّل محققه ذلك بانشغاله بأعباء دبلوماسية وإدارية وعلمية حالت بينه وبين المضيّ في إتمام ما كان عليه أن يتمّه.

ومازال السِّفر الثاني المخطوط من كتاب "الاحتفال" ينتظر من ينهد لتحقيقه وإخراجه، شأنه في ذلك شأن كتاب "الخيل والفروسية" لابن أخي حزام الختلي، الذي قال عنه بروكلمان إنه أقدم كتاب في بيطرة الخيل وصلنا حتى اليوم.

(٣٢)

ديوان علي بن عبدالرحمن الصقلّي البلّنوبي

وكان ممّا وقف عليه العلاّمة حمد الجاسر في مكتبة الاسكوريال جزء من شعر أبي الحسن علي بن عبدالرحمن الصقلّي الكاتب رقمه ٤٦٧.

ووصف ما كتب على المجموع، وعرض لمضامينه تفصيلاً، وما ألحق به من أشعار مهيار وابن رشيق وابن الحكاك المكي والرضي وابن عبد ربه الأندلسي، فرائية لابن المعتزّ. وقد صوّر نسخة من المخطوط لنفسه. وقال: إنه عني بمطالعة المجموع وتصويره لما فيه عن الشاعر المكي ابن الحكاك الكاتب المغمور.

يقول هلال بن ناجي: إن أستاذنا الجليل قد وقف على المخطوط في ١٩٧٣/٨/١٤م الموافق ٢٢ رجب ١٣٩٣هـ. ونشر ما كتبه عنه في رحلاته المطبوعة سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

لكن هذا الجزء بالذات، كان موضع عنايتي التي انصبّت على نشر شعر علي بن عبدالرحمن البلّنوبي الصقلّي، ممّا احتواه الجزء المخطوط، وإضافة ذيل له يعادل ضعفه.

وكان سبب اهتمامي أن ما نشر من دواوين الصقلّيين لا يجاوز (حتى ذلك التاريخ) ديوانًا واحدًا، هو ديوان ابن حمديس الصقلّي؛ فرأيت، برًّا بشعر الصقلّيين، أن أنشره. وبلّنوبة هذه بتشديد اللام وفتحه وضم النون وسكون الواو وباء موحدة، بُلَيْدة بجزيرة صقلّية، نسب إليها شاعرنا، ذكرها ياقوت في معجم البلدان(٤). وتسمّى اليوم (فيلانوفا).

وهـــو مـــن أسرة أدب، كان والده أبو القاسم عبدالرحمن بن أبي البِشر مؤدبًــا للتجيبي أبي طاهر بن أحمد بن زيادة الله (صاحب كتاب المختار مِن شِعر بشّار).

وأخوه أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالرحمن، كاتب مبرّز، وشاعر مشهور، أورد له ابـــن ســـعيد في الألحـــان المسلّية، وياقوت في معجم البلدان، وابن القطاع في الدرّة الخطيرة أشعارًا.

وقـــد هاجـــر شاعرنا علي بن عبدالرحمن من صقلّية إلى مصر، واتخذها موطـــنًا له، بعـــد الاحـــتلال الـــنورماندي لصقلّية. ومارس التدريس في الإسكندرية، فتتلمذ عليه الفقيه أبو محمد عبدالله بن يحيى بن حمود الخزيمي، وهو راوي الجزء من ديوانه. قال السلفي في معجمه: إن راوي الديوان كان من أهل الفضل والنبل والصيانة. وكان يحضر عند السلفي كثيرا(٥).

ثم إنّ المخطوط كتب بخط مشرقي، مضبوط بالشكل، وفيه مواضع قليلة مطموســـة. أما ذيل الديوان، الذي صنعتُه، فقد ضمّ ضعف ما ضمّه الجزء المخطـــوط مـــن شـــعر البلنوبي الصقلّي. جمعته وتلقطته من شتيت المظان، وأبـــرزها: الخريدة وما تبقى من منتخبات الدرّة الخطيرة في شعراء الجزيرة، ومعجـــم السلفي والرسالة المصرية وروايات المبرّزين والألحان المسلّية، وإنباه الرواة، وذكرت مصادر التّخريج في مواضعها.

ولـيـــس مـــن شك في أنّ لشاعرنا شِعرًا كثيرًا لم يصلنا –بضياع النص الكامل– للدرّة الخطيرة وسواها من مصادر الشّعر الصقلّي.

وقـــد أطـــلت في الحديث عن هذا المخطوط، إذ وجدتُ أخي علاّمة الجزيـــرة لم يبـــلغه خبر نشري له محقّقا في بغداد سنة ١٣٩٦هـــ/١٩٧٦م،

بدار الرسالة للطباعة في بغداد، ووقع الديوان في ثمانين صفحة، وإني مبرد إليه نسخة منه، هدية خجلى فات أوانها.

(٣٣)

عثمان بن أحمد النجدي، الشهير بابن قائد

ترجم له أستاذنا الجليل[٦]، وذكر مصنّفاته. ومنها رسالة في الكلام على (أيّ المشــــددة). قال إنّ نسخة المؤلف، وهي بخطّه، في دار الكتب المصرية، ضـــمن مجمـــوع برقم ٧٠ نحو، وإن منها نسخة أخرى في الخزانة التيمورية بالدار المصرية.

يقـــول هـــلال بن ناجي: إنّ (رسالة أيّ المشددة) قد نُشرت في عمّان بالأردن سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، بتحقيق الدكتور عبدالفتاح الحموز، مِن أســـاتذة جامعـــة مؤتة. واعتمد في تحقيقه ثلاث نسخ مخطوطة؛ إحداها في الظاهرية بدمشق اتخذها أمًّا. والأخريان بدار الكتب المصرية، أولاهما منقولة عـــن نســـخة بخط المؤلف، والأخرى منقولة عن الأولى. وقد قدم للرسالة بـــترجمة لمصـــنّفها الشيخ عثمان النجدي الحنبلي، وأتبعها بدراسة فاحصة مقارنة لما فيها من مسائل. ومن مقدّمة التّحقيق، يتضح أن نسخة دار الكتب المصرية ليست بخطّ المؤلّف، ولكنها نقلت عن نسخة بخط المؤلف.

إنّ واحـــدة من أبرز ميزات كتاب "رحلات حمد الجاسر للبحث عن الـــتراث" أنه استطاع، بعلمه الغزير، ونفاذ بصيرته، ودقّة ملاحظاته، وقوّة ذاكـــرته، اكتشـــاف عشـــرات الأوهام، في فهارس المخطوطات -لاسيما المحفوظـــة في المكتبات التركية- واستطاع، في غالب الأحيان، التوصّل إلى العـــناوين الحقيقية للكتب وأسماء مصنّفيها أو قل: استطاع ردّها إلى أهلها: ولا يتّســـع المجال هنا لإيراد، أو حصر ذلك، لأنه منتثر في أغلب صحائف

الـــرحلات. أنه مجهود هائل، عجيب قام به عالم جليل، كان يشكو ضعف بصـــره، وعـــدم معرفته لغة عالمية -غير العربية- ثم قلّة ذات يده، مع عزّة نفسه.

ورأيـــت المطبعة تجني على الكتاب، فتشيع أخطاءً مطبعية، من أبرزها: إثـــباتها كلمة (المتوفّي) بنقطتين تحت الياء، والمراد (المتوفّى)؛ فالمتوفّي هو الله جلّت قدرته.

ومن ذلك غلطة مطبعية تكرّرت ثلاث مرّات على الصفحة ١٩٥: وهي الحصـــفكي، والصّواب الحَصْكفي، نسبة إلى حصن كيفا. هكذا ضبطها ابن الأثير في اللّباب، ٣٠٢/١.

على أنّ هذه وعشرات سواها لا يمكن أن يسأل عنها علاّمتنا الجليل، بل تتحمّل وزرها المطبعة والقيّمون عليها.

(٣٥)

الوحشيّات

وقـــف الشـــيخ الجليل على مخطوطة الوحشيّات، لأبي تمّام، المحفوظة في خزانة أحمد الثالث، بالآستانة، ورقم أدبيات ٣٣٠، وهو بخطّ علي بن أحمد ابـــن أبي الجيـــش البواريجي[٧]. وهي نسخة فريدة في الدنيا، اعتمدها محقّق الوحشـــيّات، العلاّمة عبدالعزيز الميمني الراجكوتي، في تحقيقه الكتاب الذي نشـــرته دار المعارف المصرية سنة ١٩٦٣م بمصر، وزاد في حواشيه العلاّمة محمود محمد شاكر -رحمه الله-.

(للحديث صلة)

هلال بن ناجي

الحواشي

(١) سبق لمجلة "العرب" أن نشرت مقالاً مطوّلاً عن سرقات الكتب والرسائل الجامعية، حرّره أحد الباحثين المصريين، فنكتفي بالإشارة.

(٢) بندنيجين هي مدينة (مندلي) العراقية الحالية.

(٣) "رحلات حمد الجاسر"، ص٣٢٩.

(٤) "معجم البلدان"، ١/٧٣٢.

(٥) أخبار عن بعض مسلمي صقلّية، ص ٨٠-٨١.

(٦) "رحلات حمد الجاسر"، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٧) وقع سهو طباعي في إثبات اسم ناسخ الكتاب في "رحلات حمد الجاسر"، ص١٣٢. فأثبته هكذا: علي بن أحمد أبي الحبيش البوزايجي، وهذا من جنايات المطبعة على أفذاذ العلماء.

الأسواق في مكة حتى نهاية العهد الأموي

عُــرِفَتْ الأسواق في الجزيرة العربية، قبل الإسلام، واشتُهر منها، بصفة خاصة، الأسواق الموسمية، التي كانت تقام في عدد من البلدان والأماكن، في أوقــات محــددة ومتعاقبة من كل سنة، ويصل استمرار بعضها إلى الشهر، ومــنها أســواق عكاظ وذو المجاز ودومة الجندل والمُشقّر وصَحَار. وتقدّم مصــادرنا معــلومات طيّــبة عنها قامت عليها عدد من الدّراسات تقصّت نشاطاتها المتنوّعة. أما هذا البحث فموضوعه أسواق بلدة مكة -شرّفها الله- بصفتها مرفقًا هامًّا من مرافقها، ولن يعنى بالجانب التّجاري إلاّ بقدر ما يخدم موضــوع الــبحث. وغنيّ عن القول: إنّ مكّة قامت في الأصل على وجود بيت الله الحرام فيها، واكتسبت أهميتها بسببه، إلا أن التجارة تمثل، منذ أول نشأة مكة، العامل الثاني في أهميتها ومصدر رزق أهلها، سواء كان ذلك عن طريق اشتغال أهلها بالتجارة مع القادمين إلى بلدهم لزيارة بيت الله، أو عن طــريق الخدمــات المتــنوعة التي كانوا يقدمونها لتجارة القوافل العابرة في منطقتهم، في أول الأمر، ثم تسلموا إدارة تجارة القوافل وتصريفها بين اليمن والشام، بعد ذالك.

وتتمــثل أسواق مكة التي تدار فيها تجارتها الداخلية بسوق **الحَزْوَة**، وهو ســوقها الرئيس، قالت عنه المصادر: "كانت سوق مكة القديم، وكان فيه مجتمع الناس للبيع والشراء"[١]، ويقع ملاصقًا للحرم ودار الندوة[٢]. من هنا نــدرك أن معظــم فعاليّات المدينة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كانت تتمّ في هذه المنطقة، وسوق الحزوة كان متنوع التجارات والخدمات، وبــدأ شــأنه يضــعف في الإسلام بسبب قيام أسواق تجارية أخرى بديلة،

وبسبب ضم أرضه إلى توسعات المسجد الحرام المتعاقبة، وتم ضم ما تبقى من أرضـــه في توسعة الخليفة العباسي المهدي، في النصف الثاني من القرن الثاني الهجـــري[٣]. ومـــن أسواق مكة، قبل الإسلام، **سوق الكثيب**[٤]، الذي لا نعـــرف عن نشاطه شيئًا، ومنها **سوق الأبطح**[٥]، **وسوق الليل**[٦]، **وسوق ساعة**[٧]. وقد استمر نشاط هذه الأسواق في الإسلام، وكان سوق الأبطح متنوع التجارات، وتحط فيه بعض القوافل القادمة من الشام[٨]، ومنها **سوق ما بين الدارين**، وهو رحبة بين دار أبي سفيان ودار ابنه حنظلة. وكانت إذا قدمـــت العِـــير (القوافـــل) مِن السراة والطائف وغير ذالك، تحمل الحنطة والحـــبوب والسمن والعسل، تحطّ في هذه الرّحبة، وتباع فيها. واستمرّ هذا السوق إلى أن تمّ تحويل أرضه إلى دور في عهد معاوية بن أبي سفيان[٩]. أما **قَرْن القَرَظ**، وموقعه بأسفل (جبلي) أجيادين (الكبير والصغير)، فكان يبتاع الناس فيه ثمر نبات القَرَظ[١٠]، ويستخدم هذا الثمر لدبغ الجلود.

وهـــناك **دور مخصّصة** للتجارة، مثل **دار صفوان بن أميّة** الجمحي، في جنوبي مكة (المسفلة) التي كانت تسمى دار مصر؛ فإذا أتته القافلة، أنيخت أمـــام تلك الدار، ويأتيه الناس فيشترون منه المتاع، ولا تجوز تجارته إلى غير مصـــر. ونسبت الدار إلى ما كان يباع فيها ثم بضائع ومنتجات مصر[١١]؛ ومثل **دار السايب بن السايب** المخزومي، الذي كان شريكًا للنبي صلى الله عـــليه وسلم في التجارة، قبل البعثة، وكانت تجارتهما في هذه الدار[١٢]. وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على شريكه السايب، بعد أن اعتنق الإسلام، فقـــال: "نِعْـــم الشّـــريك السّايب، لا مشاري ولا مماري ولا صخّاب في الأسواق"[١٣].

وبحكم تشابه قريش وثقيف في عاداتهم ونشاطاتهم، يمكن الاستنتاج من أحـــد بنود معاهدة النبي صلى الله عليه وسلم مع ثقيف وهو: "وإن السوق والـــبيع بأفنية البيوت"[١٤]، أن **بعض أفنية البيوت بمكة** ربما كانت تتمّ فيها نشـــاطات تجارية، خاصة إذا عرفنا قلة الأسواق بمكة قبل الإسلام، مقارنة بحجـــم الـــتجارة التي يديرها المكّيون. وكان من مجالس أهل مكة، في ذلك الـــزمن، **فناء دار أم أنمار القارية**؛ وقد وصفت هذه المرأة بأنها كانت برزة بين النساء، وقد اشتهرت بأنها تبيع وتشتري[١٥].

وأحد الأدلة على **حجم التجارة المكية** أن السبي، في غزوة حُنَيْن، (ذي القعـــدة سنة ٨هـــ) التي حدثت بعد فتح مكة مباشرة، بلغ ستة آلاف. ولما قـــدم الرســـول صلى الله عليه وسلم مكة، أمر بُسْر بن سفيان الخزاعي أن يشتريَ لهم مِن مكة ثيابًا فيكسوهم؛ فاشترى بسر ثياب المقعد، وهي ضرب من برود هجر، فكسا السّبي كلهم[١٦].

وأحدث الإسلام تأثيرًا بالغًا في **تجارة مكة الخارجية**؛ إذ فقدت مركزها المـــتميز في الـــتجارة العالميـــة، لأن ذالك المركز كان قائمًا على الإفادة من الصّـــراع العـــنيف بـــين الروم والفرس؛ فكانت باستقلالها، ومهارة أهلها، وموقعها الأمين، مركزًا لنقل السلع الواردة عن طريق المحيط الهندي، وكذلك نقـــل الســـلع بـــين الدولتين المتخاصمتين. فلما جاء الإسلام وكوّن دولته الواســـعة، وأزال الحدود الفاصلة القديمة، وأحلّ السلم والأمن مكان الحرب والتّقاطع، وأنمى مراكز جديدة للاستهلاك والنشاط الاقتصادي، حوّل بعض أهل مكة نشاطهم إلى هذه المراكز الجديدة[١٧].

وممـــا لا شـــك فيه أنّ تضاؤل تجارة مكة الخارجية أسهم بقدر كبير في ازديـــاد **حجـــم التجارة الداخلية**؛ إذ أخذ المكّيون يوظّفون معظم، أو كل

رؤوس أموالهـــم فيها. ونعتقد أن من العوامل التي أسهمت، أيضًا، في نشأة الأســـواق، وتطـــوّر وظائفهـــا، توفر الثروات والسيولة النقدية في الدولة الإســـلامية، نتـــيجة الفتوحات والغنائم، وتوفر الفرص الاستثمارية الكثيرة والمتـــنوعة، وما صاحب ذالك من انتشار العادات الاستهلاكية، في المأكل والملبس والزينة وغيرها. وقد أخذ مجتمع مكة بنصيبه من كل ذالك، وتنفرد مكـــة –شرّفها الله– عن غيرها من المدن، في الجزيرة العربية، بقدوم أعداد كـــبيرة من المسلمين إليها، في كل عام، لأداء شعائر الحج. ويقوم، في هذا الموسم، سوق كبير، تشارك فيه كل بلدان وسكان الدولة الإسلامية بمنتجاتها وأموالها؛ وهذا تغيّر عما كان عليه الحال قبل الإسلام؛ إذ كان الحج مقصورًا على بعض سكان الجزيرة العربية.

ومـــن نتائج الفتوحات وقيام الدولة الإسلامية، **وفود أعداد كبيرة من المسلمين الجدد** من أهالي البلاد المفتوحة إلى مكة واستيطانها. بعضهم كانوا بصفتهم موالي، أول الأمر، ثم تحوّلوا إلى سادة، بعد ذلك. وقد أسهم هاؤلاء بفعالية في كل أوجه النشاط الاقتصادي، وبخاصة النشاط الحرفي. وقد أدرك الخليفة عمر بن الخطاب طموح هاؤلاء، وجدّهم في التجارة. يقول أحدهم، وهو سِيرِين (والد محمد بن سيرين): "شهدت مع عمر بن الخطاب –رضوان الله عليه– [صلاة] المغرب، فأتى عليّ ومعي رُزَيْمة لي، فقال: ما هذا معك؟ فقلت: رزيمة لي أقوم في هذا السوق فأشتري وأبيع. فقال: يا معشر قريش، لا يغلبنّكم هذا وأصحابه على التجارة..."(١٨).

ذكرنا، فيما سبق، أن بعض الأسواق، في مكة، يعود وجودها إلى زمن ما قبل الإسلام، لكن أكثر أسواق مكة نشأت في الإسلام، إلا أننا لا نعرف بدقـــة مـــتى نشأت. ويمكن الاستنتاج أن بعضها يعود إلى **العهد الراشدي**،

حيث أسهم الخليفة عمر بن الخطاب في بعض تنظيمات الأسواق؛ فيُذكر أنه أخــرج الرقيق والدواب من مكة[١٩] إلى أطرافها. ويمكن أن يكون الشاب المكي عبدالله بن عامر بن كريز (ت ٥٧هــ)، الذي ولاه الخليفة عثمان بن عفان على البصرة سنة ٢٩هــ هو الذي اتخذ السوق فيها؛ فقد اشترى دورًا وهدمها، وجعلها سوقًا[٢٠]، متأثرًا بما كان في مكة من أسواق.

ومــن شبه المؤكد أن الأسواق في مكة أنشئت في أزمنة متفاوتة، حسب الحاجــة والتطور، ولم تنشأ وفق تخطيط مسبق. يدل على ذلك **تحويل عدد مــن الدُّور إلى مجمّعات تجارية** وحرفية؛ وهذا التطور له عيوبه، فلا تكون الــتجارات والحرف المتشابهة، في بعض الأحيان، متجاورة؛ فنلاحظ مثلاً أنّ سوق الحدّادين يجاور سوق الفاكهة وسوق الرّطب[٢١]، كما نلاحظ تجاور ســوق البزّازين مع الصّيارفة[٢٢]. ولسنا على يقين إنْ كان سوق الخيّاطين يجــاور ســوق البزّازين، وإن كان تجار الجلود، أو أصحاب الأدم يجاورون سوق الخرّازين، أو سوق الحذّائين.

يحفــظ لــنا الأزرقــي[٢٣] نصًا قيّمًا يبيّن **كيفية نشأة بعض الأسواق:**
"وكانت للخطاب بن نفيل دار صارت لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه... وكــان لها وجهان: وجه على ما بين الصفا والمروة، ووجه على فجّ ما بين الداريــن، فهدمهمــا عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، في خلافته، وجعلها رحــبة ومناخًا للحاج، تصدق بها على المسلمين. وقد بقيت منها حوانيت فيها أصحاب الأدم، فسمعت جدّي أحمد بن محمد يذكر أن تلك الحوانيت، أيضًــا، رحــبة من هذه الرحبة، ثم كانت مقاعد يكون فيها قوم يبيعون في مقاعدهم، وفي المقاعد صناديق يكون فيها متاعهم بالليل. وكانت الصناديق بلصــق الجدر، ثم صارت تلك المقاعد خيامًا بالجريد والسعف، فلبثت تلك

الخيـــام ما شاء الله؛ وجعلوا يبنونها باللَّبِن النّيء وكُسار الآجرّ، حتى صارت بيوتًـــا صـــغارًا، يكـــرونها من أصحاب المقاعد من أصحاب الأدم بالدنانير الكثيرة. فجاءهم قوم من ولد عمر بن الخطاب من المدينة، فخاصموا أولئك القـــوم فيهـــا إلى قـــاض من قضاة أهل مكة، فقضى بها للعمرين، وأعطى أصحاب المقاعد قيمة ما بنوا، فصارت حوانيت تكرى من أصحاب الأدم... إلى اليوم".

ومن دراسة مواضع الأسواق، يمكن القول: إنّ معظم التجارات والحِرف تتركّز حول المسجد الحرام؛ فأبوابه التي تزيد عن عشرين، في جهاته الأربع، كـــلها تفضي إلى أسواق. ولعل من أهم التغيرات التي حدثت في الإسلام، بالنســـبة للأسواق بمكة، هو **نشوء الأسواق المتخصّصة**، مع استمرار بعض الأسواق الشاملة، مثل سوق الأبطح وسوق الليل. ويعود نشوؤها إلى توسع التجارة وكثرة السلع والخدمات وتنوعها التي لم تكن متوافرة قبل الإسلام، وليـــس إلى جهل المكيين بها؛ فقد عرفوا الأسواق المتخصصة في الحِيرة[٢٤]، وربمـــا في بُصرى ودمشق وغزة التي كانوا يرتادونها بتجارتهم بكثرة، لكنّ طـــبيعة تجـــارتهم وطـــبيعة الحياة في مكة، في ذالك الزمن لم تكن تستدعي التخصـــص في الأسواق.وظاهرة التخصص في الأسواق برزت في المدن التي أنشـــأها المسلمون بعد الفتح. ولا نعرف إن كانت مكة سبقت هذه المدن وأثـــرت في تخطيطها في هذا المجال، كما أثرت في غيره من مرافق المدينة، أم أنها وهذه المدن الجديدة تأثرت جميعًا بالمدن القديمة التي فتحها المسلمون.

أمّا مِن حيث **التكوين المعماري للأسواق** وتوزيعها في مكة، فتنقسم إلى ثلاث فئات:

الأولى: الحوانيت المتراصة، والمصطفة على جوانب الشوارع؛ وأكثر أسواق مكة من هذه الفئة.

الفئة الثانية: ما كان على هيئة مجمعات متخصصة، مثل دار الحنّاطين، التي كانت في الأصل دارًا لعمرو بن عثمان بن عفان، ثم تحولت إلى سوق للحنطة، خلال القرن الأول الهجري[٢٥]. ونعتقد أن إطلاق الحنطة عليها، مِن باب التغليب؛ فهي سوق للحبوب، من حنطة وشعير وذرة ودخن ودقيق هذه الحبوب وغيرها؛ وسوق العطّارين الذي كان، في الأصل، دارًا للصحابي عتبة بن غزوان، ثم ليعلى بن منية، وكان يقع بفناء المسجد الحرام[٢٦]. وسوق البزازين في دار السّايب بن أبي السايب المخزومي، التي يقال لها دار سقيفة[٢٧]، والتي كانت فيها تجارة النبي صلى الله عليه وسلم والسَّايب، عند ظهور الإسلام، ودار الحدّادين التي بسوق الليل، وكانت تسمَّى، قبل أن تكون سوقًا للحدّادين، دار مال الله، حيث يكون فيها المرضى وطعام مال الله[٢٨]؛ وسوق الحذّائين، في دار ابن عاصم[٢٩]؛ وتجار الخرز، في دار حنظلة بن أبي سفيان[٣٠]، وأصحاب الشَّوحَط، أو القوّاسين، في دار آل قارظ القارين[٣١]؛ والدقّاقون، في دار الحكم بن أبي العاص[٣٢].

ومن الدلالات التي يمكن استنتاجها من وجود هذه المجمعات التجارية والحرفية، أنه كان هناك، بصفة عامة، ازدهار اقتصادي، في معظم أزمنة العهدين الراشدي والأموي؛ حيث توسعت التجارة والحرف، وكثر العاملون فيهما، إضافة إلى قلة الأراضي في الوسط التجاري، في محيط المسجد الحرام؛ فاستدعى ذالك أن يستثمر أصحاب الرِّباع، أو الدور دورهم، سواء كانت عامرة، أو خربة، فحوّلوها إلى حوانيت، نظرًا لما تدرّه من عوائد مالية كبيرة.

ومن المحتمل أن بعض المجمعات أنشئ، أصلاً، لغرض الاستثمار التجاري، وأن تسـميتها بـالدار ينبغي ألا يفهم أنها عمرت لأجل السكنى فقط، ولا يسـتبعد أن مما شجع بعض الملاك على تحويل دورهم إلى مجمعات تجارية أو حرفية، إضافة إلى عوائدها المادية، رغبتهم في التوسع في المساكن، في المناطق الـنائية نسبيًا عن المسجد الحرام، قلب المنطقة التجارية، لأن أسعار الأراضي أرخص، ومن ثم فستكون مساحة الدور أكبر.

ومـن المـرجح أنه كان في هذه المجمعات طبقات علوية (علالي)، ذات مداخل مستقلة، تستخدم للسكن، فيسكنها بعض العاملين في هذه الأسواق، أو بعـض الذيـن يرتبطون معها بتجارة، مثل أولئك الذين يجلبون البضائع إليها، أو يشترون منها، بغرض النقل والتصدير إلى أماكن أخرى.

ومن المتوقع أنها كانت تتوفر فيها باحات كبيرة، أو صغيرة مكشوفة في وسطها، وظُلل، ومرافق مثل جرار ماء الشرب، والميضاءات؛ وقد أشير إلى بـركة الحنّاطين[٣٣] مثلاً، كما تسهل حراستها، والمحافظة على الأمن فيها، لأن مداخلها محدودة، ويمكن السيطرة عليها، وربما لإغلاقها ليلاً.

ذكـرت بعض المصادر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان بنى، في عهـده (٤١-٦٠هـ)، مجمّعين تجاريين، في المدينة، وضرب عليهما الخراج[٣٤]. أما الخليفة هشام بن عبدالملك، فجعل في عهده (١٠٥-١٢٥هـ) سوق المدينة كلـه مجمعاً واحدًا يملكه، حوانيت في الأسفل وعلالي تكرى للسكنى[٣٥]. وليـس لديـنا ما يفيد أن هذين الخليفتين، أو غيرهما من خلفاء بني أمية قام ببناء أسواق مماثلة بمكة ليستثمرها.

ولا شـك أن تجمع أصحاب كل تجارة، أو حرفة، في سوق واحد، له مـنافع كـثيرة، مـنها أنه يسهل مهمة الإشراف الحكومي عليها، بوساطة

صاحب السوق، أو المحتسب، أو غيرهما؛ ومنها أنه يسهل على أصحاب السوق، وعلى عملائهم الجالبين، أو زبائنهم المشترين، الكثير من الأمور المتعلقة بتجارتهم، أو حرفتهم؛ ومنها أن التاجر الجشع لا يستطيع أن يرفع سلعته خشية منافسة جيرانه له بالسلعة نفسها، وأن المشتري يستطيع أن ينتقي أجود ما يحتاج إليه بسعر مناسب، في وقت قصير، لتجاور الحوانيت المعروضة فيها البضائع المتشابهة[٣٦]؛ ومنها أنه يسهل على أصحاب السوق تنظيم أنفسهم، والتعاون فيما بينهم، لحماية مصالحهم، والدفاع عنها، واختيار أمير، أو شيخ لهم، يحكّمونه في خلافاتهم، ويمثلهم أمام السلطة، وأمام غيرهم.

والفئة الثالثة: من الأسواق هي تلك التي تستدعي طبيعتها أن تكون بعيدة عن وسط المدينة، للتسهيل على المشتغلين فيها، ولما تسببه من تضييق على الناس، لو كانت تجارتها في وسط المدينة، مثل تجارة المواشي، التي كانت أسواقها موزعة في مواقع مختلفة من مكة؛ فسوق الظَّهر (الإبل) في شماليها بقرب قرن مصقلة[٣٧]، وسوق الغنم يقع شمالاً عنه بقليل في مواجهة شعب ابن عامر[٣٨]، وسوق البقر في جنوبي مكة، في أصل جبل خليفة[٣٩] (جبل قلعة أجياد). وذكر أن مكان الحمارين، عند ردم بني جمح[٤٠]؛ لكن يبدو أن وجود أصحاب الحمير كان لتقديم خدمات النقل والتحميل، ولا يمنع أنه كان يتم هنا، أيضًا، بيع وشراء للحمير.

وسوق الحطب، بجنوبي (أسفل) مكة الغربي[٤١]، في مكان يسمى، في الوقت الحاضر، المَحْلَة. ومن المحتمل أنه كان يباع في هذا السوق الأعلاف، مثل التِّبْن، والحشيش المجفّف، ونبات القَرَظ وثمره لدبغ الجلود؛ وربما الأخشاب والعسيب، ونبات الإذخر، لاستخدامها في بناء الدور، وفي

الوقـــود. وكـــان في هذا السوق بِرْكة[٤٢]، لخدمة أصحاب السوق، وربما جمالهم أيضًا.

وهناك ما تستدعي طبيعته أن يكون نائيًا بعض الشيء عن قلب المدينة، مـــثل المجـــازر، لمـــا يترتب على الذبح من دماء، ومخلفات مؤذية بمناظرها وروائحها، رغم حاجة الناس اليومية إليها. وقد يعالج ذلك عن طريق الذبح، في منطقة نائية، ثم يتم نقل الذبائح إلى الحوانيت، للتيسير على الزبائن. وكان بمكـــة مجـــزرتان أحدهما بالمعلاة، شمالي مكة، وتسمى مجزرة أبي دب[٤٣]، والأخـــرى مجـــزرة مكة السّفلى، بشعب الليل[٤٤]؛ ويظهر أن حصل تغيّر لمواضـــع مجـــازر مكة، خلال القرن الأول الهجري؛ إذ ذكر زقاق الجزارين مقابل رحبة عمر بن الخطاب[٤٥] وأنّ موضع الجزّارين عند دار أم هانئ[٤٦]، وأنّ ســـوق الجـــزارين الأول في موضع دار الإمارة[٤٧]؛ والمرجح أن هذه الإشارات تقصد مكانًا واحدًا.

أما الدّباغة وما ينبعث منها من روائح كريهة، تؤذي كل مَن في الجوار، فقـــد اجتمع بعض العاملين بها، في دار خاصة، في أسفل (جنوبي) مكة، هي دار صـــفوان بن أمية الجمحي[٤٨]، التي كانت تسمى دار مصر، عند ظهور الإسلام، ولا نعرف إن كانت لهم مجمعات أخرى، غير هذه الدار.

أمـــا القصـــارون، الذين يقومون بغسل الثياب وصبغها، فقد ذكر أنهم كانوا في دار الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان من آلاتهم التي يستخدمونها الميـــاجن[٤٩]؛ كمـــا ذكر، أيضًا، أنهم كانوا في أصل جبل أبي قبيس، وهو مكـــان ملائم لتوفر الماء فيه[٥٠]. وليس من الواضح إن كانت دار الوليد في أصل جبل أبي قبيس، أم أنه كان لهم مكانان، أم أنهم انتقلوا من أحد المكانين إلى الآخر.

تجارة الرقيق:

وبقيت تجارة تختلف عن التجارات وأنواع الأسواق التي ذكرناها، وتشترك معها كلها في الوقت نفسه، وهي **تجارة الرقيق**. وعلى الرغم من أن قراءة التاريخ المكي تعطي الانطباع بأنها كانت تجارة واسعة، إلا أن إشارات المصادر إليها مقتضبة؛ ومن أقدم أسواقها، في مكة، دار العباس، التي بسوق الليل، و"كان موضعها في قديم الدهر سوقًا يباع فيه الرقيق"(٥١). وللرقيق سوق آخر عند أصل جبل أبي قبيس بجوار فاضح(٥٢) ولا يستبعد أن هذا السوق اتخذ بديلاً عن سوق الرقيق الذي كان بدار العباس، الذي أشارت إليه بعض المصادر بأن الخليفة عمر بن الخطاب (أخرج الرقيق والدوابّ مِن مكة)(٥٣) إلى أطرافها، وكان في مكة بعض الدور الخاصة بالرقيق، ذُكر منها (دار الزنج) لأنه كان فيها رقيق زنج لابن الزبير(٥٤)، و(دار العلوج) لخالد ابن العاص بن هشام المخزومي، بمجتمع أجيادين كان فيها علوج له(٥٥).

ومن الأدلة على حجم أسواق الرقيق أن هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ) كلف واليه على مكة أن يشتري له مائتي عبد زنجي، مع زوجاتهم، ليعملوا بمزارع أنشأها في المعمل(٥٦)، بمنطقة بيشة. إضافة إلى ذلك، فقد اشتهر عدد من المكيين بتدريب الجواري الحسان، وتثقيفهن، وتعليمهن الشعر والغناء؛ وكنّ يُبَعْن بأعلى الأثمان للخلفاء والأمراء وأصحاب الجاه والثراء، في الأمصار الإسلامية؛ كما برز من الرقيق المكي أشهر المغنيين في العصر الأموي(٥٧).

ومما يلاحظ على المعلومات التي أمدتنا بها مصادر التاريخ المكي عن أسواق مكة، أنها لا تخلو من **بعض الإشكالات اليسيرة**، منها ما يتعلق بأسمائها؛ فعلى سبيل المثال تذكر أسماء سوق الحذّائين(٥٨)، وزقاق

الحذّائـــين[٥٩] ورَبع الحذّائين[٦٠]، والحذّائين[٦١]. وواضح أنها كلها تعني شيئًا واحدًا، ويطلق على أحد أبواب الحرم باب السمّانين[٦٢]. لكننا لا نجد ذكرًا لســـوق السمّانين، مع أننا نجد زقاق أصحاب الشيرق[٦٣] (الشيرج)، وهو زيـــت السّمسم؛ والمرجح أن السّمن والوَدَك وزيوت الطعام، مثل الشيرج وزيـــت الزيـــتون والخل، وكذلك العسل وما شابههما، أنها يضمها سوق واحـــد، ولا نعـــرف إن كان زقاق أصحاب الشيرق يقع عند أحد ابواب الحرم، وهو باب السمّانين، أم غير ذلك.

كما نجد سوق التّمارين[٦٤]، وزقاق التّمارين[٦٥]، وسوق الرّطب[٦] ومع أن التّمر والرّطب مادّة واحدة، إلا أنّ الرّطب يقصد به ثمرة الموسم الطّريّة، بيـــنما الـــتّمر اسم عام للطّري وغير الطّري، إلا أنه أكثر ما يطلق على غير الطّري؛ لذا نعتقد أنه رغم اختلاف الاسم، فسوقهما واحد.

(للكلام صلة)

أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

الرياض، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ

الهوامش

(١) الأزرقي، محمد بن عبدالله (ت ٢٤٤هـ/٨٥٨هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثـــار، تحقيـــق رشـــدي ملحس، دار الأندلس، بيروت (د.ت) ٦٢/٢، ٢٩؛ الفـــاكهي، محمد بن إسحاق (ت بعد سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥هـ): أخبار مكة في قـــديم الدهـــر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ٢٠٧/٤.

(٢) الأزرقي، ٢٥٣/٢، ٢٩٤؛ الفاكهي، ٢٠٦/٤. (٣) الأزرقي، ٦٢/٢، ٨٠

(٤) الأزرقي، ٢٩١/٢؛ الفاكهي، ١٩١/٤.

(٥) ابن حبيب، محمد (ت ٢٤٥هـ/٨٥٩م): **المنمق في أخبار قريش**، تحقيق خورشيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ٦١؛ البلاذري، أحمد بـــن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م): **أنساب الأشراف**، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١/٢٨٢، وقد ورد في شعر العرجي:

يا ليت سَلْمَى رأتنا لا نزاع لنا ... لمـــا هبطنا جميعًا أبطح السوقِ

الأصبهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ/٩٦٧م): كتاب "الأغاني"، دار الثقافة، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢/٣٠٣. وحدد الفاكهي ج٣/٧٩ الأبطح بقولـــه: (مـــا بين مسجد الحرس إلىحائط خرمان) وعلق محقق كتاب الفاكهي عبدالملك بن دهيش بأنه في الوقت الحاضر من مسجد الجن إلى الخرمانية، وقد أقيم على جزء كبير من حائط الخرمانية مبنى أمانة العاصمة.

(٦) الأزرقي، ج٢/٩٨، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٦٥؛ الفاكهي، ج٢/٨٨، ١٨٩.

(٧) الأزرقي، ج٢/٢٤٢. (٨) ابن حبيب، المنمق، ص٦١.

(٩) الأزرقي، ج٢/٢٣٩.

(١٠) الفـــاكهي، ج٤/١٩٢-١٩٣، وعـــلق محقق الكتاب عبدالملك بن دهيش قائلاً: وهـــذا القرن لا وجود له اليوم، لأنه أزيل وقد صار موضعه جزءًا من ميدان باب المـــلك، وموضعه ما كان يعرف بزقاق البخارية يقع بين السوق الصغير وشارع المسيال... وقد شاهدته في ذالك الوقت.

(١١) الفاكهي، ج٣/٣٤٢، ج٤ ص ٢١٠. (١٢) الأزرقي، ج٢/٢٥٩.

(١٣) الأزرقـــي، ج٢/٢٥٩؛ ابـــن عبدالبر، يوسف بن عمر (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢/٥٧٣، (رقم الترجمة ٨٩٢).

(١٤) حميد الله، محمد: **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص٢٨٥.

(١٥) الأزرقي، ج٢/٢٥٥؛ الفاكهي، ج٣/٢١٧.

(١٦) الواقدي، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): **كتاب المغازي**، تحقيق مارسون جونز، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)، ج٣/٩٤٣.

(١٧) العلي، صالح: "**الحجاز في صدر الإسلام**"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص٥٥٨.

(١٨) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م): **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، تحقيق زينب القاروط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص١٩٣.

(١٩) الأزرقي، ج٢/١٦٤.

(٢٠) ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار الشعب، القاهرة، (د.ت)، ج٣/٢٨٩ (رقم الترجمة ٣٠٣١).

(٢١) الأزرقي، ج٢/٢٣٩. (٢٢) الأزرقي، ج٢/٢٥٩؛ الفاكهي، ج٢/٢٠٨.

(٢٣) ج٢/٢٦٢.

(٢٤) الكبيسي، حمدان عبدالمجيد: "**أسواق العرب التجارية**"، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨٩م، ص٣٩.

(٢٥) الأزرقي، ج٢/٢٤٠، وينبغي ألا تلتبس دار الحناطين هذه التي تضم حوانيت لبيع الحنطة والحبوب بدار الحنطة التي ذكرها الفاكهي، ج٣/٣١٢، وموقعها في دُبُر دار الندوة، وسميت كذلك لأن عبدالله بن الزبير إبان سيطرته على مكة وضع فيها الأرزاق التي كان يجريها بمكة.

(٢٦) الأزرقي، ج٢/٢٤٨؛ الفاكهي، ج٣/٢٩٦، وانظر ج٢ ص١٧٠، ١٨٩.

(٢٧) الأزرقي، ج٢/٢٥٩؛ الفاكهي، ج٢/٢٠٨ وعنده (دار شقيقة).

(٢٨) الأزرقي، ج٢/٢٣٩؛ الفاكهي، ج٣/٢٨٨، وذكر الأزرقي أيضًا ج٢/٦٥: "ودار الحدادين كانت لبعض بني عامر، فاشتراها معاوية وبناها"، ولعل معاوية جعلها في خلافته دار مال الله، ثم أصبحت بعد ذلك مجمعًا لحوانيت الحدادين.

(٢٩) الأزرقي، ج٢/٢٥٥؛ الفاكهي، ج٢/٢٠٩. (٣٠) الفاكهي، ج٣/٢٧٨.

(٣١) الفاكهي، ج٣/٣١٨. (٣٢) الأزرقي، ج٢/٢٦٥.

(٣٣) الأزرقي، ج٢/٢٢٤، وقارن الفاكهي، ج٣/١٥٤، بركة الخياطين.

(٣٤) السمهودي، علي بن أحمد (ت٩١١هـ/١٥٠٥م): **"وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى"**، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢/٧٥٠، ٧٥٢.

(٣٥) السمهودي، ج٢/٧٥٣. (٣٦) الكبيسي، ص٤٢.

(٣٧) الفاكهي، ج٣/٢٨٩، وقارن الأزرقي، ج٢/٢٠١ (...سوق الغنم عند قرن مسقلة).

(٣٨) الأزرقي، ج٢/٢٠١، ٢٤٤، ٢٧٠، وعلق محقق الكتاب رشدي ملحس، (ج٢/ ٢٧١) قائلاً: (يقع سوق الغنم قديمًا في الوادي الواقع شرق جبل الرقمتين، ويسمى هذا السوق اليوم سوق الجودرية، ويوجد ثمة مسجد صغير يسمى مسجد الغنم...)، الفاكهي، ج٣/٢٨٤.

(٣٩) الفاكهي، ج٤/١٩١؛ وعند الأزرقي، ج٢/٢٦٦ (وحد المعلاة من زقاق البقر مصعدًا إلى (جبل) قعيقعان...).

(٤٠) الأزرقي، ج٢/٢٤٩؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٩، ٢٩٩؛ البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٦١.

(٤١) الأزرقي، ج٢/٢٣٢؛ الفاكهي، ج٣/١٥٤.

(٤٢) الأزرقي، ج٢/٢٣٢؛ الفاكهي، ج٣/١٥٤.

(٤٣) الأزرقي، ج٢/٢٧٢؛ الفاكهي، ج٤/١٢١.

(٤٤) الفاكهي، ج٤/١٩٥، ٢١٠. (٤٥) الفاكهي، ج٣/٣١٧.

(٤٦) الفاكهي، ج٢/٣٦٠. (٤٧) الفاكهي، ج٣/٢٧٤.

(٤٨) الفاكهي، ج٣/٣٤٢.

(٤٩) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٤، (د.ت)، ج٦/٨٩؛ البابطين، إلهام أحمد: "**الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي**"، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص١٨٢.

(٥٠) ياقوت بن عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ:١٢٢٨م): "**معجم البلدان**"، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٣/٢٢١ (سَعَد).

(٥١) الفاكهي، ج٣/٢٧٠. (٥٢) ياقوت، ج٢/٢٣١ (فاضح).

(٥٣) الأزرقي، ج٢/١٦٤. (٥٤) الأزرقي، ج٢/٢٥٢.

(٥٥) الأزرقي، ج٢/٢٥٨. (٥٦) ياقوت، ج٥/١٥٨ (المعمل).

(٥٧) البابطين، ص١٩٧-٢٠٢. (٥٨) الأزرقي، ج٢/٧٥، ٩٨، ٢٣٤.

(٥٩) الأزرقي، ج٢/٢٣٨؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٤.

(٦٠) الأزرقي، ج٢/٢٣٤، ٢٣٨؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٤.

(٦١) الفاكهي، ج٣/٢٧٨. (٦٢) الأزرقي، ج١/٣٠٦.

(٦٣) الأزرقي، ج٢/٢٣٤؛ الفاكهي، ج٣/٢٧٤، ٣٥٢.

(٦٤) الفاكهي، ج٣/٢٠٧. (٦٥) الفاكهي، ج٣/١٠٠.

(٦٦) الأزرقي، ج٢/٢٣٩.

ترجمة بعض علماء آل عدساني وقضاتهم
دراسة وثائقية[1]

أسْــرة العدساني من الأُسَر التي اشتهرت بالعلم والقضاء منذ القرن الثاني عشر الهجري، ونبغ فيها علماء وقضاة مبرزون في الأحساء والكويت، ولم أجد بــين يــديّ ترجمة وافية لكثير من علماء هذه الأسرة، فأردت أن أعرض بعض تــراجم عــلمائها مما تيسر لي جمعه، ورأيت أن أبتدئ بأقدمهم ثم أعرّج على المتأخرين منهم، وسوف أخص هذا الجزء لمن كان منهم في الأحساء حيث بدأ ذكــرهم في الانتشــار. ويتبع -إن شاء الله- ذكر قضاتهم في الكويت في مقالة لاحقة، وأورد طرفًا من أنسابهم وأخبارهم.

١ - الشــيخ محمد بن مبارك العدساني (من رجال القرن الحادي عشر) هو الشيخ محمد بن مبارك بن محمد بن حسين بن علي العدساني، وقد عرّف بنفسه على قيد تملك لأحد الكتب بأنه أحسائيّ البلد والمنشأ، شافعيّ المذهب، أشعريّ المعتقد[1]. ويمكن إرجاع تأريخ وجود هذه الأسرة في الأحساء إلى مطلع القرن الحادي عشر الهجري أو السابع عشر الميلادي على أقل تقدير. ومن المعروف أنّ أسرة العدساني ترجع في أصلها إلى عقيل ابن أبي طالب رضي الله عنه[2]. وكان بــنوه يسكنون حيّ بني عقيل المعروف في البصرة من صدر الإسلام إلى العصر العباســي[3]. وكــان المذهب الشافعي منتشرًا في فترة المترجم في تلك المدينة والأحساء وبلاد فارس. وهذه الأقاليم المحيطة بالخليج العربي تشترك منذ القدم في مقوماتهــا الحضــارية. وقد شهدت الأحساء استقرارًا نسبيًا من منتصف القرن الخــامس عشــر الميلادي حين ابتدأ حكم الدولة الجبرية، وتزامن مع قيام هذه الدولــة عــودة المذهب السني إلى الصدارة في القضاء والأحكام، وأتاحت هذه الظّروف للعلماء والأسر العلمية أن تأخذ دورًا رياديًا، وأسهمت سيطرة الأتراك

العثمانيين على البصرة في ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) ثم على الأحساء في ٩٦٤هـ (١٥٥٥م) ومن قبل ذلك على الحجاز، في إشاعة جوٍّ من الاستقرار وتسهيل التنقل في الولايات التابعة لهم[٤]. ومن الملاحظ أنّ الأحساء قد أخذت دورًا علميًا متميّزًا منذ القرن الحادي عشر الهجري. برز في هذا المناخ كثير من العلماء المبرّزين، بل ومن الأسر العلمية، فهناك أسرة آل عبدالقادر الأنصارية القادمة من المدينة، وأسرة آل عفالق المالكية القادمة من نجد، وأسرة آل فيروز الحنبلية القادمة من نجد وغيرها.

نشأ الشيخ محمد نشأة علمية رصينة، ولا عجب فوالده الشيخ مبارك عالم، وجدّه الشيخ محمد عالم أيضًا. وكان المترجم يحرص على العلوم النّافعة وخاصة الحديث والزهد ولطائف الفقه؛ ومن ذلك جهده في اقتناء الكتب النافعة ونسخها، مثل **نهاية الامتنان في نفع الإخوان** – أربعون حديثًا"[٥] من تأليف أبي المكارم محمد بن محمد البكري المتوفى سنة ٩٥٢هـ، ومنها **صفحة في بيان حكم القهوة** للشيخ عبدالقادر بن الشيخ العيدروس[٦]. وقام بنسخ هذه الكتب بخطّ نسخ بديع ابنه إبراهيم، وكان المترجم حريصًا على الأمانة العلمية في النّقل. فقام بالتّدقيق ومقابلة النُّسَخ على أصولها، وسجّل قيد المقابلة في آخر النّسْخة على طريقتهم في الضّبط، ومن بركته وحسن تربيته، ظهر من نسله سلالة طويلة من العلماء والأعلام مستمرّة حتى يومنا هذا. وفيما يلي نسرد تراجم بقية مَن اطلعنا عليه من علماء العدساني ابتداء من ابنه حسين.

٢ – العلاّمة حسين العدساني:

هو الشيخ حسين بن محمد بن مبارك العدساني، له ذكر في **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد** الجزء الثاني للشيخ محمد بن عبدالله آل

عبدالقادر الأحسائي[٧]. ذكره في معرض الكلام عن حفيده القاضي حسين العدساني بقوله:

"هو الشيخ حسين بن العلاّمة القاضي الشيخ محمد بن العلاّمة الشيخ حسين العدساني". وذكره الشاعر الشيخ محمد بن أحمد العُمَر الموصلي بقوله: "النبيل حسين المعطاء"، وذلك في قصيدته التي مدح فيها علماء الأحساء، وسوف يأتي نصّ القصيدة عند الكلام عن حفيد المترجم، فوُصف هنا بالعلاّمة، والنبيل، والمعطاء، مما يدل على فضله وتبحُّره في العلم. ووُصف في المصدر نفسه في موضع آخر[٨] بالعلاّمة الشيخ حسين العدساني، وله ذكر في مصدر آخر، وهو قيد تملك له لمخطوط **الوسايل إلى معرفة الأوايل** لدى وزارة الأوقاف الكويتية، تأليف الشيخ جلال الدين السيوطي[٩]. وقد سجل العلاّمة حسين العدساني نسبه على قيد التملك الأقدم لهذه المخطوطة (وهو مرفق) والمؤرخ في ١١١٩هـ، وجاء هذا القيد قطعة أدبية رائعة تدلّ على حِسّه الإيماني المرهف، وتبحره في فنون الأدب العربي، إذ قال:

"الحمد لله الذي شرّفنا بأعظم الوسايل، وهدانا بأوضح الدلايل، ورزقنا من فضله ما هو أهله، فهو المتفضل على الأواخر والأوايل، لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وجلالة قدسه، قد دخل هذا الكتاب الرشيد به (؟) هدى الله ملك الفقير إلى الله خادم الشرع المطهّر حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك العدساني، الشافعي بالشراء بمكة المشرفة زادها الله شرفا بتاريخ ١ ذي الحجة عام ١١١٩ من هجرته صلى الله عليه وسلم".

ويتضح من هذا القيد إثبات المذهب الشافعي للمترجم، كما يتّضح حرصه على الكتب النافعة لمؤلفين ثقاتٍ مثل السيوطي رحمه الله.

ويتضح أنّ والده وجدّه كانا عالِميْن؛ وهما الشيخ محمد والشيخ مبارك العدساني؛ وبذلك يكون والده وجدّه من رجال القرن الحادي عشر، كما أسلفنا أعلاه.

ويتّضح من هذه الوثيقة نسب العلاّمة الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن الشيخ مبارك العدساني، ولا يبدو أنه تولّى القضاء، ولكنّ ابنه الشيخ محمد تولى قضاء الأحساء في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. قال ذلك صاحب تحفة المستفيد المذكور أعلاه.

فائدة: انتقل مخطوط **الوسايل** من الشيخ حسين العدساني إلى الشيخ محمد بن عثمان سنة ١١٣٤هـ كما يدلّ قيده، والأخير يبدو أنه من سكان الأحساء، إذ ورد ذكر ابنه الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان من علماء الأحساء في كتاب **تحفة المستفيد**، وقد مدحه الشيخ الشاعر محمد العمري بقوله:

فخر المحافل أحمد بن محمد ... من جدّه عثمان ذو الآلاء

وكان الشيخ أحمد بن محمد بن عثمان أيضًا شافعيًّا ونسّاخًا للكتب النافعة.

ويبدو من القيود المذكورة على الوثيقة أيضا أنّ أصحابها من سكان الأحساء. وهم الشيخ حسين العدساني، ثم محمد بن عثمان، ثم الشيخ صالح بن سيف العتيقي الذي تملّك المخطوطة سنة ١١٩٩هـ، وهو في الأصل نجدي وسكن (الأحساء) عندما درس على الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز ثم سكن الزبارة في قطر، وأخيرًا انتقل إلى الزبير كما هو معروف[١٠]. أما القيد الأخير للوثيقة فهو للشيخ عبدالله بن صالح بن سيف العتيقي سنة ١٢٢٣هـ بعد وفاة والده وهو من سكان (الكويت).

٣ – الشيخ حسين بن محمد بن حسين العدساني:

كـــانت أســـرة العدساني تتولّى القضاء منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر. وأول من تولّى القضاء في هذا الوقت الشيخ محمد بن حسين العدساني، ثم ابـــنه الشيخ عبدالرحمن[11]. وبعد ذلك، تولّى القضاء المترجم الشيخ حسين بن محمد العدساني من ١١٨٠-١٢٠٠هـــ. وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظًا يـــا حســـين. وهو من الشخصيات التي التقى بها العلاّمة الشيخ محمد العمري الموصلي إبّان زيارته للأحساء، ومدحه بقوله:

جـــبت الفيـــافي والقفـــار جميعها	بـــرًا وبحـــرًا كـــي أنال منائي
وشـــرعت في السفر الحميد بيلدتي	دار الأفاضـــل موصـــل الحدباء
جـــئت إلى الأحساء أحسن كل ما	في الأرض مـــن بـــلد بغير مراء
فـــأقمت فيهـــا مـــدة أجني جني	ثمـــرات روضـــة لذتي وصفائي
ووجـــدت أهـــليها مشايخ سادة	صـــافين من حسد ومن بغضاء
ورأيـــتهم أهـــل اعـــتقاد صادق	وبهـــا اجتمعت بغالب العلماء
مـــنهم أنـــاس شـــافعية مذهـــب	وهـــم الكـــثير بهـــا بغير خفاء
فأجـــلهم بحـــر المعارف ذو التقى	قاضـــي القضاة وملجأ الفقراء
مـــن أحـــرز المجد المؤثل واغتدى	ســـباق غايـــات إلى العـــلياء
ومـــن ارتـــدى برداء فضل سابغ	وسمـــا مقامًـــا صين عن نظراء
كهـــف الأرامل مقصد العافين من	طـــلاب عـــلم مع جزيل حباء
هو سيدي الشيخ الأجل حسين من	هـــو في الزمان شبيه عين الرائي
نجـــل الأجـــل الـــلوذعي محمـــد	ابـــن النـــبيل حســـين المعطاءِ
لازال ملـــحوظًا بعـــين عنايـــة	مـــن ربّـــه ما انهـــلّ ماطر ماء

وتدلّ عبارته على المكانة الكبيرة التي كان يتمتّع بها الشيخ حسين بن محمد العدساني ذلك الوقت، حيث وصفه العمري بأنه أجل مشايخ الأحساء في وقته، وأســتاذ بتبحره في العلوم النافعة، وكثرة طلاب العلم عليه، بالإضافة إلى عطفه على الفقراء والمحتاجين. ويبدو أنّه بعد وفاة الشيخ حسين العدساني تولّى القضاء اثنان من شيوخ الأسرة هما مبارك العدساني ومحمد حسن العدساني، حيث ذكر العلاّمة ابن بشر [١٢] أنهما كانا قاضيين وقت دخول الإمام سعود بن عبدالعزيز إلى الإحساء في وقعة الرقيقة المشهورة سنة ١٢١٠هـــ.

ولا نعــلم على وجه التحديد والد مبارك ومحمد حسن العدساني. ولكن ورد في تحفــة المستفيد[١٣] أنه في سنة ١٢١٠ هـــ، كان القاضي بالأحساء هو محمـــد بـــن عبدالرحمن العدساني. وهذه الرواية مشكلة لأن الشيخ يوسف بن عيســى القناعي قد جزم بوفاة الأخير في سنة ١١٩٧ هـــ، بعد أنْ كان قاضيًا في الكويـــت[١٤]. فـــإذا أردنا أن نجمع بين القولين نقول إنّ المحتمل أنْ يكون المقصـــود في **تحفة المستفيد** هو محمد حسن العدساني، الذي أشار إليه ابن بشر، وربما حذف باقي الاسم (حسن) للاختصار، والله أعلم.

وبذلك يكون عام ١٢١٠هـــ هو نهاية فترة القضاء للعدساني في الأحساء. ومن المعروف أن الشيخ محمد بن عبدالرحمن العدساني انتقل إلى الكويت، وتولّى القضـــاء مـــن ١١٧٠هـــ حتى ١١٩٧هـــ، وخلفه بعده ابنه محمد، ثم استمرّ القضـــاء في الكويـــت في بيت العدساني حتى ١٣٤٨هـــ. وبالتالي هناك فترة أربعين سنة من ١١٧٠هـــ حتى ١٢١٠هـــ انحصر القضاء فيها في هذه الأسرة في كلٍّ من الأحساء والكويت.

(للبحث تكملة)

د. عماد بن محمد العتيقي

شكر وتقدير: يتقدم المؤلف بالشكر للسيد خالد المطوطح والأخ مساعد سيف العـــتيقي من إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بالكويت على المساعدة في هذا البحث.

الحواشي:

(١) الشيخ محمد بن مبارك العدساني "قيد مقابلة وتملك لمخطوط رقم ٢٩٧(١) لدى مكتبة المخطوطات بوزارة الأوقاف بالكويت.

(٢) عبدالرزاق محمد صالح العدساني "ديوان العدساني" ١٩٨٩ الكويت.

(٣) مي محمد الخليفة: من سواد الكوفة إلى البحرين، ص١٨٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٩، بيروت.

(٤) محمد بن عمر الفاخري: الأخبار النجدية، تحقيق د. عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٥) إدارة المخطوطـــات والمكتبات الإسلامية، فهرس المخطوطات الأصلية، الجزء الأول، ٢٠٠٠، الكويت.

(٦) مخطوط رقم ٢٩٧(٢) إدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية، الكويت.

(٧) محمـــد بـــن عبدالله آل عبدالقادر الأحسائي: تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الجزء الثاني، ١٩٨٢، مكتبة المعارف، الرياض.

(٨) المرجع السابق.

(٩) أثبتنا هذه الوثيقة في "شجرة العتيقي" للمؤلف ١٩٩٩.

(١٠) الشـــيخ عـــبدالله بـــن عبدالرحمن البسام: علماء نجد في ثمانية قرون، ١٩١٩، دار العاصمة.

(١١) محمد بن عبدالله آل عبدالقادر الأحسائي، المرجع السابق.

(١٢) الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، مكتبة الرياض الحديثة.
(١٣) محمد بن عبدالله عبدالقادر الأحسائي، المرجع السابق.
(١٤) الشيخ يوسف بن عيسى القناعي: صفحات من تاريخ الكويت، ١٩٨٧، ذات السلاسل، الكويت.

دارات العَرَب عند الصَّغانيِّ

(١)

تقديم: لقد اهتم الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغانيِ (ت٦٥٠هـ)[١] بجمع كتب ومصادر مهمّة لدى عمله معاجم لغويّة مثل "التكملة"، و"مجمع البحرين"، و"العباب الزّاخر واللّباب الفاخر"، ورسائل صغيرة في الميدان. وقد بسطنا القول بمكان آخر[٢] عن هذه المصادر وأهميتها وندرتها، التي استفاد منها صاحبنا، وأنه حشد لديه معظم مصادره من الأدب العربي، ودواوينه، كما يظهر من أعماله. وكان من عاداته الحسنة أنه يحاول أن يرجع إلى مصادر أصلية، لتتأكّد صحّة اللغة، وصحّة الرّواية من الأبيات، ومن دأبه كان الرجوع مرّة بعد أخرى إلى دواوين الشعراء التي كانت عنده، أو بمتناوله، بمدينة يقيم بها، أو يرتحل إليها.

من هذه المصادر أنه جمع لديه الكتب المؤلّفة في أسامي الجبال والمواضع والأصقاع ودارات العرب[٣]. وقد ذكر منها كثيرًا في مقدمة "العباب الزّاخر"، وبآخر "مجمع البحرين" و"التكملة" له، ولم يحتج إلى ذكر الباقي، أو أعرض عنه. وقد وجدنا عنده ذكر الكتب التالية التي تتناول معلومات عن دارات العرب:

- كتاب "الجبال" لابن شميل نضر بن شميل بن خرشة المازني (ت ٢٠٣هـ)
- كتاب "الآبار"، لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ)[٥].
- كتاب "في دارات العرب"، لمحمد بن حبيب (ت٢٤٥هـ)[٦].
- كتاب في الأماكن (؟)، لمحمد بن الحسن بن دينار الأحول (كان حيًّا سنة ٢٥٩هـ)[٧]

- كتاب "دارات العرب وبُرقها"، لابن فارس (ت٣٩٥هـ)[٨].

- كتاب "الدارات في جزيرة العرب"، لأبي عبدالله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع (ت٤٢٢هـ)، وقد أبقى لنا الصّغانيّ اسمه، وتفرّد به، حيث إنّ المصادر جميعها ساكتة عن ذكر هذا الكتاب[٩].

وأما المصادر التالية من الأدب العربي التي أورد ذكرها الصّغانيّ، في هذه الرسالة ضمن الدارات، فإنها:

- كتاب "النوادر"، لأبي زياد يزيد بن عبدالله بن الحرّ الكلابي (ت٢٠٠ هـ)[١٠].
- "جمهرة النّسب"، لابن الكلبي هشام بن محمد (ت٢٠٤هـ)[١١].
- "النوادر"، لابن الأعرابي محمد بن زياد (ت٢٣١هـ)[١٢].
- كتاب (لعلّه في المواضع)، لعمارة بن عقيل (ت٢٣٩هـ)[١٣].
- كتاب لعلّه "إصلاح المنطق"، لابن السكيت (ت٢٤٤هـ)[١٤].
- "شرح شعر جرير"، لعلّه لأبي سعيد السكري (٢٧٥هـ)[١٥].
- كتاب (لعله "الكامل")، للمبرّد محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)[١٦].
- كتاب "البنين"، لابن دريد محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)[١٧].
- كتاب "الأمالي"، لابن دريد محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ)[١٨].
- كتاب، للزمخشري، جار الله محمد بن عمر (ت٥٣٨هـ)[١٩].
- كتاب (لعله من كتاب "الأسماء والأمكنة") للحازمي محمد بن موسى (ت ٥٨٤هـ)[٢٠].

وعلاوة على ذلك، وجدنا في الأدب العربي ذكر الكتب التالية التي أُلّفت في مجال الدارات بالخصوص، ولو أنها لم تذكر عند الصغاني، لكنها

كانت موجودة حتى عصره. فمن المحتمل أنه قد استمدّ منها معلومات، أو لم يقدر له الاستفادة منها، فلم يذكرها في مؤلفاته، وهي:

- كتاب "الدارات" منسوب إلى عبدالملك بن قريب الأصمعي (ت٢١٦هـ)
- كتاب "الدارات"، لعلي بن حمزة البصري (ت٣٧٥هـ)[٢١]
- كتاب "دارات العرب"، لمحمد بن جعفر؟ (ت؟)[٢٢]

(٢)

إنّ ميدان دارات العرب ميدان واسع، مارس فيه التأليف أكثر من واحد، ممّن ألّفوا عن جزيرة العرب، وحاؤوا بمعلومات عامّة ودقيقة. ونستطيع أن نقسّمهم إلى ثلاث زُمر: أوّلهم من ألّفوا في الدارات بالخصوص، ولم يتطرّقوا إلى شيء آخر، ووصلنا منهم حتى اليوم كتاب واحد، وهو منسوب إلى الأصمعي. والكتاب مختصر، وردت فيه أسماء لـ(١٧) دارة، مع شواهدها من ديوان العرب.

والزمرة الثانية هم الذين كتبوا في الأمكنة والمواضع، وأوردوا ضمنها معلومات الدارات. وصلتنا معلومات من هذه الزمرة لعالمين، أحدهما أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري (ت ٤٨٧هـ) الذي جاء بمعلومات عن (١٩) دارة في كتابه "معجم ما استعجم"، ضمن دارة، ووشحها بشواهد من ديوان العرب[٢٣]، وثانيهما ياقوت الحموي (ت٦١٨هـ)، وهو صاحب "معجم البلدان" في المواضع والأمكنة، وهو الذي جاء بذكر (٦٢) دارة، راعيًا ذكر أسامي دارات العرب، موردًا شواهد لأكثرها، كما أنه حاول تحديد الأمكنة لشيء منها[٢٤].

وأما الزمرة الثالثة، فهي مشتملة على أصحاب المعاجم في اللغة خاصة. أوّلهم علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي (ت٦٤٣هـ)، فإنه

ألّف كتاب "سفر السعادة وسفير الإفادة" وأورد فيه ذكر (٤١) دارة، مختصرًا جدًّا[٢٥]

وعاصره صاحبنا الحسن بن محمد بن الحسن الصّغاني (ت٦٥٠هـ) وهو مؤلّف المعاجم الشهيرة المذكورة آنفا، الذي جاء بذكر (٧١) دارة أولاً في "التكلمة" له، ثم استزاد فيها فأوردها في "العباب الزّاخر"، معجمه الذي ألّفه في آخر عمره، فذكر (١٠٨) دارات[٢٦]، و لم يجمع أسماء الدارات فقط، بل حشاها بشواهد كثيرة من ديوان العرب؛ وحيث إنه جاب جزيرة العرب، وكان يدقّق معلوماته ضمن اللغة، ويرجع إلى مصادره مرة بعد أخرى، فإننا نتوقّع أنّ معلوماته لها قيمة علمية بهذا الصّدد.

وهناك بقي عالمان كبيران استمدّا معلومات ضمن موضوعنا - بلا شك- عن كُتُب الصّغانيّ. أوّلهما مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٦هـ) الذي جمع بين "المحكم" و"العباب" في قاموسه[٢٧]، فإنه أورد جميع أسماء الدارات من "العباب"، إلا أنه لم يذكر أربعة منها هي: دارة برحرح، ودارة غَول، ودارة المرذّ، ودارة النشناش. لا نعرف وجهًا لإهماله ذكرها. ومِن المحتمل أنه وجد نسخة من "العباب" غير كاملة، أو أنها باعتباره ليست بدارات. وبدوره أضاف إلى معلومات الصّغانيّ أسماء لـ(١١) دارة، مستفيدًا من السّابقين من العلماء، بهذا الصدد.

والأخير من هذه السلسلة محمد مرتضى الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ) صاحب "تاج العروس" الذي شرح "القاموس" واستدركه عليه من معاجم أخرى، وهو يدّعي أنه استفاد من "العباب الزّاخر"، لكن يبدو أنه لم يقدّر له الاستفادة من "العباب"، بل أنه رأى "التكملة" للصّغاني فقط، حيث يقول ضمن الدارات: وأورد الصّغاني في تكملته إحدى وسبعين دارة[٢٨].

بآخر هذا الحديث، أرى من المناسب أن أذكر أنّ الدعاوي التي جاء بها الفيروزآبـــادي في قاموسه ضمن الدارات كقوله (لم تجتمع لغيري من بحثهم وتـــنقيرهم عـــنها، ولله الحمد)، لا تليق بالعلماء، لأنه استفاد من "العباب الزّاخر" للصّغانيّ، كما اعترف في مقدمة قاموسه، فكيف يقول هذه الكلمة؟ وكان عليه أن يعترف ويذكر ما استفاده من معاجم الصّغانيّ، ليرجع الشّرف إلى من يستحقّه.

إنّ رســـالة الصّـــغانيّ كانت حلقة منسيّة من سلسلة معلومات لدارات العــــرب، فحـــاولت أن أخـــرجها من الخمول، وأضعها أمام علماء جزيرة العرب.

وأخيرًا، أودّ أن أشيد بما كتبه أستاذان كبيران عن دارات العرب في مجلة "العـــرب"، وهمـــا الأســـتاذ حمد الجاسر، والدكتور عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، وأزجي إليهما شكرًا لما استفدت من عملهما في هذه الرسالة، كما كان لهما فضل إلقاء الضّوء على دارات العرب.

(٣)

هذه الرسالة التي أقدمها إليكم ليست بمنفصلة، وعلى حدة مستقلّة، مثل رســـائل أخـــرى، بـــل أوردها المؤلف في معجمه "العباب الزّاخر واللباب الفاخر" ضمن مادة (دارة)، كما جاء بها على حدة تحت مادتها. ولم يتوافر عندي إلاّ نسخة واحدة، وهي بآياصوفيا بإستانبول. وهذه النسخة الكاملة مـــن "العباب" (حتى مادة بكم)، علقت بقلم واحد دقيق، وفي الصفحة ٤١ سطرًا، ولم أعرف قطعها، ولا اسم ناسخها.

وحاولت أن أقدّمها قريبًا بما ألّفها المؤلف. والله من وراء القصد.

د. أحمد خان

مركز حماية المخطوطات العربية – إسلام آباد

الحواشي

(١) انظر لترجمته مقدمة كتاب "الانفعال" للصغاني الذي نشره بتحقيقي مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد، ١٩٧٧م. وكذلك كتب أخرى للصغاني، ومنها خاصة آتية الذكر:

- "العباب الزاخر واللباب الفاخر"، تحقيق الدكتور منير محمد حسن الباكستاني.
- كتاب "ما بنته العرب على فعال"، للصغاني، تحقيق الدكتور عزة حسن.
- "الشوارد من اللغات" تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي وآخر، تحقيق عدنان عبدالرحمن الدوري.
- كتاب "يفعول"، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرّائي.

(٢) في مجلة "المورد" البغدادية: "مصادر الصغاني وموارده لمؤلفاته اللغوية"، المجلد ١٩، والعدد الأول (١٩٩٠م)، ص٢٢٧-٢٤٣.

(٣) "العباب الزاخر واللباب الفاخر": مقدمة.

(٤) المصدر نفسه: مقدمة.

(٥) المصدر نفسه: مادة (بدر).

(٦) عن هذه الرسالة: انظر الدارة ١٥ن ٢٤ و ٧٢، و"معجم ما استعجم": ص٥٣٣.

(٧) عن هذه الرسالة: انظر الدارة ٧٢ و ٨١ و١٠٥.

(٨) انظر الدارة ٢٩ و ١٠٥، والعباب: مادة (برق).

(٩) الدارة ٤٥.

(١٠) الدارة ٥٥.

(١١) الدارة ١٠٥.

(١٢) الدارة ٥٢.

(١٣) انظر الدارة ٤٥.

(١٤) انظر الدارة ٦٨.

(١٥) انظر الدارة ٤٠ و ٤٥. (١٦) انظر الدارة ٧٨.

(١٧) انظر الدارة ٢٠. (١٨) انظر الدارة ٨٣.

(١٩) انظر الدارة ٤٠. (٢٠) انظر الدارة ٦٩.

(٢١) ذكره أستاذي عبدالعزيز الميمني الراجكوتي ضمن تأليفات البصري، في مقدمة كتاب "التنبيهات على أغاليط الرواة" له، وقال: ذكر أن له كتاب الدارات، ص ٦٥

(٢٢) لعله سالف الذكر، لكن اسمه الحسين بن محمد بن جعفر. ويبدو أن هذا عالم آخر. وقد ذكره البغدادي في "خزانة الأدب" له: ٢/١٧٠.

(٢٣) ١/٥٣٣-٥٣٨. (٢٤) ٢/٥٣٧.

(٢٥) ص ٢٥٨-٢٦٧.

(٢٦) إنه جاء بذكر ١٠٥ دارة في الرسالة. وفي الحقيقة أنه أورد ذكر دارة محصن ضمن دارة المشامن رقمها ٨١، ودارة الحلال ضمن دارة كامس رقمها ٧٥، ودارة مكمن ضمن دارة المكامن، رقمها ٨٩.

(٢٧) مقدمة "القاموس". (٢٨) "تاج العروس": (دار).

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الملتجئ إلى حَرَم الله تعالى الحَسَنُ بن محمد بن الحَسَن الصَّغانيّ العُمريّ:... الدارة عند العرب كلُّ جَوْبة بين جبالٍ في حزْنٍ كان أو سَهْلٍ؛ يقال: دَارَةٌ ودُور كساحة وسُوح. وهذه دارات العرب أذكرها سردًا على حروف المعجم على لفْظٍ.

[١] دارة أبرَق[١]: لبني عمر بن ربيعة. قال بعضُ اللُّصُوص:

بدَارَةِ أبرق الرِّمْثِ انبرتْ لي ... عُقَـــابٌ قـــد زَجَرَناها عقَابَا
ولَسْتُ بمُخطئٍ في الزَّجْر يومًا ... وَقدْ أُعطيتُ في الزَّجْر الصَّحابَا

[٢] ودَارَةُ أُجُد[١]

[٣] ودَارَةُ الأخْمَادِ(١): وهي دَارَةُ الجُمْدِ. قال عُمَارَة:

يا صَاحِبَيَّ بـــدَارَةِ الأخْمـــــادِ ... عُوجَا نُحَيِّ دِيَارَ أمِّ سُعَادِ

[٤] ودارة الأرْآم: ويُقَالُ دارةُ الآرام. قال بُرج بن خنزير المازنيّ مازِنُ تميم[١]
وكان الحجّاج ألزمه الخُروج إلى المُهلّب لِقِتَالِ الخوارج:

فأبْرِقْ وأرْعِدْ لي إذَا العِيسُ خَلّفَتْ ... بِنَا دَارَةَ الآرَامِ ذَات الشّقائِق

[٥] ودارة الأرْحَام[١]. قال شَبِيبُ بن البَرْصَاء:

لِمنِ الدِّيارُ غَشيتُهَا بِسَـــــــلاَمِ ... فالأبْرَقَيْن بِدَارةِ الأرْحَـــــامِ

[٦] ودَارَةُ الأسْوَاطِ[١]: بظهر الأبرق بالمضجح، تُناوِحُها بُرْقَةٌ لِبني قَيْس ابن
حَزء بن كعْب بن أبي بكر. والأسْوَاطُ مَنَاقِعُ المِيَاه. قال الكلابي:

وفي دارة الأسواط قلتُ لصاحبِـــيْ ... أنارُ سُلَيْمَى تلك أم ضَوْءُ كَوْكَب

وقال آخر:

رَعَـــتْ دارةَ الأسْواطِ لا يستفِزُّها ... مَع الصُّبْح غَارات العدُوّ إذا يَسْرِي

[٧] ودَارَةُ الإكْلِيل[١]: بالدّهناء. قال بعضُ بَني سعد:

أمِنْ دَارَةِ الإكليل يعتادُك الهـــوى ... وأنت غريبُ الدّار بالشّام نـــازِحُ

[٨] ودارة الأكـــوار: في ملــتقى دار [بني] [١] ربيعة بن عُقَيل ودار نَهيك.
والأكوار جبالٌ.

[٩] ودَارَةُ أهْوى: من أرض هجر، قال النّابغةُ الجَعْدي رضي الله عنه:

تَدارَكَ عِمْرَانُ بن مُرَّة رَكْضَهُم [١] بِدَارَةِ أهْوَى والخَوالِجُ تَخْلِج

ويُروى: بَقارَةِ أهوَى.

وقال بلعاء بن قيس:

أصَبْنَ كِلابًا بالرَّداع، وغَادَرَتْ بِدَارَةِ أهوَى يوْمَ نَحْسٍ على كَعْبِ

وقال الحكَمُ بنُ عَرْعَرة النُّمَيري:

فَهلْ دَارَستْ أطْلالَ بيْنَ سَوِيقَةٍ ودَارَةِ أهْـــوَى شمْـــالٌ وجَنُوبُ

وأنْشَدَ ثَعْلَبٌ:

بـــدارة أهْوى عاود القلبَ دَاؤُه فباتَ له ضَيْفٌ منَ الشَّوْق نازِلُ

وقال دَهْقان بن سَبَل النميريّ:

بـــدارة أهوى، والرِّماحُ نواهلٌ إذا وردَتْ مجّـــتْ أســـنّتُها دَمَا

النّاهلُ: العطشان والرّيان [٢].

[١٠] دَارَةُ بَاسِلٍ: عن ابن السّكّيت، وقيل باسل تصحيف ماسل.

[١١] ودارة بُحْتُر [١]: وسط جبل أجأ، أحد جبلَيْ طيّءٍ، قرب جَوّ.
وبُحْـــتُرُ: هو ابنُ عَتُودِ بن عُنَيْن [٢] بن سَلامان بن ثُعَل بن عمْرو بن الغَوث بن جُلْهُمَة، وهي طيّءٌ.

[١٢] ودارة بَدْوتَيْن[١]: لربيعة بن عُقَيل، وبدوتان هضبتان بينهما ماءٌ.

[١٣] ودارة بَرَخْرَح[١]: لدَوْسٍ: قال ريّان[٢] بن سعد الدوسي:

وَنحنُ حلَلْنا من بَرَخْرَحَ دارةً بها النَّجمُ والقُرَّاصُ ميلاً ضَوَاجِعُه

[١٤] ودارة البيضاء: لبني الأضبط بن كلاب[١].

[١٥] دارة الثُّلَيِّ. ويقال الثُّلَيين[٢]. والثُّلَيَّان: ماءان لبني الأضبط جروران.

[قال]:

تروَّحَتْ مِـــنْ دارة الثُّلَيِّ
كُومُ الذُّرَى مَقْذُوفةً بالنَّيِّ

وأنشد ابن حبيب:

شيْخٍ تَحَنَّى ظَهْرُهُ حفـــيِّ
لا يُخرجُ الدَّلْوَ منْ الثُّلَيِّ

[١٦] دارة تِيلٍ، ويقال: تُبَلٌ[١]، وهو الذي ذكره لبيد، قال رضي الله عنه:

كـــلَّ يــومٍ مــنَعُوا حامِلَهم ومُـــــرِنَّاتٍ كـــآرام تُـــبَلْ

المُــرِنَّاتُ: النِّساء يصحن. وتِيَل[٢]: جبل أحمر شاهق من وراء تُرَبة في بلاد عامر بن صعصعة[٣].

[١٧] دارة الْجَأْب: قال جرير[١]:

أصَاحِ، أَلَيْسَ اليومَ منتظري صَحْبي نحيِّي ديار الحيِّ مِن دارةِ الجأبِ

وقال أيضاً[٢]:

إنَّ الخـــليطَ أجدُّوا البين يومَ غَدَوْا منْ دارة الجأب إذ أحداجهم زُمَرُ

وقال أيضًا:

ما حاجةٌ لك في الظُّعْنِ التي بَكَرَتْ ... من دارَةِ الجأْبِ كالنَّخْلِ المَوَاقِرِ

[١٨] ودارةُ الجُثُومِ[١]: لبني الأضبط بن كِلاب، والجُثُوم: ماءٌ لهم يصدر في دارة البيضاء.

[١٩] ودارةُ جُدَّى[١].

قال الأفوَهُ الأوديُّ[٢]:

بدَارَات جُدَّى أو بِصَارات حُنْبُل ... إلى حيْثُ حَلّتْ مِن كَثِيبٍ وعَزْهَل

ويُرْوى: (مِن كَيْشب): ويُروَى: (بِدَرَاتِ جَمْدٍ)[٣]

[٢٠] ودارة جُلْجُل: بالحِمى، ويُقال بغَمْر ذي كِندَة.

وقال ابنُ دُرَيْد في كتاب "البَنِين": دَارَةُ جُلْجُل بيْن شُعَبَى وبَيْن حَسَلات، وبَيْن وادي المِياه، وبَيْن البَرَدان. وهي [في] دار الضِّبَاب مما يُواجه نخيل بني فَزارة[١].

قال سُراقةُ البارقيُّ:

ما زاد مِن وَجْدٍ على وَجْدي بِها ... إلاّ ابنُ عَمِّي يوم دارةِ جُلْجُل

وقال امرُؤُ القَيْس[٢]:

ألا رُبَّ يومٍ لك مِنْهُنَّ صالِح ... ولا سِيما يومٍ بدارةِ جُلْجُلِ

[٢١] ودارةُ الجَمْدِ[١].

قال عُمارة:

ألا يا دِيار الحيِّ مِن دَارةِ الجَمْدِ ... سَلِمْتِ على ما كان مِن قِدَمِ العهدِ[٣]

وقال الأفْوَه الأوديُّ:

بِدَاراتِ جَمْدٍ أوْ بصارات خُنْبُلٍ ... إلى حيْثُ حلّتْ مِن كَثِيبٍ وعزْهلِ

ويُروى: بِدارات جُدًّى[٣].

[٢٢] ودَارةُ جَوْدات: قال الجُمَيْح[١]:

إذا حلَــلْتُ بِجَــوْداتٍ ودَارَتِها ... وحــالَ دُونِــي مِــن حوّاءَ عِرْنينُ

عَرَفْــتُم أنّ حقِّــي غيرُ مُنتزَعٍ، ... وأنّ سِــلْمَكم سِــلْمٌ لهــا حِــينُ

[٢٣] ودارة الجَوْلاء: في أرْض بني فِراس الكِنانيِّين، قال:

وبِــدارة الجَــولاءِ قُلْتُ لِعاصِمٍ ... يابــا نُضَــيْرٍ أيُّ ســاعَة مُــتَّعَد

[٢٤] ودارةُ جَولَة[١]. قال ذلك ابن حَبيب، وقال غيرُه: بالخاء المعجمة لِبني جعفر[٢].

ح[٢٥] ودارةُ حَوْق[١]: ببلاد طيِّءٍ

خ[٢٦] وَدارةُ الخَرْج[١]. قال[٢]:

مُخَيَّســةً في دارة الخرْجِ لم تَذُقْ ... بــلالاً، ولَــمْ يُســمَحْ لها بِنَحيلِ

[٢٧] ودارةُ الخَلاءَة.

[٢٨] ودارةُ الخَنازير[١]. قال العُجيْرُ السَّلُوليّ[٢]:

ويَوْمًــا بدارات الخنازير لَمْ يَنِلْ ... مِــن الغَطْفــانيِّين إلا المُشــرَّدُ

(للبحث صلة)

الحواشي والتعليقات

[١] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

٢. وفي الأصل و"العباب" (برق): العجاجا.

[٢] ١. لم يأت الصّغاني بإيراد أيّ تفصيل عن هذه الدارة، حيث أنّ ياقوت قد ذكره، نقلاً عن ابن السكيت. وعن هذه الدارة كلمة للأستاذ حمد الجاسر في مجلة "العرب" ٢/١/٤.

[٣] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني، وجاء بشاهدها.

[٤] ١. كذا بالأصل، وفي "معجم البلدان" (٥٢٧/٢): مازن بني تميم. وفيه البيت مع بيتين آخرين.

[٥] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

[٦] ١. حدّد مكانها الأستاذ حمد الجاسر، راجع مجلة "العرب" ٣٠٢/١/٤.

[٧] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

[٨] ١. إضافة من "العباب" (كور). وإيضاح مفيد من الأستاذ حمد الجاسر عن كلمة (لهيك) في مجلة "العرب" ٣/١/٤.

[٩] ١. وفي "معجم البلدان" (٥٢٧/٢): سعيهم مكان ركضهم.

٢. يعني أنها من الأضداد.

[١١] ١. حدّد مكانها الأستاذ حمد الجاسر، راجع مجلة "العرب" ٥/١/٤.

٢. في الأصل عندنا: عنيز بن عنيز، والصواب في "معجم البلدان" ٥٢٧/٢، و"جمهرة أنساب العرب" ٤٧٦.

[١٢] ١. وهي ببلاد ربيعة بن عقيل، التي كانت منازلهم في الجنوب الشرقي من أطراف الحجاز المتصلة بنجد. انظر مجلة "العرب" ٣/١/٤.

[١٣] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

٢. كذا بهذا المكان. وبموضع آخر في "العباب" (برح): زبان، بالزاي.

[١٤] ١. حدّد مكانها الأستاذ حمد الجاسر، راجع مجلة "العرب" ٥/١/٤.

[١٥] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

٢. وفي "معجم البلدان" (٨٠٣/١): التُّليُّ، بالضم، ثم الفتح وتشديد الياء، كأنه تصغير تلو الشيء، وهو الصواب كما يدلّ عليه البيت المحتجّ به. وفي ضبط هذه الكلمة اختلاف، انظر "تاج العروس" (دور)، و"معجم ما استعجم": ٣١٩.

[١٦] ١. في "معجم ما استعجم" (ص ٣٠٢) بضمّ أوّله وفتح ثانيه، ومثله في "معجم البلدان" ٨٣٤/١، وفيه بيت لبيد رضي الله عنه.

٢. وفي "معجم البلدان" (٩٠٧/١): تيل، بكسر أوّله وسكون ثانيه، وبفتح أوّله وسكون ثانيه، وفيه شاهد بيت ابن مقبل:

لمَـن الدِّيـارُ بجانب الأحفار فبـتيل دمـخ أو بسفح جُرار

ومـا ورد ضمن كلمة (بتيل) في مجلة "العرب" (٦/١/٤)، يحتاج إعادة النظر في ضوء ما قاله الصّغانيّ عن هذا، قيل بأنه في بلاد عامر بن صعصعة.

"**العرب**": حق التفسير أن يكون "لتبل" الوارد في شعر لبيد.

[١٧] ١. ديوانه: ٥٧.

٢. المصدر نفسه: ٢٥٧. وقد جاء في الأصل شطر ثانٍ لهذا البيت:

من دارة الجأب كالنخل المواقير

وهـو عجز البيت الآخر لجرير الذي ورد في ديوانه على ص٢٥٣، والذي يلي البيت هنا. والبيت الأول ورد في "معجم البلدان" (٥٢٨/٢) كذلك.

[١٨] ١. كذا بالأصل، وفي "تاج العروس": كفُبُور.

[١٩] ١. وفي "تـاج العـروس" (دور): هو مصغّر، أي جُدَيّ، وتبعه محقق "التكملة" للصّغاني.

٢. "معجم البلدان" ٥٢٨/٢، وكانت النسبة بالأصل الأسَيدي.

٣. ومـا جاء الصّغاني برواية أخرى لبيت الأفوَه الأودي هي: دارة جَمْد، ولا دارة جُهْد، التي وردت عند ياقوت ("معجم البلدان"٥٢٨/٢)، وهي تحريف من الناسخ، فإنها دارة الجَمْد، بالميم لا بالهاء، لأن الصّغاني له مكانة خاصّة في إيراد الأبيات بصحّتها وبرواياتها الموثوقة. راجع كذلك دارة الجمْد، الآتية.

[٢٠] ١. حدّد أبو علي الهجري مكان هذه الدارة، انظر مجلة "العرب" ٧/١/٤.

٢. ديوانه: ٢٠.

[٢١] ١. ضبطت كلمة "الجمد" بفتح الجيم وسكون الميم شكلاً، لكن ضبطها في دارة الأجماد الضمّ، وهكذا عند البكري وياقوت.

٢. "معجم البلدان" ٥٢٩/٢، وفيه سَلِمْتُ.

٣. وبالرواية الثالثة: (بدارات جُهد)، وجعل ياقوت دارة أخرى بهذا الاسم.

[٢٢] ١. "معجم البلدان" ٥٢٩/٢

[٢٣] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

[٢٤] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

٢. وقد ذكر الصّغاني دارة جُهد، وتبعه صاحب "تاج العروس"، ولم يذكرها الصّغانيّ في "العباب".

[٢٥] ١. تفرّد بذكرها الصّغاني.

[٢٦] ١. ضبطها الصّغاني بفتح الخاء، شكلاً، والبكري بضمّها، انظر "معجم ما استعجم": ٤٩١.

٢. والبيت في "معجم البلدان" ٥٢٩/٢، وقاله المخبّل السّعدي.

[٢٨] ١. انظر كذلك "العباب": (خزز)

٢. "معجم البلدان" ٥٢٩/٢

أوهام البكريّ في "فصل المقال"*

أبو عبيد البكري (عبدالله بن أبي مصعب ت ٤٨٧هـ)، من علماء الأندلس المشهورين، كان واسع المعرفة بمعاني الأشعار، والغريب والأنساب والأخبار (بلغ من الشهرة حدًّا أن كان ملوك الأندلس يتهادون مصنفاته)(١) قال فيه الفتح بن خاقان: (عالم الأوان ومصنفه، ومقرظ البيان ومشنفه، بتواليف كأنها الخرائد، وتصانيف أجمل من القلائد، حلّى بها من الزمان عاطلاً، وأرسل بها غمام الإحسان هاطلاً، ووضعها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من إتقان وإبداع)(٢). وقال فيه ابن بسّام: (وكان بأُفْقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان، وأوّلهم بالبراعة والإحسان، وأبرعهم في العلوم طَلَقًا، وأنصعهم في المنثور والمنظوم أنقا، كأن العرب استخلفته على لسانها، والأيّام ولّته زمام حدثانها، ولولا تأخر ولادته لأنسى ذكر كنيته المتقدم الأوان –أبي عبيد القاسم بن سلاّم–، ذَرَب لسانٍ، وبراعة وإتقان...)(٣).

كان البكري مولعًا بشرح كتب من سبقه من العلماء، والتعليق عليها، وبيان مواضع أوهام واضعيها. فقد وضع كتاب "التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه" –ولنا وقفة معه في بحث قادم إن شاء الله–، وكتاب "شرح أبيات الغريب المصنّف"، وكتاب "سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي"، وكتاب "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال"، الذي شرح فيه "كتاب الأمثال" لأبي عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت٢٢٤هـ).

ولكتاب "فصل المقال" منزلة رفيعة، أتت من عاملين: أولهما: شخصية البكريّ، وما عُرِف عنه من سعة الاطلاع، وغزارة العلم؛ فقد (كان إمامًا لغويًا إخباريًا متفننًا)(٤)، لذا جاء كتابه زاخرًا بالاستشهادات القرآنية، والأحاديث

النـــبويّة، والشّـــعر والرّجـــز، كما أغنى مادة الكتاب بمسائل اللغة والأنساب والحـــوادث التاريخية؛ وثانيهما: تأخّر زمن البكريّ، ممّا مكّنه من الاطلاع على كـــثير من كتب اللغة والأمثال، وعلى كثير من الروايات، التي جعلته قادرًا على الاختيار والتّمحيص والموازنة.

وقد رسم البكريّ لكتابه منهجًا، جعله أكثر غناءً، وأعمّ فائدة؛ فقد حرص على ذكر المثل الذي دوّنه أبو عبيد، وعلّق عليه، دون قطع أو ابتسار، ثم أردفه بمـــا لديه من شروح وتعليقات، ولا يعني هذا أنه شرح جميع أمثال أبي عبيد، أو أنه نقل الكتاب كله، وإنما عالج تلك الأمثال التي يمكنه التعليق عليها.

وأرى أن (زلهايم) كان واهمًا حين عدّ عمل البكريّ (عبارة عن جمع بارع للتعـــليقات الموجـــودة من قبل، أكثر منه جهدًا مستقلاً)[٥]. فالجهد الذي بذله الـــبكريّ واضح وجليّ؛ إذ عالج مسائل لغوية، وبيّن دلالات المفردات، وعزّز شروحه بشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، والشّعر. ولنا أن نســـأل مـــاذا يعني (زلهايم)، بالجهد المستقلّ؟ وهل عملية انتقاء الآراء وجمعها، وبيـــان معانيهـــا لا تعدّ جهدًا مستقلاً؟ فإذا سلّمنا بهذا الرأي، نكون قد نفينا جهـــود المفضـــل الضّبّي، ومؤرج السدوسي، وحمزة الأصبهاني، وغيرهم من العـــلماء، الذين جمعوا الأمثال السائرة مِنْ أفواه الناس، ودوّنوا قصصها، وبيّنوا مضربها، وشرحوا غريب ألفاظها؛ والبكريّ لم يفعل غير ذلك.

ثم إن (زلهـــايم) يعود فيناقض نفسه، حين يقول: (ويظهر فضله في أنه جمع تـــلك التعليقات القديمة المهمة، والتي كتبها علماء مرموقون، والتي تحتوي على شروح نحوية ولغوية وتاريخية في كل متكامل، سهل القراءة)[٦]. فجهد البكريّ هو ذلك الفضل الذي أشار إليه (زلهايم)، وعمله المستقلّ المبدع هو ذلك الكل المتكامل، السهل القراءة.

وفي موازنة أجريناها بين كتاب "الأمثال" و "فصل المقال"، ظهرت لنا الحقائق الآتية:

١ – ضمّ كتاب "الأمثال" تسعة عشر قسمًا كبيرًا، تفرّع إلى مئتين وتسعةٍ وخمسين بابًا فرعيًّا، يضاف لها أحد عشر قسمًا قصيرًا؛ وبذلك يصبح عدد أبواب الكتاب مئتين وسبعين كتابًا، بينما ضمّ "فصل المقال" عشرين بابًا رئيسًا، تفرّعت إلى مئتين وثمانيةٍ وثلاثين بابًا فرعيًّا.

٢ – استشهد أبو عبيد بثلاث مئة وأربعة وثلاثين شاهدًا، مقسّمة إلى تسعة شواهد قرآنية، وخمسة وتسعين شاهدًا من الأحاديث الشريفة، ومئتين وثلاثين شاهدًا شعريًّا، في حين استشهد البكريّ بسبع مئة وثمانية وتسعين شاهدًا، مقسّمة إلى ثمانية وأربعين شاهدًا قرآنيًّا، وثلاثين شاهدًا من الأحاديث الشريفة، وست مئة وثمانين شاهدًا شعريًّا.

٣ – ضمّ كتاب "الأمثال" ألفًا وثلاث مئة وتسعة وثمانين مَثَلاً، شرح البكريّ ست مئة وواحدًا وستين مَثَلاً، وأضاف لها مئتين وثمانية وأربعين مثلاً.

• تبدو شخصية البكريّ في "فصل المقال" واضحة المعالم، من ناحية علمه وأدبه وسلوكه، فهو لم يقف عند شرح المثل، أو بيان غريب مفرداته، بل كان يناقش الآراء التي يذكرها أبو عبيد، ويسجّل معلومات وتفاصيل لم أجدها في كتب الأمثال الأخرى. وتظهر شخصية البكريّ أكثر وضوحًا في تلك الاعتراضات التي لاحق بها أبا عبيد، وهو في تلك الملاحقة –رغم إعجابه الشديد بما كتبه سلَفُه– لم يكن راضيًا عنه، فإن أوجز أبو عبيد لامه، وإن استطرد لامه أيضًا، وإنْ وهم في موضع عنّفه بكلمات نشمّ منها رائحة الغضب، والشواهد على ذلك كثيرة؛ نذكر منها على سبيل الاستشهاد: ذكر أبو عبيد البيت الآتي:

فَـتًى كَانَ يُدْنيه الغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إذَا مَا هُو اسْتَغْنَى، ويُبعِدُه الفَقْرُ(٧)

قـال أبـو عبيد: (وهذا البيت يقول بعضهم: إنه لعثمان بن عفان. وقال بعضهم: لغيره)(٨).

قـال الـبكريّ: (كيـف جهـل أبو عبيد أن هذا البيت من شعر الأبيرد اليربوعـي، وهو أشهر في الناس من أن يجهله أحد، فكيف يجهله أحد الجلّة من العلماء بفنون العلم؟)(٩).

أما اعتراضات البكريّ على أبي عبيد، فهي كثيرة؛ إذ لاحقه بكل ما كتب، لم يترك شاردة ولا واردة يمكنه التعليق عليها، أو الكلام فيها، إلاّ سجّل آراءه، ودوّن ملاحظاته.

وأرى أنّ البكريّ لم يكن مُحِقًّا في أكثر تلك الاعتراضات، وكأني به (أراد أن يفرض نفسه على أبي عبيد، وأن يسير على رأيه، وهذا محالٌ)(١٠).

أولا – أوهام في رواية المثل:

١ – ذكـر أبـو عبيد المثل: (إيّاك أنْ يضربَ لسانُك عنقَك)، قال البكريّ: (وإنّما هو إيّاك وأن يضرب بالواو)(١١).

أقـول: ورد المـثل بروايتين. فقد ذكره الميداني(١٢) وتلميذه أبو يعقوب يوسف بن طاهر(١٣) برواية البكريّ، في حين ذكره الزّمخشري(١٤) برواية أبي عبيد. وهذا يعني جواز الوجهين.

٢ – ذكـر أبو عبيد المثل: (ما تُقرن بفلان الصعبةُ)، قال البكريّ: (الذي قاله الأصـمعـي وغيره في هذا المثل بفلان تقـرن الصعبة، وهو الصّحيـح لا غير)(١٥).

أقـــول: يُـــروى المثلُ بروايتين: (ما تُقرن بفلان الصعبةُ) و (بفلان تُقرن الصـــعبةُ)، وقـــد ذكرته كتب الأمثال على رواية أبي عبيد وأشارت إلى الـــرواية الثانية[١٦]، زد على ذلك أن أبا عبيد نفسه قال: (قال أبو محمد سلمة: الذي نعرفه بفلان تقرن الصعبة)[١٧].

أما قول البكريّ: (وهو الصحيح لا غير) ففيه وَهْم، لأنّ المثل على الرواية الأولى يعـــني أن الـــناقة الصعبة تقرن بالجمل الذّلول، يروّضها ويذلّلها، وعـــلى الرواية الثانية يعني أنّ صعاب الأمور تُراضُ به وتذلّل بتدبيره، فلا مسوّغ لتفضيل رواية على أخرى.

٣ – ذكـــر أبو عبيد المثل: (همُّك ما همَّك)[١٨]. قال البكريّ: (المحفوظ فيه عن غيره: همَّك –بفتح الميم– ما أهمَّك).

أقول: المثل على رواية أبي عبيد معناه: شأنك الذي يجب أن تهتمّ به هو الذي أقلقك وأوقعك في الهمّ، وقد ذكره على هذه الرواية العسكري[١٩]، والميـــداني[٢٠]، ويوســـف بـــن طاهر[٢١]، والزمخشري[٢٢]، وعلى رواية الـــبكريّ (النصـــب) معناه أذاك ما أحزنك، وعلى أنّ همَّك فعل ماضٍ ومفعول مقدّم.

٤ – ذكـــر أبو عبيد المثل: (أهونُ مظلومٍ عجوزٌ معقومةٌ)، قال البكريّ: (هذا وهْـــمٌ مِنْ أبي عبيد، إنما أهون هالك عجوز معقومة لأنها إذا هلكت لم يفقدها فاقد لأنها عقيم)[٢٣].

أقـــول: هـــذا وهْمٌ من البكريّ، لأن المثل يُضرب لمن لا يعتدّ به لضعفه وعجزه؛ فالمعقومة لا ناصر لها لأنها ذليلة مستضعفة، وقد رواه على رواية أبي عبيد العسكري[٢٤]، والميداني[٢٥]، والزمخشري[٢٦].

٥ – ذكـــر أبـــو عبيد المثل: (الأمور سُلكى وليست بمخلوجة)، قال البكريّ: (أصـــــل المـــثل الأمـــور مخلوجة وليست بسُلكى، لا كما ذكره أبو عبيد)[٢٧].

أقول: وهم البكريّ في عبارته، لأنّ المثل يضرب في استقامة الأمر وانتظامه، فالسُّلكى تعني الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه، والمخلوجة تعني الطعنة المعوجّة عن يمين وشمال، فلو وافقنا البكريّ في روايته، نكون قد نفينا استقامة الطّعنة، وأثبتنا اعوجاجها، وهذا ما يعارض مورد المثل ومضربه، قال امرؤ القيس:

نَطْعَنُهم سُلكى ومخلوجـــــة   لفتك لأمين على نابـــل[٢٨]

ولم يذكـــر أحـــدٌ المثل على رواية البكريّ، إلا اليوسي الذي علّل هذه الـــرواية بقوله: (وقلب أبو عبيد هذا المثل فأورده هكذا: الأمور سُلكى وليســـت بمخلوجة، والصواب: العكس... لأنّ الأمور في قضية الحارث ليست بسُلكى)[٢٩].

٦ – ذكر أبو عبيد المثل: (صرح الحق عن محضه)، قال البكريّ: (جميع العلماء إنما أوردوا هذا المثل صرح الحقين عن محضه)[٣٠].

أقول: وهم البكريّ في عبارته، فكُتُبُ الأمثال ذكرته على رواية أبي عبيد، وكـــنا نودّ لو أعطانا البكريّ اسم عالم واحد رواه على روايته، إلا أنه لم يفعـــل. ويبدو لي أن كلمتَيْ المثل "صرح" و"محضه" أوْحَتا للبكريّ بتغيير الحـــق إلى الحقين، فصرح تعني: كشف وبيّن، مأخوذة من الصريح، وهو عـــند العـــرب اللّبن الخالص الذي لا يخالطه غيره، والمحض تعني الخالص؛ فأراد البكريّ موازنة ذلك بالحقين الذي هو اللّبن المحقون.

ولم أجد من العلماء من يؤيّد البكريّ في روايته سوى اليوسي، حيث قال: (وهذا اللفظ أنسب وأبيَن تمثيلاً، وأنسب لذكر المحض)[٣١].

ثانيا – أوهام في تفسير المثل: عارض البكريّ أبا عبيد في تفسيره لبعض الأمثال، من ذلك:

١ – شرح أبو عبيد المثل: (لكَ العُتبى بأن لا رضيت) بقوله: (هو مثل محوّل عن موضعه لأنّ أصل العتبى رجوع المستعتب إلى محبّة صاحبه، وهذا على ضده)[٣٢].

قال البكريّ: (إنما معنى المثل الذي يقوم لك مقام العتبى أن لا ترضى، وأن يقال لك لا رضيت أبدًا)[٣٣].

أقول: كان البكريّ واهمًا في تفسيره، إذ وجه المثل وجهةً لا يحتملها، فالعتبى هنا لم يرد بها الإعتاب، وإنما خلاف الرضى، ومعنى المثل أفعل ما تكرهه ولا ترتضيه. والغريب أن يستشهد البكريّ ببيت بشر بن أبي خازم:

غضبتْ تميم أنْ تُقتَل عامر
يوم النسار فأُعتبوا بالصيلم[٣٤]

في حين أنّ لفظة (إعتاب) الواردة في البيت تدعم رأي أبي عبيد لا رأي البكريّ.

٢ – شرح أبو عبيد المثل: (عند فلان من المال عائرة عين)، بقوله: (إنه من كثرة ماله يملأ العين حتى يكاد يعورها، أي يفقَؤُها)[٣٥].

قال البكريّ: (عبارة أبي عبيد في تفسير هذا المثل فاسدة، قبّح الله كلّ مال يكاد يفقأ العين حين النظر)[٣٦].

أقـــول: هذا وهْم من البكريّ، فعبارة أبي عبيد ليست فاسدة، وفهمه لها كان خاطئًا، ومعنى عبارة أبي عبيد: عند فلان من المال ما تعير فيه العين، أي في حيرة تذهب وتجيء. وأصل المثل يؤكد ما ذهب إليه أبو عبيد. قال الميداني: (وأصل هذا المثل بأنهم كانوا إذا كثر عندهم المال فَقَأُوا عين بعيرٍ دفعًا لعين الكمال، وجعل العور لها، لأنها سببه)[٣٧].

٣ – شرح أبو عبيد المثل: (ما يدري أيَخثر أم يذيب)، بقوله: (وأصله في الزُبد يذاب فيفسد على صاحبه، فلا يدري أيَجعْله سمنًا أم يدعه زُبدًا)[٣٨].

قـــال البكريّ: (هذا تفسير لم يُتابع عليه أبو عبيد، وإنما معنى تذيبها ليس مـــن الإذابـــة على النار، يقال أذاب فلان على بني فلان إذا غاروا عليهم وأخذوا مالهم)[٣٩].

أقـــول: لم يقـــل أبو عبيد ما فهمه البكريّ، وإنما قَصَدَ من ذلك اختلاط الأمـــر، وأصـــل المثل أنّ (امرأة تسلأُ السمن فيَرْتجِن، أي يختلط خاثره برقيقه، فلا يصفو، فتبرم أمرها، فلا تدري أتوقِد هذا حتى يصفو، وتخشى إن أوقـــدت أن يحترق، فلا تدري أتنزل القدر غير صافية، أم تتركها حتى تصفو)[٤٠].

أمـــا قـــول البكريّ: (وإنما معنى تذيبها ليس من الإذابة على النار)، ففيه وهْـــم، لأنّ أبا عبيد قصد الفعل ذاب، ولم يقصد أذاب، وذاب في اللغة ضـــدّ جمُد، ومنه الإذواب والإذوابة، بمعنى الزُبد يُذاب في البرمة للسمن، فلا يزال ذلك اسمه حتى يحتقن في سقاء)[٤١].

٤ – شـــرح أبـــو عبيد المثل: (رُب صَلَف تحت الراعدة)، بقوله: (الرّاعدة هي السّحابة ذات الرّعد، والصّلف قلة النُزل والخير)[٤٢].

قال البكريّ: (إن السّحابة إذا كانت كثيرة الماء لم يُقل لها صَلَف)[٤٣].

أقــول: وهــم البكريّ في عبارته، فأصل الصّلف قِلّة النّزل. يقال: (إناء صــلف إذا كان قليل الأخذ من الماء)[٤٤]، و(سحاب صلف كثير الرعد قــليل المــاء)[٤٥]، أي أن السحابة ربما رَعَدت و لم يكن منها خير، والمثل يُضرب للبخيل مع سعة ذات اليد.

٥ – شــرح البكريّ المثل: (ما يُعوى ولا يُنبح) بقوله: (لا أدري أيّ خير فيهما فيكنَى بأحدهما عن الخير، والثاني عن الشرّ)[٤٦].

أقــول: وهم البكريّ في عبارته، فيكنى بنباح الكلب عن الخير، لأنّ نباح الكــلب يبشّر بقدوم الضّيف، والعربي يعد مجيء الضيف خيرًا، بينما يكنى بعواء الذئب عن الشر، لأنّ عواءه يؤذن بهجوم شره على الغنم وغيرها.

٦ – شرح البكريّ المثل: (كأنما قد سيّره الآن) بقوله: (إن هذا المثل إنما يضرب للشــيخ إذا كان في حِلْقة الأحداث، هذا أقرب إلى الصواب وأشبه بلفظ المثل...)[٤٧].

أقول: وهم البكريّ في عبارته، فالمثل يضرب لمن لا يتغير شبابه من طول مرّ الزمان، ومعناه كأنما ابتدأ شبابه الساعة، ولا يقال للشيخ –كما يرى البكريّ– إذا تزيّا بزيّ الأحداث.

ثالــثا – أوهام في دلالة المفردات: وجّه أبو عبيد معاني بعض المفردات بحسب المعــنى العام للمثل، وقد لاحق البكريّ أبا عبيد في بعض هذه التفسيرات، وعدّ بعضها أوهامًا، من ذلك:

١ – فسّر أبو عبيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "هُدنة على دَخَن وجماعة عــلى أقذاء"، بقوله: (إنّ الدّخن إنما هو مأخوذ من الدّخان، فجعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً لنغل القلوب..)[٤٨].

قــال البكريّ:(الدخن ليس من الدخان كما قال أبو عبيد...)[٤٩]. أقول: هــذا وهْم مِن البكريّ، فالدَخَن والدُخنة بمعنى كِدرة في سواد كالدخان، والدخَــن (مصدر دخنت النار تدخن إذا أُلقي عليها حطب رطب وكثر دخانها)[٥٠]، ومعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم صُلْح واستقرار على أمــور مكــروهة، فقــول أبي عبيد مأخوذ من الدخان، قصد به سبيل الاســتعارة، إذ جعــل الرسول صلى الله عليه وسلم من الدخن، استعارة لفســاد الضــمائر والنيات. نقول (دَخِن الطعامُ، ساء وخبُث، أي أصابه دخان، فأخذ ريحَه، ودخن خُلُقه: ساء وخبُث)[٥١].

٢ – فسّر أبو عبيد المثل (لا لعا لفلان) بقوله: (أي لا أقامه الله)[٥٢].

قال البكريّ: (ليس معنى لعا أقامه كما ذكر أبو عبيد)[٥٣].

أقــول: وهم البكريّ في عبارته، فقد نقل ابن منظور عن أبي عبيدة قوله (مِــن دعــائهم لا لعا لفلان أي لا أقامه الله)[٥٤]. وعلى هذا المعنى فسره الميداني[٥٥] والزمخشري[٥٦].

٣ – قــال أبــو عــبيد في المثل: (خُذْ ما طفّ لك وما استطفّ)، أي ارضَ بما أمكنك منه)[٥٧].

قــال البكريّ: (ليس طفّ من أمكن، إنما معنى طفّ لك وما استطفّ دنا واقترب)[٥٨].

أقــول: لم تكنْ عبارة البكريّ دقيقة، فَلكلمة طفّ طائفة من المعاني، ذكر الــبكريّ واحــدًا منها، جاء في "العين": (استطفّ لنا شيء أي بــدا لنا حــدّه)[٥٩]، وجــاء في "لسان العرب": (طفّ الشيء يطفّ طفًا وأطفّ واســتطفّ دنا وتهيّأ وأمكن... تقول العرب: خذ ما طفّ، أي ما أشرف لك، وقيل ما ارتفع إليك وأمكن ودنا منك)[٦٠].

٤ – فسّر أبو عبيد المثل: (عَيْرٌ عاره وَتِده)، بقوله: (عاره أهلكه)[٦١].

قال البكريّ: (لا وجه للإهلاك هنا)[٦٢].

أقول: وهم البكريّ في عبارته، جاء في "اللسان": (عاره أهلكه)[٦٣]. قال الميداني: (يقال عاره يعيّره أي ذهب به وأهلكه)[٦٤] ومنه العَوَر: ذهاب حسن إحدى العينين، أي تلف يصيبها.

٥ – شرح البكريّ المثل: (لا يلتاط هذا بصَفَري)، وقال: (الصَفَر العقل)[٦٥]

أقول: لكلمة صَفَر طائفة من المعاني، ذكر البكري واحدًا منها، فالصَفَر تأتي بمعنى النفس والقلب والشّيمة والخُلُق والعقل. ومعنى المثل: لا يلتصق بقلبي، ويُضرب بقلّة الموافقة. والذي دفع البكريّ إلى هذا المعنى، ما نقله عن أبي علي عن أبي عبيدة: الصفر العَقْل، فقال البكريّ: وأنا أراه العقل، وأقول: كلا المعنيين صحيح.

٦ – شرح البكريّ المثل: (دَرْدَب لَمّا عضّه الثِّقاف) بقوله: (لا أعلم لدردب في كلام العرب معنى إلا دردبة الطبل وهو صوته)[٦٦]. أقول: وهم البكريّ في عبارته، ولا أدري كيف قال: لا أعلم لدردب معنى وهو اللغوي الشهير، وهذا الخليل يقول في "العين": (الدردبة الخضوع)[٦٧] وجاء في "القاموس": الدردبة عَدْوٌ كَعدْو الخائف كأنه يتوقع من ورائه شيئًا فيعدو ويلتفت)[٦٨]، ودردب في المثل بمعنى خَضَع وذلّ، ويُضْرب في فرار الجبان، واستكانته عند إحساسه بصدمة القتال. أما صوت الطبل فيقال له الدّرْداب: والدّاربة الطبّالة.

٧ – شرح البكريّ المثل: (هو الضّلال ابن فُهُلَل والضلاّل ابن ثُهلَل) وقال: (ولا أدري لثهل ولا لفهل معنى)[٦٩].

أقـــول: غـــريب أن يقول البكريّ مثل هذا الكلام، وهو اللغوي البارع، صـــاحب التعـــليقـــات والشـــروح. قـــال ابن منظـــور: (هو الذي لا يُعـــرف)[٧٠]. وفي "الصحاح" (من أسماء الباطل مثل ثهلل)[٧١]، يُضرب المـــثل للكذُوب السّادر في أمره، ويرى الميداني أن السبب في ترك صرف هذه الأسماء أنها أعجمية، فاجتمع فيه التعريف والعجمة، ولو كانت عربية لصُـــرفت، كمـــا لـــو سمي رجل بدحرج لصـــرف، لأنه زنة لا تختص بالفعـــل[٧٢].

وبعـــد، فهذه الأوهام التي ذكرناها لا تقلّل من شأن "فصل المقال"، ولا تنقص من منزلة البكريّ، بل يبقى "فصل المقال" كتابًا رائعًا طريفًا بمادته ومنهجه وأسلوب مؤلفه وما ضم من شواهد وروايات وأخبار، وعندي أنّ هذه الأوهام تأتي بسبب اعتماد العلماء على الذاكرة والحفظ، أو بسبب الاجتهاد، والعالم إن اجتهد وأصاب، فله حسنتان، وإن اجتهد وأخطأ، فله حسنة واحدة.

د. أسعد بن محمد علي النجار

كلية المعلمين – جامعة بابل – العراق

الحواشي

* "العـــرب": نشـــر هذا البحث عملا بحرية الباحث الكريم في إبداء وجهة نظره، مع أنّ بعض ما ورد من آرائه في توهيم الإمام أبي عبيد البكريّ محلّ نظر.

(١) "الوافي بالوفيات" م١٥-١٧/٦٠. (٢) "قلائد العقيان" ١٩١.

(٣) "الذخيرة" ق٢/م/٢٣٢. (٤) "بغية الوعاة" ٢٨٥.

(٥) و (٦) "الأمـــثال العـــربية القديمة" ١٥١، ترجمة د. عبدالتواب رمضان، ط١، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

(٧) "سمـــط الـــلآلي" ٤٩٤، والبيت فيه للأبيرد اليربوعي، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٣٥٤هـ. (٨) "كتاب الأمثال" ١٩٨.

(٩) "فصل المقال" ٢٩٠، تحقيق د. إحسان عباس وزميله، بيروت ١٣٩١هـ.

(١٠) "منهج أبي عبيد البكري في فصل المقال" ٤٧، د. أسعد النحار، مخطوط.

(١١) "فصل المقال" ٢٣.

(١٢) "مجمع الأمثال" ١/٨٨، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٤٠٧هـ

(١٣)"فرائد الخرائد"، تحقيق د. عبدالرزاق حسين، المملكة العربية السعودية، ١٤١٥هـ.

(١٤) "المستقصى" ١/٤٤٨. (١٥) "فصل المقال" ١٣٢.

(١٦) ينظر "جمهرة الأمثال" ٢/٢٣٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، القاهرة، ١٩٦٤م. و"مجمع الأمثال" ٣/٢٣٩، و"المستقصى" ٢/٣٢٠.

(١٧) "كتاب الأمثال" ٩٥، تحقيق عبدالمجيد قطامش، ١٤٠٠هـ.

(١٨) "فصل المقال" ٣٩٩. (١٩) "جمهرة الأمثال" ٢/٣٦٢.

(٢٠) "مجمع الأمثال" ٣/٤٧٩. (٢١) "فرائد الخرائد" ٥٧٤.

(٢٢) "المستقصى" ٢/٣٩٤. (٢٣) "فصل المقال" ١٨٥.

(٢٤) "جمهرة الأمثال" ١/١٦١. (٢٥) "مجمع الأمثال" ٣/٥٠٤.

(٢٦) "المستقصى" ١/٤٤٥. (٢٧) "فصل المقال" ٣٠٥.

(٢٨) "ديوانه": ١٢٠، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر ١٩٧٨م.

(٢٩) "زهر الأكم": ١/٨٣، تحقيق محمد حجي وزميله، المغرب، ١٤٠١هـ.

(٣٠) "فصل المقال" ٦٠. (٣١) "زهر الأكم" ٣/٢٥٠.

(٣٢) ""كتاب الأمثال" ١٨٢. (٣٣) "فصل المقال" ٢٧٢.

(٣٤) "ديوانه" ١٨٠، تحقيق عزة حسن، دمشق، ١٩٧٢م.

(٣٥) "كتاب الأمثال" ١٨٨. (٣٦) "فصل المقال" ٢٨٠.

(٣٧) "مجمع الأمثال" ٢/٣٢٤. (٣٨) "كتاب الأمثال" ٢٩٨.

(٣٩) "فصل المقال" ٤٢٢. (٤٠) "مجمع الأمثال" ٣/٢٧٥.

(٤١) "القاموس المحيط" ١/٧٢. (٤٢) "كتاب الأمثال" ٣٠٨.

(٤٣) "فصل المقال" ٤٣٠.

(٤٤) "الزاهر"، ١/٥٢٥، تحقيق حاتم الضامن، بغداد، ١٣٩٩هـ.

(٤٥) "القاموس المحيط" ٣/١٦٨.
(٤٦) "فصل المقال" ١٨٥.
(٤٧) "فصل المقال" ١٧٢-١٧٣.
(٤٨) "كتاب الأمثال" ٣٥.
(٤٩) "فصل المقال" ٩.
(٥٠) "لسان العرب" مادة (دخن).
(٥١) "القاموس المحيط" ٤/٢٢٣.
(٥٢) "كتاب الأمثال" ٧٨.
(٥٣) "فصل المقال" ١٠١.
(٥٤) "لسان العرب" مادة (لعا).
(٥٥) "مجمع الأمثال" ٣/١٧٤.
(٥٦) "المستقصى" ٢/٢٦٦.
(٥٧) "كتاب الأمثال" ٢٣٧.
(٥٨) "فصل المقال" ٣٤٣.
(٥٩) "العين" مادة (طف).
(٦٠) "لسان العرب" مادة (طف).
(٦١) "كتاب الأمثال" ٣٣٣.
(٦٢) "فصل المقال" ٦٢.
(٦٣) "لسان العرب" مادة (عور).
(٦٤) "مجمع الأمثال" ٢/٣٣٥.
(٦٥) "فصل المقال" ٣٩٣.
(٦٦) "فصل المقال" ٤٤٣.
(٦٧) "العين" مادة (درب).
(٦٨) "القاموس" ١/٦٨.
(٦٩) "فصل المقال" ١٠٨.
(٧٠) "لسان العرب" مادة (ثهل).
(٧١) "الصحاح" مادة (ثهل).
(٧٢) "مجمع الأمثال" ٣/٤٨٤.

فقدُ الأحبّة

فقدُ الأحبّةِ بالتّباعُدِ والرَّدَى ... يُلقي بطيفِ ظِلاله في المنتدَى
يَحِزُّ القلوبَ بما يكدِّر صفوَها ... يَفْرِي بطون الذكريات معربدا
قلباه مالك إذا تُفيقُ لِغَابرٍ ... أخفى رُؤى قسماته طولُ المدى
أيامَ كنتَ إلى الطفولة تنتمي ... متلحفًا بدثارها متوسِّدًا
تغدو وهَمُّك لا يجاوز لُعْبَةً ... تلهو بها بين الرفاق مُسَدَّدَا
رَدْحٌ مِن الأيام مَرَّ كأنّه ... طيفٌ تقلَّصَ ظِلُّهُ فتَبَدَّدَا
يسعى ابنُ آدمَ مُرْقلاً وكأنّه ... يبني له فوق المَجَرَّةِ مَرْصَدا
خَلَتِ الربوعُ مِن الأحبّة عَنْوَةً ... تجْتَرُّ ذِكراها الحنينَ مُرَدَّدَا
يا جِيْرَةَ الأعلام ها أنا قادم ... أرعى منازل عِتْرَتِي والمسجدا
عهدي بهم والدارُ تُشرِقُ بَهْجَةً ... لَمَّا يُسلِّمُ غائبوهم عُوَّدَا
لما وقفت على الطُّلول مُسلِّمًا ... ورأيتُ حُلَّ قديمِهَا طُعْمَ الرَّدَى
ساءلْتُ أنصابَ القبور فلم أجد ... منها جوابًا للسّؤالِ محدَّدَا
وعلمتُ أنّي لن أُجَابَ لِسُؤْلتِي ... غادرهم بين النصائب رُقَّدَا
كانوا فبانوا والجميع إذا انتهت ... آجَالُهُم يُضحُون صرعى هُمَّدَا
نَادَى المنادي فاستقر رُفاتهم ... تحت النبائث بالتراب مُوسَّدا
لا ينطقون ومن أصَاخَ بسمعه ... يرتد هاجسه حسيرًا مُجْهَدَا
هذي حياة العالَمين جميعُهُم ... يا مَنْ تَلَهَّى بالقُشُورِ فَبَلَّدَا
وطَفِقْتُ ألتمِسُ السُّلُوَّ بمن بقي ... من صحبتي متضاحكا متجلّدَا

فَإِذَا هُمُ يتناسلون لأَوْجُهٍ ... شتَّى تقيم لهم رُبَاهَا مَشْهَدَا

وَلَوَاعِجُ الأَشواقِ خلفَ قُفُولِهِمْ ... تَرْعَى النجومَ كَمَنْ يَبِيتُ مُسَهَّدا

عبد الرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

كتاب
حَمَدُ الجَاسِر
جغْرَافِيُّ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّة ومُؤَرِّخُهَا ونَسَّابتُهَا
تأليف أحمد العلاونة

ابراهيم عبد المجيد

قليلون هم الرّجال الذين تركوا بصمات واضحة في جانب معيَّن أو جوانب شتى من حياة أمتهم. ولعل من هذا القليل الشيخ العلاَّمة حمد الجاسر رحمه الله، ذاك الـــرَّجل الذي نذر نفسه للعلم وأهله، لم يشغله عنه شاغل، ولم تصرفه عنه صوارف الحياة المادية وتعقيداها؛ من أهل وولد ووظيفة، أو حتى مرض.

أحـــبَّ العلم، وأحبَّ معه المنتمين إليه والغيورين عليه، فقدَّم للعلم وأهله من وقته وماله وصحته الشيء الكثير، حتى أصبح ما قدمه الشيخ الجاسر مستغرباً في عصر طغت عليه المادة في كل شيء حتى في طلب العلم!

ولحب الرَّجُل للعلم، فقد أحبَّه أهل العلم وطلبته، واحتفوا به في حياته وبعد مماته، ومن ذلك ما فعله صديقنا الأستاذ أحمد العلاونة الذي أفرد علاَّمة الجزيرة بكـــتاب مُستقلّ، كتبه عنه حال حياته، قبل أن يوافيه الأجل المحتوم، إلا أنَّ هذا الكتاب تأخَّر صدوره إلى ما بعد وفاة الشيخ الجاسر رحمه الله.

يقول في مقدمة الكتاب: "وقد أفردت هذا الكتاب عن الجاسر، مع أنه ليست لي صـــلة شخصية به، ولم ألتقه؛ فالباحث الحريص على أمانة العلم يستطيع أن يـــدرس عالمـــاً معاصرًا دون أن يقوم بينه وبين المترجم له صلة شخصية. وربما كـــانت هـــذه الدراسة أكثر موضوعية وصدقًا من دراسة تقوم على الاتصال الشخصي بالعالِم المعاصر".

ويقول الأستاذ العلاونة: "واستعذبت في سبيل ذلك كله العناء، وما أنفقت من وقت ومال، وصحبته ليالي وأيامًا طوالاً، سبرت فيها غوره، وجلّيت قدره، وتعرّفت أثره".

صـــدر هذا الكتاب عن دار القلم ببيروت أواخر سنة ١٤٢١هـــ، ويقع في ١٧٦ صفحة، وهو الإصدار الرابع ضمن سلسلة (علماء ومفكرون معاصرون).

وقد قسّم المؤلّف كتابه إلى فصلين بعد المقدمة التي عرّف فيها بملامح كتابه هذا.

أمـــا الفصل الأول، فكان بعنوان: لمحات من حياة حمد الجاسر. وعرض فيه لنســـبه وولادتـــه ونشأته وبداية حياته العلمية، وذكر أسماء شيوخه الذين أخذ عنهم العلم وترجم لهم بإيجاز.

ثم تحـــدّث عن الأعمال التي تولاها الشيخ الجاسر رحمه الله عقب تخرّجه من المعهـــد العلمي السعودي سنة ١٣٥٣هـــ. ومن تلك الأعمال ما يتعلق بالعلم والأدب، وهو اشتغاله بالصحافة، حيث أصدر مجلة اليمامة الشهرية (١٣٧٢هـــ/١٩٥٣م)، ومن ذلك أيضًا رئاسته تحريـــر صحيفة الريـــاض عند تأسيسهـــا (١٣٨٥هـــ /١٩٦٦٥م)، ثم إنشاؤه دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، تلك الـــدار الـــتي قامت بإصدار مجلة (العرب) التي "تُعدُّ جمهرة معارف شاملة عن الجزيـــرة العـــربية، خاصة فيما له صلة بتاريخ العرب وآدابهم وجغرافية بلادهم وتـــراثهم الفكري، وكان لها شأن علمي كبير" منذ صدور الجزء الأول منها في بيروت (١٣٨٦هـــ /١٩٦٦م).

وفي هذا الفصل أيضًا تحدّث المؤلّف بإيجاز عن مكتبة الشيخ الجاسر رحمه الله ومـــا حوته من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب المطبوعة. ثم عرض لشاعرية الجاسر وما نظمه من شعر.

ثم تحــدّث المؤلف عن رحلات الشيخ حمد الجاسر العلمية، وما تجشمه فيها مــن تعب وعناء، كل ذلك محبة في العلم وخدمة له. وهو في ذلك لا يضنّ ولا يــبخل بما تملكه يداه من مال وما يحويه عقله الكبير من علم ومعرفة، بل يبذل هــذا وذاك لطلــبة العلم حتى لو لم يطلبوا منه ذلك. وقد أورد مؤلّف الكتاب كثيراً من الأمثلة الدالة على ذلك.

ثم يعــرض المؤلف لمسلك الشيخ العلمي ومنهجه في التأليف والتحقيق، ذلك المــنهج القائم على أسس علمية مقننة، قائمة على البحث الدقيق والتثبّت فيما يكــتب ويُــدوّن ويحقّق، ولا يثقل حواشي ما يحقق من مخطوطات إلا بما يراه مناســبًا ولا بــد منه لتوضيح غامضة، أو تعريف بعلم مُبْهم أو مكان مجهول. ومبتغاه في ذلك الوصول إلى الحقيقة فيما يكتب، وإخراج نصّ محقّق في صورة قريبة مما وضعه عليه مؤلفه. ولا يجد غضاضة في نقد علمي بنّاء وموضوعي مِن الآخــرين فيما كتب أو حقق، بل إنه تراجع عن بعض ما كتب عندما نُبِّه إلى ذلك وتبين له وجه الصواب.

أمــا الفصــل الثاني من هذا الكتاب الذي نعرض له ونعرف به، فقد جعله المؤلــف للتعريف بمؤلفات الشيخ حمد الجاسر رحمه الله، وقد قسمه على ثلاثة أقسام:

الأول: المؤلفات، وتحدث عنها بما يقتضي المقام.

الثاني: التحقيقات، وعرض فيه إلى الكتب التي قام الشيخ الجاسر بتحقيقها.

الثالث: الكتب التي قام بمراجعتها أو أشرف على طبعها.

ولم يعرّف المؤلف -وليته فعل- بالرسائل التي حقّقها صاحب الترجمة رحمه الله، ونشرها في مجلة العرب لأنّ ذلك -حسب رأيه- يضخم الكتاب.

والمؤلّف في الأقسام الثلاثة يعرّف تعريفًا موجزًا بالكتاب المؤلّف أو المحقّق أو المـــراجَع. وقد رتّب هذه المؤلّفات على حروف المعجم، وبلغ عددها ٢٧ كتابًا مؤلّفًا، و٣٢ كتابًا محقّقًا، و٥ كتب قام الشيخ بمراجعتها.

وقـــد أحسن الأستاذ أحمد العلاونة بالتّعريف بالشيخ حمد الجاسر، وأظنّ أن هـــذه الـــترجمة ستكون لبنة طيِّبة في بناء متين يُعنى بفكر حمد الجاسر وإنتاجه العلمي، علّ محبيه وتلاميذه أن ينهضوا للقيام على بنائه.

إبراهيم باجس عبد المجيد

باحث بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

صدر حديثاً:

بلدة (البـــــرود)

موقعًا، وتاريخًا، وسكانًا

مع تفصيل وافٍ عن منطقة السرّ (القرى والسكان)

أوفى كتاب عن منطقة السرّ عامة وبلدة (البرود) خاصة، وذكر أشهر المواضع من هجر وقرى ومدن وعيون، ولمحة من تاريخها، وتعريف ببعض أسرها: (آل الصوينع، آل الصبيحي، آل قنور، آل دويرج، آل سكران، آل نوفل، آل ناهض، آل حمدان، آل جاسر آل مشوح، آل ونيان) وغيرها من أسر الإقليم، وذكر فروع قبيلة حرب واستقرارها في ضواحي المدينة المنورة وانتقال فرع الشبول منها إلى نجد.

في (٤٧٢) من الصفحات، مدعمة بالوثائق وتفريعات بعض أنساب الأسر.

تأليف

حمد الجاسر

يطلب من إدارة مجلة «العرب» هاتف ولاقط ٤٦٠٤٦٦٤

ص.ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

أسسها: حمد الجاسر

رجب ١٣٨٦هـ - تشرين الأول ١٩٦٦م

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٩ و١٠ س٣٦ الربيعان ١٤٢٢هـ)

(حزيران/تموز ٢٠٠١م)

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

العَرَب

مجلة شهرية تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
أسسها : حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م
صاحب الامتياز المسؤول: معن بن حمد الجاسر

ج٩و١٠ الربيعان سنة ١٤٢٢هـ - يونيه ويوليه (حزيران وتموز) سنة ٢٠٠١م

العنوان

حي الورود ، شارع حمد الجاسر
هاتف ٤٦٠٤٦٦٤(٠٠٩٦٦١) لاقط ٤١٩٤٥٠٣
ص.ب ١٣٧ الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية

الصفحة الالكترونية: WWW. HAMADALJASSER.COM

ضوابط النشر في المجلة

١ - أن يكون البحث داخلاً ضمن اهتمامات المجلة وهي الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب ، وآدابهم ، ولغتهم ، وتراثهم الفكري .

٢ - ألا يكون البحث مقدماً للنشر في مجلة أخرى ، وأن يكون في نسخته الأصلية .

٣ - أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترقيم والتوثيق ، وضبط الألفاظ غير المألوفة بالشكل الصحيح .

٤ - أن يتسم النقد بالأسلوب العلمي الخالي من الإساءة إلى شخصية المؤلف أو الباحث .

٥ - لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أنشرت أم لم تنشر .

٦ - ترتيب البحوث داخل المجلة يخضع لاعتبارات فنية لاعلاقة لها بمكانة الكاتب .

٧ - الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها وليس بالضرورة عن رأي المجلة .

الاشتراك السنوي :

١٠٠ ريال للأفراد، و٢٠٠ ريال لغيرهم

ثمن الجزء ١٧ ريالاً

الإعلانات :

يتفق عليها مع الإدارة

التصحيف في أسماء المواضع
الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٨)

بِنتُ هِنْد: (هَيْدَة)

قال البَكْريّ في "مُعْجَم ما استَعْجَم": (بِنت هِنْد، عَلَى لَفظ اسم المَرْأة: هَضْبَة في بِلَاد بَنِي كِلَاب، كَانَتْ فِيهَا وَقْعَةٌ لِبَنِي عُقَيْل، بَعْضُهُم عَلَى بَعْض، قُتِلَ فِيهَا تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر، سيأتِي ذِكْرُهَا فِي رَسْم هَيْدَة).

وقال أيْضًا في رسم هَيْدَة: (هَيْدَة، بِفَتْح أوّله وإسْكان ثانيه، بَعْده دَال مُهْمَلَة: مَوْضِعٌ في دِيَار بَنِي عُقَيْل، وهو المَوْضِع الذي قُتِل فِيه تَوْبَةُ بْنُ الحُمَيِّر. هكَذَا قَالَ أبو عَمْرِو الشَّيْبَانِي، وأنْشَدَ لِلَيْلَى الأخْيَلِيَّة:

تَخَلَّى مِنْ أَبِي حَرْبٍ فَوَلَّى بِهَيْدَةَ قَابِضٌ قَبْلَ القِتَالِ

وأطال الكَلَامَ فِي هَذَا، وأشَارَ إلى أنه رَوَاه أصْحَاب أَبِي عليّ عنه وأضاف: وفي "مقاتل الفرسان" أصْل أبي عَليٍّ قال أبو عبيدة: هَيْدَةُ فَرَسُ قَابِضِ بن عبدالله مُسَلِّمٍ عمه تَوْبَةَ، والمنهزم عنه هكذا رواه بالدّال مهملة (هَيْدَة) كما ذَكَرَهُ الشَّيْبَانِي، إلاّ أنّهما اختلفا في تفسيره، ولم تختلف الرواية عن أبي عبيدة في كتابَيْه "أيام العرب" وكتاب "مقاتل الفرسان": أنّ الهَضْبَةَ التي قُتِلَ فيها تَوْبُ اسمُها (بنت هِنْد) على لفظ اسم المرأة، وفي ديوان شِعْر تَوْبَة عند ذِكر مقتله: حتى إذا كان بِشِعبٍ مِن هَضْبَة يُقَالُ لها بِنْت هَيْذَة. قال: وهي مِن كَبِدِ المضْجَع: مَضْجِعِ بني كلاب، وهي التي ذَكَرها ذو الرُّمَّة، وهي كلها مِن العَالِيَة، هكذا صَحَّتِ الروايةُ فيه هناك: هَيْذَة، بِذَال مُعْجَمَة، وفي هذا مِن التخليط ما تراه). انتهى.

وفي "معجم البلدان": (هَيْدَةُ ذُكِرَ في الذي قَبْلَه، وهَيْدَةُ: اسمُ رَدْهَةٍ بأعلى المَضْجَع، قالت ليلى الأَخْيَلِيَّة:

تَخَلَّى عن أَبِي حَرْب فَوَلَّى بِهَيْدَة قَابِضٌ قَبْلَ القِتَال

وقال أبوعُبَيْدة في "المقاتل": لم يَقِفْ عُلَماؤُنا عَلَى هَيْدَة مَا هِي حتى جاء الحَسَنُ فَأَخْبَرَ أنه مَوْضِعٌ قُتِلَ فِيهِ تَوْبَةُ، وهما هَضْبَتَان يُقال لهما (بِنْتَا هَيْدَة) ومَرَّتْ لَيْلَى بِقَبْرِه فَعَقَرَتْ بَعِيرَ زَوْجِها عَلَى قَبْرِه وقَالَت:

عَقَرْتُ عَلَى أَنْصَاب تَوْبَة مُقْرَمًا بِهَيْدَة إِذْ لَمْ تَحْتَضِرْهُ أَقَارِبُهْ.

و لم يذكر ياقوتُ في رسم (هِنْد) شيئًا.

ومفهوم كلام ياقوت أنّ مصدَرَهُ ومصدَرَ البكريِّ واحدٌ، هو كِتاب "مقاتل الفرسان" لأبي عُبَيْدة.

ويبدو أنّ كلام ياقوت منقول مِن كِتاب "الأماكن" للحازمي، فقد ورَد فيه النّقل عن أبي عُبيدة كاملاً. أما في مطبوعـــة "الأغاني" –ج ١١ ص ٢١٥ – طبعة دار الكتب، و–ج١١ ص٢٠٤– طبعة الثقافة، فإنّ نصّه: (وخرج تَوْبَةُ حتى إذا كان بالمَضْجعِ مِن أرض بني كلاب، جَعَل نظارَتَه وحَبَس أصحابه، حتى إذا كان بِشِعْبٍ مِن هَضْبَة يقال لها (هِنْد) مِن كَبِدِ المضْجعِ، جَعَل ابن عمّ له يقال له قَابِض بن عبدالله رَبِيئَةً له على رأسِ الهَضْبَة) إلى آخر الخَبَر. وورد في أوّل الخبر ذِكْرُ (حَجَرِ الرَّاشِدَة). انتهى.

يبدو أنّ صواب الاسم (هَيْدَة) كما ورَد في "معجم البلدان" وما سوَى هَذَا فَتَصْحِيف، لأنّ المَضْجعِ المِنْطَقَة التي تَقَعُ فِيهَا الهَضْبَةُ لا يَزَالُ معروفًا، ويُسمّى الآن (المَضْجعِ) بلاد وَاسِعَة سَهْلَةٌ ذات تِلالٍ رَمْلِيَّة وبُرَقٌ، وليس فيها

أودية كبيرة، ولا جبال مرتفعة سوى هَضْب الدَّخُول، وحَوْمَل، والصَّاقِب، وتُعَدُّ مِن أطيب المراعي وأوسعها، وفيها مياه متفرّقة، وتَحُدُّ مِن الغَرب بِعِرْق سُبَيْع، المعروف قديمًا بِرملة عبدالله بن كلاب، ومِن الشمال بِبلاد العِيْلَة (المُطْلي) قَديمًا، ومِن الجنوب بِهَضْبَة (حَوْضَى) وكثيبها، ومِن الشرق بماء البديعة، والأُرْوَسَة، وما والاهما، وهي تابعة لإمارة عَفيفٍ ووَاقِعَة جنوبه على بُعْد نحو مِئة وأرْبعين كيلاً أدْناها إلى مئتي كيل فأكثر أقصاها.

وهذه المنطقة تقع على وجه التقريـــب (بين خطّيْ الطـــول: ٤٣/٠٠ْ و ٤٣/٣٠ْ وخطّيْ العرض: ٢١/١٠ْ و ٢١/٥٠ْ).

و(حجر الراشدة) هو حَجر في منتهى وادٍ يُدْعى (الراشدة) وهو حجر أحْمَرُ عالٍ، أعلاه ضَخْمٌ وأسفلُهُ قد أضعفته عوامل التَّعْرية، وكذا أرضه. وصاحب "الأغاني" قال في وصف الحجر: ظليلٌ، أسفله كالعَمُودِ، وأعْلاهُ مُنْتَشِرٌ. انتهى، ويقع بقرب نهاية (وادي الرّاشدة) في الشمال الشرقي مِن (وادي بِيشَة)، ووادي الرّاشدة يَرْفُد وادي بِيشَة مِن الشمال الغربي.

أمّا ماء (طَلُوب) الوارد في خَبَر مَقْتل تَوْبَة، الذي أورده صاحب "الأغاني"، فيقع غرب (حَجَر الرّاشدة) بنحو عشرة أكيال، والطَّلُوب بئر جَاهِلِيَّةٌ، بَعيدَةُ القَعْر، مَطْوِيَّةٌ بالحجر، عَذْبَةُ الماء غزيرة، و(الرّاشدة) ورد في الشِّعْر العامي في قول الشاعر:

يالله فِي بَرْقٍ عَلَى الرَّاشِدَة لاَحْ   يَسْقِي الحُزَيْمَا لَيْنْ غبّى عَبَلْهَا

ويُسمَّى (حجر الراشدة) بحصاة الراشدة، وهَيْدَة وهَيْدَان أكيمتان إحْدَاهُمَا أكْبَرُ مِن الأُخْرَى، يقعان بِقُرْبِ ثمد الشَّجَرة، وهَيْدَان وَرَدَ ذِكْرُهُ في الشِّعْر العامّي، قال مُعْطِش بن مُضْحي من القنافذة -رحمه الله-:

يالله فَي بارقٍ تَرْكدْ مخاييلهْ   يسقِي لَنا ضَلْفَعٍ وأطْراف كُتْمَانِ
تَرْعَى المَعَاشِيرْ تَسْمَنْ فَي مسايِيلَهْ   يَعُوضْها في الشُّوَيط ورمِثْ هَيْدَان

ويظهر أنّ اسم هَيْدَان قد تُوُسِّعَ فيه، حيث أُطْلِق على المكان الذي يُنْبِتُ الرمثَ وغيره، كما تطلق أسْماء الجِبال عادة على ما حولها مِن الأرض – أوضح ما تقــدم الأستاذ فُهَيْد بن عبدالله السبيعي في "العرب" س ٢٣ ص ٨١٠-.

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
قراءة في عمل الشيخ حمد الجاسر

(١)

تعُود فكرة إخراج معجم جديد لأماكن الجزيرة العربية عند الشيخ حمد الجاسر إلى البدايات الأولى لكتاباته الجغرافية. ففي بحثه المبكّر بعنوان "نقد معاجم الأمكنة بجزيرة العرب" الذي نشره في مجلة المنهل سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م وهو -حسب علمي- أول بحث يتطرّق فيه الجاسر إلى نقد معاجم الأماكن القديمة، نجده يقدم له بقوله: "داء التصحيف داء عضال قديم، مُنِيتْ به المؤلّفات العربية كلها -إلا ما شاء ربّك- ومع أننا في عصر امتاز على غيره بكثرة الاكتشافات الفنية في وسائل علاج الأدواء، إلا أنّ ذلك الداء لم يأذن الله له بعد بالشفاء، بل ازداد انتشارًا وكثرة في نتاج "المطبعة" الحديثة. وتدليلاً على ما تقدم، **ودعوة إلى العمل لإخراج معجم أمكنة صالح مِن حيث الشمول والصحة**، أدوّن بعض ملاحظات عَنّتْ لي أثناء مطالعتي لمعجم ياقوت الحموي، ولجزيرة العرب للهمداني، وللجزء الأول مِن "معجم ما استعجم"."(١)

غير أنّ هذه الدعوة لم تأخذ جانبها العملي إلا سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م حين كَتبَ مقالاً افتتاحيًا في الجزء السادس مِن السنة الثانية مِن مجلة **العرب**، دعا فيه إلى تأليف معجم جغرافي للمملكة العربية السعودية قائلاً إنّ: "الحاجة إلى معجم جغرافي حديث يتضمّن أسماء بلادنا وقُراها، ومناهل البادية فيها، لا تقف عند حدّ الباحث المتعمّق، بل تشمل كل قارئ؛ ذلك أنّ المؤلّفات

الجغرافية الشاملة عن بلادنا لا تزال مفقودة، فهناك مُدن وقُرى حديثة، وهناك منها ما هو قديم، ولكنّ كُتب الأمكنة التي أُلِّفت قديمًا لم تَذكر جميع الأمكنة التي في بلاد العرب؛ لأنّ أكثر مؤلِّفيها كانوا بعيدِين عن الجزيرة، وقد ألّفوها والعرب قابعين في جزيرتهم، والصِّلات بهم تكاد تكون معدومة، فكان المؤلِّفون يعتمدون على كُتب لم يحاول مؤلِّفوها حصر الأمكنة، بل أكثرهم لا يقصدها بالتأليف، وإنما أورد ما أورد منها عرَضًا، حينما يحاول شرح نص أدبي، أو إيضاح معنى بيت مِن شِعر. وقد أُلِّفت هذه الكُتب في عهود متقدِّمة، فدخلها التصحيف والتحريف". ومِن هذا المنطلق، دعا الجاسر إلى تأليف هذا المعجم، الذي مسّت إليه الحاجة بالنسبة للمثقّفين، والمذيعين، ورجال الإعلام. وقد رأى أنّ الواجب يقع على وزارة الإعلام؛ إذ هو مِن صميم عملها، لكنّ الأعمال الرسمية كثيرًا ما تأخذ وقتًا طويلاً مِن أجل تحقيقها؛ ولذلك، فقد رأى أن تتضافر جهود المثقّفين مِن أبناء هذه البلاد لتحقيق هذا المشروع، كل بحسب إسهامه وإمكاناته على مستوى المناطق المختلفة في المملكة، ثم قال: "إننا بحاجة إلى أن نجد بين أيدينا معجمًا يوضّح للقارئ الصورة الصحيحة للنُّطق باسم هذه المدينة، أو القرية، أو المكان، ثم الموقع، ثم ما يستطاع إيضاحه مِن حيث حدود ذلك الموقع، وبيان جهته في الإقليم، أو المقاطعة، مع الإشارة بطريقة موجزة إلى تاريخه القديم" (ص:٤٨٣).[٢]

هكذا حدّد حمد الجاسر ملامح المعجم الذي يطمح إليه، وأضاف إلى ذلك خطوة عملية بأن أعطى صديقه الأستاذ محمد أحمد العقيلي قائمة حصل عليها بأسماء بعض المواقع في منطقة جازان، وطلب منه أن يبدأ العمل بالمعجم الجغرافي، انطلاقًا مِن هذه القائمة. وقد استجاب العقيلي لهذا الطلب، وكَتبَ

نواة هذا المعجم عن مقاطعة جازان، ونَشَر الجاسر بواكير عمَلِه في **العرب** تحت مسمَّى: "المعجم الجغرافي الحديث للبلاد العربية السعودية، مقاطعة جازان".[٣] واستمرَّ العقيلي يَنشر ما كَتَبه حول مناطق جازان في أعداد **العرب** التالية.

لقد لقي مشروع المعجم بعد ذلك قبولاً لدى الدولة والباحثين. فقد أصدر الملك فيصل أمْرَه إلى وزارة الإعلام، كي تساعد على جَمْع موادّه وطبْعه، واستجاب عدد مِن الباحثين للفكرة بتأليف معاجم لبعض مناطق المملكة التي ينتمون إليها، وكان مِن نتيجة ذلك أن صدرتْ المعاجم الآتية:

١ – **المعجم الجغرافي: مقاطعة جازان**، تأليف محمد بن أحمد العقيلي، سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

٢ – **عالية نجد**: وتشمل إمارات الدوادمي، والقويعية، والخاصرة، وعفيف، ووادي الدواسر، تأليف سعد بن جنيدل، صدر سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٨م في ثلاثة مجلّدات.

٣ – **بلاد غامد وزهران**: تأليف علي بن صالح السلوك الزهراني، صدر سنة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، وصدرت طبعته الثانية سنة ١٤١٠هـ/١٩٨١م.

٤ – **معجم اليمامة**: تأليف عبدالله بن محمد بن خميس، صدر سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، مجلدان.

٥ – **بلاد بارق**: تأليف عمر غرامة العمروي، صدر سنة ١٣٩٨-١٣٩٩هـ.

٦ – **بلاد بني الحجر**: تأليف عمر غرامة العمروي، صدر سنة ١٣٩٨هـ.

٧ - **بلاد القصيم:** تأليف محمد بن ناصر العبودي، صدر سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ثم صدَرتْ طبعته الثانية سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م في ستة مجلّدات.

٨ - **الموسوعة الجغرافية لشرقيّ البلاد العربية السعودية:** تأليف عبدالرحمن ابن عبدالكريم العبيِّد، صدر سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م مجلّدان.

ويدخل ضِمن أهداف مشروع المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، وإنْ لم تُنشر ضِمن إطار ذلك المعجم، مؤلّفات أخرى هي:

- **معالم الحجاز:** تأليف عاتق بن غيث البلادي، صدر سنة ١٣٩٨هـ، في ثلاثة مجلّدات.
- **قلْب الحجاز:** بحوث جغرافية وتاريخية وأدبية، تأليف عاتق بن غيث البلادي، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- **معجم المواضع والقبائل والحكومات:** تأليف حمود بن ضاوي القثامي، صدَر سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- **شمال الحجاز:** تأليف حمود بن ضاوي القثامي، صدَر سنة ١٤٠٣-١٤٠٦هـ، مجلدان.

أما ما أصدره الشيخ حمد الجاسر، ضِمن إطار هذا المعجم فهو الآتي:

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية-** المقدمة: في ثلاثة مجلّدات، صدَر سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م. وقد وُصِفتْ هذه الطبعة بأنها طبعة تجريبية وتمهيد.
- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية:** شمال المملكة (وهو يشمل إمارات حايل والجوف وتبوك وعرعر والقريات)، وقد صدَر سنة

١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، في ثلاثة مجلّدات.

- **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية: المنطقة الشرقية (البحرين قديمًا)**، في أربعة مجلّدات، ط١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١ – أهداف المعجم:

بيّن الجاسر في مقدّمات ما شارك به مِن كُتب في هذا المعجم أهداف تأليف هذا المعجم، ويمكن أن تلخّص بالآتي:

١ – سدّ الفراغ في البحوث الجغرافية الحديثة عن هذه البلاد، وتوفيرها للباحث، حيث لا يجدها في المؤلّفات القديمة لقِلّة ما كُتِبَ عن مواقع الجزيرة العربية.

٢ – رصد المواقع الجغرافية بأشكالها المختلفة مِن جبال وأودية، وتسجيلها حسب حالتها الحاضرة. ومعروف أنّ كثيرًا مِن أسماء الأمكنة لم تتضمّنها كُتُب معاجم البلدان القديمة.

٣ – تصحيح ما ورد في المؤلّفات القديمة مِن أخطاء، وبخاصة في تحديد المسافات وأسماء البلدان، ومحاولة التغلب على التصحيف والتحريف، والتضارب في الأقوال الواردة في تلك المؤلّفات، لكونها أُلّفت خارج الجزيرة العربية، ودون مشاهدة المواقع على الطبيعة.

٤ – الرّبط بين كثير مِن هذه المواضع وما ورد في التراث العربي القديم مِن غزوات وأيام وأشعار وقصص، وغير ذلك مِن تراث، وتحديد هذه المواضع تحديدًا عصريًا.

٢ – مناهج التأليف:

لم يتّفق المشاركون في تأليف المعجم على منهج محدَّد في كتابة المواد، و لم يرسموا خطة واحدة تُتَّبع في تدوين معلوماته. والواقع أنّ هذا الأمر لم يغِبْ عن ذهن الدّاعي إلى تأليف هذا المعجم؛ فقد أشار في مقدمة كِتابه (المقدمة) إلى أنه كان مِن الأوْلى والأحدى أن تتولى القيام بهذا المعجم مجموعة مِن ذوي الاختصاص، بطريقة مرسومة منذ البدء بالعمل، ولكنّ ذلك لم يكن ممكنًا نظرًا لِتعذُّر اجتماع هؤلاء المختصّين[٤].

وكان مِن نتيجة ذلك، أنْ جعل الأمر متروكًا لكل باحث على حِدَة، يكتب المادّة التي يسهم فيها بالطّريقة التي يراها مناسبة، حسب ما يتوافر لديه مِن استعداد علميّ أو بحثيّ، وبحسب ما يمتلك مِن معلومات.

وقد نتج عن ذلك تفاوت ملحوظ في مستوى كتابة هذا المعجم؛ مِن حيث الحدود العلمية التي يلتزم بها كل مؤلف، ومِن حيث الإسهاب، أو الاختصار، ومِن حيث الالتزام بربط الماضي بالحاضر، أو عدم ذلك، ومِن حيث التركيز على الاسم الشائع، وإهمال الاسم القديم.

بل إننا نجد تفاوتًا في ترتيب المواد داخل هذه المؤلّفات.

والملحوظ أنّ معظم المؤلّفين –ما عدا الشيخ حمدًا الجاسر– قد وجّهوا اهتمامهم إلى الاسم في حالته الحاضرة، وتفاوت تعاملهم مع الاسم القديم؛ وسوف نتحدّث عن ذلك بالتفصيل، عند الحديث عن منهج الشيخ حمد الجاسر في تأليف هذا المعجم.

٣ – مصادر الجاسر في تأليف المعجم:

يلفت النظر في منهج الجاسر لتأليف هذا المعجم –بالنسبة لما كَتَبه مِن

أقسامه- اهتمامه البالغ بِذِكر المصادر؛ فهو يرصد في مقدمة أيّ قِسْم تولّى كتابته مصادره المكتوبة، مطبوعة ومخطوطة، ولعلّ أهمها ما يأتي:

أ – البيانات الرسمية، ومنها:

١- كِتاب "حصر المباني والسكان"، وضْع مصلحة الإحصاءات العامة بوزارة المالية والاقتصاد الوطني –المملكة العربية السعودية– البيانات الأولية سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢- دليل مسمَّيات المدن والقُرى والهِجَر بالمملكة العربية السعودية، مِن عَمَل مصلحة الإحصاءات العامة في وزارة المالية – جمادى الأولى سنة ١٣٩٠هـ.

٣- دليل القُرى والقبائل في المملكة، عمَل وزارة الداخلية سنة ١٣٩٤هـ.

٤- بعض البيانات الإحصائية الخاصة بالسكان.

ب – الكُتب والصُّحف:

وتنقسم إلى كُتب تراثية، وأخرى حديثة. وتنقسم الكُتب التراثية إلى كُتب مخطوطة وأخرى مطبوعة. أما المخطوطة، فمِن أهمها: كِتابُ "الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها، المذكورة في الأخبار والأشعار" لأبي الفتح نصر بن عبدالرحمن الإسكندري، وكِتاب "الأماكن" للحازمي.

أما الكُتب المطبوعة، فتشمل معظم كُتب البلدان المعروفة، وبعض كُتب اللغة، والدواوين الشِّعرية، مثل:

– "معجم البلدان" لياقوت الحموي.

– "معجم ما استعجم مِن أسماء المواضع" لأبي عبيد البكري الأندلسي.

- "مختصر كِتاب البلدان" لابن الفقيه الهمذاني.
- كِتاب المناسك (المنسوب للحربي أو لوكيع).
- كتاب "تهذيب اللغة" لأبي منصور الأزهري.
- كُتب الدَّواوين الشِّعرية. وقد ذكر منها ديوان ذي الرُّمَّة، وديوان جرير، وديوان الفرزدق، وديوان العجّاج، وديوان ابن مقرب الأحسائي.

ومِن الكُتب الحديثة كِتاب "دليل الخليج" للوريمر، المطبوعة ترجمته العربية في قطر؛ وقد طالع منه القسم الجغرافي المكوَّن مِن سبعة أجزاء.

- كِتاب "تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء في القديم والجديد" للشيخ محمد ابن عبدالقادر.

ج - الرحلات:

أشار الجاسر أيضًا إلى ما قام به مِن رحلات في أرجاء هذه البلاد، ومنها رحلة قام بها في صيف عام ١٣٩٨هـ، عندما بدأ كتابة القسم الخاص بالمنطقة الشرقية، استغرقت نحو شهر، قطع خلالها بالسيارة ٤٢٣٤ كيلاً مِن الرياض حتى حدود العراق، والكويت شمالاً وشرقًا، ثم إلى حدود قطر جنوبًا، ورمال يبرين. وتجوّل في أغوار الأحساء وأجوافها، وفي الصمان، وشرق الدهناء؛ إلى جانب رحلات أخرى سَجَّلها في كتابيْه: "في شمال غرب الجزيرة" و "في سَرَاة غامد وزهران".

٤ - منهج الجاسر في تأليف المعجم الجغرافي:

٤/١ - ترتيب المادة:

كَتَبَ الشيخ حمد معجمه الجغرافي وفي ذهنه عمل البلدانيين العرب القدماء مِن أمثال الهمداني، والبكري، وياقوت، وغيرهم؛ ولذلك، فإنه في كثير من

الأحيان -إنْ لم يكُنْ كلّها- يبدأ المادة بالتصدير لأقوال القدماء، فيما يخص الموضع المعيَّن. ويناقش وروده في الشّعر، ثم يعقّب على ذلك بوصف الموقع في العصر الحاضر. ويمكن لنا أن نستعرض مادة واحدة مِن مواد كِتابه "في شمال المملكة" لنتبيَّن الطريقة التي سار عليها في أغلب ما كَتبه مِن هذا المعجم. ففي مادة (حائل) مثلاً، وهي مِن أشمل المواد في المعجم ما يأتي:

أ – يبدأ بضبط الاسم: فهو بِفتح الحاء المهملة، بَعْدها أَلِفٌ فهمزة مكسورة تُقلب ياء فَلاَمٌ.

ب – يأتي بالمعنى اللغوي: "الحائل لغة: النّاقة لم تحمل عامها ذلك، ورجُل حائل اللون إذا كان أسود متغيِّرًا". ثم يأتي بالنطق العامّي فيقول: "والعامّة يسهّلون الهمزة في كلمة (حائل) فيبدلونها ياءً، كعادتهم في مثل هذا الاسم.

ج – يستعرض بعد ذلك ما ورد في كُتب المتقدّمين من البلدانيين، مشيرًا إلى أنّ الاسم يطلق على موقِعين، لكنّ أقوالهم تكاد تجمع على أنّ اسم حائل يطلق على وادٍ. ثم يورد ما قاله الهجريّ، والبكريّ، وياقوت في كتابيه "معجم البلدان" و"المشترك وضعا".

ثم يحدِّد الوادي، على ضوء ما ذكَره الأقدمون. أما حائل البلدة، فلم يطلق عليها الاسم -فيما يعلم- إلا في عصر متأخّر، وكانت الشّهرة إلى ما قبْل قَرْنين مِن الزمن لبلدة (قفار)، الواقعة جنوب قرية حائل.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى ما جاء عن البلدة في أعمال المتأخِّرين، فيورد ما ذَكَره "موزل" عن قرية حائل، ويصحِّح له غلطًا، ويترجم عنه طويلاً.

ثم يذْكر مَن زارها مِن الرّحّالين عَرَبًا ومستشرقين، وينقل مشاهداتهم كالسيد عباس المكي الحسني (١١٣١هـ)، والفنلنـدي والان ١٨٤٥م/١٢٦٢هـ، والإنجليزي بلجريف سنة ١٨٦٢م/١٢٧٩هـ، والإيطالي غوارماني ١٨٦٤م/١٢٨١هـ، ثم يورد ما ذَكَره سليمان بن دخيل في "القول السّديد" مِن وصْف لها وذِكْر لأحيائها، مع عَرْض رسم مخطَّط للمدينة، وضَعه ابن دخيل سنة ١٣٣٠هـ تقريبًا.

ويعود مرة أخرى إلى "موزل"، فيورد وصْفَه لحائـل سنة ١٩١٤م/١٣٣٤هـ.

وبعد هذا كله، يكتب الجاسر وصْفَه الحاضر للمدينة، مِن حيث موْقعها الجغرافي، وارتفاعها عن سطح البحر، والمظاهر الجغرافية المحيطة بها، وتحديد خطَّي الطول والعرض، اللذين تقع عليهما، مع ذِكْر علاقتها بالمناطق القريبة منها، والبعيدة عنها، وما أصابها مِن انتعاش، وعدد المدارس فيها، وعدد سكانها.

هذا المنهج القائم على التسلسل التاريخي للمادة الجغرافية، وتصدير أقوال القدماء مِن البلدانيين، واعتماد الاسم الموضوع في كُتب التراث يوحي بأنّ العمل أشبه ما يكون إنتاجًا جديدًا، وعَرْضًا للمادة الجغرافية القديمة، مضافًا إليها المعلومات التي جدّت بَعدَها، سواء في المؤلّفات القديمة، أو الحديثة، أو المبنيّة على المشاهدة والاستقصاء.

ولا شك أنّ الجاسر كان يضع في ذهنه معطيات التراث الجغرافي القديم.

ومِن أهدافه المعلنة -والتي يشير إليها كثيرًا في كُتبه بحماس- الرّبط بين الماضي والحاضر. ولكنه بوضعه المعلومات التاريخية والجغرافية القديمة في صدر المادة، كأنما يعطي الأولوية لهذه المعلومات، ولا يجعلها خلفية للمعطيات الحديثة عن الموقع الجغرافي. وبعبارة أخرى، فإنه وإنْ كان قد ربط الماضي بالحاضر، إلا أنّ الحاضر لا يأخذ مكانه في التأليف الجغرافي عنده إلا مِن حيث كونه إضافة للماضي، وليس أساسًا تستكشف خلفياته الجغرافية والتاريخية في التراث. وهذا بالطبع ينطبق على الأسماء التي وردتْ عنها معلومات جغرافية وتاريخية تراثية. أما المعلومات الخاصة بالمواقع التي لم تذكر في كُتب التراث، فلا ينطبق عليها ما ذكرناه.

هذا المنهج الذي اتّبعه الجاسر في ترتيب المادة يكاد يخالفه كثير مِن الذين شاركوه في كتابة أقسام أخرى مِن المعجم الجغرافي. فإذا نظرنا إلى القسم الخاص بمنطقة "عالية نجد"، فإننا نجد الشيخ سعد بن جنيدل يرسم منهجه في مقدمة كِتابه على النحو الآتي:

"تبدأ دراسة الموضع باسمه الذي يُعرف به **في هذا العهد** دراسة ميدانية، تعتمد على وصْفِه الجغرافي، وتحديده، ومعرفة القبيلة التي يقع في بلادها في هذا العهد، ثم تثبت هذه الحقائق بشواهد مِن الشّعر الشعبي، إن وُجدت له شواهد، ثم بحثه في كُتب المعاجم القديمة، والشّعر العربي القديم، وتاريخ القبيلة التي يقع في بلادها قديمًا(٥)". وهكذا نجد ابن جنيدل يهتمّ بالوضع الحالي للموقع الجغرافي، وما يحيط به مِن أدبيات معاصرة كالشّعر النبطي، ثم بعد ذلك ينتقل إلى كُتب التراث.

ويبدو الشيخ محمد بن ناصر العبودي أكثر المشاركين مخالفة لمنهج الشيخ مِن حيث الترتيب، فهو يقول: "وخطتي التي سِرْت عليها هي أنْ أذكر الموضع في الاسم المخصّص له حسب حروف المعجم... ثم أضبطه ضبط قلم، ثم ضبط حروفه بذِكر الحركات اللفظية كما يلفظ باسمه في **الوقت الحاضر وليس على مقتضى اللفظ الفصيح**، ثم أعرّف الموضع تعريفًا مناسبًا... وهذا بالنسبة للتعريف الذي أضفيه على الموضع مِن عندي. أما بالنسبة للتعريفات القديمة، والنصوص التي وردت فيه إذا وجدت، فإنني أحرص على استكمالها وذِكْرها كلّها. ثم أذْكر بعد تعريفي الخاص للموضع تعريف القدماء به، إنْ وُجد، ثم أذْكر الشواهد الشّعرية، وبقية ما يتعلق به. وقد تعمّدتُ أنْ أذكر بعض اللّمحات التاريخية التي حدثتْ في بعض المواضع على وجه الاختصار.

...وقد جعلته **معجمًا حيًّا**، فلم أخصّص رسمًا فيه إلا لموضع يسمّى بذلك الاسم الذي ذُكر به له في الوقت الحاضر. فلم أذكر فيه رسومًا تاريخية أوردها البلدانيون الأقدمون وخفي علينـــا أمرها، وإنْ كانوا ذَكروا بما لا يدع مجالاً للشك أنها في منطقة القصيم، حتى إذا ترجّح عندي أنّ أسماءها قد تَغيّرتْ، فإنني **لا أذْكرها بأسمائها القديمة**، وإنما أتكلم عليها وأشرح أمرها، وأورد النصوص القديمة فيها تحت الأسماء المحدثة التي أصبحت تسمّى بها، لأنني اعتمدتُ على الأسماء المعروفة المتداولة في الزمن الحاضر.[٦] "ويمثل لذلك بالتّباج و(القنان) و(الستار)، فهذه لن يجدها القارئ في مداخل خاصة بها، وإنما يجدها في مداخل الأسماء الحديثة لها وهي على التوالي: الأسياح، والوشم، والربوض". وعلى القارئ أنْ يبحثَ عن هذه الأسماء القديمة في الفهرس العام للمعجم، وقد أوْرَدَ في الكِتاب فهرسًا خاصًّا لهذه الأسماء[٧].

أما الشيخ عبدالله بن خميس، فلم يذكر منهجه في تأليف كِتاب "معجم اليمامة"، ولكنّ القارئ للكِتاب يدرك أنه لا يتّخذ منهجًا واضحًا في ذلك، فهو تارة يبدأ بالتعريف بالحديث، وتارة يبدأ بتعاريف القدماء. ويظهر أنه يعتمد الاسم الحديث مِن خلال اسم الموقع، ولا يكاد يعدل إلى الاسم القديم إلا نادرًا، وقد يشير إليه، إلا إذا كان الرسم غير مختلف فيبدأ به، فهو مثلاً يورد (مرآة) في مدخل "مرأة" ولكنه يخصِّص مدخلاً لـــ"حريملاء" ولا يعتمد على الاسم القديم "حرملاء"، بل يشير إليه في تضاعيف المادة. وعلى أي حال، فإنّ إشارات ابن خميس إلى المصادر القديمة محدودة، وانتفاعه منها يقتصر على ورود الاسم في المصدر منسوبًا إلى اليمامة، بينما يفيض في ذِكْر الحوادث التاريخية في العصور المتأخِّرة. كما يذكُر أهمّ الأُسَر في هذه البلدان، وأسماء أعيانها وعلمائها، وهو ما لا نجده كثيرًا عند أحد مِن مؤلِّفي المعجم.

وقد صرَّح عمر غرامة العمروي بعدم رجوعه إلى المصادر المكتوبة حديثًا عن رجال الحِجر، ولا المصادر القديمة لكونها بحاجة إلى تصحيح، وهذا –كما يقول– يخرجنا عن المقصود الذي هو وضع معجم جغرافي يشمل مواضع القبائل المذكورة"[٨].

أما الأستاذ عبدالرحمن العبيِّد، فقد كان مِن خطته –كما ذكر في المقدمة[٩] أنْ يكتب "عن الأسماء التي **تحقق وجودها** والتي **تنطبق على مواضع حيَّة ومعروفة بالفعل**. ولم يورد المعلومات الجغرافية والتاريخية القديمة المتعلقة بهذه الأماكن، بل فضَّل فصلها، وجعلها في أجزاء أخرى لاحقة حددها كالآتي:

١- المنطقة الشرقية في دليل الخليج للوريمر (تعقيب وتصويب على المجلدات الأربعة عشرة).

٢ – تاريخ شرق الجزيرة العربية عَبْر العصور.

٣ – نصوص تاريخية وجغرافية لمواقع مجهولة في المنطقة الشرقية".

ومع ذلك، فإننا لا نعدم رجوعًا إلى كُتب الجغرافيين العرب القدماء في موسوعة العبيِّد، ولكنه رجوع في صورة تعليق يحاول الربط بين المكان الحاضر والوصف القديم (انظر مثلاً: الجبجوب=الجباب عند ياقوت[١٠] كما لا نعدم البدء بذِكر ما ورد عن الموقع في التراث كما في (جودة)؛ حيث يأتي كلام المؤلِّف تعليقًا على أقوال القدماء[١١].

وبالنسبة للشيخ حمد الجاسر، فإنّ الذي ذكرناه يمثِّل الأغلب، ولكننا لا نعدم تغييرًا لهذا المنهج في بعض المداخل كما في رسْم (حقل) "في كِتابه "شمال المملكة"[١٢]؛ فقد بدأ بذِكر (حقل) المعاصرة مِن حيث موقعها وسكانها، ثم عقَّب ذلك بذِكر ما جاء في الكُتب القديمة مِن كُتب البلدان والرحلات والأنساب، ثم أورد ما قاله موزل عنها، وكما في رسم (الشيخ حميد)[١٣] ومواضع قليلة أخرى.

ومِن ملامح سيطرة التراث على طريقة الشيخ حمد في ترتيب مادّته إصراره على الاسم التراثي، وتجاهله للاسم الحديث؛ فالخفجي مكانها: (الخفقي) و (لاهة) في العصر الحاضر، نجدها في (إلاهة) الاسم القديم. و(نيال) المعاصرة، نجِدها في (نيان) التراثية، وموقع (كريم) في شمال المملكة –كما ينطقه أهل المنطقة– نجده في مدخل (كريب). الاسم التراثي. و(إبقيق) توجد في (بقيق) الاسم الفصيح في حرف الباء وليس في حَرف الألف، بينما نجد الآخرين مِن المؤلِّفين يكتبون الاسم بصورته الحالية مِثْل: (الخفجي) وليس (الخفقي) عند عبدالرحمن العبيِّد، و(ثادج) وليس (ثادق) عند محمد العبودي، و(تيما) في

عالية نجد وليس (تيمن) عند ابن جنيدل ونحو ذلك. على أنّ الشيخ حمدًا في مواضع قليلة ذَكر الاسم العامّي مثل (أقبة) وقال إنه نطق عامّي[١٤]، وأحال إلى (قبة) لتحديد المكان، والواقع أنّ معالجة للمداخل على هذا الأساس بالنسبة للمواضع ذات الأسماء المختلفة عن هذا العصر والمتغيِّرة عَبْر العصور، تُفوِّت على القارئ كثيرًا مِن الفوائد، وتُفقده الوصول إلى بغيته مِن الكِتاب؛ فالتمسك بالرسم القديم للاسم يفترض في القارئ أنْ يكون عالِمًا بأسماء المواقع الجغرافية عند الأقدمين، ويجعل المعجم صالحًا للخاصة مِن الناس. كما أنّ التمسك بالاسم الحديث والاقتصار عليه، يفقد الباحث عن الاسم التراثي الوصول إلى مبتغاه مِن الكِتاب. وعلاج ذلك يكون بوضع مدخلين في المعجم لكِلا الاسمين مع إحالة أحدهما إلى الآخر.

٤/٢ — استيفاء المادة:

مِن أهمّ ما يميِّز عمل الشيخ حمد الجاسر فيما كَتبه مِن أقسام "المعجم الجغرافي"، محاولة الإحاطة بكل ما كُتب عن الموقع في القديم والحديث؛ وهو عمل شاقٌّ، يمثل اتجاهًا موسوعيًّا في خدمة المادّة، كما يدل على إحاطة واسعة، ليس بمصادر التراث الجغرافي المختلفة -التي يكاد يكون الجاسر قد تمثّلها جميعًا، وانطبعت في ذاكرته- وحسب، ولكن بما كُتِب عن بعض هذه المواقع في مصادر ومراجع أخرى لا تتاح لكل واحد، بل يصعب الحصول عليها أحيانًا. وقد وضّحنا شيئًا منها عند الحديث عن المصادر، وقد سوّغ الجاسر ذلك الاتجاه في حشد المعلومات، بقوله: "لقد جمعتُ ما استطعتُ جَمْعَه مِن المعلومات المتعلقة بالموضوع، مما وقع تحت يدي مِن المؤلّفات، وحرصتُ على أنْ أريح القارئ مِن مطالعتها للبحث عن نصوص لها صلة بهذه البلاد"[١٥].

وهذا الحرص على استيفاء ما يذكر حول بعض الأماكن، وإنْ كان ميزة كبرى تحسب للعمل، إلا أنه يوقع أحيانًا في الاستطراد والإطناب، الأمر الذي سنشير إليه فيما بعد.

ومِن صور استيفاء المادّة عند الجاسر ذِكْره لمواضع وردتْ عند الجغرافيين القدماء، و لم يستدل على مكانها في الوقت الحاضر. يشير في ذلك إلى قوله: "ووضعتُ أمامه (القارئ) طائفة كبيرة مِن أسماء المواضع لم أهتدِ إلى معرفة مواقعها في هذه المنطقة، مع محاولة التوفيق بين متضارب النصوص، وتطبيق كثير منها على مواضع لا تزال معروفة، وأوردتُ نصوصًا لم أحدِّد المواضع المذكورة فيها تحديدًا تامًّا، بل اكتفيت بذِكر الجهة التي ترجَّح عندي وقوعه فيها، بمعنى أنني حصرته في جهة معروفة، وأرحتُ الباحث مِن أمثال "بين البصرة ومكة" أو "بين اليمامة والبحرين""[١٦].

ومِن صُوَر استيفاء المادة الجغرافية ذِكره بعض المواضع المذكورة في النقوش الأثرية؛ فقد خصَّص في كِتابه "في شمال المملكة" مدخلاً لـــ(أمر) قال إنه وَرَدَ في كتابة أثرية في المتحف البريطاني Amuru اسمًا لِوَاحة تيماء على ما ذَكَرَ موزل. وربط بين هذا النقش وبين ما ذَكَرَه ياقوت في رسم (البسيطة) باسم (أمر) علَمًا على ما يحد البسيطة مِن جهة الشام، ثم قال: "فقد يكون اسم واحة تيما يصل إلى هذا الماء، أو أنّ الوارد في النقش الأثري يشير إلى موضع واقع في الطريق إلى تيماء مِن الشام"[١٧].

٣/٤ – دراسة المادة:

مما لاشك فيه أنّ دراسة المواقع في الجزيرة العربية ومقارنتها بالقديم،

واستخلاص الرأي في انطباق الأسماء القديمة على المواضع المعروفة في هذا العصر مِن المهمّات الشّاقّة التي ينبغي ألاّ يتصدّى لها إلاّ مَن كان على اطلاع واسع على التراث القديم، ولقد تهيأ للشيخ حمد الجاسر خبرات لم تتهيأ لغيره في هذا الشأن، لا على مستوى الجزيرة العربية، وإنما على مستوى العالَم العربي؛ فقد بدأ منذ زمن مبكّر علاقته بِكِلاَ الأمريْن: التراث العربي وجغرافية الجزيرة المعاصرة.

ونتيجة لذلك، توافرتْ لديه خبرات تراكمية قلَّ أنْ تتوافر لدى غيره مِن الباحثين. ومِن خلال هذه الخبرات تبيَّن للشيخ حمد:

١- أنّ كثيرًا مِن المعلومات الواردة عن مواقع في الجزيرة العربية تأتي موجزة ومقتضبة.

٢- أنّ تحديد القدماء لكثير مِن المواضع ليس كافيًا.

٣- أنّ مِن أسماء المواضع التي ذكرها القدماء ما جهلت جهته و"مهمة الباحث المدقّق، إيضاح تلك الجهة، متى استطاع إلى ذلك سبيلاً"(١٨). وذلك كقول ياقوت نقلاً عن نصر: "التل جبل بين مكة والبحرين".

٤- أنّ كثيرًا مِن هذه الأسماء قد أصابها التحريف والتصحيف؛ ولذلك فإنّ ورود الاسم في أحد المؤلّفات ليس كافيًا للحُكْم بصحته، ما لم تتوافر النصوص على صحة ضبطه، وما ليس كذلك فعلى الباحث تصريف الاسم على عِدّة وجوه، حتى يهتدي إلى الوجه الذي يراه قريبًا مِن الصواب".

٥- كثرة التضارب في أقوال المتقدِّمين، نظرًا لتعدّد الأسماء، وورود أقوال متضاربة عنها بأوصاف مختلفة دون تمييز.

٦- إنّ تحريف الأسماء وتغييرها قد حدث بسبب اختلاط السكان المحدثين بالأجانب، أو بطغيان العاميّة.

في ظل هذه المعطيات التي مرَّت بها الأسماء التراثية، أصبح مِن الصعب إبداء الرأي الفصل في موضع قديم، وتثبيت موقعه الحالي، وبخاصة إذا لم يكن مشهورًا دون إجراء مزيد مِن البحث، والتقصّي، والمقارنة، وغربلة الآراء، والوقوف على الموقع، ودراسة ما حوله مِن مواقع، وصلة ذلك كله بما ورد في الشّعر، أو في التراث الجغرافي القديم، وعَرْض ذلك على الظروف السياسية والاجتماعية، والعلاقات بين القبائل وحركة تحوالها واستقرارها.

هذا مع العلم بأنّ ورود المكان في شعر الشاعر لا يدلّ، ضرورة، على انتمائه إلى مكان سكن قبيلة الشاعر، إذ قد يذكر الشعراء أماكن بعيدة عن مساكن قبائلهم.

والجاسر يراعي جميع ذلك في معالجاته لأسماء هذه المواقع، وتحديد أماكنها. انظر إليه وهو يحدِّد مكان (فردة) في منطقة حائل التي وردتْ في الشّعر القديم، والتي مات فيها الصحابي الجليل زيد الخيل (الخير) الطائي عند منصرفه مِن المدينة، وفيها وقعت سريّة زيد بن حارثة بعير قريش. فبعد أنْ يستعرض الأقوال في ضبْط الاسم، وهل هو (فردة) أم (قردة) وأين يقع، يخلص إلى القول "فمِن عبارات المتقدّمين، نكاد نفهم أنّ التي في بلاد طيء فردة –بالفاء– وهي التي ذكَرها لبيد"(١٩).

ثم يستعرض التعريفات التي حددتها المصادر عند القدماء وهي خمسة تعريفات، ويرى أنها جميعًا منطبقة على موضع واحد لا يزال معروفًا، وبقربه

قبر يقولون عنه إنه قبر (أبي زيد الهلالي سلامة)؛ ولا شك أنه قبر أبي مهلهل زيد الخيل الطائي.

وبعد أن يلخّص خبر وفاته عن "معجم البلدان"، وفيه ذِكْر لسَفَره مِن المدينة وموته في (فردة)، وقوله شِعْرًا في ذلك يقول: "إنّ زيدًا تنكّب أرض قيس -كما تقدَّم- وهم قيس عيلان، وبلادهم كانت تحيط بشرق المدينة، وتنتشر في الحرار الشرقية منها، وفي الأودية المنحدرة مِن تلك الحرار شرقًا إلى قرب بلاد طيّء، والتي تفيض في وادي الرمة. ولا شك أنه أخذ طريق خيبر فتيماء، ثم عطف مِن طريقهما المتجه إلى بلاد طيّء؛ حيث يمرُّ بماء فردة التي لجرم مِن طيّء بغرب الجبلين المعروفين بهذا الاسم، وهناك قضى نَحْبَه -رضي الله عنه".

ويلاحظ أنّ بعض الباحثين يرَوْن أنّ قبر زيد معروف في هضاب"فردات" الواقعة جنوب قرية سميراء، ويردّ على ذلك بأدلة استنتاجية أربعة، ترتبط ثلاثة منها بأماكن استقرار القبائل في ذلك الوقت: قيس عيلان وجرم، وبني أسد، وغير ذلك.

ثم يناقش قضية طريق سريّة زيد بن حارثة، وقول القدماء إنّ فردة بين المدينة والشام، ويلاحظ أنّ للمدينة طُرقًا إلى الشام كثيرة. وبعد دراسة طريق التجارة القرشي إلى الشام، يلاحظ أنّ قريشًا -بعد أن قويت شوكة الرسول صلى الله عليه وسلم- قد غيَّرت طريق الساحل إلى طريق آخر، هو طريق الشام. وبهذه الصفة، يمرّ الطريق بفردة بأعلى ديار طيّء"[٢٠].

ويذكر الهجري وادي عرعر، ويجعله مِن أودية كلب؛ بينما يجعله الهمداني في "صفة جزيرة العرب" واديًا لِطيِّء، ويبدو الكلام متناقضًا. ولكنّ الجاسر يجمع بين القولَيْن بقوله إنّ طيئًا المجاورة لقبيلة كلب حلّت بلادها، وفيها هذا الوادي، بعد ضعف قبيلة كلب، وانتشار فروع قبيلة طيّء بعد الإسلام"(٢١).

(للبحث صلة)

أ.د. أحمد بن محمد الضبيب

الهوامش:

(١) الجاسر، حمد، نقد معاجم الأمكنة بجزيرة العرب، **المنهل**، مج٦، ع١، المحرم سنة ١٣٦٥هـ، ص١٥.

(٢) الجاسر، حمد، دعوة إلى تأليف معجم جغرافي لبلادنا، **العرب**، مج٢، ع٦، (ذو الحجة سنة ١٣٨٧هـ/آذار سنة ١٩٦٨م)، ص٤٨٣.

(٣) **العرب**، ٦/٤٨٤-٥١١.

(٤) الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المقدمة، ط١، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٧.

(٥) ابن جنيدل، سعد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، عالية نجد، ط١، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ١/١٩.

(٦) العبودي، محمد بن ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، بلاد القصيم، ١/ ١٦-١٨.

(٧) نفسه، ٦/٢٦٢٤.

(٨) العمروي، عمر غرامة. مقدمة المؤلف، ص: غ.

(٩) العبيد، عبدالرحمن بن عبدالكريم، الموسوعة الجغرافية لشرق البلاد العربية السعودية، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ١/١٤-١٥.

(١٠) المصدر نفسه، ١/٢٣٩.

(١١) المصدر نفسه، ١/٢٦٤.

(١٢) الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، شمال المملكة، الرياض، دار اليمامة

للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ٤٥١/١.

(١٣) نفسه، ٥٦١/١.

(١٤) الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١٦٥٨.

(١٥) الجاسر، حمد، المصدر نفسه، ص٩.

(١٦) المصدر نفسه، ١٢-١٣.

(١٧) الجاسر، حمد، شمال المملكة، مصدر سابق، ١٣٥/١.

(١٨) الجاسر، حمد، المنطقة الشرقية، مصدر سابق، ٢٣/١.

(١٩) الجاسر، حمد، شمال المملكة، مصدر سابق، ص١٠٢٩.

(٢٠) المصدر نفسه، ص ص ١٠٣٠-١٠٣٣.

(٢١) المصدر نفسه، ص٨٩٦.

هوامش حول رحلات كتاب

"حمد الجاسر للبحث عن التراث"

(٥)

(٣٦)

مخطوطات باريس

عقد علاّمة الجزيرة فصلاً طويلا للحديث عن أيامه في باريس وحضوره مؤتمر المستشرقين المنعقد فيها -مدة أسبوع- خلال أيام تموز عام ١٩٧٣.

كانت متعة الشيخ في لقاء أعلام يَعرِفهم ويحبُّهم. وأما أبحاث المؤتمر فكانت تُلقَى بغير العربية -وهو لا يعرف تلك اللغات- وقال: وماذا يهمّني مِن أبحاث مؤتمر يصفه الدكتور صلاح الدين المنجد نفسه بقوله: (كما لوحظ أنّ المستشرقين اليهود مِن جميع البلاد كان لهم أثر واضح ونشاط ملموس في توجيه المؤتمر وفي إدارة أقسامه)[1].

وأكد الشيخ حمد الجاسر: عجزَ العلماء العرب -ممن حضر المؤتمر- عن إقناع القائمين على أمور المؤتمر بأن تُلقى الأبحاث المتعلّقة بالدراسات العربية والإسلامية باللغة التي كانت أساسًا لتلك الأبحاث. ثم استطاع أستاذنا -في سطور محدودة- تلخيص جهود المستشرقين في مجال الدراسات العربية تلخيصًا واقعيًا جامعًا مانعًا، فقال: مِن أبرز هذه الجهود[2]:

١ – توجيه الدراسات التاريخية والأدبية واللغوية توجيهًا جديدًا، ورسْم طُرُق لتلك الدراسات التي أمدّت الثقافة العربية بحيوية وثروة.

٢ – اتخاذ طريقة جديدة في إحياء التراث العربي تسهّل للباحث الاستفادة منه بأسهل الطُرُق.

٣ – توجيه الباحثين مِن العرب إلى العناية بالتراث بصيانته، ووضْع فهارس

شاملة له، ثم إطلاعهم على ما تحويه خزائن الكُتُب في بلاد الغرب منه، ونشْر دراسات وافية عن نوادر المخطوطات العربية.

٤ – عناية (بعضهم) بدراسة تاريخ العرب مِن خلال آثارهم، ومِن ثمّ التنقيب عن تلك الآثار بقيامهم برحلات في أنحاء مختلفة مِن الجزيرة وغيرها مِن البلاد العربية، وجَمْعِهم قدرًا كبيرًا مِن تلك الآثار في متاحفهم، ثم دراستها دراسة علمية، ونشْر تلك الدراسات، وكُتُب الرحلات التي قاموا بها وهي تحوي آراء ومعلومات عن بلادنا على جانب كبير مِن الأهمية.

وقد أمضى شيخنا في باريس مدة أسبوعين[٣]، عرّج بَعْدها إلى لندن. ثم عاد ثانية إلى باريس في الرابع عشر مِن رجب عام ١٣٩٣هـ؛ حيث أمضى فيها ثلاثة أيام مِن رجب، غادر بعدها إلى أسبانيا؛ خصّص يومين منها للاطلاع على المخطوطات في المكتبة الوطنية في باريس، خابت رغبته في أوّلها لعدم حصوله على بطاقة دخول، لنِسيانه جواز سفره.

وكان طبيعيًا أنّ يومًا واحدًا هو السادس عشر مِن رجب ١٣٩٣هـ لم يَكنْ كافيًا للوقوف على نوادر المكتبة وكنوزها التي تناهز السبعة آلاف مخطوط عربي. ورغم ضيق وقته، فقد وصف كتابين أحدهما عنوانه "المخبر اللبيب عن منزل الحبيب" خلو مِن اسم مؤلّفه، وهو جزء مِن كِتاب أوراقه مختلّة الترتيب، يصل بأحداثه إلى بواكير القرن العاشر، قال الشيخ: (وقد سألت عنه مؤرخ المدينة وعالمها السيد عبيد مدني وهو يُعنى بتأليف كِتاب عن مؤرّخي المدينة وتواريخها، فذَكَر لي أنه لا يعرف شيئًا عن هذا الكِتاب). وأمّا الكِتـــاب الثاني، الذي ذكَره، فهو نسخـــة مِن "ديوان الزمزمـــي المكي"

(ت ٩٧٦هـ). قال: إنه لم يتمكّن مِن الاطلاع عليها لِضيق وقته[٤]. وقد مرّ الحديث عن هذه النسخة فيما تقدّم.

وإنه لأمر محزن أنّ ضِيق وقت علاّمة الجزيرة لم يسمح له بالوقوف طويلاً على مخطوطات دار الكتب الوطنية في باريس، وهي تضمّ النوادر والعجائب[٥]. إنّ معظم زوّار باريس يظنّونها مدينة المُتَع والشهوات، وهي ليست قاصرة على ذالك. إنّ أصدق ما قيل فيها قول شاعر عربي مِن شعراء القرن العشرين:

ولقد أقول وأدمعي مُنْهلّةٌ ... باريس لم يعرفك مَن يغزوكِ
إنْ كنت للشهوات رِيًّا فالعُلا ... شهواتهنّ مُروّيات فيكِ

يقول هلال بن ناجي:

لن أقصّ حديث رحلاتي المتعدّدة إلى باريس للترويح عن النفس والنزهة والسياحة، وإنما سينصبّ حديثي على واحدة مِن هاته الرحلات هي أمتعها علمًا لتعلّقها بالمخطوطات العربية، وهي أنفعها حصيلة لما قدّمته لي مِن نوادر مخطوطة وُفّقتُ إلى تحقيقها ونشرها، وهي أخلدها في الخاطر والنفس والقلب، لما اكتنفها مِن جوّ عاطفي بدءًا وختامًا.

• • •

مساء الثلاثين مِن كانون الأول عام ١٩٧٣م، كانت الطائرة تحطّ بي في مطار (أورلي) قادمة مِن بغداد، وكنت قد جئت إلى باريس بعد أن تلقّيْتُ برقية مِن (L. M.) تخبرني أنها بانتظاري فيها.

وحين انتقلتُ إلى قاعة المنتظرين بالمطار -لاستكمال بعض الإجراءات- رأيتها واقفة بانتظاري، وانسربتْ بنا عربَة المطار تخترق الشوارع إلى باريس

التي كانت قبابها وجوانب مِن أرصفتها تلتحف بمعطف مِن الفرْو الأبيض.
كُنّا طوال عشرين يومًا مِن إقامتنا بباريس نقصد دار الكتب الوطنية دار الكتب فيها، أنقّرُ في فهارسها وأختار منها تمهيدًا لفحصه مِن الداخل، بغية انتقاء ما أُريد تصويره. وكانت هي لثقافتها الفرنسية العريقة تملأ الاستمارات المطلوبة بالفرنسية عند وُلُوجِنا الدار، ثم عند انتقالنا إلى القسم الشرقي للمخطوطات. وكانت تُترجِم لي ما ذَكَره المفهرِسان الجليلان الفرنسيان "دي سلان" و "إي بلوشيت" عن المخطوط الذي أختاره ابتداءً، لكي أُلِمَّ بِفِكرة عن محتواه قبل طلب رؤيته، ثم تملأ البطاقات بما أروم الاطلاع عليه، ثم تعيده بعد الاطلاع عليه إن صرفْتُ النظر عنه، أو تملأ استمارة بطلب تصويره إنْ قرَّ رأيي على ذالك. كان ذالك وَكْدُنا، طيلة تلك الأيام المحفورة في أعماق الذاكرة. شأو المخطوطات عندي كالنساء، بعضها ترفضه مِن النظرة الأولى لعقم في موضوعه وتحجّر في أفكاره، وبعضها يبهرك بحسن مظهره، وجمال خطّه، حتى إذا أوغلْتَ فيه رأيتَه حافلاً بالتصحيف والتحريف وبالإهمال والإسقاط. فتصدّ عنه وفي قلبك غُصّة، وفي نفسك حسرة. وبعضها يفوز منك بالرضا ابتداءً حتى إذا جُسْتَ في أعماقه عدت له رافضًا محتويًا لانعدام الأصالة فيه. وبعضها لا يمنحك نفسه مِن النظرة الأولى، فأنتَ معه في عناء ونصَب، شأنك مع حسناء تقنّعتْ بعِدّة براقع، كلّما كشفتَ عنها برقعًا تبدّى لك مِن حُسْنها جديد، حتى إذا تضيت البرقع الأخير، هالَكَ ما فيها مِن جَمالٍ وجِدّة، وأصالة وجودة.

وإنه لشيء ممتع ورائع أنْ يحملك قطار باطن الأرض –في قلب الشتاء– كل صباح من الإنفاليد إلى الكونكورد، ومِن الكونكورد إلى الرويال بالاس،

لتخرجَ بعدها مِن عميق الأنفاق، وسحيق الأعماق، فتصافحك باريس برذاذها المتقطِّع، وحُسْنها المتنوّع، ولتهبَّ عليك دفقة قوية مِن نسيمها المعطار، تبعثه حدائق اللوكسمبرغ، وغابات بولون، وجنائن البلفدير، ينشرح لها صدرك، وينتشي بها حِسُّكَ، وتضيفُ إلى إحساسك بجمال الحياة بُعْدًا جديدًا.

وشيء ممتع ورائع أنْ تظلَّ بَعدها تسير في جادة موغِلة في طولها، شامخة بنيانها يسمّونها جادة ريشيليو، حتى ينتهي بك المسير إلى دار الكتب الوطنية في باريس، وحين تحملك السلالم إلى الطابق الثالث، إذا أنت وجهًا لوجه أمام بوّابة القسم الشرعي لدائرة المخطوطات.

ولم يكن أمتع ولا أروع مِن قضائنا النهارَ كلّه، ونحن نتقرّى تراث أجدادنا العظام، حتى إذا بلغتْ الساعة الخامسة مساءً، ردّنا إلى دنيانا جرس يقرع مؤذنًا بانتهاء الدوام الرسمي، فنخرج إلى الشارع وفلول الضياء تولّي الأدبار، لنعُود معها صبيحة اليوم التالي مقبلة غير مُدبِرة.

في خلال تلك الأيام الخالدة مِن كانون الثاني عام ١٩٧٤، وقفت على مئات المخطوطات مِن كنوز الدار الباريسية، وصوّرْتُ منها العشرات، وما لم يتح لي تسلّم مصورته -على مايكروفلم-، دفعتُ تكاليفه، وأُرسل إليّ فيما بعد على عنواني في بغداد. لم يكن الهدف مما اخترته فصوّرْته تحقيقه جميعًا، فبعض لتحقيقه، وبعض للانتفاع منه في بحوثي ودراساتي وهكذا كان.

لقد كان مِن نوادر ما صوّرْته مخطوطة بخطّ ابن جماعة سمّوها تعليقه ابن جماعة، وهي في واقعها مجلّد ضخم أكثر حروفه مهملة، وعليه هوامش كثيرة عسيرة القراءة، لكنها تذكرة تضمّ كتبًا في كِتاب. كان رقمها في المكتبة

الوطنية الباريسية (٣٣٤٦).

في هذه التعليقة، ظفرتُ بمختصر لـــ"القلادة السمطية في توشيح الدريدية" للصغاني، فقرأتُه، ثم نسختُه، ثم حقّقتُه بمشاركة صديقي المحقّق الثبت د. سامي مكي العاني. وطبع في بغداد سنة ١٩٧٧.

وفي هذه التعليقة، ظفرتُ بترجمة ضافية ومختارات شِعرية لزيد بن الحسن الكندي (أبو اليمن)، فصنَّفتُ أنا وأخي (العاني) كتابنا المعنون: "أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي: حياته وشِعره". وقد طُبع في بغداد سنة ١٩٧٧.

ومِن هذه التعليقة، استخرجتُ نسخة مِن رسالة "تعزيز بيتي الحريري" للصغاني، فأفدتُ منها في تحقيق هذه الرسالة ونشْرها في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٠. وتحفل التعليقة المذكورة بتراجم وأشعار جديرة بالإحياء.

ومما ظفرتُ به في الدار الباريسية نسخة فريدة مِن "البديعية الوسطى" لزين الدين شعبان بن محمد الآثاري (ت ٨٢٨هـــ)[٦]. وكنتُ ظفرتُ[٧] بـــ"بديعيته الصغرى" في الآستانة، ثم بالكبرى في مكتبة عارف حكمة بالمدينة المنوّرة[٨] أثناء تكرّم وزير الإعلام السعودي بِدَعْوتي لأداء العمرة في الديار المقدّسة ضيفًا على المملكة عام ١٩٧٧. وقد أتاح لي هذا ضمّ هاته البديعيات الثلاث إلى بعضها، ونشْرِها في كِتاب واحد بعنوان "بديعيات الآثاري" طبعتْه وزارة الأوقاف العراقية ببغداد سنة ١٩٧٧. وكان بعض الباحثين مِن إخواننا المصريين قد نال الدكتوراه برسالة عنوانها "الصبغ البديعي" (مطبوعة) زعم فيها أنّ بديعية الآثاري (وظنها واحدة) مفقودة !!

ومِن مخطوطات الآثاري الموصلي أصلاً المصري مسكنًا ومدفنًا، قصيدة عنوانها "وسيلة الملهوف عند أهل المعروف" ظفرتُ منها بنسختين في دار الكتب الوطنية بباريس، الأولى ضِمن مجموع مخطوط رقمه ٥٠٥٤ ناسِخُها علاء الدين بن محمد القطبي سنة ١٠٨٨هـ، والثانية في الدار ذاتها ضِمن مجموع برقم ٥٥٦١ ناسِخُها محمد بن علي، أتم نسْخَها سنة ١٢٥٥هـ وخطّها مغربي. فحقّقتُها أثناء وجودي بباريس، وأرسلتُها فنُشِرتْ في "المورِد" البغدادية في العدد الأوّل مِن المجلّد الثالث، الصادر في ربيع سنة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(للبحث صلة)

هلال بن ناجي

الهوامش:

(١) "رحلات حمد الجاسر" ص ٣١٧، نقلا عن مجلة "الجديد" اللبنانية.

(٢) "رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث"، ص ٣١٨.

(٣) من ١٣٩٣/٦/١٤ إلى ٢٨ منه.

(٤) "رحلات حمد الجاسر"، ص ٣٢٢.

(٥) ينظر بحثنا "أحاديث باريسية" بمجلة "الكتاب" العدد ٢، السنة ٨، صفر ١٣٩٤هـ-شباط ١٩٧٤م، ص ٣-١٠.

(٦) رقمها في المكتبة الوطنية ٤٤٧ عربيات.

(٧) رقمها ٢٦٧٩ مكتبة أحمد الثالث بالآستانة.

(٨) مكتبة عارف حكمت رقم ١٣٦ بلاغة – المدينة المنورة.

الأسواق في مكة حتى نهاية العهد الأموي

(٢)

ومِن خلال ما أمدَّتنا به مصادر التاريخ المكي مِن معلومات، يمكن **تصنيف أسواق مكة** إلى المجموعات التالية:

الأسواق العامة: ١- سوق الحَزْوَرَة. ٢- سوق الأبطح. ٣- سوق الليل. ٤- سوق ساعة. ٥- سويقة الحرم. ٦- سويقة قعيقعان.

أسواق الأطعمة:

١- سوق الحنّاطين، ويشمل سائر تجارة الحبوب والدَّقيق. ٢- سوق التمّارين أو سوق الرّطب. ٣- سوق أصحاب الفاكهة. ٤- سوق السّمّانين أو سوق أصحاب الشّبرق. ٥- سوق البقّالين. ٦- سوق الجزّارين بأعلى مكة (المعلاة) في شعب أبي دب. ٧- سوق الجزّارين بأسفل مكة (المسفلة) في شعب الليل. ٨- سوق الرّواسين. ٩- سوق اللبّانين. ١٠- سوق الحوّاتين أو أصحاب السّمك.

أسواق التجارة المتخصصة الأخرى:

١- سوق أصحاب الأدَم أو تجار الجلود.

٢- سوق أصحاب البُرَد، وربما أنهم كانوا يبيعون الملابس الجاهزة الأخرى، خاصة الصوفية منها.

٣- سوق البزّازين. ٤- سوق الخُلقان.

٥- سوق أصحاب الخرز. ٦- الصيّارفة.

٧- سوق الحطب. وقد تكون تُباع فيه الأعلاف والأخشاب، أو تُباع في سوق خاصة.

أسواق الحِرَف الإنتاجية:

١ – سوق الحذّائين.
٢ – سوق الحدّادين.
٣ – سوق النّجّارين.
٤ – سوق الخيّاطين.
٥ – الغزّالون.
٦ – الدّبّاغون.
٧ – سوق القوّاسين أو أصحاب الشَّوْحَط.

أصحاب الحِرَف الخدميّة:

١ – سوق الحجّامين. وقد يكون الحلاّقون معهم، أو منفردين عنهم.
٢ – القصّارون.
٣ – الحمّارون.

أسواق الحيوانات:

١ – سوق الظَّهر (الإبل).
٢ – سوق الغنم.
٣ – سوق البقر.
٤ – سوق الدّجاج والحمام والطيور.

أسواق لم تُذكر:

يلاحظ أنّ مصادرنا خَلَتْ مِن ذِكْر سوق أو تجارة الخَيْل والبِغال، رغم أهميتها، وحاجة الناس إليها، وبخاصة إذا عرفنا أنّ القرن الأوّل الهجري كان فيه الجهاد والفتوحات، والتنقل بين البلدان والأمصار؛ والكثير مِن المكّيين أصحاب جاهٍ وثراء، وخَلَتْ كذالك مِن ذِكر تجارة أو صناعة السلاح. ولاشك أنّ كل فرد في هذا القرن كان يملك سلاحًا، بل إنّ بعضهم عند الفتح، كان يملك دروعًا وأسلحة كثيرة أعارها للرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة هوازن[1] (ذي القعدة سنة ٨هـ). أما بالنسبة للحِرَف التي لم تأتِ على ذِكْرِها، فمنها (البرّامون) الذين يصنعون البُرَم، والجرّار، أواني الطبخ، وحفظ الماء وتبريده. وكذالك صناعة الذهب. والمعتقد أنّ المعدنين النّفيسين

كانا وافرَيْن في حقبة الدراسة، مما يستدعي وجود صاغة للذهب والفضة، كما أهملت ذِكْرَ الْحُصَرِيين أو القَفَّاصين[٢] الذين يعملون الْحُصُر والأقفاص والسلال، وهي مِن أواني ذالك الوقت المهمة، وكذالك أهملتْ الحبّالين الذين يقومون بفَتْل الحبال، ولم تذكر الطحّانين، رغم أهمية الدقيق، وإن كان أهل كل بيت يملكون رَحَاهم الخاصة، إلا أنّ هناك الكثير مِن الوافدين إلى مكة بغرض الزيارة، أو التجارة يحتاجون إلى شراء الدقيق، وكذالك أهملت ذكر الخبّازين، وإن ذكرت باعة الرؤوس واللبّانين، وكلاهما أقلّ أهمية مِن الخبز.

وظائف السوق الأخرى: علاوة على كون السوق مركزًا اقتصاديًّا، يتبادل فيه أهل مكة والواردون عليهم السِّلَع بالبيع والشراء، أو الاشتغال كوسطاء، والاستفادة مِن أصحاب المِهَن فيه مِن خيّاطين وخرّازين وحدّادين وغيرهم، فهو مركز اجتماعي مهمٌّ، يجتمع فيه الناس لقضاء حاجاتهم، وللقاء المعارف والأصحاب، ولتزجية أوقات الفراغ، حيث يجلسون بجوار الحوانيت، أو يتحلّقون في الباحات لتبادل الأحاديث، وسماع الأخبار والشائعات عن مجتمع مكة، أو التي تجري في عاصمة الدولة، أو غيرها من الأمصار والبوادي القريبة والبعيدة؛ ولا بد أنّ بعض هذه المجالس يكون فيها العلماء، وعِلْية القوم، وتدور فيها الأحاديث الجادّة في شؤون الحياة والمجتمع، أو بعض المسائل العلمية، أو ذات الصلة بالتاريخ والأنساب والشِّعر وغيرها، وبعض المجالس تكون أقل جدّية أو عابثة، ينعكس فيها مستوى الجالسين مِن شرائح المجتمع الأخرى[٣].

ولاشك أنّ بعض هذه المجالس ورثت قَدْرًا كبيرًا مِن وظائف النادي بمكة في عصر ما قبْل الإسلام.

ومِن وظائف السوق كذالك إعلام الناس بما يريد وُلاّة الأمر نشر بلاغه بينهم، في أمر، أو نهي، أو تحذير؛ مِن ذالك أنّ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أمَرَ مناديًا ينادي في المدينة (لا تسلخ شاة مذبوحة حتى تبرد)[٤]. ومِن ذالك القصة الطريفة للأمير الأموي عبدالعزيز بن مروان مع الشاعر الأسود نُصَيب بن رباح؛ إذ أمر وكيله أن يعرض نصيبًا، وهو رحل حُرٌّ، في المزاد، وقال: اذهب به إلى باب الجامع، فنادِ عليه، فإذا بلغ الغاية فعرّفني، فنادى عليه: (مَن يعطي لعبد أسود جَلْد...)[٥].

وكذالك التشهير بمن يتزل بهم العقاب مِن قِبل الخلفاء والولاة حتى يبلغ الشاهد الغائب. مِن ذالك ما عاقب به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حاجبه بحران، حين أفضى له سرًّا، فضرَبه ستّين سوطًا، وحلَق شَعْر رأسه، وأمر أنْ يُطاف به في السّوق، فقال هوذة السلمي:

وطيف في السّوق أعلاها وأسفلها   لم يلقه قبله في الناس مخلوق[٦]

كما شهَّر أمير مكة لهشام بن عبدالملك، محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي بحفيد عثمان بن عفان الشاعر العرجي، لأنّ العرجي قتل مولى له، فشكته امرأة المولى إلى أمير مكة الذي كان في الوقت نفسه يبحث عن ذريعة لعقاب الشاعر العرجي، لأنه تغزّل بأمه (جيداء) وامرأته (جبرة)، فأشهد على عقابه الناس بسوق الحنّاطين بمكة، ثم تم سجنه حتى مات[٧].

العملات والموازين: عَرَف أهل الجزيرة العربية، وخاصة أهل مكة، المعدنَيْن الذّهب والفِضّة قبل الإسلام، وتعاملوا فيهما في بيوعهم. وكان في الجزيرة العربية عدد مِن المناجم في بعض مناطقها، إلا أنّ العملات المضروبة كانت ترد إليهم مِن خارجها مِن بيزنطة ومِن الساسانيين؛ "فكانت دنانير

هِرَقْل تَرِد على أهل مكة في الجاهلية، وتَرِد عليهم دراهم الفرس البغلية..."[8].

واتخذ مِن الدينار البيزنطي والدّرهم السّاساني معايير، فكانت قريش تزِن الفضّة بالدّرهم، وتزِن الذّهب بالدينار، وكان لهم وزن الشعيرة، وهو واحد مِن السّتين مِن الدّرهم[9]. أما الرّطل فهو اثنتا عشرة أوقية، والأوقية أربعون درهمًا، فيكون الرطل ثمانين وأربع مئة درهم، والنش نصف الأوقية حولتْ صَادُه شينًا، فقيل: نش وهو عشرون درهمًا، والنواة وهي خمسة دراهم[10].

إذن ولد الإسلام والعمْلة موجودة، وهو يبدأ مِن الصّيرفة، ومِن حرية اختيار العملات مِن حيث إنّ هذه مِن مبادئ الحياة التجارية[11].

وقد أقرّ الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء مِن بَعده، المعايير والأوزان بمكة إلى أن ضرب الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ديناره، فتعامل به المكيون مثْل غيرهم مِن سائر مواطني الدولة الإسلامية[12]. ويذكر أحد المكيين أنّ ابنًا لأبي وداعة بن ضبيرة السهمي أراه وزْن مثقال كان عند أبي وداعة في الجاهلية، فوزَنه فوجده وزن مثقال عبدالملك[13].

وكان في سوق مكة، منذ ما قبل الإسلام، وزّانون يزِنون للناس في السوق بالأجر؛ حيث يذكر الصحابي سويد بن قيس، رضي الله عنه، قال: (جلبتُ أنا ومخرمة العبدي بزًّا مِن هجر، وأتينا به مكة، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم، فابتاع مِنّا رِجْلَ سراويل، وثمّ وزّان يزن بالأجرة. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا وزّان، زِن وأرجِح)[14]. وبعد الفتح، أقرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم موازين أهل مكة، وورد عنه قوله: "الميزان ميزان أهل مكة"[15].

ومِن المكاييل التي كان يتعامل بها الناس في أسواق مكة الصّاع والمُدّ والفَرَق والمَكُّوك. وقد توسّعت بعض المصادر في ذِكر مقاديرها خاصة أبا عبيد(١٦). وذكر الأحاديث النبوية التي وردت في سياقها.

والمعتقد أنه مع كثرة الأسواق بمكة وتنظيمها وتدقيق الإشراف عليها أنه كان لدى بعض الحوانيت موازينه ومكاييله الخاصة، وآخرون كانوا يزنون عند الوزّانين خاصة السِّلَع ذات الأوزان الثقيلة.

الإشراف على الأسواق: على الرغم من أهمية الإشراف على الأسواق، إلا أنّ ما أمدّتنا به المصادر مِن معلومات عن هذا الجانب الحيوي كان ضئيلاً جدًّا يقرب مِن التجاهل الكامل. وقد أدرك أهل مكة منذ ما قبل الإسلام أنه لا يكفي أن تكون بلدتهم حرمًا يأمن فيها الناس جميعًا، ولكن لا بدّ كذالك مِن منع حدوث الظلم والغبن خاصة للوافدين الذي يجلبون التجارات إليها حتى لا يحجموا عن تزويد مكة ببضائعها. ولعدم وجود سلطة تنفيذية بمكة، فقد تعاقد بعض وجهائها على منع حدوث ظلم الوافدين عليها، وسمي هذا التعاقد (حلف الفضول)(١٧). ولما جاء الله بالإسلام أقرَّ تشريعات كثيرة في القرآن الكريم، والسُّنّة المطهَّرة، تنظم البيوع والمعاملات التجارية، وتحرِّم الرِّبا والغشَّ والتدليس وبيع الغرر وكل ما يترتب عليها ظلم أو مضرَّة لأحد المتعاملين.

أما مِن الناحية التطبيقية، فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عيَّن بعد فتح مكة (رمضان سنة ٨هـ) مباشرة أحد وجهائها سعيد بن سعيد بن العاص على السوق بمكة، ولا نعرف على وجه التحديد مهام سعيد هل كانت للإشراف على التعامل بين أصحاب السوق، والتأكد مِن عدم وقوع الظلم والغشّ، وهل كان مِن ضمن ذلك أخذ رسم، أو ضريبة على بعض التُّجّار، أو

البضائع. ومما أسهم في هذا الغموض، قِصَر مدّة ولاية سعيد على السوق، إذ أنه ما لبِثَ أنْ انضمّ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوه لقبيلة هوازن (في شهر ذي القعدة سنة ٨هـ)، ثم حصار الطائف الذي استشهد سعيد أثناءه[١٨]. ويستنتج أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عيَّن أخاه الْحَكَم بن سعيد بن العاص مكانه. فقد قالت بعض المصادر: (وقُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم... والحكم بن سعيد على السوق)[١٩]. وبعد ذالك لا تَذْكُر مصادرنا أحدًا ممن عُهِد إليه بالإشراف على سوق مكة، مع أنها ذكرت عددًا مَن تولَّوْا السوق في المدينة في العهدين الراشدي والأموي[٢٠]. وقد ذُكر أنّ عبدالله بن أبي مُليكة عيَّنه الخليفة عمر بن الخطاب مسؤولاً عن تنفيذ عقوبة الحدود بمكة[٢١]. ولا شك أنّ مراقبة الأسواق وظيفة مهمّة ومتعددة المسؤوليات، إذ ووزنت بمسؤولية تنفيذ عقوبة الحدود، وهناك ما يفيد أنه كانت هناك حاجة إلى ضبط الأمن في الأسواق بمكة؛ فقد استأذنتْ هند بنت سهيل بن عمرو الخليفة عمر بن الخطاب أن تجعل على دارها بابين، فأبى أن يأذن لها، وقال: إنما تريدون أن تغلقوا دوركم دون الحاج والمعتمرين -وكان الحاج والمعتمرون ينزلون في عرصات دور مكة- فقالت هند: والله، يا أمير المؤمنين، ما أريد إلا أن أحفظ على الحاج متاعهم فأغلقها عليهم مِن السرق، فأذن لها فبوّبتها[٢٢].

وكان المشرف على السوق في المدينة عبدالله بن عتبة بن مسعود، وله أعوان منهم السائب بن يزيد، وكان مِن مهامِّهم أن يأخذوا مِن تجّار الأطعمة التي يجلبونها مِن الشـام، ويُسمّون النَّبط، مِن الحنطـة والزيت نصف العشـر (٥%) يريد بذالك الخليفة عمر تشجيعهم على أنْ يكثروا الحمل إلى

المدينة، ويأخذوا عن الحبوب الأخرى العُشُر. وأفاد الزهري أنّ ذالك كان يؤخذ منهم في الجاهلية فألزمهم ذالك عمر[٢٣].

وكان عطاء أبوخلاد يعمل محتسبًا في البيت، إبّان حُكْم ابن الزبير لمكة[٢٤]، ويظهر أنّ مسؤولياته لم تكن تتجاوز المسجد الحرام إلى السوق.

الخاتمـــة: تبيَّن لنا مِن خلال هذا البحث أنّ تجارة مكة الداخلية قبْل الإسلام كانت تُدار في عدد مِن الأسواق والدُّور، وحدث بعد الإسلام تَغيُّر أساس في أسواق مكة، إذ اندثرت بعض الأسواق القديمة، ونشأ كثير من الأسواق في مراحل زمنية متفاوتة، وذالك وفق الحاجة فحسب. ومِن أهمّ التغيّرات ظهور التخصص في الأسواق، فكان لكلّ أصحاب تجارة، أو حرفة سوقهم الخاص. وتبين كذالك أنّ بيت الله الحرام كان في عصر ما قبل الإسلام وفي الإسلام المركز الذي تحيط به التجارة، فكل باب مِن أبوابه يفضي إلى سوق، ويعكس ذالك غاية الإسلام بأنّ على المسلم الجمع بين العمل للآخرة والسعي الدؤوب لكسب الرزق في الدنيا.

وأمكن حصر الأسواق بمكة التي ذكرَتْها المصادر بـــ٣٨ سوقًا، ولاحظ البحث أنّ المصادر أغفلتْ ذِكر أسواق وحِرَف كانت مهمّة وضرورية، وتمّ تصنيف الأسواق، مِن حيث تكوينها المعماري، وتوزيعها إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى: – الحوانيت المتراصّة والمصطفّة على جوانب الشـــوارع، والفئة الثانيـــة: – المجمّعات التجارية والحِرَفيّة المتخصّصة، وكانت في الأصل دُورًا أو أنشئت على هيئة الدُّور، والفئة الثالثة: – ما استدعت طبيعته أن يكون في أطراف مكة، لأنّ وجودها في وسطها يسبّب متاعب لأصحابها، وأذًى وتضييقًا على الآخرين مثل أسواق الحيوانات والحطب، أو ما تسبّبه مخلّفات

من مناظر مؤذية مثل المجازر، أو روائح كريهة مثل المدابغ.

وفسّر البحث كثرة الأسواق وتخصّصها بازدهار الحياة الاقتصادية، نتيجة الفتوحات، وتوسّع التجارة، وكثرة الوافدين إلى مكة للحج، فتوافرتْ السّيولة النقدية، وانتشرت العادات الاستهلاكية في المأكل والملبس والزينة وغيرها.

وأشار البحث إلى بعض وظائف السوق مثل أهميته الاجتماعية، واستخدامه مِن قِبل وُلاّة الأمر لإبلاغ الناس بأمر مُهمّ، أو التشهير ببعض مَن يترل بهم عقوبة.

وبيَّن العملات والموازين التي استخدمها أهل مكة قبل الإسلام والتي استمرَّ بعضها في الإسلام، ولاحظ البحث تقصير مصادر تاريخ مكة في الاهتمام بالمعلومات الخاصة بالإشراف على الأسواق فيها.

أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

الرياض–جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ

الهوامش

(١) الواقدي، ج٣/ ٨٩٠.

(٢) قارن: ابن سعد، محمد بن منيع (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م): **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، د.ت)، ج٥/٨، حيث ذكر في أسواق المدينة "أصحاب الأقفاص".

(٣) مِن أمثلة ذالك ما حفظه البسوي، يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧م) كِتاب **المعرفة والتاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢/ ٦٩٨ : "قال سفيان: كان عمرو بن قيس يحدثه عن أميَّة، وكنت لا أجترئ أن أسأله فيه، وكان يجالس خالد بن محمد الزهري وعبدالله بن شيبة، وكانوا من كبار قريش يومئذ، وكانوا يتحالسون في سوق الليل على باب المسجد... فاستعانني أميَّة أنظر له خالد بن محمد... فلما استعانني اجترأت عليه فسألته فحدثني به".

(٤) الشيزري، عبدالرحمن بن نصر (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م): كتاب **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٢٧.

(٥) الزجّاجي، عبدالرحمن بن القاسم (ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م): **الأمالي**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٣١.

(٦) ابن شبة، عمر (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م): كتاب **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق فهيم شلتوت، الناشر السيد حبيب محمود أحمد، (د.ت)، ج٣/١٠٣١.

(٧) الأصبهاني: **الأغاني**، ج١/٣٨٦، النهشلي، عبدالكريم (ت ٤٠٥هـ/١٠١٤م): "**الممتع في صنعة الشّعر**"، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، (د.ت)، ص٢٣١ وقارن البلاذري:**الأنساب**، ج٦/٢٤٠-٢٤٢.

(٨) البلاذري: **الفتوح**، ص ٤٥٢.

(٩) البلاذري: **الفتوح**، ص٤٥٢-٤٥٣.

(١٠) المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): **شذور العقود في ذِكْر النقود**، تحقيق محمد عبدالستار عثمان، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٠٦.

(١١) ماسينيون، لويس: **التنظيمات الحِرفية والمدنية الإسلامية**، ترجمة إبراهيم السامرائي مع أبحاث لمستشرقين آخرين، ونشره بكتاب بعنوان: مِن دراسات المستشرقين، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٨٥م، ص٦٠.

(١٢) البلاذري: **الفتوح**، ص ٤٥٢. (١٣) البلاذري: **الفتوح**، ص ٤٥٢.

(١٤) ابن عبدالبر: **الاستيعاب**، ج٢/٦٨٠ (ترجمة رقم ١١٢١).

(١٥) المقريزي: **شذور العقود في ذكر النقود**، ص ١٠٨، وعند ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق محمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهـــرة، ط١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج٤/٢١٨ (كيل): (المكيال مكيال أهل المدينة، والميزان ميزان أهل مكة). وقارن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م): **كتاب الأموال**، تحقيق محمد خليل هراس، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٤٦٣: (المكيال مكيال أهل مكة، والميزان ميزان أهل المدينة).

(١٦) أبو عبيد: كتاب الأموال، ص ٤٦٨-٤٨٥، وانظر مقارنتها بالأوزان في الوقت الحاضر عند: زلوم، عبدالقديم: **الأموال في دولة الخلافة**، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٣م/ ١٤٠٣هـ، ص ٦٢-٦٣.

(١٧) ابن حبيب: **المنمق**، ص ٥٢، ١٨٦.

(١٨) البلاذري: **الأنساب**، ج٦/٤٧؛ ابن قدامة، عبدالله بن أحمد (ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م): **التبيين في أنساب القرشيين**، تحقيق محمد نايف الدليمي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٦٤.

(١٩) ابن خياط، خليفة (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م): **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص٢٩٧.

(٢٠) ابن سعد، ج٥/٥٨، ١٧٥؛ الأصبهاني: **الأغاني**، ج٨/٢٧٦؛ المقدسي، **التبيين**، ص ٣٨٦، ٣٩١.

(٢١) الفاكهي، ج٣/٢٣٣.

(٢٢) الأزرقي، ج٢/٢٦٥ وقارن ج٢،١٦٤.

(٢٣) مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م): **كتاب الموطأ**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٢٦-٢٢٧؛ ابن سعد، ج٥/٨.

(٢٤) الأزرقي، ج١/٢١٩.

(٢)

٤ – الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله العدساني:

هو الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الشيخ مبارك بن سلمة العقيلي العدساني[1]. وهو مِن أقدم مَن عثرنا على أخباره مِن علماء العدساني، ومِن علماء المذهب الشافعي. درس الشيخ صالح على علماء المذهب في البصرة، وانتقل في مطلع حياته إلى مكة المكرمة، فدرس على علمائها مثل العلاّمة عبدالله ابن سعيد بن محمد باقشير الشافعي. وكان المترجم يجلّه، حيث وصفه بشهاب الملّة والدِّين وفخر الشافعية. ومما قرأ عليه المترجم منظومة **المنفرجة** لابن النحوي التوزري (٥٤٣هـ)، وكان ذلك سنة خمس وثمانين وألف. ثم طلب إليه بعض أصحابه وتلاميذه أن يشرحها، ففعل، وسمّى شرحه **الفرَج بعد الشدّة على منظومة المنفرجة**، وهي مخطوطة محفوظة لدى مكتبة المخطوطات بوزارة الأوقاف الكويتية برقم خ ١٤٨. وقد فرغ المؤلّفُ مِن تأليفها سنة ١١٠١هـ، ثم نسخها ولده محمد بن صالح سنة ١١٠٢هـ، وقرأها على والده. وكان المترجم من ساكني البصرة، كما يتبيّن مِن كلام النّاسخ، حيث لقّب نفسه بلقب العدساني العقيلي نسبًا، البصريّ مسكنًا. وكانت البصرة في ذلك الوقت مِن مراكز العلم الشرعي، ونبغ فيها علماء مبرّزون، وخاصة مِن منسوبي المذهب الشافعي، وإن كانت هذه المكانة قد تضاءلت في القرون اللاحقة، بسبب الطواعين التي أصابتها، وكثرة الاضطرابات السياسية.

ويعدّ المترجم مِن كبار العلماء في عصره؛ فقد وصفه ابنه في تصديره لشرح منظومة المنفرجة بأنه "العلاّمة شمس الدين، وقدوة العارفين، ومنتهى السالكين، سراج الملّة والدين". ويبدو أنّ المرجعية العلمية لدى آبائه وأجداده؛ فجدّه الأعلى الشيخ مبارك بن سلمة العدساني، وصفه الناسخ للمخطوطة بأنه "الشيخ الشهير، والعلَم المنير، القطب العارف بالله، شيخ مشايخ الإسلام". ومِن المؤسف أنه لا تتوافر لدينا في الوقت الحالي معلومات إضافية عن الشيخ مبارك المشار إليه. وكل ما نستطيع أن نستنتجه مِن هذا التسلسل أنه مِن علماء القرن الثامن، على وجه التقريب.

وكان المترجم الشيخ صالح يتنقل في سبيل تعليم الناس مبادئ الدِّين، ويقوم بمهمة التبليغ عن قدوة الأنام رسول الله صلى الله عليه وسلّم. وقد وصل في تنقّله وترحاله إلى بلده سورة، في الهند، فدرّس بها، وانتفع به طائفة مِن طلبة العلْم.

ومِن مؤلفات المترجم، أيضًا، شرحه على **الدّرّة الثمينة والجوهرة اليتيمة** للغزالي، وهي في العقائد، وسمّى شرحه **الاعتضاد على مبادئ الاعتقاد**، وجاء في مئة وإحدى وستين صفحة، وهي مخطوطة، مكتوبة بخط النسخ(٢).

٥ – الشيخ محمد بن عبدالرحمن العدساني:

تولّى الشيخ محمد بن عبدالرحمن العدساني منصب القضاء في الكويت مِن سنة ١١٧٠هـ حتى وفاته ١١٩٧هـ(٣). والشيخ محمد العدساني مِن علماء الأحساء الذين أخذوا العلم والقضاء كابرًا عن كابر. فوالده الشيخ عبدالرحمن ابن محمد، وجدّه الشيخ محمد بن حسين، كانا مِن قضاة الأحساء في النصف الثاني مِن القرن الثاني عشر، وعمّه الشيخ حسين بن محمد كان، أيضًا، مِن

قضاة الأحســـاء، وأشهر علمائها؛ حيث تولّى بها القضـــاء مِن ١١٨٠-١٢٠٠هـــ، وقد سبقتْ ترجمته في الجزء الأول مِن هذا البحث. وقد نشأ الشيخ محمد ابن عبدالرحمن العدساني في هذا الجو العلمي في الأحساء، فتيسّر له مِن العلوم أجلّها وأنفعها، ومِن العلماء أشهرهم وأعلمهم، وخاصة علماء المذهب الشافعي الذي كانت تنتمي إليه أسْرته.

قدم الشيخ محمد العدساني الكويت، واتصل بقاضيها الشيخ أحمد بن عبدالجليل، فأعجب الأخير بعلمه، وزوّجه ابنته، ثم تنـــازل له عن منصب القضاء[٤]. وكان ذلك في عهد الحاكم الثاني مِن آل صباح الشيخ عبدالله بن صباح الأول سنة ١١٧٠هـــ.

وينسب إلى الشيخ محمد المترجم مسجد العدساني في حي الوسط الذي أسّسه بعد قدومه إلى الكويت[٥].

ومما يذكر أنّ المؤرخين قد اختلفوا في الموطن الأصلي لأسْرة العدساني. فقد ذَكر عبدالله بن محمد بن خميس[٦]، وتبعه الشيباني، والمطيري[٧]، أنّ أصل الأسْرة مِن منطقة العـــارض. بينما ذَكر الشيـــخ محمد بن عبدالله آل عبدالقـــادر[٨] ود. عبدالله السبيعي[٩] أنها مِن أُسَر الأحساء، ولم يشيرا إلى منطقة العارض. ولم نجد فيما اطلعنا عليه مِن مصادر ووثائق أي إشارة إلى منطقة العارض سوى ما ذَكَره العلاّمة ابن بشر[١٠] أنّ مبارك العدساني ومحمد حسن العدساني القضاة انتقلا إلى الدرعية مِن الأحساء، بعد معركة الرقيقة سنة ١٢١٠هـــ، بأمر مِن الإمام سعود بن عبدالعزيز رحمه الله. ويبدو أنّ هذا الانتقال لم يدم طويلا؛ حيث أنّ أسْرة العدساني استقرّت في الكويت، بعد أن انتقل إليها الشيخ محمد بن عبدالرحمن العدساني المترجم. ويعدُّ المترجم أوّل

قضاة أسْرة العدساني في الكويت، وخلفه في القضاء ابنه الشيخ محمد بن محمد الذي تأتي ترجمته لاحقًا بعون الله. ويبدو مِن ترجمة الشيخ صالح العدساني الواردة أعلاه أنّ أسْرة العدساني لها جذور في البصرة سابقة على وجودها في الأحساء.

ومما يلاحظ أنّ المذهب الفقهي الذي ينتمي إليه القاضي لم يكن مِن العوامل المؤثرة في اختيار القضاة في الكويت. فقد تعاقب على القضاء علماء حنابلة مثل القاضي الأول محمد بن فيروز، ومِن ثم علي بن شارخ، ومِن المتأخّرين الشيخ عبدالله بن خلف، وقضاة شافعية مثل قضاة آل عدساني، مع العلم أنّ المذهب الرسمي الذي اعتمد في الكويت هو المذهب المالكي. فكان علْم القضاة، وقبول الناس لهم هو المعوّل عليه في اختيارهم.

وبالرغم مِن المكانة العلمية المرموقة التي كان يتمتّع بها الشيخ محمد بن عبدالرحمن المترجم، فإنّ التاريخ لا يسعفنا بالكثير عن تراثه العلمي؛ وكل ما علِمناه مِن أعماله هو نَسْخه لمخطوط **الفتح المبين في شرح الأربعين النووية** لابن حجر الهيتمي، نسَخَه سنة ١١٤٧هـ[١١]. ويتّضح مِن هذا المخطوط أنّ المترجم كان جميل الخط جدًا، بالإضافة إلى تميزه في العلوم الأخرى.

٦ – الشيخ محمد بن محمد بن عبدالرحمن العدساني:

تقلّد الشيخ محمد بن محمد منصب القضاء في الكويت بعد والده سنة ١١٩٧هـ إلى سنة ١٢٠٨هـ. وكان المترجم مِن العلماء الورعين الذين لهم دور بارز في إثراء العلوم الشرعية، وكان يحرص على الكُتب النافعة؛ حيث سجّل لنا التاريخ بعض مقتنياته مِن المخطوطات التي درسها مثل: **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج** للشافعي الصغير[١٢]، **وتحفة الطلاب بشرح تحرير وتنقيح**

اللباب لزكريا الأنصاري[١٣]، **وعجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج** لابن الملقن[١٤]، وغيرها مما يدل على تبحّره في الفقه الشافعي.

وكان نقش خاتمه "العبد الفاني محمد العدساني". ومِن أعماله الجليلة، إنشاء مسجد العدساني، الذي هو داخل مدينة الكويت، على حسب إحدى الروايات[١٥].

ومِن أبناء المترجم الذين تولّوا القضاء ابنه الشيخ محمد صالح الذي تولّى القضاء بعده، وابنه الشيخ عبدالله الذي تسلّم القضاء فيما بعد.

وقد امتدّ العمر بالشيخ محمد حتى عام ١٢٣٦هـ أو بعده بقليل، وهو العام الذي فيه أوقف أحد بيوته على ابنيه عبدالله وعبدالسلام، ووثّق هذا الوقف ابنه الشيخ محمد صالح[١٦].

الشيخ محمد صالح بن محمد العدساني:

هو الشيخ العالم محمد صالح بن محمد العدساني[١٧]. تولّى القضاء بعد اعتزال والده الشيخ محمد سنة ١٢٠٨هـ، وكان ذلك على عهد الشيخ عبدالله ابن صباح، حاكم الكويت الثاني. وكان وقورًا، مؤثرًا لصلاح ذات البَيْن. ومما يدل على ذلك تنازله عن منصب القضاء، إثر خلاف حصل بينه وبين الشيخ علي بن عبدالله بن شارخ الحنبلي في قضية إكمال صوم يوم الثلاثين مِن شعبان إذا غُمّ الهلال، فتولّى الشيخ علي بن شارخ القضاء في الكويت مِن سنة ١٢٢٥هـ إلى سنة ١٢٢٨هـ[١٨]، وبعد ذلك عاد الشيخ محمد صالح للقضاء إلى سنة ١٢٣٣هـ، حين اعتزله مرّة أخرى[١٩]. وعندها تولّى القضاء الشيخان علي بن نشوان ومحمد بن حمود بالوكالة حتى سنة ١٢٣٦هـ، عندما استعدّ الشيخ عبدالله العدساني للقضاء.

ولا نعرف على وجه التحديد السنة التي توفي فيها المترجم الشيخ محمد صالح، ولكنه بالتأكيد كان حيًّا سنة ١٢٣٨هـ؛ تدلّ على ذلك عبارة الشيخ أحمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز على قيد تملّك لأحد المخطوطات[٢٠].

وكان للشيخ محمد صالح أبناء مِن أهل العلْم، مثْل الشيخ خالد، وله قيْد استعارة على إحدى المخطوطات، وهي **التنوير في شرح الجامع الصغير** المذكورة أعلاه، والسيد أحمد بن الشيخ محمد صالح؛ وله قيْد تملّك على مخطوطة **أسنى المطالب في شرح روض الطالب** بتاريخ ١٢٤٠هـ[٢١].

٨ – الشيخ عبدالله بن محمد بن محمد العدساني:

الشيخ عبدالله العدساني مِن الذين تولّوا القضاء مدة طويلة في الكويت، ومِن المشهود لهم بالعِلْم والخُلق. تولّى القضاء بعد أخيه محمد صالح، وبعد الشيخين علي بن نشوان ومحمد بن حمود، وكان ذلك في سنة ١٢٣٣هـ[٢٢] وبقي فيه حوالي أربعين سنة. ولا نعرف أحدًا تولّى القضاء مدة أطول مِن ذلك سوى ابنه الشيخ محمد بن عبدالله العدساني، الذي تولّى بعده مِن سنة ١٢٧٤هـ إلى سنة ١٣٣٨هـ.

وكان ابنه خالد بن عبدالله مِن العلماء الأفاضل، ومِن أصحاب المدارس الأهلية الذين لهم دَوْر بارز في التعليم في الكويت، وكان إمامًا وخطيبًا لمسجد السوق.

وقد اهتمّ الشيخ عبدالله العدساني بالكُتب العلمية، وله مقتنيات علمية كثيرة، وكان مِن النُّسّاخ المجتهدين؛ حيث نَسَخ العديد مِن الكُتب، مثْل **فوائد مِن كِتاب توقيف الحكّام على غوامض الأحكام**[٢٣] لابن عماد الأقفهسي الشافعي، **وأحكام النكاح** لإسماعيل بن أحمد الحكمي[٢٤] وغيرها.

ويبدو مِن الكُتب التي درسها أنه كان مُلِمًّا بأنواع كثيرة مِن العلوم، مثْل العقيدة والحديث والفقه المقارن وغير ذلك.

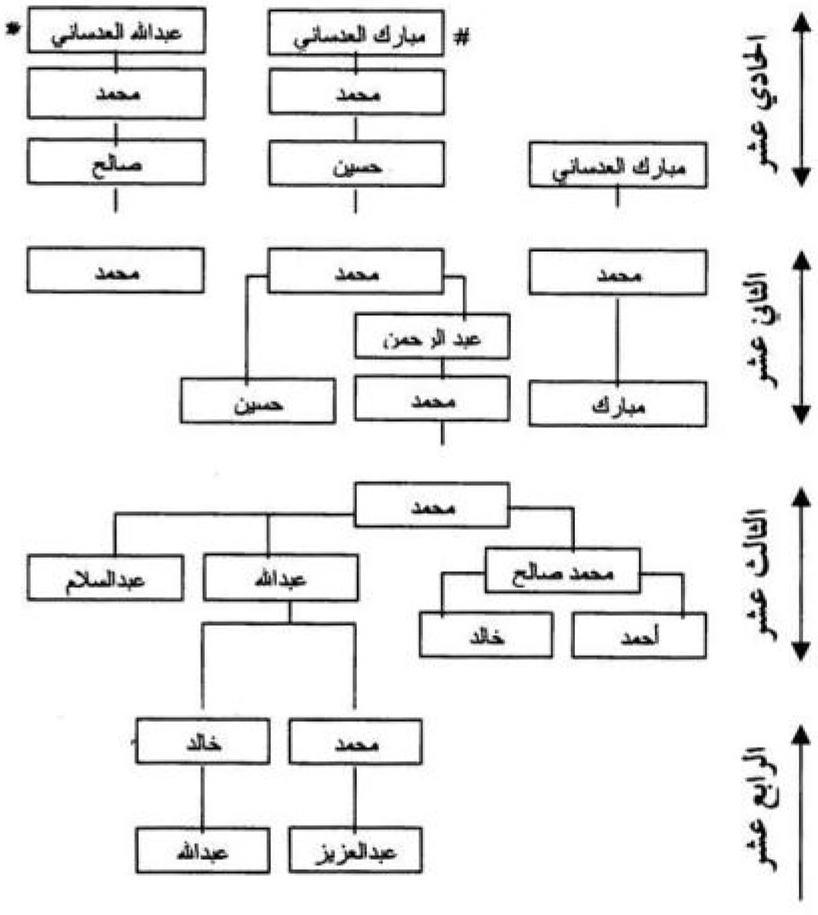
وقد استمرّ القضاء العدسانيّ في الكويت في ذرية الشيخ عبدالله العدساني الصالحة؛ فمِن بَعْد ابنه محمد، تولّى عبدالعزيز بن محمد فترة قصيرة حتى سنة ١٣٣٩هـ.

ومِن بَعده، تولّى القضاء حفيد الشيخ عبدالله، وهو الشيخ عبدالله بن خالد بن عبدالله العدساني حتى سنة ١٣٤٨هـ. وهو آخر مَن تولّى القضاء مِن أُسْرة العدساني في الكويت. وبوفاة الشيخ عبدالله بن خالد العدساني، انتهت فترة القضاء العدسانيّ في الكويت، التي استمرّت أكثر مِن مائة وخمسين سنة؛ فإذا أضفنا إليها فترة القضاء العدسانيّ في الأحساء، يكون إجمالي فترة القضاء العدسانيّ قرابة قرنين مِن الزمان.

ولا شك أنّ هذا التاريخ قد أنتج كمّية وفيرة مِن الوثائق والأحكام التي سمّيت فيما بعد بالصكوك العدسانية. ومِن شأن هذه الصكوك، لو حُقّقت، أنْ تعطي صورة طيّبة عن تاريخَيْ الكويت والأحساء القديمين، وطبائع العمران، والأحوال التجارية. ولكن مع الأسف، أنّ معظم هذه الوثائق غير مجمّعة، وخاصة للقضاة القدامى؛ فلا يكاد يتوافر أيّ شيء مِن أحكامهم، وغالب الصكوك المنشورة هي لفترة الشيخ محمد بن عبدالله العدساني، والشيخ عبدالله ابن خالد العدساني.

ونورد هنا تسلسل نَسَب قضاة العدساني وعلمائهم المترجَم لهم.

الفترات التقريبية (بالقرون الهجرية)



سلسلة نسب بعض علماء آل عدساني وقضاتهم

* عبدالله هو ابن الحسين بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن محمد بن الحسين ابن محمد بن الشيخ مبارك بن سلمة العقيلي العدساني.

مبارك هو ابن محمد بن حسين بن علي العدساني.

ومازالت هذه الأسْرة الكريمة تقوم بدور رائد في الكويت في مجالات علمية وسياسية وتجارية وغيرها.

خاتمـــة:

لقد ترجمنا في هذا البحث للذين عثرنا على أخبارهم مِن علماء العدساني وقضاتهم، الذين لم ترِد لهم تراجم وافية مِن قبْل. وسكتنا عن آخرين، إما لعدم توافر معلومات كافية عنهم، أو لوجود تراجم كافية تُغْني عن التكرار. ومِن الفئة الأخيرة الشيخ محمد صالح بن عبدالوهاب العدساني(٢٥)، والشيخ خالد بن عبدالله العدساني(٢٦)، ورحم الله الجميع، وتقبّل منّا ومنهم، وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

أ.د. عماد محمد العتيقي

الكويت

الحواشي:

(١) مخطوط رقم خ ١٤٨ (١) مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، وهو شرح منظومة المنفرجة لابن النحوي التوزري المتوفى ٥٤٣. ونسَب الشيخ صالح التسلسل المذكور سرده ابنه محمد ناسخ المخطوطة في تصديره لها.

(٢) مخطوط رقم خ ١١٤. مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية.

(٣) يوسف بن عيسى القناعي، **صفحات من تاريخ الكويت**، الطبعة الخامسة. ذات السلاسل ١٩٨٧.

(٤) عدنان بن سالم الرومي، **علماء الكويت وأعلامها**، مكتبة المنار ١٩٩٩.

(٥) عدنان بن سالم الرومي، **تاريخ مساجد الديرة القديمة**. مطابع القبس، ١٩٨٨.
وذكر المؤلف أيضًا رواية أخرى أنّ مؤسس مسجد العدساني هو عيسى ابن إبراهيم.

(٦) عبدالله بن محمد بن خميس، **تاريخ اليمامة**، مطابع الفرزدق ١٩٨٧.

(٧) محمد بن عبدالله الشيباني وبراك بن شجاع المطيري، **القضاء والقضاة في الكويت منذ النشأة حتى الدولة**، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ١٩٩٩.

(٨) محمد بن عبدالله آل عبدالقادر، **تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، الرياض ١٩٨٢.

(٩) د. عبدالله ناصر السبيعي، **الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية ١٣٥٠ –١٣٨٠**، الطبعة الثانية، مطابع الشريف، ١٩٨٩.

(١٠) عثمان بن عبدالله بن بشر، **عنوان المجد في تاريخ نجد**، مكتبة الرياض الحديثة.

(١١) مخطوط رقم خ ٣٦، مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، **الفتح المبين في شرح الأربعين النووية** لابن حجر الهيتمي.

(١٢) مخطوط رقم خ ٤٤٨ (٢)، مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، الجزء الثالث لمحمد أحمد الرملي (ت ١٠٠٤هـ). ومخطوط رقم خ٤٤٩، **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، الجزء الرابع والأخير، لمحمد ابن أحمد الرملي.

(١٣) مخطوط رقم خ ١٢٨، **تحفة الطلاب بشرح تحرير تنقيح اللباب**، لزكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ).

(١٤) مخطوط رقم خ ٣٩١، مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، **شرح عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج للنووي**، لأبي حفص عمر بن الملقن (ت ٨٠٤).

(١٥) محمد بن خليفة النبهاني، **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية**، دار إحياء العلوم، بيروت.

(١٦) سجل العطاء الوقفي، الأمانة العامة للأوقاف ١٩٩٥، صفحة ٥٥٤، وقد حققنا هذه الوثيقة بالتفصيل في كتابنا **إنشاء وتحقيق سلاسل الأنساب**، تحت الطبع.

(١٧) وقد التبس اسم الشيخ محمد صالح على بعض الكتّاب فجعلوه "محمد بن صالح" وهو تحريف في النسب، فلزم التنويه.

(١٨) يوسف بن عيسى القناعي، المصدر السابق.

(١٩) المصدر السابق، ومع أنّ الشيخ محمد صالح قد وثّق وقف أبيه الشيخ محمد علي إخوته عبدالله وعبدالسلام سنة ١٢٣٦، إلا أن ذلك لا يدل على أنه استمرّ في القضاء إلى هذا العام؛ حيث إنّ الوقف يخصّ الشيخ عبدالله، و لم يكن مناسبًا أن يوثّق لنفسه.

(٢٠) مخطوط رقم خ ٤٧١، **التنوير في شرح الجامع الصغير**. وقد عرضنا وحقّقنا هذا المخطوط وغيره مِن الوثائق العدسانية بالتفصيل في كتابنا **إنشاء وتحقيق سلاسل الأنساب**، الذي يصدر قريبًا إن شاء الله.

(٢١) مخطوط رقم خ ٤٥٤، مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، لزكريا الأنصاري.

(٢٢) يوسف بن عيسى القناعي، المصدر السابق.

(٢٣) مخطوط رقم خ ٨٧٤ (٨)، مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، **فوائد مِن توقيف الحكام على غوامض الأحكام**، لابن عماد الأقفهسي (ت ٨٠٨).

(٢٤) مخطوط رقم خ ٨٧٤ (٧)، مكتبة وزارة الأوقاف الكويتية، **أحكام النكاح**، لإسماعيل بن أحمد الحكمي.

(٢٥) عبدالمحسن عبدالله الخرافي، **مُربّون مِن بلدي**، ١٩٩٨. وعدنان بن سالم الرومي، **علماء وأعلام الكويت في ثلاثة قرون**، مكتبة المنار، ١٩٩٩.

(٢٦) عبدالمحسن عبدالله الخرافي، المصدر السابق. وعدنان بن سالم الرومي، المصدر السابق.

شكر وتقدير: يتقدم المؤلّف بوافر الشكر والتقدير لإدارة المخطوطات والمكتبات الإسلامية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت على التسهيلات القيّمة التي قدّمت أثناء عمل هذا البحث.

حصاد القرن العشرين من تحقيق التراث في الجامعات العراقية

(١)

في النصف الثاني مِن القرن العشرين، شهدتْ جامعة بغداد افتتاح الدراسات العليا فيها أول مرة، حين استحدِثتْ فيها دائرتان، دائرة اللغة العربية، ودائرة التاريخ والآثار، وانخرط فيها الطلبة، فكانت البداية العلمية التي هيّأ الله لها الجهود المتضافرة حتى خطت خطوتها الجادّة في تخريج حَمَلة الشهادات العليا، وتوسّعت التخصصات، وتعدّدت الكليات والجامعات، حتى إذا ودّع القرن العشرون سنواته، وجدنا حصيلة رائعة في الرسائل الجامعية المنجزة في الجامعات العراقية. وما يعنينا مِن هذه الحصيلة ما قام به طلبة الدراسات العليا مِن تحقيق كُتب في التراث، جزءًا مِن متطلبات شهادة الماجستير أو الدكتوراه، وسيحاول البحث رصد هذه الجهود منذ أوّل دُفعة تخرّجتْ مِن دائرة اللغة العربية عام ١٩٦٦م حتى أواخر ١٩٩٩م (١٣٨٦-١٤١٩هـ).

إنّ حصاد ما حقّق مِن كُتُب التراث متنوّع الثّمار، متعدّد الاتجاهات، وفق الأقسام والكليات، وتبعًا لتوجه الطلبة، نحو التحقيق في سنوات أكثر مِن غيرها، وتبعًا لتوجيه الأساتذة المشرفين أنفسهم، وتشجيع الأقسام العلمية لتحقيق الكُتُب.

لقد كان مِن أوائل ما اختير ليكون أطروحة (ماجستير) كِتاب "الطبقات" لخليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٢٣هـ، حقّقه أكرم العمري عام ١٩٦٦م (١٣٨٦هـ)، نال به درجة (الماجستير). وفي العام نفسه، حقّقتْ

مناهل فخر الدين فليح كِتاب "نصرة الثّائر على المثل السّائر" لصلاح الدين ابن أيبك الصفدي، ونالت به درجة (الماجستير).

وأما تصنيف الكُتب المحقّقة في الدراسات العليا، فإنه يدلنا على تنوّع الموضوعات التي تُعنى بها تلك الكُتب، فكان في مقدِّمتها مِن حيث كثرة الطلبة الذين اشتغلوا بالتحقيق كُتب الأدب، سواء كانت دواوين شِعْرية، أم مجاميع قام الطلبة بجمعها وتوثيقها وتحقيقها، أم مجاميع أدبية، وبلغتْ سبعًا وثلاثين كِتابًا، وتليها الكتب التي عُنيت بالقرآن الكريم، بتفسير ألفاظه أو إعرابه، أو بيان قراءاته، أو الحديث عن أشهَر القُرّاء، وبلغتْ خمسًا وثلاثين كِتابًا، ثم كُتب الدراسات اللغوية المحقّقة، وبَلغتْ ستة وعشرين كتابًا، ثم الفقه والشريعة، وبَلغتْ سبعة وعشرين كتابًا، فكُتُب النحو، حيث بلغ عدد المخطوطات التي حقّقت اثنين وعشرين مخطوطًا، فكُتُب التاريخ، وقد بلغتْ نحو خمسة عشر كتابًا، وأخيرًا كُتُب التراجم، وهي ثمانية كتب.

أمّا توزيع الكُتُب المحقّقة على السنوات، فإنها تطلعنا على رصْد نسبة المتوجّهين نحو تحقيق كُتب التراث مِن طلبة الدراسات العليا؛ فقد كان حصاد التحقيق للسنوات ١٩٦٦ إلى ١٩٦٩م (١٣٨٦-١٣٨٩هـ) ست رسائل، وهو عدد معقول جدًّا لبدايات لم تتجاوز قسمين فقط هما اللغة العربية، والتاريخ، وفي كلية واحدة، هي كلية الآداب بجامعة بغداد.

وأثمرتْ سنوات السبعينيات أربعًا وثلاثين أطروحة في التحقيق، وبلغ الخط التصاعدي أوْجَه خلال سنوات الثمانينيات؛ فقد فاق ما حُقّق في السبعينيات، وما حقّق في التسعينيات؛ إذ بلغ ما حُقّق في الثمانينيات أكثر مِن خمسة وخمسين مخطوطًا، بينما لم يبلغ هذا العدد في التسعينيات، مع ما هو معروف

مِن تطوّر الدراسات العليا بعد عام ١٩٩٠م (١٤١٠هـ) باتّساع دوائر الدراسات العليا بكثرة الطلبة المقبولين مِن ناحية، وفتح كلّيات، وجامعات جديدة مِن ناحية أخرى.

وتقف الدواوين الشّعرية في مقدمة الكتب الخطّية التي حظيت بالتحقيق، أو التي حظيت بالصّنعة جمعًا وتحقيقًا، ودرست منفردة، أو ألحقت بابًا مِن أبواب رسالة أو أطروحة، كما سنجد في ثبت القوائم، وتليها كُتب المجاميع الأدبية والبلاغية.

أما كُتب التراث التي حُقّقت في ميدان الدراسات القرآنية، فكانت فيها كُتب في إعراب القرآن، وأخرى في تفسيره أو متشابهه. وكان مِن أوائل ما حُقّق "مشكل إعراب القرآن" لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفّى سنة ٤٣٧هـ، حقّقه حاتم الضّامن، ونال به درجة الماجستير في كلية الآداب سنة ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ). وبرز في هذه المجموعة خطٌّ واضح المعالم في الدراسات القرآنية، وهو تحقيق الكتب المتعلّقة بالقراءات القرآنية؛ وهنا برزت (جامعة الموْصل) في جهود قسم اللغة العربية في كلية الآداب لتكون نقطة الانطلاق في دراسة القراءات القرآنية، وتحقيق ما وصل مِن كُتب عنه، فاختار عبدالله حسن أحمد موضوع قراءة عبدالله بن مسعود جمعًا وتحقيقًا ودراسة، ونال به درجة الماجستير عام ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ). أما تحقيق كُتب القراءات القرآنية، فهو توجّهٌ سار عليه طلبة الدراسات العليا في أقسام اللغة العربية كافّة.

أما حِصّة الحديث النّبوي، فكانت قليلة جدًّا، لم تتجاوز أربعة كُتب، مما سنعرضه فيما بعد.

وبدأ تحقيق النحو عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ) حين حقّق محرم حلبي كِتاب "المختصر" لأبي منصور الجواليقي، ونال به درجة الماجستير.

أما الكُتب المحقّقة في ميادين الفقه والشريعة والعقيدة، فقد توجّه إليها قسم مِن طلبة اللغة العربية، وكلية العلوم الإسلامية، (الشريعة سابقًا)؛ فكان مِن أوائل ما حُقّق كِتاب "الحاوي في شروط الطحاوي" (المتوفّى سنة ٣٢١هـ) ترجمه، وحقّقه روحي أوزجان عام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ)، ونال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب، بجامعة بغداد.

وكان لكُتب التاريخ والتراجم والحضارة نصيب في توجّه طلبة الدراسات العليا إليها، إلا أنّ ثمارها أقل بقليل مما شهدناه في أقسام اللغة العربية، والشريعة؛ وتبدو في مقدّمتها كُتب التراجم. ومِن أوائل ما حُقّق "كِتاب الطبقات" لابن خياط، وقد مرّ ذِكْره.

حظيت كُتب التاريخ منذ وقت مُبكّر أيضًا باهتمام طلبة الدراسات العليا، وتوجّههم نحو تحقيقها؛ فكان مِن أوائل ما حُقّق الجزء الأول مِن كِتاب "التذكرة الحمدونية" لمحمد بن الحسن بن حمدون؛ إذ حقّقته بثينة شاكر محمود رامز، عام ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ)، واختارت القسم الأول لأنه يخصّ التاريخ وأخباره. وأما الكتب التراثية التي تُعنى بجانب مِن جوانب الحضارة العربية الإسلامية، فقد اختير منها كِتاب يتعلّق باقتصاد الدولة الإسلامية، وهو كتاب "قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج" لعلي بن الحسين الكركي، المتوفّى سنة ٩٤٠هـ، حقّقه عبدالعظيم البكاء، في كلية الآداب بجامعة بغداد، ونال به درجة (الماجستير) عام ١٩٧٠م (١٣٩٠هـ).

هذه هي الخطوط العامة للكتب التراثية المحقّقة في الجامعات العراقية،

وندرج أسماءها وما توافر لدينا مِن معلومات عنها، وفق الحروف الهجائية لأسماء الكُتب المحقّقة:

- "أدب القاضي" للماوردي، علي بن محمد بن حبيب المتوفّى سنة ٤٥٠هـ تحقيق محيي بن هلال السرحان، نال به درجة (الماجستير) عام ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ)، ويقع نصّ الكتاب في ٣٠٤ صفحة.
- "أرجوزة خليل البصير"، "أرجوزة عبدالله العمري"، "أرجوزة فتح الله القادري" ملحقة بالأطروحة الموسومة بـ"الشّعر العراقي في النصف الأول مِن القرن الثامن عشر"، حقّقه نبيل محمد سلمان، ونال به درجة (الماجستير)، ويقع في ٢٩٦ صفحة.
- "الإرشاد في معرفة علماء الحديث" لأبي الخليل بن عبدالله الخليلي، المتوفّى سنة ٤٤٦هـ، تحقيق آسيا كليبان علي، بغداد، مركز إحياء التراث، الجامعة المستنصرية، عام ١٩٨١م (١٤٠١هـ)، ونالت به درجة الدبلوم، ويقع الكِتاب في ١٢٢ صفحة.
- "الاستغناء في أحكام الاستثناء" لشهاب الدين القرافي، المتوفّى سنة ٦٨٢هـ، تحقيق محسن عبدالرحمن ودراسته، ويُكوّن الكِتاب المحقق الفصل الرابع مِن الأطروحة التي تحمل عنوان الكِتاب، وقد نال به صاحبه درجة (الدكتوراه)، ويقع الكِتاب في ٦٥٦ صفحة.
- "أسماء رجال مشكاة المصابيح" لولي الدين محمد الخطيب العمري، تحقيق عبد الجبار البياتي، نال به درجة (الماجستير) مِن معهد التاريخ العربي[1] التابع لاتحاد المؤرّخين العرب.

- "الاعتماد الأدبي" لإسماعيل بن موسى بن إسماعيل الحبيشي، المعروف بالمعدل، تحقيق عبدالله عبدالقادر الطويل (وهو موضوع أطروحة ماجستير، مسجَّل في كلية الآداب، جامعة القادسية ١٩٩٩م).
- "إعراب القرآن الكريم" لأبي طاهر، إسماعيل بن خلف ٤٥٥هـ (تحقيق سورتي الحمد والبقرة)، دراسة إبراهيم موسى حسن وتحقيقه، وهو الباب الثالث مِن أطروحة تحمل عنوان "دراسة الظواهر النحوية في إعراب القرآن الكريم" لأبي طاهر إسماعيل بن خلف، ويقع الكِتاب في ٣٢٤ صفحة، فإذا أُضيفتْ إليه الدراسة والفهارس يكون عدد صفحاته ٥٣٩، ونال به درجة (الدكتوراه)، مِن كلية الآداب (جامعة بغداد).
- "الألفاظ مثلثية المعاني" لأبي بيان نبأ بن محمد بن محفوظ، المتوفَّى سنة ٥٥١هـ. حقَّقه علي محسن بادي، ضمن أطروحة (الماجستير) الموسومة بـ"المثلث اللغوي، دراسة تحليلية"، تقع في ١٠٣ صفحات، نال بها المحقِّق درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب، (جامعة بغداد) سنة ١٩٩٤م (١٤١٤هـ).
- "الأمثال العربية" لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ضِمن أطروحة "الظواهر اللغوية في الأمثال العربية مع جمع ما تبقَّى مِن كِتاب الأمثال وتحقيقه"، لعبد [رب] الحسين معتوق صكر، مِن كلية التربية (جامعة البصرة) ١٩٩٧م (١٤١٧هـ).
- "الانتصار لصحَّة نقْل القرآن، والرَّدّ على مَن نحله الفساد بزيادة أو نقصان" للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد المعروف بالباقلاني ٣٢٨-٤٠٣هـ، حقَّقه عبدالقدوس أسامة الحسيني في كلية العلوم

الإسلامية (جامعة بغداد) ١٩٩٨م (١٤١٨هـ)، وهو أطروحة ماجستير، تقع في ٢٧٦ صفحة.

- "الإنصاف والخلاف النحوي بين المذهبين" لأبي البركات الأنباري، عبدالرحمن، المتوفّى سنة ٥٧٧هـ، تحقيق محمد خير الحلواني، ونال به درجة (الماجستير) مِن (جامعة بغداد)، كلية الآداب ١٩٧١م (١٣٩١هـ).
- "الإيضاح في القِراءات" دراسة وتحقيق، موضوع أطروحة دكتوراه مسجَّلة في كلية التربية للبنات (جامعة تكريت) عام ١٩٩٨م (١٤١٨هـ).
- "البارع" لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، المتوفّى سنة ٣٥٦هـ، تحقيق هاشم الطعان، عام ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ)، ونال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد).
- "البدور الزاهرة في القراءات العَشْر المتواترة"، تحقيق عبد [رب] الحسين عبدالله محمود، نال به درجة (الدكتوراه) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) عام ١٩٩٠ (١٤١٠هـ) ، ويقع الكِتاب في ٦٩٨ صفحة، ويشغل التحقيق القسم الثاني فيه مِن صفحة ٥٤٠-٦٩٧.
- "البديع" لابن خالويه، المتوفّى سنة ٣٨٠هـ، حقّقه حايد زيدان مخلف، ضِمن أطروحته التي تقدّم بها لنَيْل درجة (الدكتوراه) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٨٦م (١٤٠٦هـ)، وشغل التحقيق الصفحات ٤٠٠-٦٤٤.
- "البسيط في شرح الكافية" لركن الدين الاستراباذي، الحسن بن محمد ابن شرف شاه، المتوفّى سنة ٧١٥هـ، تحقيق حازم سليمان مرزة الحلي

ودراسته، نال به درجة الدكتوراه مِن كلية الآداب (جامعة بغداد)، ويشغل النص المحقَّق القسم الثاني مِن الأطروحة التي تقع في مجلَّدين، وفي ١٣٦٥ صفحة.

- "بلوغ المرام في حلِّ قطر ابن هشام" لعبدالملك الإسفراييني، المتوفَّى سنة ١٠٣٧هـ، تحقيق هيام فهمي إبراهيم، نالت به درجة الماجستير مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٩٠م (١٤١٠هـ)، ويقع النصّ المحقَّق في ٤٢٦ صفحة.
- "تاج التراجم في طبقات الحنفية"، دراسة عامر بن عطا عبدالغني وتحقيقه، نال به (الماجستير) مِن (معهد التاريخ العربي).
- "تاريخ ابن زرعة الدمشقي"، تحقيق شكر الله نعمت الله يد الله، نال به (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ).
- "تاريخ بغداد" للبنداري، الفتح بن علي بن الفتح (٦٤٣هـ)، دراسة غازي محمد علي الديراوي وتحقيقه، (معهد التاريخ العربي)، ونال به (الماجستير).
- "التاريخ الغياثي"، دراسة طارق نافع الحمداني وتحقيقه، نال به (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٧٤م (١٣٩٤هـ).
- "التاريخ المجدَّد لمدينة السلام، وأخبار فضلائها الأعلام، ومَن وَرَدها مِن العلماء والأنام"، لمحب الدين أبي عبدالله محمد بن أبي الفضل محمود، المعروف بابن النجار (٥٧٨-٦٤٣هـ) دراسة آلاء نافع التكريتي وتحقيقها، في كلية التربية ابن رشد (جامعة بغداد) ١٩٨٩م (١٤٠٩هـ)، ويقع في مجلَّدين، وفي ٨٤٣ صفحة.

- "التبصرة والتذكِرة" لأبي محمد عبدالله بن علي بن إسحاق الصيمري، تحقيق ظافر عكيدي، نال به درجة (الماجستير) في كلية التربية ابن رشد، بغداد ١٩٩٨م (١٤١٨هـ).
- "التجريد لبغية المريد في القراءات السبع" لأبي القاسم عبدالرحمن بن عتيق، المعروف بابن الفحّام الصِّقِلّي (٥١٦هـ)، تحقيق ضاري إبراهيم العاصي، نال به درجة (الدكتوراه) مِن كلية العلوم الإسلامية (جامعة بغداد) ١٩٩٧م (١٤١٧هـ)، ويقع في ٤٦٠ صفحة.
- "التحبير في المعجم الكبير" للسمعاني، تحقيق منيرة ناجي سالم، تناولت في القسم الأول مِن أطروحتها أبا سعد السمعاني: سيرته، وأسلوبه، وصُوَر تحمُّله الحديث، ومؤلّفاته والعلماء الذين روى عنهم، وشغل النص المحقّق القسم الثاني، ويقع في ١٠٧٤ صفحة، مِن كلية الآداب (جامعة بغداد).
- "تحفة الأنام في الوقف على الهمز وهشام" لابن القاصح العذري البغدادي، المتوفَّى سنة ٨٠١هـ، دراسة أحمد عبدالكريم شوكت الكبيسي وتحقيقه، كلية العلوم الإسلامية (جامعة بغداد) ١٩٩٩م (١٤١٩هـ)، نال به (الماجستير).
- "تحفة اللّطائف في فضائل الحِبْر ابن عباس ووجوه الطّائف" تأليف جارالله محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد [بن فهد] المكي، المتوفَّى سنة (٩٥٤هـ)[٢] دراسة فاروق عبدالرزاق الألوسي وتحقيقه، مِن كلية التربية الأولى (ابن رشد) (جامعة بغداد) ١٩٨٩م (١٤٠٩هـ)، نال به درجة الماجستير، وتقع الرسالة في ٣٧٨ صفحة.

- "تحفة الناظر، وغنية الذّاكر في حِفظ الشّعائر، وتغيير المناكر"، بسام بن عبدالكريم البهلول. ويقع في مجلّدين، الأوّل ٧٣ صفحة، والمجلّد الثاني (النص المحقّق) في ٥٥٦ صفحة، مِن كلية العلوم الإسلامية (جامعة بغداد) ١٩٩٣م (١٤١٣هـ) .

- "تذكرة الأولياء" لمرتضى بن محمد آل نظمي البغدادي، دراسة حميد مجيد هدو وتحقيقه، (معهد التاريخ العربي).

- "التذكرة الحمدونية" لمحمد بن الحسن بن حمدون، تحقيق بثينة شاكر محمود رامز، نالت به درجة الماجستير مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٦٩م (١٣٨٩هـ). ويقع في مجلّدَين، وفي ٤٠٨ صفحة، الجزء الأوّل فقط (التاريخ).

- "التفسّح في منثور اللغة، ومنظومها، وإعراب القرآن والشاهد بذالك" للخزاز، عبدالله بن محمد بن سفيان، المتوفّى سنة ٢٨٢هـ، تحقيق عبد الجبار عبد [رب] الأمير هادي وتحقيقه، نال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة البصرة) عام ١٩٩٠م (١٤١٠هـ)، ويقع في ٢٥٤ صفحة.

- "تفسير الخمس مئة آية مِن القرآن الكريم في الأمر والنهي والحلال والحرام عن مقاتل بن سليمان الخراساني"، دراسة نشأت صلاح الدين حسين الدوري وتحقيقه، نال به درجة (الدكتوراه) مِن كلية العلوم الإسلامية (جامعة بغداد) ١٩٩٩م (١٤١٩هـ).

- "تفسير قطْف الأزهار في كشف الأسرار" للسيوطي، عبدالرحمن (٩١١هـ)، "تحقيق سورتي الفاتحة والبقرة"، حققتها أسماء عدنان محمد

سلمـــان، في كلية العلـــوم الإسلامية (جامعة بغـــداد) ١٩٩٧م (١٤١٧هـــ)، ونالت بها درجة (الدكتوراه)، وتقع في ٣٦٠ صفحة.

- "تفصيل الجرجاني في علم النحو"، دراسة محمد صالح حسين الجاف وتحقيقه، رسالة ماجستير مِن معهد التاريخ العربي.

- "التكملة لوفيّات النقلة" للمنذري (٦٥٦هـــ)، دراسة بشّار عواد معروف وتحقيقه، نال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد)، دائرة التاريخ والآثار، ١٩٦٧م (١٣٨٧هـــ) (مطبوع).

- "التنبيه على خطأ الغريبين" تأليف الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، المتوفّى سنة ٥٥٠هـــ، دراسة سعيد كمال استيته وتحقيقه، نـــال به درجـــة (الماجستير) مِن كليـــة الآداب (جامعة بغـــداد) ١٩٧٢م (١٣٩٢هـــ)، وتقع في قسمين: القسم الأول عن ابن ناصر السلامي: سيرته، وثقافته، ومؤلّفاته، والقسم الثاني: النص المحقّق، ويقع في ١٥٥ مِن مجموع ٣٠٦ صفحة.

- "التنبيه على شرح مشكلات الحماسة" لأبي الفتح عثمان بن جنّي، المتوفّى سنة ٣٩٢هـــ، دراسة عبدالمحسن خلوصي الناصري وتحقيقه، نال به درجـــة (الماجستير) مِن كليـــة الآداب (جامعة بغـــداد) ١٩٧٤م (١٣٩٤هـــ)، ويقع في ٦٢٤ صفحة.

- "جلاء الخاطر مِن كلام الشيخ عبدالقادر" تحقيق إبراهيم الدوري، نال به درجة (الماجستير).

- "جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام" لمسلم بن محمود الشيزري، دراسة منذر بن رديف داود وتحقيقه. نال به درجة (الدكتوراه) مِن كلية

الآداب (جامعة بغداد) ١٩٩٠م (١٤١٠هـ)، ويقع في مجلّدين. يشغل النص المحقّق الصفحات ٥٤-١٠٨٣.

- "الجَنى الدّاني في حُروف المعاني" لابن أم قاسم حسن بن قاسم المرادي، المتوفّى سنة ٧٤٩هـ، دراسة طه بن محسن عبدالرحمن وتحقيقه. نال به درجة (الماجستير) في كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٧١م (١٣٩١هـ)، ويشغل النص المحقّق الصفحات ٦٩-٥٢١.
- "جُهْد المقِلّ" لمحمد بن أبي بكر المرعشي، الملقّب بساجقلي زادة، المتوفّى سنة ١١٥٠هـ، دراسة سالم قدوري وتحقيقه، نال به درجة (الدكتوراه) مِن كلية الآداب ١٩٩٢م (١٤١٢هـ).
- "حاشية ابن الحاج على النهجة المرضية"، تحقيق محمد صابر مصطفى. أطروحة دكتوراه مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٩٤م (١٤١٤هـ).
- "الحاوي في شروط الطّحاوي"، (المتوفّى سنة ٣٢١هـ)، تحليل روحي أوزجان وترجمته وتحقيقه، نال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ).
- "حُسْن التوسّل إلى صناعة التَّرَسُّل" لشهاب الدين محمود الحلبي (٧٢٥هـ)، تحقيق أكرم بن عثمان يوسف، نال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)، ويقع في قسمين يشغل النصّ القسم الثاني، وعدد صفحاته ٣٧٧.
- "الحلل في إصلاح الخلل" لأبي محمد، عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق سعيد عبدالكريم، نال به درجة (الماجستير) مِن كلية

الآداب ١٩٧٢م. ويشغل نص الكتاب الصفحات ٥٣-٥١٨ (مطبوع).

- "حلّ المعاقد على شرح القواعد" تحقيق عمر علي محمد، كلية التربية للبنات (جامعة الأنبار) ١٩٩٩م (١٤١٩هـ)، نال به درجة (الماجستير).
- "ديوان الأبله البغدادي" (٥٢٠-٥٧٩هـ)، تحقيق سعاد بنت جاسم محمد، وهو الفصل الرابع مِن أطروحة ماجستير تحمل عنوان الديوان نفسه، ويشغل الديوان الصفحات ١٦٩-٧٦٠، كليـة الآداب (جامعة الموْصل) ١٩٨٥م (١٤٠٥هـ).
- "ديوان ابن دنينير اللّخمي" أبي إسماعيل إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، المتوفّى سنة ٦٢٧هـ، حقّقه جاسم محمد جاسم، ونال به درجة (الدكتوراه) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد) ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ).
- "ديوان أبي نواس برواية الصُّولي" دراسة بهجت عبدالغفور الحديثي وتحقيقه، نال به درجة (الدكتوراه) مِن كليـة الآداب (جامعة بغـداد) ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ)، ويقع في ٩٣٨ صفحة في مجلّدَين (طبع).
- "ديوان أميّة بن أبي الصّلت"، دراسة بهجت عبدالغفور الحديثي وتحقيقه، وهو الباب الثالث من أطروحة تحمل العنوان نفسه، نال بها درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب (جامعة بغداد).
- "ديوان الحاجري"، حسام الدين، عيسى بن سنجر الأربلي، المتوفّى سنة ٦٣٢هـ، دراسة صاحب شنون ياسين الزبيدي وتحقيقه، نال به درجة (الماجستير) مِن كلية الآداب ١٩٨٨م (١٤٠٨هـ)، ويشغل نص الديوان الصفحات ١٣٤-٥٢١.

- "ديوان راجح الحلي"، أبو البقاء راجح بن إسماعيل أبي القاسم الأسدي، المتوفّى سنة ٦٢٧هـ، دراسة وتحقيق، نالت به أميرة محمود عبدالله درجة (الماجستير) من كلية الآداب (جامعة الموصل) ١٩٨٧م (١٤٠٧هـ)، ويقع في ٨٠٥ صفحات.
- "ديوان الملك الأمجد"، مجد الدين الأيوبي (٦٢٨هـ)، دراسة ناظم رشيد شيخو وتحقيقه، نال به درجة (الماجستير) من كلية الآداب ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) (مطبوع).
- "ديوان النشابي"، مجدالدين، أسعد بن إبراهيم بن الحسن الأربلي، دراسة عبدالله محمود طه وتحقيقه، وهو القسم الثاني من أطروحة تحمل العنوان نفسه، ويشغل الديوان الصفحات ١١٦-٣٤٧. نال به صاحبه درجة (الماجستير) من (جامعة الموصل) كلية الآداب ١٩٨٥م (١٤٠٥هـ).

(للبحث صلة)

أ.د. ابتسام مرهون الصفار

جامعة بغداد، كلية التربية للبنات

الهوامش:

(١) لم تمتد إلى سنوات التحقيق فيما يخص رسائل الماجستير الصادرة عن معهد التاريخ العربي.

أبو الشَّغب العبسيُّ:
حياته وما تبقّى من شِعره

اسمه وكُنيته: هو عِكرشة بن أربد بن مِسْحل بن شيطان بن خُرَيْم بن جُذَيْمَة العبسي[1]. ويُكنّى بـ(أبي الشَّغْب)، نسبة إلى ولده (شَغْب)، إلا أنّ هذه الكُنية تعرضتْ إلى تحريفٍ في عدد مِن مظانّ ترجمته؛ فقد وردتْ عن أبي رِيَاش (ت ٣٣٩) بصيغة: أبي الأشعث العبسي[2]، ونقـل ذلك النويـري (ت ٧٣٣هـ)[3]. وتصحّف إلى (أبي الشعب) عنـد أبي حيّان الأندلسي (ت٧٥٤هـ)[4]، وجاء بصورة (أبي الشعث) عند ابن جنّي (ت ٣٩٣هـ)[5]

وهذه الصِّيغ والصُّور المخطوءة لِكُنْيته لا تُغفل دَوْر النُّسَّاخ الْمُسَّاخ في ذِكْرها، إضافة إلى أخطاء الطباعة (التطبيع) في تلك المصادر التي أوردتها، ولكن يبقى تنبُّه المحقِّقين والناشرين إلى صحّة هذه الكنية أو عدمها، وهو أمْر لم نَقَع له على أثَر!

حياته: امتدّ هذا الخلط وعدم المبالاة إلى ترجمته، فلم نَرَ أحدًا -عن القدماء، أو المحدثين- ترجم له بِدقّة ووضوح، واستقصى مظانّ حياته وشِعره، وشمل ذلك بعض محقّقي المصادر، التي احْتضنَتْ عددًا مِن أبياته.

فهذا الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم سكت عنه، فلم يعرِفْه أو حتى يشر إلى اسمه، عند ذِكر الطبريّ (ت ٣١٠هـ) بيتين له في (تأريخه)[6]:

بل إن أكرم عثمان يوسف لم يستطع معرفة شطر بيت له أورده شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـ) في "حسن التوسُّل"[7].

وقد استطعنا -في ضوء ما تناثر عَرَضًا في المصادر- أن نُخْرُج بمعلومات عن حياته، نبسطها في الآتي:

كان أبو الشَّغْب العبسيُّ مُنقطِعًا إلى والي العــراق: خالد بن عبدالله القَسْريّ[8]، في عهد هشـــام بن عبدالملك، حتى إذا قدم يوسف بن محمد الثقفي[9] حلّ مكانه واليًا، ثم حبسه وحاسبه، وذلك سنة ١٢٠هـــ، واتُّهم بالزندقة. وكان يوسف قد جعل على خالد في كل يوم حَمْل مال معلوم، وإن لم يَقُمْ به في يومه عذَّبَهُ.

ومدح أبو الشَّغْب خالدًا بقطعة مطلعها[10]:

ألا إنّ خيرَ النّاس حيًّا وميّتًا   أسيرُ ثَقيفٍ مُوثَقًا بالسَّلاسِلِ

فلمّا مدَحَه بهذه الأبيات وأوصلها إليه، كان خالدٌ قد حصل في قِسْط يومه هذا على سبعين ألف درهم، فأنْفَذَها له، وقال: "اعذرني فقد ترى ما أنا فيه"، فردَّها أبو الشَّغْب، وقال: "لم أمدحك لمالٍ، وأنت على هذه الحال، ولكنْ لمعروفك وأفضالك"، فأنفذها إليه ثانيًا، وأقْسَم عليه ليأخذها، فأخذَها. وبلغ يوسف الثقفيّ ذلك، فدعا خالدًا، وقال: "ما حَمَلَك على فعْلِك؟ ألَمْ تَخْشَ العذاب؟"، فقال خالد: "لَئِنْ أموت عذابًا أسهل عليّ مِن كَفِّي بَذْلي، لا سيما على مَنْ مدَحَني"[11].

ويبدو أنّ أحدًا لم ينْصُر خالدًا، وهو في عذابه وسِجْنه، إلا ما كان مِن أبي الشَّغْب العبسيّ، ويؤكد هذا قوْل هشام بن عبدالملك: "فوالله ما نَصَرَه أحدٌ بِيَدٍ ولا لسانٍ إلاّ رَجُلٌ مِن بني عَبْس"[12].

ولعلّ مدح أبي الشّغْب لخالد القسريّ له دلالة على تحدّي سلطة الوالي الجديد، والوفاء للوالي السابق (الممدوح) وليس لأجل المال؟، وهل يَنتظِر شاعر مِن رَجُلٍ يُعَذَّب مالاً؟

على أنّ خالدًا القسريَّ لم يلبث أن قُتِل في المحرم سنة ١٢٦هـ، في أيام الوليد بن يزيد، وهو في سجنه في الحيرة، ودُفِن فيها ليلاً؛ بينها وبين الكوفة فرسخ واحد[١٣]. ثم إنّ الثقفيَّ نفسَه قُتِل في العام التالي!!

ويبدو بغضُ أبي الشَّغب لآل مروان في قطعة عينية له، وذلك عندما استجار الوليد بن القعقاع بقبر هشام بن عبدالملك هربًا مِن والي قنّسرين يزيد ابن هُبَيرة، إلا أنّ ابن هبيرة قبض على الوليد وقتله[١٤].

وقد أثبت ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ) في "إكماله" أنّ أبا الشّغب روى حديثًا نبويًا يَخُصُّ قومه بني عبس، نَقَلَهُ عنه هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٦هـ)[١٥]، وجاء فيه: "عِكرشة العبسي قال: وفَد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعةُ رهْطٍ مِن بني عبس، فكانوا مِن المهاجرين الأوّلين منهم: بُسْر ابن الحارث بن عُبادة بن عُمَيْر بن سريع بن بِجَاد، فأسلموا، فدعا لهم، رواه هشام بن الكلبي عن أبي الشّغب[١٦]. انتهى".

عقبه: ذكرتْ المصادر أنّ له ابنًا هو (شغب)[١٧]، وبه يُكنّى، وآخر يدعى (رباط)[١٨]، وله قطعة رائية في رثاء بنيه، وإن كُنّا لا نعرف عددهم تمامًا. أما ما ورد في نشرة "ديوان الحماسة" -بتحقيق الدكتور عسيلان- مِن أنّ ابنًا له يُدعى (حندج). في إحدى القطع[١٩]، فلا نراه صحيحًا، لأنّ بعض مخطوطات هذه النشرة لم تذكر ذلك، إضافة إلى أنّ جميع مَنْ شرَح "الحماسة" لم يُثبت هذا الأمر. ونرجّح أنّ هذا الوهمَ جاء نتيجة لعِبِ بعض النُّسَّاخ المُسَّاخ!

وفاته: في ضوء ما تناثر مِن أخباره، نستطيع أنْ نقولَ إنّه أدرك الدولة العباسية، ومات في أولها، بدليل أنّ هشامًا الكلبي (ت ٢٠٦هـ) قد أدركه وأخذ عنه.

شِعره: لعل أقدم مَن أورد شِعرًا لأبي الشَّغْب العبسيّ، هو ابن الأعـــرابي (ت ٢٣١هـــ)، إذ روى عنه ثعلب (ت ٢٩١هـــ) مقطوعةً رائية في الرثاء. وأورد له أبو تمّام (ت ٢٣١هـــ) خمس مُقطَّعات في عشرين بيتًا، مع ملاحظة أنّ القطعة الهمزية المكوّنة مِن ثلاثة أبيات لم ترد منسوبةً إليه عند شُرّاح "الحماسة" كالجواليقي والمرزوقي والأعلم الشنتمري والتبريزي والتفسير المنسوب خطأً لابن فارس[٢٠].

وقد انفرد عدد مِن المؤلّفين بأبيات للشاعر لم ترد عند غيرهم؛ فقد انفرد أبو عبيدة (ت ٢١٠هـــ) بخمسة أبيات، وانفرد الوزير المغربي (ت ٤١٨هـــ) ببيتين، أما البصري (ت ٦٥٩هـــ) في (حماسته) فأثبتَ ثلاثة أبيات، لم تُذكَر في المصادر الأخرى.

وقد استشهد بشِعره شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥هـــ). فقد ذَكَرَ شطرًا له. بل إنّ أصحاب البلاغة والنُّقّاد، عند كلامهم على (التكافؤ)، استشهدوا ببيته الشهير[٢١]:

حلو الشمائل، وهو مُرٌّ باسل يحمي الذمار صبيحة الإرهاقِ

ومِن المناسب أن نبيِّن أنّ قطعته الرثائية البائية في ولده (رباط) نسبها البصريُّ إلى الأقرع بن معاد القُشَيري.

أما الأبيات الرائية في القطعة السادسة، فقد نُسِبَتْ أربعة منها إلى: الضحّاك ابن قيس الخارجي.

وقد وهَم ابنُ عدلان الموصلي (ت ٦٦٦هـــ) عند شرحه لديوان المتنبي، في كِتابه "التبيان"[٢٢]، إذ نسب بيتًا للشاعر -مِن قطعته في خالد القسري- إلى (السريّ). وعنه أثبَتَه مُحقّق "ديوان السريّ الرفاء"[٢٣]. وهكذا تحوَّلَ القسريّ

(الممدوح) إلى (السريّ) المادح.

والمتأمّل في ما تبقّى مِن شِعر أبي الشَّغْب يجد أنّ مُعظمه كان على (البحر الطويل)، وهو بحر يعطي قدرة على التأمُّل، ويساعد على الحوار، إضافة إلى أنّ تفعيلاته تتَّسِمُ بالبطء والتثاقُلِ والاسترسال.

أمّا أكثر القوافي -في شِعره- فهي: الراء، والتي أدّت دَوْرًا واضحًا في الموسيقى الداخلية للقصائد؛ والمعروف أنّ الراء تُكرِّر طَرْقَ اللسان للحنك عند النطق بها، علاوة على الهمزة والباء والعين.

وبالنسبة للإغراض، فقد كان الرثاء هو الغرض الرئيس في شِعره، في رثاء ولده (شغب)، وفيه نجد تلك العاطفة الأبوية الجيّاشة، والألم لفقدانه نتيجة الطاعون.

ثم المدح، سواء في مدحه لخالد القسري أو لولده (رباط)...

ولقد ذكر البكري (ت ٤٨٧هـ)[٢٤] أنّ قول أبي الشَّغْب:

يذكرنيهم كلُّ خير رأيتُهُ وشرٌّ، فما أنفكُّ إلاّ على ذكرِ

أخذه منه مسلم بن الوليد بقوله[٢٥]:

يذكرنيك الدِّين والفَضْل والحِجى وقيل الخنا والحِلم والعالم الجهلُ

وبيّن الخالديان أنّ بيت أبي الشَّغْب هذا هو مثل قول الآخر[٢٦]:

يذكرنيك الخير والشر والذي أخاف وأرجو والذي أتوجّعُ

أما الهجاء، فله قطعة واحدة عينية في خمسة أبيات قالها في هجاء آل مروان، ورمى هشام بن عبدالملك بالموبقات.

عملنا: كانت حصيلةُ التنقير في المصادر والبحث والتقصّي (٣٥) بيتًا للشاعر، في تسع قطع، إضافة إلى ثلاثة أبيات همزية منسوبة إليه، جعلناها في قسم خاص هو (المنسوب إليه) لاعتقادنا أنها ليست له.

وقد أوردنا ما بقي من شِعره هذا وفق السياق الهجائي للقوافي، وأعطينا لكل قطعة منه رقمًا خاصًّا، مع وضع البحوث الشِّعْرية لها، علاوة على ذكر التخريج واختلاف الروايات، ثم شرح المفردات التي تتطلب ذلك مِن مصادرها.

الإهداء: وقبل أن نختتم هذه السطور نُحِبُّ أنْ نُقدِّمَ هذا العمل المتواضع إلى أستاذين جليلين كرّسا أعوامًا مِن عمرهما لخدمة التراث العربي، فكتبَا وحقّقَا ما صار منارة للمدلجين، وقدوة لغيرهما مِن الباحثين الثقات:

أولهما: الأخ الصديق العزيز الدكتور عبدالمجيد الإسداوي، لأفضاله الجمَّة، وخُلُقه الكريم، والذي أمدّني بكل ما أردت مِن مصادر نادرة، فضرب أمثلة رائعة في الأخُوَّة والإسلام.

وثانيهما: الأستاذ الدكتور محمد حسين الأعرجي، الذي لفَت نظري إلى هذا الشاعر، عند تحقيقه لكتاب "مقطعات مراث"[٢٧]. فلولاه لما كنتُ نظرتُ في حياة الشاعر أو شِعره.

وبعد، أرجو أنْ أكون قد قدّمت لَبِنَة صغيرة إلى ديوان الشّعر العربي الشامخ.

[١]

قال أبو الشَّغْب العبسيّ في ابن له: (الطويل)

١- رأيتُ رباطًا حين تمّ شبابُهُ ... وولّى شبابي، ليس في بِرّه عَتْبُ

٢- إذا كان أولادُ الرجال حَزَازَةً ... فأنتَ الحلالُ الحلْوُ والباردُ العَذْبُ

٣- لنا جانب منه دَميثٌ وجانبٌ ... إذا رامه الأعداءُ مُمْتنعٌ صَعْبُ

٤- وتأخذه عند المكارم هِزَّةٌ ... كما اهتزَّ تحت البارح الغُصُنُ الرطْبُ

التخريج: الحماسة (عسيلان) ١/١٥٤، الحماسة شرح التبريزي ١/٢٦٣، الحماسة بتفسير ابن فارس ٩١، الحماسة بشرح الأعلم الشنتمري ٢/٦٢٩-٢٣٠، الحماسة بشرح ابن زاكور (مخطوطة الظاهرية، رقم ٨٦٨٩) أ.أب.

والقطعة، عدا الأول، في الحماسة برواية الجواليقي ٨٤ وفيها: (وقال آخر: قال أبو رياش هي لأبي الأشعث العبسيّ)، البحر المحيط ٨/٢٧٩.

والأول والثاني في: سمط اللآلي ١/٢٢٤، ٢/٦٢٩.

والرابع في: بهجة المجالس ١/٧٧٣-٧٧٤.

والثالث والرابع في: التذكرة السعدية ١/٩٦: (لبعض بني عبد شمس).

والثاني والثالث في: الحماسة بشرح المرزوقي ٢٧١ بلا عزو.

والثاني فقط في: شرح القصائد السبع الطوال ٢٧٣، الأمالي ٢/٢٦٤: بلا عزو.

والأبيات مع ثلاثة أخرى في: الزاهر للأنباري ١/٣٧٢-٣٧٣ : بلا عزو.

وعجز البيت الرابع في: حسن التوسل ٩٢ : بلا عزو.

وجاء في الحماسة بشرح الفَسَوي (مخطوطة لاله لي التركية رقم ١٨١٣) ٥٥آ: (وقال أبو رباط في ابنه) ثم ذَكَرَ البيت الأول. وقال: (وقال أبو الشغب العبسي)، وذَكَرَ بقية الأبيات.

والأبيات تروى للأقرع بن معاذ القشيري، ذكر ذلك أبو عبيدة، كما في شرح التبريزي ٢٦٣/١. وينظر شعر الأقرع بن معاذ القشيري (جمع الأستاذ هلال ناجي – مجلة المورد)، بغداد، ١٩٧٨:٣م، ص١٩٢-١٩٣.

اختلاف الروايات:

٢- سمط اللآلي: ...مِرارة. الزاهر: العَزْبُ.

٣- الجواليقي، البحر المحيط: مركبه صَعْبُ. الزاهر: ثقيل على الأعداء... وقال الأعلم الشنتمريُّ: (يروى: مَتْلَفَةٌ صَعْبُ).

٤- الزاهر: ...الفَنَنُ الرَطْبُ.

شرح المفردات: ١- جاء في التفسير المنسوب لابن فارس: (يقول: رأيتُ ابني بارًّا بي، لا أعتب عليه في شيء مِن البِرِّ بي...).

٢- الحزازة: الغيظ الذي يحزّ القلب.

٣- دميث: سهل، لَيِّن. يقول الفَسَويّ: (يثني على ولده بحسن برّه وطيب عشرته ولين جانبه مع شدته على أعدائه).

٤- الهزة: النشاط. البارح: مِن رياح الصيف تأتي مِن اليَمَن. وفي سمط اللآلي: (وإنما أراد الشاعر أنّ الغصن في ذلك الزمان أَلْيَن منه في الشتاء). وهذا التفسير نقله ابن زاكور دون الإشارة إلى مصدره.

[٢]

قال أبو الشَّغْب العبسيّ: (الطويل)

١- لعمرك إني يوم راح ابن كوكب لصبٌّ، وإني للهوى لغلوبُ
٢- وإني على بعض الأناة ورِسْلتي لأبعد ما يرجو الفتى لَطَلُوبُ

التخريج: أدب الخواص ١١٥.

شرح المفردات: ١- ابن كوكب: لم نقف على ترجمةٍ له.

[٣]

قال أبو الشغْب العبسيّ: (الطويل)

١- ألا يا حمام الأيْك مالك باكيًا أفارَقْتَ إلْفًا أمْ جفاك حبيب؟
٢- دعاك الهوى والشوق لما ترنمت هتوف الضحى بين الغصون طروبُ
٣- تجاوِبُ وُرْقًا قد أَذَنّ لصوتها فكلّ لكُلٍّ مُسْعِدٌ ومُجيبُ

التخريج: الحماسة البصرية ١٦٦/٢.

[٤]

وقال يرثي ابنه شَغْبًا: (البسيط)

١- قد كان شَغْبٌ لو أنّ الله عَمَّرهُ عِزًّا تُزادُ به في عِزِّها مُضَر
٢- فارقتُ شَغْبًا، وقد قُوِّسْت من كِبَرٍ لبئست الخلّتان: الثُّكْلُ والكِبَرُ
٣- ليت الجبال تداعتْ عند مصرعِهِ دكًّا، فلمْ يبْقَ مِن أركانها حَجَرُ

التخريج: الأبيات في: شرح التبريزي ٣/٦٩، شرح الأعلم الشنتمري ١/٥٠٩ بتقديم الثالث على الثاني، وكذلك في الكامل ١/٢٢٢، أمالي القالي ٢/٨٨.

الأول والثاني في: شرح المرزوقي ٣/٢٥٧، العقد الفريد ٣/٢٥٧، الحماسة برواية الجواليقي ٢٩٦، والحماسة بتفسير الفَسَوي (٩٥آ)، والحماسة البصرية ١/٢٥٧، الحماسة (عسيلان) ١/٥١٢.

والأول فقط في: التصحيف والتحريف ٣٥٧، وهما في: مختصر أمثال الشريف الرضي للأربلي ٧٧/ بلا عزو.

اختلاف الروايات:

٢- العقد الفريد: بئس الخليطان: طول الحزن والكبر.

وفي حاشية الفسوي: بئس الحليفان طول الثكل والكبر.. وهي الرواية التي أشار إليها الأعلم الشنتمري في شرحه للبيت.

٣- الكامل، العقد الفريد: قبل مصرعه.

الأعلم الشنتمري: عند مهلكه... من أحجارها.

شرح المفردات: ٢- قَوَّستُ: انحنيتُ كالقوْس. الخَلّتان: الخصلتان.

٣- التَّداعي: التساقط. (الدكّ: مصدر دُكّت الجبال، إذا صُرِعَتْ وسُوِّيَتْ بالأرض) الأعلم الشنتمري.

[٥]

قال عِكرِشة، أبو الشَّغْب: (البسيط)

١- يا شَغْبُ ما طلَعتْ شمسٌ ولا غربت   إلاّ ذكرتُك، والمحزونُ يذّكرُ

٢- عَزّاني الناسُ عنْ شَغْبٍ، فقلت لهم :   ليس الأسَى بسواءٍ، والأسَى عِبَرُ

التخريج: سمط اللآلي ٧٨٣-٧٨٤.

ولعلّ هذين البيتين هما من القطعة السابقة، ولمّا لم أجد مصدرًا يجمعهما آثرت فَصْلهما.

[٦]

قال أبو الشغب العبسي يرثي بنيه: (الطويل)

١-أبَعْدَ بني الزُّهر الغطارفةِ الأولى ... أُرَجّي رخاءً أو نوالاً من الدّهر؟

٢-غطارفةٌ زهرٌ مَضَوْا لسبيلهم ... ألهفى على تلك الغطارفة الزُّهرِ

٣-لهم ذِكرٌ يعتَدْنَ قلبي كأنّما ... يُلَذِّعتَهُ بين الجوانح والجمرِ

٤-يُذَكِّرنيهم كُلُّ خيْرٍ رأيْتُهُ ... وشرٌ، فما أنفكُّ إلاّ على ذُكر

٥-سقَى اللهُ أجْسادًا ورائي تركتُها ... بحافة قِنَّسْرين مِنْ سَبَل القَطْرِ

٦-مَضَوْا لا يُريدونَ الرَّواح وغالهم ... من الموت أسبابٌ جَرَيْنَ على قَدْرِ

٧- ولو يستطيعون الرواحَ تَرَوَّحُوا ... معي، ومَضوْا في المصبحين على ظَهْرِ

٨-لعمري لقد وارتْ قبور ضَمِنَّهُمْ ... أكُفًّا شِداد القَبْضِ للأسل السُّمْرِ

٩-وآخر عهدٍ منك يا شَغْبُ شَمَّةٌ ... بشَرْجٍ وداعًا، والمطيُّ بنا تسري

١٠-فكان وداعًا، لا تلاقي بَعْدَهُ ... وبَيْنًا إلى يوم القيامة والحَشْرِ

التخريج: القصيدة كاملة في: مقطعات مراث ٣١-٣٢، المنازل والديار ٤٦٧-٤٦٨. والأبيات: ٤، ٥، ٦، ٧، ٨ في: الحماسة (عسيلان) ١/٥٢٠، شرح الحماسة للأعلم الشنتمري ١/٥٢١-٥٢٢. والأبيات نفسها بتأخير الرابع، في: شرح المرزوقي ١٠٥٥-١٠٥٧، الجواليقي ٣٠٠-٣٠١، شرح الفسوي ٩٦ب، شرح التبريزي ٣/٧٨.

٤-٩: معجم البلدان ٢/٢٠٦.

٤، ٥، ٨: اللسان (قنسر) وفيه: (يرثي بني الزهراء.. وقيل في بنيه).

٢، ٤: سمط اللآلي ٤٢٨/١.

الرابع فقط: شرح سقط الزند ٨٧٠.

الخامس فقط: الاعتماد في نظائر الضاد والظاء لابن مالك ٣٥٣ (مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣١-ج٣، ١٩٨٠م). والأبيات: ٤، ٥، ٦، ٨: الأشباه والنظائر ١٥٢/٢-١٥٣: للضحّاك بن قيس الخارجي.

١، ٢، ٤، ٥: زهر الآداب ٨٥٢/٣: لأعرابي مات بنوه بالطاعون.

٤، ٥، ٦: مجالس ثعلب ٢٠١/١: بلا عزو.

الرابع فقط في: العقد الفريد ٣٨٤/٦: بلا عزو.

اختلاف الروايات: ١ - المنازل والديار: ...أُرَجّي رجاءً.

ورواية البيت في: زهر الآداب:

أبعد بَنِيَّ الدهْرَ أرجو غضارة مِن العَيشِ أو آسى لما فاتَ مِنْ عُمرِي

٢- زهر الآداب... فلهفي.

٤- مقطعات مراث، المرزوقي، الشنتمري، التبريزي: منهم على ذكر.

٥- شرح الشنتمري: أجداثًا.

الحماسة (عسيلان)، معجم البلدان، الفسوي والشنتمري، الأشباه والنظائر، اللسان: بحاضر قنسرين.

زهر الآداب... من طيِّبِ القَطْرِ.

مجالس ثعلب: ... فتيانًا... تركتهم بحاضر.

٦- الحماسة (عسيلان)، شرح الشنتمري:... أو غَدَوْا.

المرزوقي، الفسوي معجم البلدان: وغَدَوْا.

٨- الحماسة (عسيلان)، الأشباه والنظائر، الشنتمري، اللسان: ... وضَمَّتْ

قُبورُهم.. بالأسل. معجم البلدان: وارتْ وطمَّتْ .. بالأسل.

شرح المفردات:

١- الغطارفة: مفردها غطريف، وهو السيد والشريف، أو السخيّ السريّ الشاب.

٢- ألهفي: يقول المرزوقي:"لهف: مضاف إلى ضمير النفس، فَفَرَّ مِن الكسرة، وبَعدها ياء إلى الفتحة، فانقلبتْ ألفًا" ونقل هذا التبريزي دون أية إشارة إلى المرزوقي!

٣- قِنّسرين: كورة بالشام، منها حلب. معجم البلدان ٤/٤٠٤.

سَبَل القَطْر: ما يعظم من المطر.

٤- الذُكر: "يقال: هو مني على ذُكرٍ، أي: لا أنساه أبدًا، ويقال ذكرتُهُ ذِكْرًا بالكسر". الأعلم الشنتمري. وبيَّن المرزوقي أنَّ الذِكر بالكسر يكون بالقلب، وبالضم يكون باللسان.

٦- غالهم: اغتالهم وأهلكهم:

أ - شرج: ماء لبني عبس من أرض العالية[٢٨]. معجم البلدان٣/٣٣٤.

[٧]

قال أبو الشغب العبسيّ يهجو بني مروان: (الطويل)

١-يا آل مروان إنَّ الغَدْرَ مُدْرِكُكُمْ   حتى يُنيخُكُمُ يومًا بجعجاعِ

٢- أضْحَتْ قُبورُ بني مروان مَخْزُوَةً   لا تُستجار ولا يرعى لها الراعي

٣- قَبْرُ التَميميّ خيرٌ مِنْ قُبورِكُمْ   يسعى بذمته في قومه ساعٍ

٤- إنّ البريّة قالتْ عند غدْرِكُمْ   قُبْحًا لِقَبْرٍ به عاد ابنُ قعقاعِ

٥- قَبْرٌ لأِحْولَ كان الصنجُ همَّتُهُ   والمُزْنياتُ ودفٌّ عند إسماعِ

التخريج: نقائض جرير والفرزدق ١/ ٣٨٠.

٣- التميمي: هو غالب بن صعصعة، والد الفرزدق الشاعر. والشاعر هنا يشير إلى استجارة الناس بقبره.

٤- ابن قعقاع: هو أبو ثمامة، الوليد بن القعقاع بن خويلد، وكان قد استجار بقبر هشام بن عبدالملك، من الوالي يزيد بن هبيرة، إلا أن ذلك لم ينفعْهُ، إذ بعث إليه يزيد، فضربه حتى مات. ينظر: تاريخ الطبري ٧/ ٢٣٧.

٥- الأحول: يعني به هشام بن عبدالملك.

الصنج: من آلات الملاهي، وهو ما يُتّخذ مدورًا، يُضرب أحدهما بالآخر.

[٨]

قال أبو الشَّغْب العبسي: (الكامل)

حلو الشمائلِ، وهو مُرٌّ باسلٌ   يحمي الذِّمارَ صبيحةَ الإرهاقِ

التخريج: نقْد الشِّعر ١٤٣. تحرير التحبير ١/ ١١١، نهاية الأرب ٧/ ١٠٠، حسن التوسل ٢٠١.

الشطر الأول فقط في: مواد البيان ٣٠٦.

شرح المفردات: ١- الشمائل: الطِّباع.

٢- الذمار: هو كل ما يلزم الإنسان حفظه، ويطلق على الحرم والأهْل.

الإرهاق: الشدة والعسر. وقد تَصَحَّفَتْ هذه الكلمة إلى (الإرهان) في طبعة د. محمد عبدالمنعم خفاجي لكتاب (نقْد الشِّعر) ١٤٨.

[٩]

قال أبو الشَّغْب العبسيّ في خالد بن عبدالله القَسْريّ، وهو أسيرٌ في يَدَيْ

يوسف بن عُمَر الثقفيّ: (الطويل)

١-ألاَ إنّ خَيْرَ الناسِ حيًّا وَمَيِّتًا أسيرُ ثقيفٍ مُوثقًا بالسّلاسـلِ
٢-لَعمري لئِنْ عَمَّرتُمْ السجنَ خالدًا وأوطأتموهُ وَطْأةَ الْمُتثاقِـلِ
٣-لقد كان نَهّاضًا بكلّ مُلِحَّةٍ ومُعْطي اللُّهَى غَمْرًا كثيرَ النوافل
٤-وقد كان يبني المكرماتِ لقومهِ ويعطي اللُّهَى في كلّ حقٍّ وباطلِ
٥-فإن تسجنوا القَسْريَّ لا تسجنوا اسمه ولا تَسجنوا معروفَهُ في القبائـلِ

التخريج: القطعة في: الحماسة (عسيلان) ٤٥٣/١-٤٥٤، ديوان الحماسة برواية الجواليقي ٢٦٢-٢٦٣، وفيات الأعيان ٢٣٠/٢.

والأبيات -عدا الرابع- في: البيان والتبيين ٢٣٥/٣-٢٣٦.

والأبيات -عدا الثالث- في شرح الفسوي ٨٣ب، شرح الأعلم الشنتمري ٥٤٦/١-٥٤٧.

الأول والثاني: شرح المرزوقي ٩٢٧/٢.

الأول، الخامس: تاريخ الطبري ٢٥٧/٧.

الثاني، الثالث: زهر الأكم ١٣١/١، وفيه: "الحماسي".

الرابع فقط: شرح ديوان المتنبي (الفسر) لابن جني ٩٣/١، وفيه: "لأبي الشعث".

الأول فقط في: شرح مشكلات ديوان أبي الطيب المتنبي، أو: الفتح على أبي الفتح ١٨٠ (مجلة المورد، مج ٢، العدد ٤، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م): بلا عزو.

الخامس فقط في: المثل السائر ٦٦/١. وفيه: "شاعر الحماسة". شرح المضنون به على غير أهله ٣٥٧.

والأول فقط في: شرح التبيان في شرح ديوان المتنبي، المنسوب خطأ للعكبري ٢٢٥/٤ (للسري)، وهو خطأ وتحريف، وعنه في: ديوان السّريّ الرفّاء ٨١٧/٢، ونبَّهَ المحقق إلى خطأ هذه النسبة.

عجز البيت الثاني في: شفاء الغليل ١٩٠: بلا عزو.

اختلاف الروايات: ١- المرزوقي... حيًّا وهالكًا، وهي الرواية التي أشار إليها في أثناء شرحه.

الجواليقي: إلا أنّ خير الناس قد تعلمونه ... عندها في...

الطبري: ... ألا إنّ بَحْرَ الجودِ أصبَحَ ساجيًا.

الحماسة (عسيلان)، المرزوقي، التبريزي، الفسوي، ابن عدلان: عندهم في السلاسل.

٢- الشنتمري، حاشية الفسوي: أعمرتُم.

٤- الشنتمري، زهر الأكم: لقد كان يروي المشرفيّ بكفِّهِ.

الفسر، الحماسة (عسيلان)، الفسوي، التبريزي: لقد

٥- البيان والتبيين: بالقبائل.

المثل السائر: فإن تدفنوا البكريّ لا تدفنوا..

شرح المفردات: ٣- اللُّهى: العطايا، واحدها: لهوة.الغَمْرُ: الواسع العطاء.

(المنسوب)

قال أبو الشغب العبسي في ابنٍ له: (الطويل)

١- لا تَعْذُلي في حُنْدُجٍ، إنّ حُنْدُجًا ... وَلَيْثَ عِفِرّين لديّ سواءُ

٢- حَمَيْتُ على العُهّار أطهارَ أُمّهِ ... وبَعْضُ الرجالِ الْمُدّعِينَ جُفاءُ

٣- فجَاءتْ به سَبْطَ العِظام كأنّما ... عِمامتُهُ مِن الرِّجالِ لِواءُ

التخريج: القطعة في: الحماسة (عسيلان) ١٥٣/١ لأبي الشَّغْب العبسيّ. وقد انفردَتْ بهذه النسبة. والقطعة في الشرح المنسوب لابن فارس ٩٠-٩١ وفيه (وقال آخر في ابن له من سوداء). وفي شرح الأعلم الشنتمري ١٠٧/١ وفيه: "وقال آخر في ابن له". وهو ما ورد في إحدى نُسخ الحماسة (عسيلان).

والأول في: المستقصى ١٩١/١ "لِرجُل في ابن له يخاطب امرأته".

وزاد الفسوي ٢٥أ: "...وهو زيد بن لثوة".

أقول: الصواب: زيد بن كثوة، تُنظر ترجمته في: "الحيوان" ١٩/٦، "عيار الشِّعر" ٦٤، "تهذيب اللغة" ٣٤٨/٣. وأرجِّحُ أنَّ القطعة له.

اختلاف الروايات: ١- الفسوي: عفرِّيَنِ وعفرِّينَ، معا.

٢- التبريزي: غُثاءُ.

٣- الشرح المنسوب لابن فارس: سبط اليدين. التبريزي: سبط البَنَانِ.

شرح المفردات: ١- عفرِّين: مأخوذ من العَفْرِ، ويجوز أن يكون من العِفْرِ، وهو الخلق العظيم. ولها تفسيرات أخرى ذكرها الشنتمري.

٢- في الشرح المنسوب لابن فارس: أيْ حميتُ أُمَّه من الفجّار، فنسبه نسب صحيح، وليس بحميل، أي: دعيّ، وبعض الرجال، أي: ومِنَ الناس مَنْ يكون محمولاً دعيًّا، فهو كالجُفاء الذي يحمله الماء، والجفاء والغُثاء واحد".

٣- سبط العظام: تام الخلق.

يقول الأعلم الشنتمري: "يقال: سَبْط وسَبِطٌ للطويل المسترسل مِن الشَّعر وغيره. فيقول: ولَدَتْهُ أمُّه طويل العظام، تام الخلق، فإذا اعتم حلَّتْ عمامته منه لطوله محل اللواء مِن قناته".

عباس هاني الجراح

الحواشي:

(١) "تاج العروس" ١٥٠/٣ (ط. الكويت، ١٩٦٧م).

وفي "كنى الشعراء" ٢٨٤/١ (لمحمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، ط١، ١٣٧٤هـ): عكرشة بن أُزَيْد.

وفي حماسة أبي تمام بشرح الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ) ٥٠٩/١ (تحقيق وتعليق د. علي المفضل حَمُّودان، مركز جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٩٩٢م: "عُكاشة، أبو الشغب، ويقال عكرشة العبسي".

وينظر: "معجم شعراء الحماسة" ٨٣: عبدالله عبدالرحيم عسيلان، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، وفيه:...بن سحل. وجاء في "الحماسة بشرح الفسوي" ٩٥أ: "العِكرشة: نبات، والعِكرشة: الأرنبة، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تأكل العكرش، والشَّغْب: الجلبة".

(٢) "ديوان الحماسة برواية الجواليقي" (ت ٥٤٠هـ): ٨٤ (تحقيق د. عبدالمنعم أحمد صالح، بغداد، ١٩٨٠م).

(٣) "نهاية الأرب" ١٠٠/٧. (٤) "البحر المحيط" ٢٧٩/٨.

(٥) "شرح ديوان المتنبي المسمى" (الفسر) ٩٣/١ (تحقيق د. صفاء خلوصي، بغداد، ١٩٧٤م).

(٦) "تاريخ الطبري" ٢٥٧/٧.

(٧) "حسن التوسل إلى صناعة الترسل" ٩٢ (بغداد، ١٩٨٠م).

(٨) ترجمته في: "المعارف" ٣٩٨، "الأغاني" ٣١٢/٢١-٣١٣، "شذرات الذهب" ١٦٩/١، "وفيات الأعيان" ٢٢٦/٢-٢٣١، "سرح العيون" ٢٩٥، "تهذيب ابن عساكر" ٦٧/٥-٨٠، "مقدمة ابن خلدون" ١٠٥/٣، "أعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام" ٢٨٠-٢٨٣.

(٩) ترجمته في: "الأعلام" ٣٢٠/٩ والمصادر الواردة فيه.

(١٠) ذهب د. حسين محمد نقشة في: "حماسة أبي تمام وشروحها" ١٢٢ (القاهرة، ١٩٨٧م)، إلى أنّ أبا الشَّغْب قدْ مَدَحَ خالدًا القسريّ ببيتين فقط. وهو وهْمٌ.

(١١) "وفيات الأعيان" ٢٣٠/٢ (تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م).

(١٢) "تاريخ الطبري" ٢٥٧/٧.

(١٣) "وفيات الأعيان" ٢٢٩/٢.

(١٤) "نقائض جرير والفرزدق" ٣٨٠ (تحقيق بيقان، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٥م)

(١٥) ترجمته في: "الفهرست" ١٠٨ (طبعة رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م).

(١٦) "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب" ٦/٢٤٩-٢٥٠ (اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط٢، حيدرآباد الدكن، ١٩٦٦م).

(١٧) تُنظر القِطع ٤ و ٥ و ٦. (١٨) تنظر القطعة ١.

(١٩) يُنظر الشعر (المنسوب).

(٢٠) "حماسة أبي تمام بتفسير أحمد بن فارس" (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق د. هادي حسن حمودي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٥م. ولقد ثبت لنا بأدلة قاطعة أنّ هذا التفسير ليس لابن فارس، ولقد كتبنا دراسة موسعة في ذلك، مع بيان الأوهام التي وقع فيها محقق هذا الكِتاب سواء في سوء قراءته للمخطوطة أو الإسقاط الذي حدث فيه، وعدم دقته في كتابة مقدمة الكتاب. تنظر تفصيلات ذلك في دراستنا النقدية في مجلة "المورد"، بغداد، المجلد ٢٧، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(٢١) تُنظر القطعة ٧. والتكافؤ:"هو أن يصف الشاعر شيئًا أو يذمه، أو يتكلم فيه بمعنى ما، أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين". نقد الشعر ١٤٣.

(٢٢) طُبع كتاب "التبيان" منسوبًا خطأً ووهمًا إلى العكبري بتحقيق المرحوم مصطفى السقّا، في مصر، ١٩٣٦م، وقد نبّه المرحوم د. مصطفى جواد إلى هذا الخطأ، والصحيح أنه لعفيف الدين بن عدلان (ت ٦٦٦هـ)، تُنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد ٢٢، ١٩٤٧م، ص ٣٧-٤٧، و١١٠-١٢٠، وأعيد في كتابه: في التراث العربي ٢/٢٣٩-٢٦٠ (بغداد، ١٩٧٩م).

(٢٣) ديوان السري الرفاء ٢/٨١٧ (تحقيق د. حبيب حسين الحسني، بغداد، ١٩٨١م).

(٢٤) "سمط اللآلي ٤٢٨".

(٢٥) ديوانه ٣٣٣ (تحقيق د. سامي الدهان، دار المعارف، مصر).

(٢٦) "الأشباه والنظائر" ٢/١٥٣ (مصر، ١٣٥٤هـ-١٩٣٦م).

(٢٧) مُقطّعَات مراثٍ: لابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) برواية ثعلب (ت ٢٩١هـ)، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م.

(٢٨) شرج: ليس في أرض العالية، بل مِن أسفل نجد، وقد أطلت الحديث عنه في (قسم شمال المملكة) وأوردت كلام المتقدمين فيه، وينطق اسمه الآن (شري) بإبدال الجيم ياءً، كما في ضارج (ضاري) وكان منهلاً، ويقع على الطريق الشرقي من القصيم إلى حائل (بقرب خط الطول:٤٣/٢٩ْ وخط العرض ٢٧/١٥ْ) وقد أنبطت فيه مياه غزيرة، فأنشئ عليه مشروع زراعي تابع لإمارة حائل، وهو قديمًا من منازل عبس، وفي "الأغاني" أن عنترة قتل بين شرج وناظرة، وناظرة هذه تقع شرق شرج معروفة من أطراف رمال الدهناء الغربية. **حمد الجاسر**.

تفرّد الزبير بن بكار برواية أشعار
أخلت بها الدواوين المطبوعة

(١)

في بحث سابق عرضتُ لجهود الزبير بن بكار في حقل الرواية الأدبية. وقد عُنيت مِن خلال ذلك البحث بالكشف عن مزيّة مروياته، وإحاطته بأشعار أهل الحجاز وأخبارهم، مع عنايته أيضًا بشِعر غيرهم مِن شُعراء العرب. وقد أظهر ذلك البحث أنّ رواياته حفلتْ برواية شِعر كثير، تفرّد الزبير برواية قدْر منه، وبعضه أخلّت به الدواوين المطبوعة، أو جاء برواية تخالف رواية المصادر الأخرى[١].

وفي هذا الجزء مِن هذه الدراسة، سأكتفي بتتبّع ستة مِن شُعراء أهل الحجاز وصلتْ إلينا دواوينهم مطبوعة، وبعضها أعيدتْ طباعتها، أو أعيد تحقيقها. وعلى الرغم من ذلك، فات على صنّاع الدّواوين والمحقّقين لها قدْر مِن أشعار هؤلاء الشّعراء تفرّد الزبير بروايته، أو جاء برواية تخالف رواية غيره في المصادر الأخرى. وقد أخلّت به تلك الدّواوين المطبوعة.

ويشمل هذا المستدرك دواوين الشّعراء الآتية أسماؤهم:

١ — أميّة بن أبي الصّلت.

٢ — عبدالله بن الزّبعري السهمي القرشي.

٣ — يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

٤ — محمد بن بشير الخارجي.

٥ — إسماعيل بن يسار النّسائي.

٦ — إبراهيم بن هرمة القرشي.

١ – أميّة بن أبي الصّلت

أدرك الإسلامَ و لم يُسلم، ومات على كُفْره أيّام حصار الطّائف في السنة الثامنة مِن الهجرة[٢]. مِن بين الدراسات التي عُنِيَتْ بجمع شِعر أميّة وتحقيقه، توجد رسالتان علميتان اهتمّتا بجمع شِعر أُميّة بن أبي الصّلت وتحقيقه ودراسته.

الأولى قام بإعدادها عبدالحفيظ السّطلي، وقد نشرتْ بدمشق في عام ١٩٧٤م[٣].

والثانية صنّفها بهجة عبدالغفور الحديثي. وقد صدرتْ ضِمن سلسلة كُتب التراث (٤١) التي تصدرها وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، وصدرتْ في بغداد في عام ١٩٧٥م[٤].

والدراستان قيّمتان فيهما مِن الجهد ما يستحقّ الإشادة والتّنويه. فقد جمعتا شتات شِعر أُميّة المفرَّق في مختلف المصادر العربية، وجاء عمل المحقّقَين مستوفيًا لكل ما يتطلبه التحقيق العلمي. وقد ضمّت طبعة السّطلي لديوان أُميّة (١٠٣) ما بين بيت مفرد ونتفة ومقطّعة وقصيدة، عدا القسم الأخير الذي ذَكرَ فيه ما أُنشد لأميّة وليس له.

أما طبعة الحديثي لديوان أُميّة، فهي أوْفى مِن طبعة السطلي، وتحتوي على ثمانمائة وسبعة وخمسين بيتًا. وذكر المحقّق أنّ مِن بينها ستمائة وخمسة وأربعين بيتًا، كلها مِن الشّعر الذي قد لا ينازعه فيه منازع. أما سائر الشّعر، فهو مما ينسب إليه وإلى غيره، ومما نسبه إليه المحدثون[٥].

وعلى الرغم مما بذله المحقّقان من جهد وعناء في التنقيب والبحث عن أشعار أُميّة في مظانها المختلفة، وعلى الرغم مِن تخصيصهما صفحات للحديث

عن مصادر شِعر أميّة، إلا أنهما أغفلا مصدرًا لعله يفوق مصادرهما مِن حيث الأهمية والتفرد، ألا وهو كِتاب "جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار"[٦]. وتكمن أهمية هذا الكِتاب مِن عِدّة وجوه، أجزم بأنها لا تخفى على المحقّقَين، يأتي على رأسها:

١ – ترجمة أميّة في كِتاب "الأغاني" رُوي أكثرها عن طريق الزبير بن بكار.

٢ – الزبير بن بكار علَم مِن أعلام الرواية في النصف الأول مِن القرن الثالث الهجري، ومِن أكثرهم إحاطة بأشعار أهل الحجاز، وكان ثقة ثبتًا، ألّف كُتبًا عِدّة في النّسب، وأخبار العرب وأخبار عدد مِن شعرائها، خصوصا شعراء أهل الحجاز الذين ذاعت شهرتهم، وعلَت منزلتهم في القرن الأوّل الهجري. وكان مِن بين تلك المصنفات عن الشعراء كِتابه عن أخبار أميّة بن أبي الصّلت[٧] وهو كِتاب لم يصِل إلينا.

٣ – الجزء الأول مِن كِتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها شرحه وحققه شيخ المحقّقِين محمود محمد شاكر غفر الله له. وصدر عن مطبعة المدني في آخر شعبان سنة ١٣٨١ للهجرة، مما يعني أنه كان في متناول الباحثَين أثناء إعدادهما لأطروحتيهما، كما أنّ الجزء المتبقي مِن المخطوط كان بإمكانهما الاطلاع عليه مِن خلال وسائل عديدة هم خير مَن يعرفها ويتعامل معها. وإذا كُنّا نعتب على المحقّقَين لعدم رجوعهما إلى هذا المصدر، فإنّ هذه الملاحظات وغيرها لا تعني أننا بذلك ننتقص مِن جهدهما أو نقلّل مِن قيمة عملهما؛ لأنّ الإحاطة بالمصادر واستقصاء شِعر أيّ شاعر أمْر عسير لا يمكن توقّعه مِن أحد، لكثرة ما ينشر ويطبع مِن كُتب كانت مخطوطة مِن قبْل.

ويُعدّ الزبير بن بكار واحدًا مِن أبرز رواة القرن الثالث الهجري. كان عمدة للرواية المتصلة بالحجاز وأهله؛ ولذلك اعتمد الأصفهاني على مروياته، وعدّه أعلم مِن غيره بأشعار الحجازيين[٨]. لقد كان مجموع ما ذكره الزبير لأميّة في جمهرة نسب قريش وأخبارها واحدًا وأربعين بيتًا؛ مِن بينها سبعة أبيات أخلّت بهما طبعتا الديوان. فقد تفرّد الزبير برواية مقطوعة مِن ثلاثة أبيات حدّث الزبير عنها بخبرين منفصلين في الخبر الأول. قال: حدثني يعقوب ابن محمد بن عيسى قال: أخبرني محمد بن عثمان قال: قال أمية بن أبي الصلت في عبدالله بن جدعان: [الكامل]

زَعمَ ابنُ جُدعان وليس بكاذبٍ لَتقنّعنْ مئةٌ سلاحًا كاملاَ
ولتنْحَرنْ في دار كل إقامة عشرًا ونُطْعِمُ ذا العيالِ العائلا
نعم الفتى وابنُ العشيرة إنّه يُعطي الجزيلَ ولا يَلذُّ الباخِلاَ

وفي خبر آخر قال: ووجدتُ كتابًا بخط الضحاك بن عثمان يذكر أنّ قائلها شبيب بن مهان الليثي، يمدح عبدالله بن جدعان، قال: وكان قد سلح مئة رجُلٍ مِن بني كنانة يوم عكاظ وحملهم[٩]. وتفرّد الزبير بن بكار برواية مقطوعة مِن ستة أبيات، مِن ضمنها البيتان المفردان اللذان وردا مفردين، وبشكل منفصـــل عن بعضهما. ويحمل كلّ بيت رقمًا مستقلاً في طبعتي الديوان[١٠]؛ وهذا بلا شك يؤكد أهمية مرويات الزبير بن بكار خصوصا لتلك الأبيات المفردة والتي غالبًا ما ترِد مُفكّكة، وموزّعة بين أمّهات المصادر وكُتب التراث، والقصيدة التي منها البيتان المفردان قالها أمية، وفي خبرها يقول الزبير: ولما استنفر أبو سفيان بن حرب قريشًا لِعيرها، قام سهيل بن عمرو فقال: يا آل غالب: أتاركون أنتم محمدًا والصباة مِن أهل يثرب يأخذون عيراتكم

وأموالكم؟ مَن أراد مالاً فهذا مال، ومَن أراد قوة فهذه قوة، فقال في ذلك أميّة ابن أبي الصّلت: [الكامل].

يابا يزيدَ رأيتُ سيبَك واسعًا وسحال كفّكَ تَستهل وتُمطِرُ
بُسِطَتْ يداكَ بفضل عُرفك والذي يُعْطِي يُسارع في العلاء ويظفرُ
فوصلتَ قوْمَك واتخذْت صنيعةً فيهم تُعَدّ، وذو الصنيعة يُشكَرُ
ونَمى ببيتِكَ في المكارم والعُلا يا ابن الكرام فروعُ مجْدٍ تَزْهَرُ
وجَحاجِحٌ بيضُ الوجُوه أعزةٌ غُرّ كأنَّهُمُ نجومٌ تزهرُ
إنّ التكرّم والندى مِن عامر أخوان ما سُلكتْ لحج عَزْوَرُ[11]

وهناك مزيّة أخرى تلاحظ على مرويّات الزبير للشّعر، وهي ترتيبه للأبيات التي يرويها؛ حيث تأتي بصورة مغايرة لما يرويه غيره مِن الرواة؛ فالقصيدة (١٧) في طبعة السطــلي و (٣٣) في طبعة الحديثي جُمع شتاتها مِن مصادر متفرِّقة، واجتهد المحقّقان في ترتيب أبياتها مِن بينها ثمانية أبيات وردتْ في الأغاني (٣٢٩/٨-٣٣٠). الرواية الأولى منها تنسب إلى عمر بن شبه، والثانية إلى أبي عبيدة. وقد جاء ترتيب الأبيات في تينك الروايتين مغايرًا لترتيب الزبير لها. ويبدو المعنى في ترتيب الزبير أشدّ تماسكًا مما هو في الروايتين الأخريين. كما أنّ الزبير نصّ على أنّ الأبيات قِيلت في تأبين عبدالله بن جدعان، بينما ذهبتْ الروايتان الأخريتان إلى أنها قِيلت في مدْحه. و لم يقتصر الاختلاف في رواية الزبير على ترتيب الأبيات، بل طال بعض الألفاظ أيضًا.

وقد جاءت رواية الزبير للأبيات على النحو التالي:

قال أميّة بن أبي الصّلت يرثي عبدالله بن جُدعان[12] [الوافر]

وأبيضَ مِن بني عمرو بن كعب وهم كالمشْرَفيّات الجِدَاد

لَهُ داعٍ بمكة مُشْمَعِلٌّ ... وآخرُ فوق دَارَتِه يُنَادي[١٣]

إلى دُوحٍ[١٤] مِن الشِّيزَى عليهَا ... لُبابُ البُرِّ يلبَك بالشِّهادِ

فأولَحَهُمْ على ربذٍ يَدَاه ... بفِعْل الخيرِ ليس مِن الجمادِ

لكُلِّ قبيلةٍ تَبعٌ وصُلْبٌ ... وأنتَ الرأسُ أوّلُ كُلِّ هادِ

وَمَالي لا أؤبِّنُه وعندي ... عطاياهُ تُطَالعُ بالنِّجادِ

٢ – عبدالله بن الزِّبَعْرَى

مِن أبرز شعراء قريش في الجاهلية والإسلام، الذين نالوا عناية الزبير واهتمامه عبدالله بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، المشهور بابن الزِّبَعْرَى. وقد بلغ مجموع ما روى له الزبير في "جمهرة نسب قريش وأخبارها" ثلاثة وسبعين بيتًا من بينها واحد وعشرون بيتًا انفرد الزبير بروايتها، ولم ترد في مصدر آخر سواه. وفي بحث سابق نشرته قبل أعوام[١٥]، تناولت فيه بعض الملاحظات على نشرة أستاذنا الفاضل الدكتور يحيى الجبوري لديوان عبدالله ابن الزِّبَعْرَى الذي أعاد طباعته للمَرّة الثانية. وكان مِن بين تلك الملاحظات التي أبرزها ذلك البحث ملاحظات تتّصل بتخريج الشِّعر، واستدراك لِقَدْر مِن شِعْر ابن الزِّبَعْرَى فات المحقّق الوقوف عليه. وعلى الرغم مِن رجوعي في المرّة السابقة إلى الجزء المخطوط مما لم ينشر مِن الجزء المتبقّي مِن "جمهرة نسب قريش وأخبارها"، فقد فاتني قَدْر مِن شِعر ابن الزِّبَعْرى لم أقف عليه في النسخة التي أملكها. وقد عثرتُ عليه في النسخة التي تمّتْ طباعتها أخيرًا بإشراف مِن علاّمة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر (غفر الله له) وصدرتْ بالرياض مِن مطبوعات مجلة العرب. لقد عثرتُ في هذه النسخة على ثلاثة عشر بيتًا، لم يتيسّر لي الوقوف عليها مِن قبْل؛ مِن بينها بيت مفرد يضاف إلى مثيله في

الديوان رقم (٥)، والبيت المستدرك قاله ابن الزِّبَعْرى لِبشر بن سفيان الخزاعي وهو [الطويل]:

فَدَعْ لِقريش ما يليها أو ائتها   بعين الرِّضا والصُّلح أبقى وأحمد(١٦)

والمقطوعة (١٣) في الديوان جاءت في خمسة أبيات، وفي رواية الزبير زيادة بيتين على الأبيات الخمسة السابقة، وقد جاءا تاليين للبيت الخامس مباشرة. والبيتان هما(١٧) [الطويل]

وقد علموا أنّ ابن سلمى ثمالهم   إذا لم يكن للضيف في الحي غابقُ

وقد علموا أولا أُعَلِّمُ غيرهم   إذا استبقوا الخيرات إنك سابقُ

وانفرد الزبير برواية عشرة أبيات لم تكن ضِمن الديوان المجموع. وهي في رثاء العاص بن وائل. والأبيات هي(١٨): [الكامل]

ليسَ الذي يرجُو الخلودَ بخالدِ   والمرءُ مُرْتَهَنٌ بِحتْفِ الرَّاصِدِ

والناس هامٌ، رائثٌ ومُعَجَّلٌ   وِرْدَ النِّهال تواردت للذائدِ

فالرِّزءُ كان أبو حَكِيم إنّه   خلّى علينا غيرَ فقد واحدِ

خلّى يتامى كان يُحْسِنُ حَمْلَهُم   ويكَفِّلهِمْ في كل عام جاحدِ

وعجائزًا شُمطًا وكُلَّ مُعَيَّلٍ   وأرْمَلةٍ تواري قاعدِ(١٩)

تبكي بعين لا تجفُّ دُموعُها   كانت تُرى في نِعْمَةٍ ومَحاسِدِ

ومُهِمّة الخُلَماءِ يُخْشَى فتقها   تأسُو وأمُّ دِماغِها كالفاسدِ

قد كنت آسِيها وكنت طبِيبَها   حتى تُوَدِّيها كعهْدِ العاهدِ

رحبُ الفناء وما تُغلّق دارُهُ   حين الشتاء مِن الضعيف الصارِدِ

قدّمت معروفًا وتصنع نائلاً   جزلاً فذالك خيرُ ذُخرٍ ماكِدِ

هذه الأبيات المفردة والنتف والمقطعات والقصائد مِن شِعر ابن الزِّبَعْرى والتي انفرد الزبير بروايتها، ولم ترد في مصدر آخر سواه، بلغ مجموع أبياتها واحدًا وعشرين بيتًا، يضاف إليها سبعة أبيات تفرد الزبير بروايتها، وجاءت في أخبار مكة للفاكهي، وكانت ضمن الأبيات التي تم استدراكها قبْل على شِعر ابن الزِّبَعْرى[٢٠]. إنّ هذا العدد من الأبيات والذي انفرد الزبير بروايته مِن شِعر ابن الزِّبَعْرى يؤكد مرة أخرى أهمية مرويّات الزبير لشعراء أهل الحجاز. وفي المقابل، هذا الاستدراك على المستدرك مِن قبْل، يثبت أيضًا أنه مهما نقّب الباحث في المصادر والمظانّ المختلفة لشِعر أيّ شاعر، فإنّ الإحاطة بجميع شِعره يبدو أمرًا غير ممكن.

٣ – يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

بايع له معاوية (رضي الله عنه) بالخلافة مِن بَعده، وهو ابن ستٍّ وثلاثين، وكان أوّل مَن جعل وليّ عهد[٢١]، وحكم بين عامي ٦٠ و ٦٤هـ. وُلد سنة خمس وعشرين للهجرة، ومات لتسع عشرة ليلة خلَتْ مِن صفر سنة أربع وستين. كانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر[٢٢]. أوّل مَن جمع ديوانه واعتنى به، هو محمد بن عمران المرزباني المتوفّى سنة ٣٨٤هـ. ذكر ذلك ابن خلّكان، وقال عن ديوان يزيد: "وهو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاث كراريس". ثم أضاف: "وقد جمعه مِن بَعده جماعة، وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له. وكنتُ حفظتُ جميع ديوان يزيد لشدة غرامي به، وذلك في سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة بمدينة دمشق. وعرفت صحيحه مِن المنسوب إليه الذي ليس به، وتتبّعته حتى ظفرت بصاحب كل أبيات، ولولا خوف التطويل لبيّنت

ذلك. وشِعر يزيد، مع قِلّته، في نهاية الحسن"[٢٣]. وذكر ابن شاكر الكتبي ديوان يزيد فقال: "وله ديوان لا يصحُّ عنه منه إلا القليل. وقد جمع ديوانه الصاحب جمال الدين علي بن يوسف القفطي، المتوفّى سنة ٦٤٦هـ. وأضاف إليه كل مَن اسمه يزيد". وقد فقد هذان الديوانان اللذان جمع فيهما شِعر يزيد فلم يصلا إلينا. وقد اهتمَّ رُواة القرنين الثاني والثالث الهجريين بشِعْر يزيد، فقد احتفظ البلاذري له بنحو ٤٥ بيتًا[٢٤]، وروى له الزبير مجموعة مِن النُّتف والمقطعات (انظر على سبيل المثال الأخبار الموفقيات ص ص ١٩٦، ٢٨٦، جمهرة نَسَب قريش ٧٣٤، ٧٣٥، معجم ما استعجم (دير سمعان) الأغاني ١٧/٣٤٢).

وفي عام ١٩٢٣م، نشر المستشرق الألماني باول شفارتس عن مخطوط الأسكوريال اثنتا عشرة مقطوعة تضمُّ ٥٨ بيتًا، وقد شكَّ باحثون في أصالة هذه المجموعة[٢٥].

وفي عام ١٩٨٢، نشر الأستاذ صلاح الدين المنجّد شِعْر يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان، يقول في مقدمته: "ولهدف أدبي محضٍ، رأينا أن نقوم بمحاولة جديدة لجمع شِعْر يزيد، الذي كان أول شعراء الخلفاء الأمويين. فاستخرجنا مِن المصادر القديمة، على اختلافها، ما وجدناه مِن شِعْره، وجعلناه على قسمين. الأول: ما ترجّح عندنا وعند الأقدمين، أنه له. والثاني: ما بدا واضحًا حسَب الموازين والأساليب الشّعرية المتفق عليها، أنه منسوب إليه. وفي هذا القسم ألحقنا المقطعات التي نشرها شفارتس، مع نقد الأب لامانس لها. كما بيّنّا رأينا في عدم صحّة نسبة هذه الأشعار له. ثم ختمها بقوله: "وقد تكون

هناك أشعار أخرى قالها يزيد أو نُسِبت إليه، لم نطّلع عليها". ومِن بين تلك الأشعار التي فات المحقق الاطلاع عليها، ولم ترِدْ ضمن الديوان المطبوع مقطوعة وتتفتان انفرد الزبير بروايتهما. فالمقطوعة جاءتْ في بيت مفرد في الديوان تحت رقم ٤، والبيت أيضًا مِن رواية الزبير نقلاً عن "الأغاني". وفي "جمهرة نسب قريش" أورد الزبير هذا البيت مع ثلاثة أبيات أخرى. وقال في خبره: قال عمّي مصعب بن عبدالله: كان عبيدالله بن رباح رجُلاً، وكان قد نادم يزيد بن معاوية، وفيه يقول يزيد: [الطويل]

ما نحنُ يوم استعبرت أمُّ خالدٍ   بمرضى ذوي داءٍ ولا بصحاحِ
وقامتْ تُغنّي الشَّرْبَ حُمْرًا عيُونُهمْ   مُخضّبةُ الأطرافِ ذاتُ وشاحِ
وهان علينا أنْ تَبِيتَ مُناخةً   على الخسْفِ يا بُخْتيَّةَ ابن رَباحِ
وأن تُحْرَمي صوب الربيع وتُدْلفي   بزِقٍّ لندمَانيَّ كُلَّ صباحِ

قال: وقال فيه يزيد بن معاوية:

رأيتُ خليلي أبا خالدٍ   يُعالجُ بالحُصِّ لونًا شديدًا
يريدُ البياضَ ويأبى السَّوادُ   وكان رباحٌ عليه شهيدًا

وقال فيه أيضًا: [الطويل]

ما أنت مِن بَهْزٍ ولا كان مِنهُم   أبوك، ولكن أنت مَوْلى لخالدِ
أبوك رَبَاح رِشْدَةٌ غيرُ زَنْيَةٍ   ولونك عدْلٌ بين خَصْمَيْك شاهِدُ(٢٦)

(للبحث صلة)

أ.د. عبدالله بن سليمان الجربوع

الحواشي:

(١) عبدالله بن سليمان الجربوع، "مزية مرويات الزبير بن بكار لشعر أهل الحجاز وغيرهم من شعراء العرب" مجلة جامعة الملك سعود، الآداب(٢) ١٤١٨هـ (١٩٨٨م)، ٢٤٣-٢٨٢.

(٢) عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، ط٢، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ج١، ص ٢٥١-٢٥٢)؛ وانظر: أحمد بن علي العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق محمد علي البجاوي، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر)، ج١، ص٢٥٠.

(٣) عبدالحفيظ السّطلي، ديوان أميّة بن أبي الصّلت، (دمشق: ١٩٧٤م).

(٤) بهجة عبدالغفور الحديثي، أمية بن أبي الصلت، حياته وشعره، ط٢ (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، (١٩٩١م).

(٥) المصدر السابق، ص٥، ص ٣٩٧.

(٦) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخباره، شرح محمود محمد شاكر وتحقيقه، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨١هـ).

(٧) المصدر السابق، ج١، ص٧١.

(٨) علي بن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق علي السباعي وآخرين (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م)، ج٢٢، ص٣٠.

(٩) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، أشرف على طبعة حمد الجاسر، ط٢، (الرياض: مطبوعات مجلة العرب، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ج٢، ص٦٥٠.

(١٠)عبدالحفيظ السطلي، ديوان أمية بن أبي الصلت، (٢٥)، ص٣٩٣، وفي طبعة الحديثي، (٥٦)، (٥٧) ص٢٢٨.

(١١) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج٢، ص٩٢٨.

(١٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٥٤.

(١٣) داريه: لعلها تصحيف، صحته ما ورد في المصادر الأخرى (دارته)، انظر الديوان: ت السطلي، ص٣٨١، ت الحديثي، ص٢٠١، والأغاني، ج٨، ص٣٢٩.

(١٤) دوح: لعلها تحريف صحته ما أثبته المصادر الأخرى "ردح" جمع رداح، وهي الجفنة العظيمة. انظر الديوان، ت السطلي، ص٣٨١، وت الحديثي، ص٢٠١، والأغاني، ج٨، ص٣٢٩.

(١٥) عبدالله بن سليمان الجربوع، ملحوظات على ديوان عبدالله بن الزبعرى، مجلة جامعة أم القرى، السنة الثالثة، العدد الخامس، ١٤١١هـ، ١١٢-١٣٨.

(١٦) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج٢، ص٧٣٠.

(١٧) المصدر السابق، ج٢، ص٩١٨.

(١٨) المصدر السابق، ج٢، ص٩١٩-٩٢٠.

(١٩) العرجه: كذا وهو مختل الوزن.

(٢٠) محمد بن إسحاق الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك بن عبدالله ابن دهيش، ط١، (مكة المكرمة: مطبعة النهضة الحديثة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ج٥، ص ٨٢.

(٢١) المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري، كتاب نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، (القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٥١م)، ص ١٢٧.

(٢٢) محمد بن حبيب، كتاب المحبر، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، (بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، د.ت.)، ص٢٢.

(٢٣) شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج٤، ص٣٥٤.

(٢٤) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني، الجزء الثالث (الرياض: إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٤.

(٢٥) شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، جمعه وحققه صلاح الدين المنجد، ط١، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٨٢م)، ص٧.

(٢٦) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج٢، ص٧٣٥.

الإبل : أسرار وإعجاز
تأليف
ضرمان بن عبد العزيز آل ضرمان وسند بن مطلق السبيعي

ارتبطتْ الإبل بإنسان الجزيرة العربية بالذات قرونًا طويلة. وكُتب عنها قديمًا وحديثًا. وما زالت الكتابة عنها تستهوي القلوب. وها هما الأخوان الكريمان آل ضرمان والسبيعي يكتبان عنها. وقد أصدرا كتابهما في الرياض العام الماضي. ويتكوّن مِن ٢٢٥ صفحة أوراقها صقيلة! مشتملة على تقديم مِن صفحة ونصف الصفحة بقلم الأستاذ الدكتور سعيد باسماعيل، مِن جامعة الملك سعود، فمقدّمة للمؤلّفَين، ثم تأتي الأبواب العَشرة التي هي لُبّ الكتاب. وتقديم الدكتور باسماعيل -مع إيجازه- فيه ضعف لغوي مؤسف؛ وليت المؤلّفَين الكريمين راجعا ما كَتَبَه الأستاذ الفاضل لِيُزيلا ما فيه مِن ضعف.

تحدّث المؤلّفان الكريمان في الباب الأوّل عن الإبل في اللغة، وعن أهميتها في حياة العرب، بالذات؛ اجتماعيًّا واقتصاديًّا، كما أوْرَدا ما جاء عنها في القرآن الكريم والحديث الشريف. وتحدّثا في الباب الأول، أيضًا، عن الإبل في الأدب العربي؛ سواء في الشّعر أو الأمثال، وعن الأسماء العامة لها؛ ذاكرين هذه الأسماء ومدلولاتها، غير أنّ مما كان يحسن فِعْله شكل الأسماء والأوصاف الموردة. ثم أورد المؤلّفان الكريمان في هذا الباب أسماء الجماعة مِن الإبل. ويلفت النظر أنهما أوردا الأسماء الواردة في شِعر قديم؛ وهي الذّوْد الصرمة- الهجمة - الهندية - العرج - الجرجور. وهذه الأسماء، باستثناء الذّوْد، وإنْ وردتْ في ذلك

الشّعر القديم، فإنها ليست مشهورة في الأزمنة القريبة مِن وقتنا هذا. ومما يطلق على عدد مِن الإبل ولم يذكراه اسم: الرعيّة.

وقد جعل المؤلّفان الكريمان عنوان الباب الثاني مِن الكِتاب "أجزاء جسم الجَمل الخارجية". وإذا كانا قد وفّقا في استعمال كلمة "الإبل" عنوانًا لِكتابَيْهما بدلاً مِن استعمال "الجِمال" التي يستخدمها بعض مَن لم يفهموا تراث الأمّة، فإنهما لم يستمرّا في هذا التوفيق. فعنوان هذا الباب "أجزاء جِسْمِ الجَمل الخارجية. والحديث فيه يشمل الجَمل والناقة؛ إذ تحدّثنا فيه عن الضَّرْع، الذي هو خاص بالناقة.

وتحدّث المؤلّفان الكريمان في الباب الثالث عن تاريخ الإبل، وتصنيفها العلمي، وسلالاتها في البُلْدان العربية بعامة، والجزيرة العربية بخاصة؛ موضّحَين دلالات تسميتها بألوانها.

أما الباب الرابع، فتحدّثنا فيه عن صبر الإبل على العطش، والوسائل التي تحافظ بها على الماء في أجسادها، وعن رَعْيِها وتغذيتها، والنباتات الرعوية. وأما الباب الخامس فتكلّما فيه عن التلقيح عند الإبل وتكاثرها، وعن دلالاتها وكيفية حَلْب النّوق، وعن التظيير (التبنّي)، الذي يهدف به إلى أنْ تدُرّ الحليب.

وتحدّث المؤلّفان الكريمان في الباب السادس عن حليب النّوق؛ والعوامل المؤثّرة على إنتاجه، ومكوّناته العلمية ومميزاته، واستخداماته الطبية. ثم تحدّثنا عن لحم الإبل، ومميزاته، وعن وَبَرِها وأقسامه ومميزاته، كما تحدّثنا عن جلودها، وعن بَوْلها؛ وبخاصة مِن الناحية الطبية، واستعمالاته.

وتحدّث المؤلّفان الكريمان في الفصل السابع عن أمراض الإبل؛ وهي

الجُدَري، وداء الكلب، والحمّى القلاعية، والسلّ، والتهاب الضرع، والحمّى النـــزيفية، والحمّى المالطية، والجرَب، والهيام، والعطاش، والديدان الداخلية؛ إضافة إلى الأمراض غير المعدية.

أما الباب الثامن، فتكلّما فيه عن أعمار الإبل، وطريقة معرفة كلّ مرحلة، كما تكلّما عن وسْمِها، والحداء لها، وكيفية نحرها، والقيافة المتّصلة بسيرها. وأما الباب التاسع، فهو عن سلوك الإبل وطباعها، وذكائها، وطريقة سيرها، ونهوضها وبروكها. وأتى الباب العاشر الذي هو آخر أبواب الكِتاب، مشتملاً على حديث عن سباق الهجْن، وكل ما يتّصل به.

ولعلّ مما يُذكر للمؤلّفَين الكريمين، فيشكر، شمولية حديثهما لكل الأمور المتّصلة بالإبل، وإيضاح ما تحدّثا عنه بالصّوَر ورجوعهما إلى ٧٥ عملاً رصداها في آخر الكِتاب.

والله وليّ التوفيق.

أ.د. عبدالله الصالح العثيمين

مطبوعات حديثة:

دائرة معارف عن سير الثقافة خلال القرن الرابع عشر

مُعْجَمُ المطبُوعاتِ العَرَبيَّة

المَملَكة العَربيّة السّعوديّة

تأليف

علي جواد الطاهر

في أربعة أجزاء

التَّعْلِيقَاتُ والنَّوادر

عن أبي عَليّ هارُون بن زكَريا الهَجَري

في أربعة أجزاء

الأَمَاكِنُ

تأليف

الإمام الحافظ محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

في جزءين

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

مجموعات كاملة منذ صدورها (رجب ١٣٨٦ هـ) حتى نهاية السنة الرابعة والثلاثين في (٣٤) مجلداً مع فهارسها الشاملة في (٣٢٤٧٤) صفحة،

تطلب هذه المطبوعات من إدارة مجلة «العرب»، ص.ب: ١٣٧ الرياض ١١٤١١